الوصايا المنبرية

من وصايا الرسول ﷺ للخطباء والدعاة والوعاظ

المجموعة الثانية

الجزء الثاني

بقلم

محمد عبد العاطي بحيري

ضياء سعيدة

دار التوفيقية للتراث

الوصايا المنبرية

من وصايا الرسول ﷺ

للخطباء والدعاة والوعاظ

كتبه

محمد عبد العاطي بحيري

المجموعة الثانية

الجزء الثاني

دار التوفيقية للتراث

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

الكتاب: الوصايا المنبرية في وصايا الرسول- مجموعة٢ ج٢
تأليف: محمد عبد العاطي بحيري
الناشر: دار التوفيقية للتراث - القاهرة
رقم الإيداع: ٢٠١٠/٤٤٧١

دار التوفيقية للتراث

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر - القاهرة

تليفون: ٢٥١٠٥٦٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله.. الذي لا مضل لمن هداه.. ولا هادي لمن أشقاه.. لا مانع لما أعطاه.. ولا راد لما قضاه.. ولا مظهر لما أخفاه.. ولا ساتر لما أبداه.. ولا ناقض لما بناه.. ولا حافظ لما أفناه..

سبحانه.. سبحانه.. أنشأ الكون بقدرته وما حواه.. ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾ [الإسراء:٢٣] سبحانه.. خلق آدم بيده وسواه.. وأسكنه في حرم قربه وحماه وأمره كما شاء ونهاه.. ثم أجرى عليه القدر بموافقته هواه.. فنزعت يد التفريط ما كساه.. ثم تاب الله عليه، فرحمه واجتباه.. وحاله ينذر من يسعى فيما اشتهاه طرد إبليس وكانت السموات مأواه.. فأصمه بمخالفته كما شاء وأعماه.. وأبعده عن بابه للعصيان وأشقاه... وفي قصته نذير لمن خالف الله وعصاه... ألان الحديد لداود كما تمناه.. يأمن لابسه من يلقاه.. ثم صرع صانعه بسهم قد ألقاه.. فلما تسور المحراب خصماه.. ﴿**وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ**﴾ [ص:٢٤] ذهب ذو النون مغاضبًا فالتقمه الحوت وأخفاه.. فندم لما رأت عيناه ما جنت يداه.. فلما أقلقه كرب ظلام تغشاه.. تضرع مستغيثًا ينادي مولاه: ﴿**إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء:٨٧] فنجيناه..

أحمده سبحانه وتعالى.. تعالى ربنا سبحانه وحاشاه.. أن يخيب راجيه وينسى من لا ينساه.. أخذ موسى من أمه طفلاً ورعاه.. فساقه إلى حجر عدوه فرباه.. وجاد عليه بنعم لا تحصى وأعطاه.. فمشى في البحر.. وما ابتلت قدماه.. وتبعه عدوه، فأدركه الغرق وواراه.. حتى إذا قال: آمنت.. إذا بجبريل بالطين يسد فاه.. وكان من غاية شرف موسى و منتهاه.. إنه خرج يطلب نارًا فناداه.. ﴿**يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ**﴾ [القصص:٣٠].

أحمده حمدًا لا ينقضي أولاه، ولا نفد أخراه..

وأشهد أن لا إله إلا الله.. وحده لا شريك له.. يذكر من ذكره.. ويجيب من دعاه.. ويغفر لمن استغفره.. ويتوب على من تاب إليه.. ويزيد من شكره الذي تقدست عن الأشياء ذاته.. وتنزهت عن مشابهة الأمثال صفاته.. واحد لا من قلة.. موجود لا من علة.. بالبر معروف.. وبالإحسان موصوف معروف بلا غاية.. وموصوف بلا نهاية.. أول بلا ابتداء.. وآخر بلا انتهاء لا ينسب إليه البنون.. ولا توهنه السنون.. أمره الكاف والنون.. بذكره أنس المخلصون.. وبرؤيته تقر العيون.. وبتوحيده ابتهج الموحدون.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.. إلى خلقه.. وأمينه على وحيه.. أشرف من وطئ الحصى بنعله.. بلغ عن الله رسالته، وجاهد في الله حق جهاده وقاتل أهل الزيغ والفساد، حتى تمت كلمة الله، وقطع دابر الفساد.. اللهّم صلِّ وسلم وبارك على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة.. المحفوف بالعناية أين ما وجد، المحاط بالتقدير أينما حل وارتحل.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود والمقام المحمود، وصاحب الغرة والتحجيل، المذكور في التوراة والإنجيل.. المؤيد بجبريل.. اللهمَّ صلِّ عليه وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار.. وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.. أما بعد:

أحبتي الكرام...

فهذا هو الجزء الثاني من كتابي (الوصايا المنبرية من وصايا الرسول ﷺ أقدمه لكم، بتوفيق الله وعونه ومدده، فلا توفيق إلا منه، ولا مدد إلا مدده، ولا واهب سواه، فله الفضل ومنه الفضل، وإليه يرجع الأمر كله..

وقد حاولت جاهدًا أن أنتقي هذه الوصايا من أحاديث البشير النذير، والسراج المنير ﷺ وهي إن شاء الله صحيحة.. ورتبتها بقدر ما وفقني الله عز وجل...فإن أكن قد وفقت فمن الله وحده، وإن كان الأخرى فمني ومن الشيطان، والله تعالى أسأله أن يجعله خالصًا لوجه، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجعله يوم

القيامة في ميزان حسناتنا، وأن يوفقنا لصالح الأعمال وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❑ ❑ ❑

أولاً: من مفاتيح القلوب

الوصية رقم (٥٦)

* مفاتيح القلوب *

[١] تبسمك في وجه أخيك صدقة

عن أبي ذر ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله:..

حديثنا هذه المرة بعنوان (مفاتيح القلوب) والقلوب جمع قلب، والقلب أمير البدن، فلقد قال عنه الحبيب المصطفى ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»(٢).

وما سمى القلب قلبًا إلا لكثرة تقلبه، والنبي ﷺ أخبرنا عن القلوب، فقال: «**إنَّ القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**» والقلب أمره عجيب، فهو وإن كان جسمًا صغيرًا إلا أن فيه الكثير والكثير من معاني الفضائل والرذائل بحسب أحوال صاحبه فهو محل الإيمان، وفي موضع آخر موضع الجحود والنكران. .وهو الذي يثبت ويشمخ ويعلو إذا كان مطمئنًا ساكنًا إلى الله عز وجل ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾.

وهو الذي يخذل ويضعف ويجبن، إذا ملئ بالخوف من غير الله عز وجل أو ابتغى القوة والعزة في غير طريق الله تبارك وتعالى..

القلب يطمئن فإذا بالأقدام تثبت، وإذا بالأسارير تنبسط، وإذا بالعين تبرق ببريق الرضا، فإذا باللسان ينطلق بالكلام الحسن. أما إذا كان القلب مضطربًا، غير مطمئن، فإذا العينان تضجان، وإذا اللسان يتلجلج - فكل شيء مرجعه إلى القلب..

---

(١) رواه مسلم برقم (٤٧٦٠).

(٢) رواه البخاري.

القلوب هي التي عليها المعول والمرجع، في القلب سر الإخلاص، والقصد الصالح، والتوجه إلى الله عز وجل. . .أو يكون والعياذ بالله الرياء وإرادة غير وجه الله. .

وبالقلب تتعلق أعظم العبادات، التي هي أسباب النجاة. . ففي القلب الإيمان. . وفيه صدق التوكل. . وفي القلب حسن الإخلاص. . وفي القلب حال الخوف من الله، والخشية منه. . وفي القلب شدة المحبة له جل وعلا. . وكل هذا من العبادات. .

أحبتي في الله: . .

وفي هذه الوصية أول مفتاح من مفاتيح القلوب، المقربة إلى علام الغيوب. . وهو [**أن تلقى أخاك بوجه طلق**] أي بوجه فيه بشاشة وهشاشة عند اللقاء بالآخرين، بحيث لا يكون كالحًا، ولا باسرًا، بل يكون ضاحكًا مستبشرًا. . يكون مبتسمًا وقد حض رسولنا ومعلمنا، ومخرجنا من الظلمات إلى النور، أمته على البشاشة، والكلمة الطيبة. . قال ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**».

وجعل مجرد خروج الكلمة الطيبة من المسلم لأخيه صدقة، فقال: «**الكلمة الطيبة صدقة**»[(١)] بل وقد جعل الكلمة الطيبة سببًا من أسباب النجاة من النار، فقال ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة، فبكلمة طيبة**»[(٢)].

ولا شك أنه أعظم قدوة وأسوة لنا صلوات ربي وسلامه عليك يا رسول الله. . .فلقد كان أكثر الناس تبسمًا، ففي الشمائل للترمذي وغيره. . : كان النبي ﷺ أكثر الناس تبسمًا وضحكًا في وجوه أصحابه، وتعجبا مما تحدثوا به، وخلطًا لنفسه بهم، ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه[(٣)]. .

وهذا جرير بن عبد الله البجلي ؓ يقول: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي في الشمائل وصححه الألباني في مختصر الشمائل برقم (١٩٤).

أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي، ولقد شكوت إليه أني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده في صدري، وقال: «**اللهمَّ ثبته، واجعله هاديًا مهديًا**»(١).

بل إنه ﷺ كان إذا سُرَّ استنار وجهه، وكأنه قطعة قمر ففي الصحيحين من حديث كعب بن مالك ﷺ قال: وكان رسول الله ﷺ إذا سرَّ استنار وجهه كأنَّ وجهه قطعة قمر، قال: وكنا نعرف ذلك(٢)..

بل هناك أعظم من ذلك في قدوتنا وأسوتنا.. في إمامنا ومعلمنا الخير كل الخير.. ومرشدنا إلى السعادة كلها.. أعظم من ذلك وأعجب أنه كان يبتسم في أحلك الأحوال وأشدها.. فها هو في أرض الجهاد يبتسم ويضحك مع أصحابه.. لماذا؟ لكي ينسيهم ما بهم من جراحات وآلام..

ففي البخاري من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال: لما كان رسول الله بالطائف، قال: إنا قافلون غدًا إن شاء الله، فقال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: لا نبرح أو نفتحها..

فقال الرسول الأعظم: «**فاغدوا على القتال**» فغدوا فقاتلوهم قتالاً شديدًا، وكثر فيهم الجراحات، فقال رسول الله ﷺ: «**إنا قافلون غداً إن شاء الله**»(٣).

قال: فسكتوا.. فضحك رسول الله ﷺ.

كان يتعرض للإيذاء ويبتسم أو يضحك حتى تبدو نواجذه- بأبي هو وأمي ﷺ- فعن أنس ﷺ قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بردٌ نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة.. قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت فيها حاشية الرداء، من شدة الجبذة ثم قال الأعرابي: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك.. فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء(٤).

---

(١) رواه البخاري (٣٠٣٦) ومسلم (٢٤٧٥).

(٢) رواه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩).

(٣) رواه البخاري (٤٣٢٥) ومسلم (١٧٧٨).

(٤) رواه البخاري (٦٠٨٨) ومسلم (١٠٥٧).

أحبتي الكرام..

كان رسول الله ﷺ طليق الوجه، هاشًا بشًا، مبتسمًا حتى في وجوه الأعداء..

لذلك أوصانا أن نبش ونبتسم في وجوه الآخرين من المؤمنين وغيرهم، فقال في غير هذه الوصية: «**لا تحقرن شيئًا من المعروف، ولو أن تكلم أخاك، وأنت منبسط إليه وجهك، فإن ذلك من المعروف..**»(١).

أحبتي الكرام..

فارفعوا هذا الشعار، الذي يفتح الله به القلوب: إنه شعار البسمة والبشاشة، وطلاقة الوجه.. فكم من قلب قاس لان بفضل الله أولاً ثم بفضل البسمة وطلاقة الوجه؟!

ولذلك اعتنى به الصالحون، فكان أبو جعفر بن صهبان يقول: أول المودة، طلاقة الوجه، والثانية، التودد، والثالثة: قضاء حوائج الناس(٢)..

وقال ابن بطال: طيب الكلام من جليل عمل البر، لقوله تعالى: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..**﴾[المؤمنون:٩٦] والدفع قد يكون بالقول كما يكون بالفعل.. وقال الماوردي: معنى حسن الخلق، أن يكون المسلم سهل العريكة، لين الجانب، طلق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة(٣).

وتأملوا قول الشاعر:

أزور خليلي ما بدا لي هشه
وقابلني منه البشاشة والبشر
فإن لم يكن هش وبش تركته ولو
كان في اللقيا الولاية والبشر
وحق الذي ينتاب داري زائرًا طعام
وبرٌ قد تقدمه بشرُ

---

(١) **صحيح**: صححه الألباني في الصحيحة (١١٠٩) وصحيح سنن أبي داود (٤٠٩٤).
(٢) الإخوان لابن أبي الدنيا (١٩٤).
(٣) أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي ص٢٣٧.

إننا- بلا شك- لا نستطيع أن نسع الناس بأموالنا، لكننا نستطيع أن نأسرهم ببسطة الوجه، والبشاشة، وحسن الخلق..

وينبغي أن تزداد الحاجة إلى البشاشة، وطلاقة الوجه، إذا كان للناس حاجة وطلبوا قضاءها.. وهكذا كان خير الخلق ﷺ لا يتوانى عن خدمة المسلمين، وقضاء حوائجهم.. بشاشة.. وسعة صدر.. وإنه لأحق الناس بقول الشاعر:

تعوّد بسط الكف حتى لو أنه
تناها لقبض لم تطعه أنامله
تراه إذا ما جئته متهللاً
كأنك تعطيه الذي أنت سائله
هو البحر من أي النواحي أتيته
فلجته المعروف والجود ساحله
ولو لم يكن في كفه غير روحه
لجاد بها.. فليتق الله سائله

فكن أخا الإسلام هشًّا بشًّا، هينًا لينًا، طلق الوجه، تنفتح لك القلوب ولا تكن عابسًا..

لاق بالبشر من لقيت من الناس
وعاشر بأحسن الإنصاف
لا تخالف وإن أتوا بمحال
تستفد ودهم بترك الخلاف

أحبتي الكرام..

والابتسامة التي يريدها الرسول الأكرم، والنبي الأعظم من أتباعه لإخوانهم، إنما هي ابتسامة المشاعر الصادقة، والمحبة الخالصة..

لأن العلماء قسموا التبسم إلى أنواع مختلفة:

١- ابتسامة التماسيح: أو كما يقولون عنها دموع التماسيح، وهي التي يكون فيها التقلب والتلون..

٢- ابتسامة مغضب: ففي حديث البخاري الطويل، الذي يذكر فيه الصحابي الجليل كعب بن مالك، قصة تخلفه عن رسول الله في غزوة تبوك، يقول كعب: فجئته فلما سلمت عليه، تبسم تبسم المغضب[1]..

وتظهر هذه الابتسامة أنها في حالة حزن أو غضب..

٣- ابتسامة معجب: أو ابتسامة التعجب، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿**فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا**﴾[النمل:١٩] أي من حديث النملة مع بني جنسها قال أهل العلم: أي تبسم إعجابًا منه بنصح قومها، وحسن تعبيرها. وهذا حال الأنبياء - **عليهم السلام**- الأدب الكامل، والتعجب في موضعه.. وفي حديث الحبر أيضًا من الأحبار، الذين جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على أصبع، والأرضيين على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع، فيقول: أنا الملك.. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقًا لخبره. ثم قرأ النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الزمر:٦٧].

فتبسم النبي ﷺ كان تعجبًا مما قاله هذا الخبر، لأنه يوافق ما في القرآن الكريم..

٤- ابتسامة سخرية: كما تشاهد إنسانًا يسخر من إنسان فيبتسم أو ربما يصدر صوتًا نحو الضحك أو التبسم..

٥- تبسم النفاق: وهذا أكثر ما يشيع بين الناس في هذا الزمان فهذا يبتسم لهذا، لكن القلوب في غالب الأحوال مليئة بنوع من البغضاء والشحناء فيما بينهم..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

وهذا النوع، وما قبله لا يعنينا، وإنما نريد البسمة المليئة بالحب والود، والألفة.. التي أراده منا رسولنا وحبيبنا ومعلمنا ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**»(١).

أحبتي في الله:..

نحن نتساءل كم هو الجهد الذي تبذله، والتعب الذي تعانيه، لكي تبتسم في وجه أخيك؟

إن الابتسامة لا تكلفك مالاً تخرجه من جيبك، ولا وقتًا تضيعه ولا جهدًا ترهق به بدنك.. إنها لا تكلف شيئًا.. ومع ذلك نجد بعض الناس يبخلون بها، فمن بخل بما لا خسران عليه فهو أشد الناس بخلاً.. إنها لا تستغرق لمح البصر.. لكنها تبقى إلى آخر العمل.. البسمة تشيع السعادة في البيت..

الابتسامة هي التوقيع على ميثاق المحبة بين الأصدقاء..

إنها راحة للتعب، وشعاع الأمل للبائس..

إنها أجمل عزاء للمحزون المهموم..

إنها أفضل ما في جعبة الطبيعة من حلول للمشكلات..

وبرغم ذلك فإنها لا تشترى، ولا تقترض.. إنها مثل العطر الذي يفوح شذاه بين الناس..

الابتسامة صفاء وعطاء وإخاء.. ومن حرم الابتسامة فقد حرم السعادة..

أحبتي في الله:..

فما أكثر الصدقات التي نضيعها بسبب التجهم والعبوس، وتقطيب الوجه.

إنَّ بعض الناس يظن أنه إذا ابتسم قلت هيبته، وأنه إذا عبس في وجوههم وتجهم، ازداد احترامهم له، وهذا خطأ في الفهم والتصور، لأن الناس لا يحترمون من هذا حاله، بل يتجنبونه، ويفرون منه.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٩٠٨) وصحيح الترغيب (٢٣٢١).

الابتسامة تنفع صاحبها قبل غيره، فبسببها يشرق الوجه، ويتدفق الدم إليه، ويظهر بريق العينين، وهي بمثابة تمرين لعضلات الوجه.

إن البسمة تسرى في النفس، فتشيع فيها الأمن والفرح والسرور، وهي تذهب بالأحقاد، وتقضي على العداوات والبغضاء، فهي بمثابة هدية يهديها المبتسم إلى المبتسم إليه، فلا تحرم نفسك من فضيلة الابتسام.. لتسعد نفسك.. وتسعد الآخرين..

قال: السماء كئيبة وتجهما
قلت: ابتسم يكفى التجهم في السما
قال: الصبا ولى، فقلت له: ابتسم
لن يُرجع الأسف الصبا المتصرما
قلت: ابتسم واطرب فلو قارنتها
قضيت عمرك كله متألما
قال: الليالي جرعتني علقما
قلت: ابتسم ولئن جرعت العلقما
فلعل غيرك إن رآك مرنما
طرح الكآبة جانبًا وترنما
أتراك تغنم بالتبرم درهما
أم أنت تخسر بالبشاشة مغنمًا؟

أحبتي الكرام...

من المعلوم أن دين الإسلام هو دين الوسطية والاعتدال في كل شيء، فلا ينبغي للمسلم أن يكون عبوسًا، ولا ينبغي أن يقهقهه دائمًا بلا انقطاع وإنما يكون حاله وسطًا، فخير الأمور أوسطها.. لا إسراف ولا تقتير وقد ورد في الترمذي من حديث

أبي هريرة ﷺ ضمن وصية: «ولا تكثر من الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب»[١].

وهذا هو المفتاح الأول من مفاتيح القلوب، فما هو المفتاح الثاني، هذا هو موضوعنا في الوصية القادمة إن جمع الله بيننا، نسأل الله عز وجل أن يرزقنا السعادة في الدنيا والآخرة..

اللهم اجعلنا من الأبرار، وأسكنا معهم دار القرار، ولا تجعلنا من المخالفين الأشرار.. ووفقنا يا رب لحسن الإقبال عليك، والإصغاء إليك، والتسليم لأمرك والرضا بقضائك، والصبر على بلائك.

اللهمَّ أعذنا من أحوال الشقاء، ووفقنا لأعمال أهل التقى، وارزقنا الاستعداد ليوم اللقاء.. يا من عليه الاعتماد والمتكل، خصنا منك بالتوفيق المبين، ووفقنا لقول الحق وأتباعه، وكن لنا مؤيداً، ولا تجعل لفاجر علينا يداً، يا رب العالمين.

❑ ❑ ❑

(١) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وحسنه في صحيح الجامع برقم (١٠٠) وصحيح الترغيب (٢٥٦٧).

الوصية رقم (٥٧)

* مفاتيح القلوب *

[٢] أفشوا السلام بينكم تحابوا

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**»(١).

صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله:..

هذا هو المفتاح الثاني من مفاتيح القلوب.. إنه إفشاء السلام لإعلان المحبة والوئام.. كما بين رسول السلام في هذه الوصية المباركة «**أفشوا السلام بينكم**» وعند الحاكم من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا «**أفشوا السلام بينكم تحابوا**»(٢).

فبعد الابتسام.. بعد طلاقة الوجه.. يأتي السلام. فالابتسام من غير صوت، ولا كلام.. والتحية والسلام هي إعلان يصدق على الابتسامة وهو كما يقولون: (نور على نور) كأن الابتسام نوع من الرضا، وإعلام بالقبول، ومناداة لاستكمال الصلة والمودة.

والسلام أيضًا يؤكد على هذا، ويدل عليه.. لكن ما معنى (السلام)؟

وأصل السلام: السلامة، فمعنى السلام هو التأمين والإقرار بالسلام فإذا قلت لإنسان: السلام عليكم، يعني: اطمئن، فلن يأتيك من جهتي شر، فأنت مني في أمن وسلام..

ولا شك أن هذا معنى عظيم، ومهم، وله أثره الكبير في تآلف ومحبة القلوب.. لأن من حق المسلم أن يشعر في حضرة أخيه بالأمن ولروعة المضمون اختار الله عز وجل للتحية لفظًا يحقق الغرض المرجو- إنه لفظ (السلام).

لفظ تحية للمؤمنين، وشعار للموحدين، ودعوة للإخاء والألفة والمحبة.. إنه

---

(١) رواه مسلم وأبو داود وأحمد والترمذي وابن ماجه.

(٢) **صحيح**: صحيح الجامع للألباني برقم (١٠٨٦).

تحية من عند الله مباركة طيبة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور:٦١] والجنة دار السلام، قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام:١٢٧] لكن لماذا كانت الجنة دار السلام؟

قال أهل العلم: إنها دار السلام من الآفات..

قال الإمام الرازي: «السلامة الحقيقية ليست إلا في الجنة، ومنها بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وصحة بلا سقم».

والله تعالى هو السلام.. ومعناه: السالم من النقائص والعيوب أو أنه هو الذي يعطي للناس السلامة والأمان..

وتحية أهل الجنة السلام.. قال تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس:١٠] وتحية الملائكة لأهل الجنة بعد دخولهم الجنة هي السلام: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣].

وتحية اللقاء من الملائكة للمسلمين في إقامتهم في الجنة (السلام): ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٤] وفي الجنة لا يصل إلى الأذن إلا ذلك النغم العذب.. ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً﴾ [مريم:٦٢].

وفي ذلك قال من قال:

الدار دار السلامة

وخطابهم فيها سلام

أحبتي في الله:..

وأولى الناس بالله عز وجل من بدأ الناس بالسلام، ألم يقل النبي ﷺ فيما رواه عنه أبو إمامة رضي الله عنه. أنه ﷺ قال: «**إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام**»[1] أي أقرب المتلاقين إلى رحمة الله من بدأهم بتحية الإسلام..

(١) **صحيح**: رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٧٠٣) وصحيح الجامع (٢٠١١).

فإذا أردت أن تكون أقرب إلى رحمة الله، فلتكن أنت البادئ بتحية الإسلام فعند الترمذي بلفظ.. قيل: يا رسول الله، الرجلان يلتقيان، أيهما يبدأ بالسلام، فقال: «أولاهما بالله»

أتعلمون أن من قرأ السلام على من يعرف ومن لا يعرف كان داخلاً في مؤهلات الخيرية الإسلامية.. قال أفضل الخلق ﷺ عندما جاءه رجل يسأله: أي الإسلام خير؟ أي أي خصال الإسلام أكثر ثوابًا؟ قال: «**أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»(١).

بعض الناس تقول له: لماذا لم تسلم على هذا، يقول لك: لا أعرفه.. اقرأ السلام على من عرفته، ومن لم تعرفه، هذا أدب الإسلام.. هذا أدب رسول الإسلام.. إنه يريد أن يزرع المحبة في القلوب.. إنه يريد أن يغرس الألفة والمودة في قلوب أتباع الإسلام..

إن أردتم أن يكفر الله خطاياكم، ويمحو عنكم ذنوبكم، فأفشوا السلام.. قال عليه الصلاة والسلام: «**إن المؤمن إذا لقي المؤمن، فسلم عليه، وأخذ بيده، فصافحه، تناثرت خطاياهما، كما يتناثر ورق الشجر**»(٢).

وكما تتساقط الخطايا بإذن الله تعالى، تتساقط أسباب الشحناء والبغضاء وتغسل ما في القلب من أدران..

ومن الفضائل أيضًا: أن هذه التحية تحية عريقة متسلسلة بخير خلق الله من الرسل والأنبياء، فقد صح عن الشيخين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعًا**» على صورته أي على صورة آدم، أي خلق آدم خلقًا واحدًا متكاملاً، لم يتدرج صغيرًا، ثم كبيرًا، كما هو خلق هذا الإنسان.. «**فلما خلقه، قال: اذهب إلى أولئك النفر، فسلم عليهم،**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٧٢٠) والصحيحة (٥٢٦).

واستمع إلى ما يجيبونك به، فإنها تحيتك، وتحية ذريتك من بعدك، فقال: السلام عليكم، فأجابوه: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، زادوه ورحمة الله»[١].

وقد بين النبي ﷺ صيغة السلام وثوابه في حديث واحد فعن عمران بن حصين قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليكم، فردَّ عليه، ثم جلس، فقال النبي ﷺ: «**عشراً**» ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فردّ، ثم جلس فقال النبي ﷺ: «**عشرون**» ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد، فجلس، فقال: «**ثلاثون**»[٢].

فالتحية كلما كانت بتمامها، زادت المثوبة، وتضاعف الأجر، وارتفع الرصيد وكان القبول عند الله، الذي لا تضيع عنده الودائع.

ومن شدة حرص النبي ﷺ على إفشاء السلام، لأنه يكون سببًا في حصول الألفة والمحبة، لما قدم المدينة المنورة، نورها الله ببركته، ولا يزال عليه آثار السفر ومشقته، والناس في سرور بمقدمه وكان أول لقاء له بهم في المدينة، ماذا قال لهم؟ وبماذا أوصاهم؟

قال: «**أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[٣].

وقد جعل الرسول ﷺ إفشاء السلام، وإطعام الطعام سببًا في توارث الجنان يوم القيامة، فقال ﷺ: «**أطعموا الطعام، وأفشوا السلام، تورثوا الجنان**»[٤].

وقال ﷺ كما روى عنه أبو مالك الأشعري رضي الله عنه: «**إنَّ في الجنة غرفًا يُرى**

---

(١) رواه البخاري وأبو داود والترمذي.

(٢) صحيح سنن أبي داود للألباني برقم (٥١٩٦).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي والدارمي وابن ماجة والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٦٥) والترغيب (٦١٦).

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٢٢).

ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام.. »[١].

أحبتي في الله: . .

يمر أحدهم على جماعة فلا يفشي السلام، فتقول له: لم لم تسلم، فيقول: يا أخي، إنهم لا يردون السلام. . سبحان الله. . ألق السلام، وسوف تأخذ أجرك، وما عليك أن يردوا أولا يردوا، فإنه يرد عليك من هو خير منهم وأطيب. . يقول النبي ﷺ: «**السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه في الأرض، فأفشوه بينكم، فإن الرجل المسلم إذا مر بقوم، فسلم عليهم، فردوا عليه، كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم السلام، فإن لم يردوا عليه، رد عليه من هو خير منهم**»[٢].

السلام بركة لك وعلى أهل بيتك، فأفشي السلام بينهم. . فما أجمل حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يا بني إذا دخلت على أهلك، فسلم، فتكون بركة عليك وعلى أهل بيتك**»[٣] فما أعظم أن تنال البركة بكلمات قليلات فيهن الخير كله.

أحبتي الكرام. . .

أفشوا السلام لكي تسلموا. . أفشوا السلام كي تعلوا. . إن المسلم إذا هجره أخوه المسلم، فأعرض هذا، وأعرض هذا، فإن رسول الله ﷺ أخبرنا أن أفضلهم عند الله، وأعظمهم وأكثرهم مثوبة عند الله، هو الذي يبتدئ بالسلام. . قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»[٤].

---

(١) صحيح رواه حبان وصحيح الترغيب (٦١٨).

(٢) **صحيح**: رواه البزار والطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٧٠٥) وصحيح الجامع (٣٦٩٧).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١٦٠٨).

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

كل هذا يوضحه لنا خير أستاذ، وأعظم معلم، وأكرم نبي ورسول لكي يجعل المجتمع متماسكًا مترابطًا، تسوده روح الألفة والمحبة والمودة، كل هذا ليجعل المسلم يفتح قلبه لحب إخوانه المسلمين..

وكذلك حرص أصحابه والتابعين من بعده على ذلك، فهذا سيدنا عمر بن الخطاب- فاروق الإسلام- يقول: «ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه».

وتأمل هذه القصة اللطيفة، التي تدلنا على فقه الصحابة - رضوان الله عليهم- كما تدلنا على أن السلام هدية من أعظم الهدايا..

الأشعث بن قيس، وجرير بن عبد الله البجلي قدما على سلمان الفارسي في المدائن يوم كان أميرًا عليهم، فجاءوا إليه، فقالا: ألست أمير المدائن؟ قال: بلى. قالا: ألست صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: لا أدري، فاختلط الأمر عليهم، فقال لهما: أنا الذي تنشدان ولكن صاحب رسول الله ﷺ من كان معه في الجنة..

ثم قالا له: قد أتيناك من أخيك أبي الدرداء، فبادرهما سلمان رضي الله عنه وقال: فأين هديته لي؟ قالا: ما حُملنا من هدية.. قال: اصدقا وبينا أين هديته لي؟ قالا: فهل تدعي علينا بمال أو شيء..

قال: اصدُقا.. فقالا: ما نعلم مما تقول شيئًا، وإنما أتيناه، فقال لنا إذا أتيتما إلى المدائن، فإن أميرها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ كان إذا خلى به رسول الله- لم يدخل غيره، فأتياه، فسلما عليه، فقال سلمان: هذه هي الهدية، وأي هدية أريد منكم غير هذه؟! يعني تحية الإسلام- وأي هدية أفضل من السلام.. تحية من عند الله مباركة طيبة.

أحبتي في الله:..

لهذا كان السلف - رضوان الله عليهم- حريصين على إفشاء السلام وعلى تحية الإسلام.. الطفيل بن أبي بن كعب كان يأتي عبد الله بن عمر، فيغدو معه إلى

السوق، قال: فـإذا غدونا إلى السوق، لم يمر عـبد الله بن عمر على صاحـب بيعة، ولا مسكين، ولا أحد إلا يسلم عليه. .

قال الطفيل: فـجئت عبد الله بـن عمر ﷺ يـومًا فـاستـتبـعني إلى السوق، فقلت له: مـا تصنع بالسوق، وأنت لا تقف على البـيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجالس في مجالس السوق، فاجلس بنا ها هنا نتحدث، فقال لي عبد الله: يا أبا بطـن- وكـان الطفـيل ذا بطن- إنما نغـدو من أجل أن نسلـم على من لقينا[1]. .

وسيدنا أنس بن مالك ﷺ يـقول: إنّ أصحاب النبي ﷺ كانوا فيـما تدعون، فتستقبلهم الشجرة، فتنطلق طائفـة منهم عن يمينها، وطائفة عن شمالها، فإذا التقوا، سلم بعضهم على بعض[2].

ورضي الله عن الصحابـي الجليل أبي هريرة، الذي تخرج من الجامعـة المحمدية وقال: من لقي أخاه، فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو حائط، أو حجر، ثم لقيه، فليسلم عليه[3]. .

أحبتي الكرام. . .

نريد أن نعلم أولادنا، ونربي بناتنا على تعـاليم الإسلام، وسنة خـير الأنام ﷺ وينبغي أن نغرس فيـهم نوازع الرجولة، ونقوي شخصياتهم، ونستـجلب محبتهم. . ينبغي علينا أن نعودهم على تحـية الإسلام. . ولا نعودهم على ما تعود عـليه الجهّال بدينهم مثل صباح الخير. . أو مساء الخير. . أو نحوها. .

فعن أنس ﷺ أنه مرَّ على صبيان، فسلم عليهم، وقال: كان رسول الله ﷺ يفعله[4]. .

---

(١) صحيح: رواه مالك (٢/ ٣٥٩) وأبو نعـيم في الحلية (١/ ٣١١) والبخـاري في الأدب المفرد برقم (١٠٢١) ص٣٤٢ ط التوفيقية.

(٢) صحيح: رواه الطبراني والبيهقي في الشعب (٨٨٦١) والبخاري في الأدب المفرد (١٠٢٦).

(٣) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٢٥) والبيهقي في الشعب.

(٤) رواه البخاري وأبو داود.

وعن أنس قال: انتهى رسول الله- ﷺ- - إلينا، وأنا غلام مع الغلمان فسلم علينا، ثم أخذ بيدي، فأرسلني برسالة، وقعد في ظل جدار، حتى رجعت إليه[1]. .

إنَّ الغصون إذا عدلتها اعتدلت

ولا تلين إذا كانت من الخشب

ورب العزة والجلال يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ [التحريم: ٦].

لكن ما هي آداب السلام؟

إجابة هذا السؤال بالتفصيل في كتابنا (منهاج الصالحين) في الآداب الإسلامية الجزء الأول. .

أسأل الله عز وجل أن ينفع به المسلمين، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يسلمنا من الآفات والبلايا في الدنيا والآخرة. . اللهم سلمنا من الشرور. . وسلمنا من عذاب الآخرة. .

اللهم إنا نعوذ بك من نزغات الشياطين، وظلم الظالمين، ومعاداة المعادين وتمرد الماردين، ومكر الماكرين، وخيانة الخائنين، ومن شر الإنس والجن أجمعين، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم اللهم إنا نعوذ بك من الغرور والزور، والكذب والفجور، وفتنة القبور وانطماس النور، يا عزيز يا غفور. .

اللهمَّ اغفر لنا برحمتك يا رحيم يا ذا العرش المجيد يا رب العالمين.

❑ ❑ ❑

---

(١) رواه مسلم وأبو داود.

الوصية رقم (٥٨)

* مفاتيح القلوب *

[٣] تهادوا تحابوا

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**تهادوا، تحابوا**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله:..

هذا هو المفتاح الثالث من مفاتيح القلوب (الهدية) وهي سبب قوي من أسباب المحبة بين الناس، لذلك أوصى بها حبيب القلوب ﷺ في كلمة واحدة، والنتيجة في كلمة واحدة.. «**تهادوا.. تحابوا**» وهذا من جوامع كلمه ﷺ حيث لخص فيه الفعل وأثره.. ومعناه: اجعلوا بينكم التهادي، وتبادل التهادي يحصل بينكم، أو يقع لكم أصول المحبة فيما بينكم، بإذن الله عز وجل.. وفي حديث أنس ﷺ: عليكم بالهدايا، فإنها تورث المودة، وتذهب الضغائن..

هدايا الناس بعضهم لبعض
تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوى ووداً
وتلبسهم إذا حضروا جمالا

فالهدية لها أثر في إيجاد المحبة، وليس ذلك فقط، وإنما لها أثر في إزالة الجفوة، وفي محو ما يكون من غضب أو ضغينة، فإن الإنسان ربما يخطئ مع أخيه، فيكون أثر الخطأ نوع من الجفوة، أو يتسبب هذا الخطأ في وجود الشحناء أو البغضاء، فإذا

---

(١) **حسن**: رواه البخاري في الأدب المفرد والألباني في إرواء الغليل (٦/ ٤٤) وصحيح الجامع برقم (٣٠٠٤).

بادر بالهدية، فكأنها لسن حال الاعتذار، وكأنها جلاء ما في القلب من الأقذار والأكدار بإذن الواحد القهار..

فما هي الهدية؟ وما آثارها؟ وما آدابها؟

الهدية: هي ما يعطى بقصد إظهار المودة، وحصول الألفة بين الأقرباء، أو الأصدقاء، أو العلماء، أو غيرهم..

فهي تقدم ولا يقصد بها البدل، وليست في مقابل ثمن، أو سلعة، أو نحو ذلك..

وأصل كلمة (الهدية) من الهدى، والهُدى بمعنى الدلالة والإرشاد فكأنها تهدى القلب وترشده إلى طريق التآلف.. ولذا كانت الهدية مفتاحًا من مفاتيح القلوب..

أحبتي الكرام...

إنّ الهدية من أعظم ما يبعث الوئام في النفوس، وما يسترضى به الغضبان، ويستعطف السلطان، ويسل السخائم[1]، ويدفع المغارم، ويستحيل المحبوب، ويتقي به المحذور بعد الله عز وجل..

الهدية تزيل غوائل الصدور، وتذهب الشحناء من نفوس الناس.

قال الشاعر الحكيم:

إنَّ الهدية حلوة
كالسحر تختلب القلوبا

تدني البعيد من الهوى
حتى تصيره قريبًا

وتعيد مضطغن العدا
وة بعد بغضته حبيبًا

---

(١) السخائم: جمع سخيمة وهي الحقد والغل.

تـنفـي الســــخـــيــــمــــة مـن ذوى

الـشــــــحـنـا وتمتـــــــحـق الذنـوبـا[١]

وقـد ورد عن عبـد الله قال: إن القلوب جبلت على حب من أحـسن إليهـا، وبغض من أساء إليها..

قال أبو حاتم: والبشـر مجبولون على محبة الإحسـان، وكراهية الأذى، واتخاذ المحسن إليهم حبيبًا، واتخاذ المسيء إليهم عدوًا[٢]..

ويقول عبد الملك بن رفاعة: الهدية هو السحر الظاهر[٣]..

وقد رغب النبي ﷺ في قبول الهـدية، والإثابة عليها، مهمـا كانت هذه الهدية بسيطة أو حقيرة، قال ﷺ: «**لو أهدى إليَّ ذراع أو كراع، لقبلت**»[٤].

قال ابن بطال في تعليقه على هذا الحديـث: أشار عليه السلام بالكراع والفرسن في الحديث الآخر إلى الحض على قبول الهدية، وإن قلت، حتى يمتنع الباعث من الإهداء.

فمثلاً إذا أهديت هدية، ثم قيل لي: هذه قليلة، وهذه بـسيطة أو تافهة، فسوف أمتنع عن الإهداء، فرغب النبي ﷺ في الإهداء ولو كان شيئًا حقيرًا وتافهًا.. لما فيه من التآلف[٥]..

وقال ابن حجر -رحمه الله- أيضًا في هذا الحديث:

أشـير بذلك إلى المبـالغـة في إهداء الشيء اليسـيـر وقبـوله، لأنه قد أشـار إلى (الفـرسن) الذي لم تجر العـادة في إهدائهم- أي لا تمتنع جـارة من الهـدية لجارتهـا الموجود عندها، لاستقلاله، بل ينبغي أن تجود لها بما تيـسر، وإن كان قليلاً فهذا خير من العدم[٦].

---

(١) روضة العقلاء لابن حبان (ص٢١٨).

(٢)، (٣) روضة العقلاء لابن حبان.

(٤) رواه البخاري وغيره.

(٥) فتح الباري (٨/٤٦) لابن حجر العسقلاني.

(٦) المرجع السابق (٨/٤٣).

وقد جمع الحبيب ﷺ في الحديث بين الذراع والكراع، **لماذا؟ ليجمع بين القليل** والكثير، فالذراع كان أحب شيء إلى رسول الله، وهو الذي فيه لحم كثير، والكراع في الغالب ليس فيه لحم كثير..

ففي هذا كله الحض على قبول الهدية، حتى ولو قلت، **لما في ذلك من التأليف** والتآلف، ولو كانت يسيرة، ويزداد الأمر تأكيداً على عدم رد الهدية إذا كانت إحدى ثلاث، أشار إليها النبي ﷺ في قوله: «**ثلاث لا ترد: اللبن، والوسائد، والدُّهن**- أي الطيب»(١).

وحاصل الأمر أن العاقل الحصيف، من يستعمل مع أهل زمانه شيئًا من بعض الهدايا بما استطاع لذي رحمه، الأقرب فالأقرب، ولجيرانه أقربهما بابًا، لاستجلاب محبتهم إياه، وإن عنده الشيء التافه فلا يجب أن يمتنع من بذله، لاستحقاره أو استقلاله، لأن أهون ما فيه لزوم البخل والمنع، ومن حقّر شيئًا منعه، بل يكون عنده الكثرة والقلة سيان..

والبشر مجبولون على محبة الإحسان، وكراهية الأذى، واتخاذ المحسن إليهم حبيبًا، واتخاذ المسيء إليهم عدوًا..

وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ: «**أجيبوا الداعي، ولا تردوا الهدية، ولا تضربوا المسلمين**»(٢).

وكان النبي ﷺ يعطي عمر شيئًا من العطاء، فقال عمر: أعطه من هو أفقر مني يا رسول الله فقال النبي ﷺ: «**إذا جاءك من المال شيء وأنت غير مستشرف**- أي غير متطلع- **ولا سائل، فخذه، فتموله**- أي تملكه- **فإن شئت كله، وإن شئت، تصدقت به. ومالاً**- إذا كان خاليًا من هذه الشروط- **فلا تتبعه نفسك**»(٣) فالشاهد في

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي وقال: حسن غريب برقم (٢٧٩٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٠٤٦).

(٢) رواه البخاري وأحمد.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري وذكره الألباني في صحيح الجامع (٤٧٣).

قوله: إذا جاءك من هذا المال شيء فخذه، يدخل فيه الهدايا.. ومن الأدلة أيضًا أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية.. قصة بريرة ﵂ فقد دخل النبي ﷺ يومًا بيت عائشة ﵂ وعلى النار بُرمة تفور، فدعا بالغداء، فأتى بخبز وأدم من أُدم البيت، فقال: «**ألم أر لحمًا؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، ولكنه لحم تصدق به على بريرة، فأهدته لنا، وأنت لا تأكل الصدقة، فقال النبي ﷺ: «**هو صدقة عليها، وهدية لنا**»(١).

إذًا المال لما انتقل من شخص إلى شخص آخر، فقد اختلف حكمه.. تصدق به أحد الناس إلى بريرة، وأهدته بريرة إلى عائشة، إذًا هو صار هدية حينئذ، فجاز للنبي ﷺ أن يأكل منه.

وقد كان صلوات ربي وسلامه عليه، إذا أُتي له بطعام سأل عنه: أهدية أم صدقة؟ فإن قيل: صدقة، قال لأصحابه: «**كلوا**» ولم يأكل- لأنه لا يليق بمقام النبوة أن يأخذ من صدقات الناس وأوساخهم- وإن قيل: هدية، ضرب بيده ﷺ فأكل معهم.

وهذا من كرم أخلاقه ﷺ وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ دخل بيته فوجد لبنًا في قدح، فقال: «**من أين هذا اللبن؟**» فقالوا: أهداه لك بنو فلان فقال: «**يا أبا هر!**» قال: لبيك يا رسول الله، قال: «**اذهب إلى أهل الصفة، فادعهم لي**» وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا مال(٢)..

فكان من كريم خلقه ﷺ أن يشاركوه في الهدية، ولا يشاركهم في الصدقة.

هدى الرسول في الهدية:

كان النبي ﷺ من هديه في الهدية أنه إذا جاءته الهدية لم ينس من حوله من الفقراء والمحتاجين، وكان يعطى من يحضره، وكان إذا أهديت إليه باكورة الثمر- أو الثمار- كان يعطيها لأصغر القوم سنًا- الطفل.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري وأحمد.

وكان يتألف بهـدايـاه القوم، وخاصة من كان حديث عهـد بالإسلام، أو في قلبه شيء على الإسلام وأهله، فلا يزال يعطيه حتى يرضيه..

فعن ابن أبي ملـكية أن النبي ﷺ أهديت له أقـبيـة من ديباج مـزررة بالذهب، فقسمها في ناس من أصحابه.

ولا يلزم أن يلبـسوها، لأن لـبس الحرير للرجـال حـرام، لكن يمكن أن يعطوها زوجاتهم أو بناتهم، أو يفـعلوا كما فعل فاروق الإسـلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أهداها لأخ له كان مشركًا بمكة، ليحببه في الدين فقد أهديت له ﷺ أقبية من ديباج مزررة بالذهب فقسـمها في ناس من أصحابه، وعزل منهـا واحدة لمخرمة بن نوفل، فجاء ومعه المسور بن مخرمة، فقام على الباب، فقال: ادعه لي- وكان صاحب جفاء وغلظة- فسمع النبي ﷺ صوته، فأخذ قباء وتلقاه به، واستقبله بأزراره، فقال: **يا أبا المسور! خبأت لك هذا، يا أبا المسور هذا لك..**

وكان هدى النبي ﷺ في الهـدية، كما جـاء عنه: «**كان يقـبل الهدية، ويـثيب عليها**»(١) وهذا أدب إسلامي رفيع.. وخلق عظيم من أخلاقه الكريمة..

وكـان يبعث الهـدية في أقربائه، وكـان وفـيًـا لذكرى أم المؤمنين خـديجة رضي الله عنها وأرضاها، فكان إذا ذبح الشاة يهـدي منها إلى صديقات خديجة.. مما جـعل السيدة عائشة رضي الله عنها تشعر بالغيرة تجاهها دون أن تراها، لذا نجدها تقول: «**ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة**» ولما لاحظت أن رسول الله ﷺ كان يذكرها دائمًا، وفاء لها.. قالت له: ما تريد من عجوز حـمراء الشدقين، **أبدلك الله خيرًا منها..** فرد عليـها رسـول الله ردًا أسكتهـا.. قال: «**إنها كـانت وكانت.. وكان لي منها الولد**»(٢).

أحبتي الكرام...

وما دام الرسول ﷺ حض على الهدية، حتى ولو كانـت قليلة فينبغي إذن عدم

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري وأحمد.

التكلف.. وكان هذا هدى النبي ﷺ لذلك قال لأبي ذر الغفاري ﷺ: «**إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك**»(١) أي تهديهم شيئًا من مرقها..

والأفضل أن تكون هديتك للأقرب فالأقرب من ذوي رحمك، ففي الصحيح أن ميمونة ﷺ زوج النبي ﷺ أعتقت وليدة لها- أي جارية- فقال لها النبي ﷺ: «**لو وصلت بعض أخوالك، كان أعظم لأجرك**»(٢) يعني لو أعطيتها لأحد أخوالك كان أكثر ثوابًا، وأعظم أجرًا من عتقك إياها..

وكذلك الجيران.. الأقرب فالأقرب.. فعن عائشة ﷺ قالت: قلت: يا رسول الله، إنَّ لي جارين، فإلى أيهما أهدى؟

قال: «**إلى أقربهما منك بابًا**»(٣).

فيبدأ بالجار الأقرب فالأقرب، لأن الإنسان قد تكون مقدرته محدودة على الإهداء، وليس عنده ما يتسع للجميع، فيبدأ بالأقرب..

والمسلم الفطن هو الذي يتخير المناسبات للإهداء، لأن ذلك يكون له أثر كبير في النفوس، وفيه إشعار لهذا المهدي إليه باهتمامك، وكأنك تتابع أخباره وأحواله.. فإذا أهديته يوم عرسه، وقد علمت به، وقد أعددت له تلك الهدية، أو إذا رزق بمولود، أو نحوه فهذا يدل على اهتمامك به، وتعرفك على أخباره، ولاشك أيضًا أن في هذا إظهار الفرح لما أتم الله- عز وجل- له من النعمة، وأنك تفرح لفرحه..

وهناك مناسبات متعددة- فالزواج مناسبة.. التخرج من مرحلة من مراحل التعليم مناسبة.. عندما يرزق الإنسان بمولود مناسبة.. عمل جديد.. سكن جديد.. ترقية جديدة.. سيارة جديدة.. كل هذه مناسبات في حياة الإنسان يفرح بها، وربما يكون قد تعب للحصول عليها، فتكون الهدية حينئذ جميلة لمناسبتها، وتكون مؤثرة ولها أثر كبير في الألفة والمحبة..

---

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي.
(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد والحاكم.
(٣) رواه البخاري وأحمد.

أحبتي في الله: . .

والهدية رمز للمحبة، وعربون الأخوة، والعربون كما نعرف أنه يكون قليل، والثمن المؤجل أو القيمة هي ما وراء ذلك، وكذلك الهدية وتكون الهدية قيمة، وتقع موقعها من النفس البشرية، إذا كانت مناسبة. . فربما تعلم من جارك أو صديقك أنه محتاج لشيء ما، ويعجز عنه مثلا لو كان لك أخ يعزم على الزواج فبدلاً من أن تهديه شيئًا لا ينتفع به، أو لا يحتاجه. . لكن لو كانت حاجة مطلوبة من حاجات أو متطلبات الزواج لكن أفضل وأعظم. . ولو كانت الهدية موافقة لميول المهدي إليه، كان ذلك أحسن وأعظم. . فلو علمت أن صديقك أو جارك طالب علم، ويحب الكتب، ويحرص على اقتنائها، فإذا أهديته كتابًا فريدًا كان ينوى شراءه، كان ذلك أشد أثرًا في النفس. .

وتبادل الهدايا مفتاح من مفاتيح المحبة. . فإذا أهدى إليك إنسان هدية، استحب لك أن تهديه هدية مكانها. . ولا تشترط أن تكون موازية أو مساوية لها، أو أغلى منها. . حتى لا يكون هناك تكلف. . هو أهداك على قدره، فأهده أنت على قدرك أنت. . فقد أهدى أعرابي رسول الله ﷺ ناقة، فعوضه رسول الله ﷺ ستة وقد قال الحبيب ﷺ: «**لا يشكر الله من لم يشكر الناس**»(١) والهدية على الهدية نوع من أنواع الشكر، وأقل الهدايا أن تدعو لمن أهدى إليك، قال ﷺ: «**من أعطى عطاء، فليجز به، إن وجد، وإن لم يجد، فليثن به، فإن من أثنى به، فقد شكر، ومن كتمه، فقد كفر، ومن تشبع بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور**»(٢).

وقال ﷺ: «**من صُنع إليه معروف، فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا، فقد أبلغ في الثناء، وأجزل في العطاء**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٩٧٣).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي وابن حبان وأبو داود وغيرهم وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٦١٧) وصحيح الجامع (٦٠٥٦).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي عن أسمة بن زيد وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٩٦٩) وصحيح الجامع (٦٣٦٨).

ومن السنة مبادلة الدعاء بالدعاء، فلو قال لك مثلاً: جزاك الله خيرًا تقول له: وجزاكم.. أو: وإياك.. أو نحو ذلك من الألفاظ الطيبة.. السيدة عائشة رضي الله عنها عندما كانت ترسل خادمها، كانت تسأله: ماذا قالوا لك؟ تسأل الخادم، الذي أوصل العطية إلى الآخرين، ماذا قالوا حين أعطيتهم الهدية؟ فيقول لها الخادم مثلاً: بارك الله فيكم، فتقول رضي الله عنها: وفيهم بارك الله.. نرد عليهم مثل ما قالوا، ويبقى أجرنا لنا.. واحذر أن تمن على من أهديت، فإن ذلك محبط لعملك، مجلب للحقد.

قال الله عز وجل: ﴿**قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى..**﴾ [البقرة:٢٦٣، ٢٦٤] فلا تعطى العطيات.. أو تهب الهبات.. أو تقدم الصدقات، ثم تتبع ذلك بالمن الذي يبطل ثواب الصدقات والهبات، فضلاً عما يدخره الله عز وجل للمنان من العذاب يوم القيامة، قال ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**» قالها رسول الله ﷺ- ثلاث مرات.. قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «**المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذبة**»[١] وفي رواية عند مسلم: «المنان، الذي لا يعطى شيئًا إلا منة»[٢].

وكان من هدى الحبيب المصطفى ﷺ أنه إذا عرض عليه الريحان لا يرده، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من عرض عليه ريحان، فلا يرده، فإنه خفيف المحمل، طيب الريح**»[٣].

وعند البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان لا يرد الطيب..

وسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه أهدت إليه جارية أعوادًا من الريحان فأعتقها، فقال له الحاضرون: أتعتقها بسبب أعواد الريحان؟ قال: قرأت قول الله عز وجل: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا..**﴾ فلم أجد أفضل من ذلك إلا عتقها..

---

(١) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

(٢) رواه مسلم.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم والنسائي وأبو داود.

لكن ماذا كان هدى النبي ﷺ في الهدية من الأعـداء أولهم؟ لقد كان حبـيبنا ﷺ يقبل الهـدية من غير أصحابـه. . من غير المسلمين، إذا علم أنه من خلالهـا يعود النفع والمنفعـة للإسلام والمسلمين، ففي الصـحيحين من حـديث أبي حميد السـاعدي رضي الله عنه قال: غزونا مع النبي ﷺ تبوك، فأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء، وكساه بُرداً[١].

وفي الصحيحين من حـديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها. .

وأهدى إليه أكيدر بن عبد الملك صـاحب دومة الجندل حلة من حرير أو قباء من حرير، فلبسه- أي قبل تحريمه- ثم نـزعه نزعًا شديدًا، كالكاره له، وقال: «**ما ينبغي هذا للمتقين**»[٢].

وأهدى إليه المقوقس والي مصر، مارية وسيرين، وبغلة يقال لها: دلدل، وأشياء أخرى، فقبلها رسول الله ﷺ. . وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «هاجـر إبراهيمُ بسارة، فـأعطوها هاجر- أم إسمـاعيل عليـه السلام- فرجـعت، فقال: أشـعرت أن الله كـبت الكافر. .» فأهدت سـارة هاجر إلى سـيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام. .

والإهداء من المسلم إلى غير المسلم جائز كذلك، طالما فيـه مصلحة للإسلام فقد أهدى عمـر بن الخطاب رضي الله عنه حلة سيراء لأخ لـه مشرك بمكة قـبل أن يسلم أخوه. . وابنه عبـد الله، ذبحت له شاة في أهله، فلما جـاء قال: أهديتم إلى جارنا اليـهودي منها؟ فلقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مازال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه**»[٣].

أحبتي الكرام. . .

هل هناك أحوال ترد فيها الهدية ولا تقبل؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري وغيره.

نعم هناك بعض الأحوال التي ترد فيها الهدية، وذلك إذا كانت الهدية إنما أهداها أصحابها ليأخذوا أكثر منها، وإن لم يأخذوا أكثر منها، تسخطوا، فإذا عُرف من عادته هذا فلك أن ترد الهدية..

فهل حدث ذلك من أستاذ البشرية، وفقيه الإنسانية ﷺ؟ نعم حدث ذلك من معلمنا ونبينا ﷺ فقد ردَّ بعض الهدايا، وقال: «**وايم الله، لا أقبل بعد يومي هذا من أحد هدية إلا أن يكون مهاجرًا قرشيًا، أو أنصاريًا، أو دوسيًا، أو ثقفيًا**»[1] لكن أتدرون لماذا فعل النبي ﷺ ذلك؟

السبب أن أعرابيًا أهدى إلى النبي ﷺ ناقة، فأثابه وكافأه عليها، ثم قال له: «**أرضيت؟**» قال: لا، فزاده حتى عوضه ست بكرات فهذا الأعرابي كأنه يريد بالهدية أن يأخذ أكثر منها، مما جعل النبي ﷺ يقول هذه العبارات الشديدة، والتي جعلته يهم أن لا يقبل هدية إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي، أو دوسي.

وكذلك قال ﷺ: «**إنَّ رجالاً من العرب يهدى أحدهم الهدية فأعوضه منها بقدر ما عندي، ثم يتسخطه، فيظل يتسخط فيه عليَّ، وايم الله! لا أقبل بعد مقامي هذا من رجل من العرب هدية إلا من قرشي أو أنصاري، أو ثقفي، أو دوسي**»[2] لأن هؤلاء لا يفعلون مثل هذه الأفاعيل، تلك حالة من الأحوال..

وكذلك إذا شك الـمُهدَى إليه أن الهدية المهداه إليه من مال حرام، فإنه يستحب له أن يردها، وكذلك لو شعر بأنها رشوة على عمل أو نحوه..

إذن فهناك هدايا يحرم أن يقبلها المسلم، فما هي هذه الهدايا المحرمة؟!

من ذلك ما ذكره الإمام ابن تيمية - رحمه الله- من أنه لا يجوز للمسلم إذا شفع شفاعة أن يقبل هدية ممن شفع عند ذي سلطان مما هو مستحق له، لتكون مقابل شفاعته، وهذا هو المنقول عن السلف والأئمة الكبار، بدليل قول النبي ﷺ:

---

(١) صحيح: سنن أبي داود للألباني (٣٥٣٧) والترمذي (٤٢٢٣) وصحيح الجامع (٧١٠٣).

(٢) صحيح: السلسلة الصحيحة للألباني برقم (١٦٨٤) وصحيح سنن الترمذي (٣٩٤٦).

«من شفع لأخيه شفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها، فقد أتى بابًا من أبواب الربا»[١].

ولعل من الحكم التي حرم أخذ الهدية على الشفاعة، أن الجاه نعمة من الله عز وجل ينبغي أن يستعملها في خدمة عباد الله مجانًا وبدون مقابل، وينبغي أن يصل إليه الناس المستطيعون لنصرة الحق، ورفع الظلم، فلا ينبغي لمن ساهم بجاهه في جلب مصلحة، أو درء مفسدة أن يتقاضى أجرًا على ذلك قال الإمام ابن رجب- رحمه الله-: الهدية لمن يشفع له بشفاعة عند السلطان ونحوه لا يجوز أخذ الأجرة عليها.

وقال بعض الفقهاء: لا يجوز أخذ العوض مقابل الدفع عند المظلوم، وإنما يجب أن تقضى له الحاجة مجانًا.

ولما سئل ابن مسعود ﷺ عن السحت، قال: إنما السحت أن يستعين بك على مظلمة، فيهدي لك فلا تقبل.. لماذا؟

لأن الوقوف بجانب المظلوم ودفع الظلم عنه واجب شرعي.

وعن مسروق أنه كلم ابن زياد في مظلمة فردها، فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفًا فرده ولم يقبله، فقال مسروق: سمعت ابن مسعود يقول: «من رد عن مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلاً أو كثيرًا، فهو سحت، فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نظن أن السحت إلا الرشوة في الحكم».

• جاء نصراني إلى الإمام الأوزاعي، وكان يسكن بيروت، فقال له: إن والي بعلبك ظلمني، وإني أريد أن تكتب إليه، وأتاه بقلة عسل هدية معه- فقال له: إن شئت رددت عليك قلتك، وأكتب إليه؟ وإن شئت أخذتها ولا أكتب؟ أنت بين أمرين: إما أن تأخذ هديتك، وأكتب لك، وإلا لا أكتب لك، ولا أقبل هديتك..

فقال النصراني: بل اكتب لي وارددها، فكتب له أن: ضع عنه من خراجه، فشفعه الوالي فيه، وحط له عن جزيته ثلاثين درهما[٢].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده عن أبي أمامة ورواه أبو داود وصححه الألباني في الصحيحة (٣٤٦٥) وصحيح الترغيب (٢٦٢٤).

(٢) الكبائر للإمام الذهبي (ص١٤٥).

وكذلك لو كانت الهدية مسروقة فلا يجوز قبولها، لما في ذلك من أكل الحرام والمعاونة على الإثم والعدوان.

ففي مسند الإمام أحمد أن المغيرة بن شعبة صحب قومًا من المشركين، فوجد منهم غفلة، فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء بها إلى النبي ﷺ فأبى رسول الله أن يقبلها. وفي بعض الروايات أن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فأسلم فقال له رسول الله: «**أما الإسلام فأقبله، وأما المال فلست منه في شيء**»[1].

وكذلك من الهدايا المحرمة: هدايا العمال:

فهدية العمال، وهم الموظفون العاملون حرام.. العمال هم موظفو الدولة عمومًا، كل من تولى ولاية عامة، أو في مكان له علاقة بالناس يقضى لهم أعمالاً.. فإن الموظف لا يجوز له أن يقبل الهدية.. قال ﷺ: «**هدايا العمال غلول**» أي حرام وسحت وسرقة..

ففي الصحيح أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على صدقات بني سليم، يدعى (ابن اللتبية) فلما جاء حاسبه، فقال: هذا لكم، وهذا لي، فقال رسول الله ﷺ: «**فهلاً جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقًا**» ثم خطب الناس، فكان مما قال: «**والله لا يأخذ أحدكم شيئًا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر**» ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطه يقول: «**اللهم هل بلغت؟**»[2].

فكل هدية تهدى إلى موظف بسبب وظيفته، حرام عليه أن يأخذها، لأنها تعتبر رشوة صريحة لا تحتاج إلى توضيح..

ولذلك كان الصحب الكرام رضوان الله عليهم يخشون من مثل هذه الأمور بعد توضيح النبي ﷺ لابن اللتبية وأمثاله..

(١) رواه البخاري (٢٥٢٩) باب الشروط في الجهاد وأحمد في مسنده.
(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

فعن سليمان بن يسار أن رسول الله ﷺ كان يبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر، فيخرص بينه وبين يهود خيبر.. فجمعوا له حليًا من حلى نسائهم- اليهوديات- فقالوا: هذا لك، وخفف عنا، وتجاوز القسط.. إنها رشوة واضحة من إخوان القردة والخنازير، خذ هذه الحلي.. وخفف عنا، فماذا قال عبد الله بن رواحة؟

قال لهم: يا معشر اليهود، والله لأنكم من أبغض خلق الله إليَّ، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها سحت وإنا لا نأكلها، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض- أي على القسط والعدل.

وكذلك من الهدايا المحرمة: الهدية في مقابل الإقرار بالباطل أو التنازل عن شرع الله:

كما جاء عن ملكة سبأ في محاولتها مع نبي الله سليمان عليه السلام، حيث قالت للملأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥] قال قتادة: ما كان أعقلها في إسلامها وشركها، علمت أن الهدية تقع موقعًا من الناس، وكانت قد قالت: إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه.

﴿فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦] قال ذلك منكرًا عليهم: أي أتصانعونني بمال لأترككم على شرككم؟!

ومن الهدايا المحرمة: ما يسمى بـ (الرشوة):

وهذا مما ابتلى به كثير من المجتمعات، وهم يتفننون في تسميتها، أو يلقبونها بألقاب تخدع السذج، حتى انتشرت انتشار النار في الحطب اليابس، فقسدت كثيرًا من الذمم، وصارت سببًا لإفساد العمال على أصحاب العمل، فيجعلون الخدمة لمن يدفع جيدًا، ومن لا يدفع، فلا حول له ولا قوة، ولا يجد أمامه في قضاء حوائجه إلا نفوسًا منهومة منكسة، حتى صارت من خلقها منعا وهات، وأحلاها هات وهات..

والراشي والمرتشي مجرمان أثيمان، يـدفع الأول أجرًا على إفساد العدل، ويأخذ الثاني أجرًا على الإخلال بالأمن، والمال الذي يأخذه المرتشي سحت ونار، لأنه يهدم شريعة قام عليها ركن العدل بين الناس، فلا جرم إذا دعا النبي ﷺ بقوله: «**لعن الله الراشي والمرتشي**».

فـالراشي هو الذي يعطى الرشوة، والمرتـشي هو الذي يأخذ الرشـوة وإنما تلحق اللعنة الراشي، إذا قصد بها إيذاء المسلمين، أو لينال بها ما لا يستحقه، أما إذا أعطى ليتوصل إلى حق له، أو ليدفع عن نفسه ظلمًا، فإنه غير داخل في اللعنة. .

والله تعالى نسأله أن يهـدينا مغفرة من عنده، وينزل علينا رحمـات من رحمته، وأن يوفقنا إلى ما فيه الصلاح والفلاح في الدنيا وفي أخرانا، اللهم إنا نسألك صلاح النيات، وجمع الشـتات، وجزيل الهيبات، والتـحلي بأخلاق الثقات، والبركـة فيما مـضى، وفيـما هو آت، اللهم ثبـتنا في الحـياة وعند الممـات، اللهمَّ اجعل الهـداية والعناية والتوفـيق أعواننا، ونسألك أن تطهر قلوبنا وألـسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور. .

اللهم إنا نسألك مغفرة تصلح بها شأننا، وترحـمنا بها رحمة نسعد بها في الدنيا والآخرة، بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين. . يا رب العالمين.

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٥٩)

* مفاتيح القلوب *

[٤] تحابوا في الله

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من سره أن يجد حلاوة الإيمان، فليحب العبد لا يحبه إلا الله**»[(١)] صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله: . .

من بواعث الاطمئنان، وانشراح الصدور، الحب في الله، والحب لله، ولا يذوق حلاوة الإيمان إلا من أحب لله، وأبغض لله، قال البشير النذير، صاحب القلب المنير ﷺ: «**من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[(٢)].

بل إن أوثق عرى الإيمان، الحب لله، والبغض لله، كما قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أوثق عرى الإيمان، أن تحب لله، وأن تبغض في الله**»[(٣)].

ومعلمنا وأستاذنا وحبيبنا محمد ﷺ يدلنا هنا على سر من أسرار وجود أو استشعار حلاوة الإيمان. . وهل للإيمان حلاوة؟

نعم للإيمان حلاوة، ولذا قال من لا ينطق عن الهوى ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**»[(٤)].

وقد عقد البخاري بابًا في صحيحه أسماه (باب حلاوة الإيمان) وذكر الحديث السابق قال ابن بطال في شرحه: معنى وجود حلاوة الإيمان هو استلذاذ الطاعات،

---

(١) **حسن**: رواه الحاكم وأحمد وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٨٨).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٦٥) وصحيح الترغيب (٣٠٢٩).

(٣) **حسن**: رواه أحمد والبيهقي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٠٩) والصحيحة (٩٩٨).

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وغيرهم.

وتحمل المشقات فيما يرضى الله ورسوله ﷺ وإيثار ذلك على عرض الدنيا رغبة في نعيم الآخرة، الذي لا يبيد ولا يغنى..

روى عن عتبة الغلام أنه قال: كابدت الصلاة عشرين سنة، ثم تلذذت بها باقي عمري(١)..

وقال ابن حجر في الفتح: شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم ذلك، وأضافه إليه، وفيه تلميح إلى قصة المريض والصحيح، لأن المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرًا، والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه وكلما نقصت الصحة شيئًا ما، نقص ذوقه بقدر ذلك..

وقال الشيخ أبو حمرة: إنما عبر بالحلاوة، لأن الله عز وجل شبه الإيمان بالشجرة في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] فالكلمة هي كلمة الإخلاص، والشجرة أصل الإيمان، وأغصانها: اتباع الأمر، واجتناب النهي، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير، وثمرها: عمل الطاعات، وحلاوة الثمر، جني الثمرة، وغاية كماله تناهي نضج الثمرة، وبه تظهر حلاوتها(٢)..

فمن أراد أن يفوز ويستلذ بحلاوة الإيمان، فليحب في الله عز وجل.. وهذا صحابي جليل يشعر بحلاوة الإيمان حين يعظه الرسول ﷺ ويتلقى منه الموعظة، يشعر بحلاوة الإيمان، وإذا انشغل بالأولاد و الزوجة شعر بغير ذلك.. إنه حنظلة الأسيدى ﷺ وكان من كتاب الوحي يمر بأبي بكر الصديق ﷺ يومًا وهو يبكي، فقال له: مالك يا حنظلة؟ قال: نافق حنظلة.. يا أبا بكر نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة، كأنَّا رأى العين أي كأننا نشاهدها عيانًا- وهذا من حلاوة الإيمان..

يقول: فإذا رجعنا إلى الأزواج والضيعة نسينا كثيرًا..

قال أبو بكر: فوالله إنا لكذلك.. انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فانطلقنا، فلما رآه

---

(١) شرح ابن بطال (١/ ٤٣) وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (٦/ ٤٢٢).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٥) رقم ١٥.

رسول الله ﷺ قال: «**مالك يا حنظلة؟**» فشكى إليه الأمر، فقال له: «**لو تداومون على الحال الذي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقاتكم..** وهذا أيضًا من حلاوة الإيمان.. **ولكن يا حنظلة، ساعة وساعة**»[1]..

وهذا رجل آخر من أصحاب النبي ﷺ قد ذاق قلبه حلاوة الإيمان، إنه الحارث ابن مالك الأنصاري رضي الله عنه الذي مر بالنبي ﷺ فسأله: «**كيف أصبحت يا حارثة**»..

قال: أصبحت مؤمنًا حقًا..

قال: «**انظر ما تقول، فإن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟**»

قال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها..

قال: «**يا حارثة، عرفت فالزم**»[2]..

أحبتي في الله:..

والمحبة في الله ولله بعد هذا الفضل العظيم، وهو ذوق حلاوة الإيمان، لها ثواب جليل، وخير عظيم للعبد في دنياه وأخراه..

فهي طريق إلى الجنة، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء، إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[3]..

---

(١) رواه مسلم والترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه الطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه ذكره الهيثمي في المجمع (١/ ٢٨).

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة.

كما أنها جالبة لمحبة الله عز وجل، فعن أبي إدريس الخولاني، قال: دخلت مسجد دمشق، فإذا فتىً براق الثنايا، وإذا الناس معه، فإذا اختلفوا في شيء، أسندوه إليه، وصدروا عن رأيه، فسألت عنه، فقيل: هذا معاذ بن جبل ﷺ فلما كان من الغد، هجرت، فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلى فانتظرته، حتى قضى صلاته، ثم جئته من قبل وجهه، فسلمت عليه، ثم قلت: والله إني لأحبك في الله..

فقال: آلله؟ فقلت: الله.. فأخذني بحبوة ردائي، فجبذني إليه، فقال: أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله عز وجل: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتباذلين فيّ..** »[١].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ يأثر عن ربه تبارك وتعالى يقول: «**حقت محبتي للمتحابين فيَّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيَّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ، المتحابون فيَّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء**»[٢].

وفي رواية عند أحمد ورواته ثقات والطبراني في الثلاثة، و اللفظ له والحاكم وقال صحيح الإسناد: قال الله عز وجل: «**قد حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتصادقون من أجلي، وقد حقت محبتي للمتصادقين من أجلي**»[٣].

---

(١) **صحيح**: رواه مالك في الموطأ وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد والطبراني والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٢١).

(٣) **حسن صحيح**: رواه أحمد والطبراني في الثلاثة واللفظ له ورواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٠٤١).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى، فأرسل الله له على مدرجته ملكًا، فقال: إنَّ الله قد أحبك كما أحببته فيه[1]. .

بل تجلب محبة الملأ الأعلى أجمعين مع القبول في الأرض، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أحب الله عبدًا، دعا جبريل عليه السلام، فقال: يا جبريل، إني أحب فلانًا، فأحبه، فيحبه جبريل عليه السلام، ثم ينادي جبريل في أهل السماء، إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**».

فالعبد المسلم إذا أحب مسلمًا في الله، ولأجل الله، أحبه الله، وإذا أحبه الله، أمر أعظم ملك من ملائكته الكرام أن يحبه، ويأمر سائر الملائكة من أهل السماء أن يحبوه، ثم يوضع له القبول والحب في الأرض. .

المتحابون في الله يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. . يوم القيامة. .

﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . .** ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

﴿ **يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ** ﴾ [المعارج: ٨-١٤]

﴿ **وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ** ﴾ [النمل: ٨٧] ياله من يوم ما أطوله! وياله من يوم ما أهوله الشمس فيه كورت- أي ذهب ضوؤها، وبقيت حرارتها. . وأدنيت من الرءوس حتى تكون قدر ميل، فتصهرهم الشمس، فيكونون في العرق كقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه إلى عقبيه،

---

(١) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا..

في هذا اليوم العصيب.. وفي هذا الخطب الجليل.. يظل الله عز وجل هذا الصنف من الناس.. المتحابين في الله.. إنه القائل في حديثه القدسي الجليل: «**حقت محبتي على المتحابين فيّ، أظلهم في ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظلي**»(١).

بل ينادى رب العزة والجلال يوم القيامة: «**أين المتحابون لجلالي، اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي**»(٢).

ولذلك عدهم أستاذ البشرية، وفقيه الإنسانية ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظل عرش الرحمن جل جلاله، فقال: «**سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله.. وذكر منهم.. واثنان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه**»(٣).

إن لهم مكانة عظيمة لا تعلوها مكانة.. مكانتهم كمكانة الأنبياء والشهداء قال ﷺ: «**قال الله تعالى: المتحابون في جلالي، لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**»(٤).

وفي رواية: «**المتحابون فيّ على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء**»(٥).

وأقرب المتحابين أشدهم حبًا لصاحبه، قال إمام المحبين ورسول رب العالمين

---

(١) **صحيح**: رواه ابن حبان في صحيحه وابن أبي الدنيا في الإخوان وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٢٠).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي وقال حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٣٩٠).

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٢).

ﷺ: «**ما تحاب اثنان في الله تعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حبًا لصاحبه**»[١] الله أكبر..

إنهم في هذا اليوم الشديد وعيده، لا يخافون إذا خاف الناس.. ولا يحزنون إذا حزن الناس.. قال ﷺ: «**إنَّ من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء**» قيل: من هم لعلنا نحبهم؟

قال: «**هم قوم تحابوا بروح الله على غير أموال، ولا أنساب، وجوههم نور، وهم على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**، ثم تلي[٢]: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [يونس:٦٢] فما أعظم الحب في الله ولله!!

كان ابن السماك - رحمه الله- عند موته يقول: اللهمَّ إنك تعلم أني إذا كنت أعصيك، كنت أحب من يطيعك، فاجعل ذلك قربة لي إليك.

ومن بعض كلام الفضيل بن عياض -رحمه الله-: هل تريد أن تسكن الفردوس، وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟ بأي عمل عملته؟ بأي شهوة تركتها؟ بأي غيظ كتمته؟ بأي رحم قاطع وصلتها؟ بأي زلة لأخيك غفرتها؟ بأي قريب باعدته في الله؟ بأي بعيد قاربته في الله؟!

وقال مجاهد - رحمه الله-: المتحابون في الله، إذا التقوا فكشر بعضهم إلى بعض تتحات عنهم الخطايا، كما يتحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس.

وقال الفضيل: نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة..

---

(١) صحيح: رواه الطبراني وأبو يعلى وابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٠١٤).

(٢) صحيح: رواه النسائي وابن حبان في صحيحه وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٠٢٣).

أحبتي في الله:..

إنَّ أعلى الحب في الله أن يحب المرء لله، وفي الله، لا لينال منه علمًا، أو عملاً أو يتوسل به إلى أمر وراء ذاته، وهذا أعلى الدرجات، وهو أرقها وأغمضها.

فمن أحب إنسانًا حبًا شديدًا، أحب محب ذلك الإنسان، وأحب محبوبه، وأحب من يخدمه، وأحب من يثنى عليه محبوبه، وأحب من يتسارع إلى رضا محبوبه، حتى قال بقية بن الوليد: إنَّ المؤمن إذا أحب المؤمن أحب كلبه،كان فاروق هذه الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحب ألف أخ في الله..

قال محارب بن دثار: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لقد أحببت في الله عز وجل ألف أخ كلهم أعرف اسمه، واسم أبيه، واسم قبيلته، وأعرف مكان داره..

قال محارب: علمت أنه كان يزورهم ويأتيهم(١).

وهذا يدل على أن زيارة المسلم في الله تزيد المحبة، وهي من تمام المحبة قال أبو سليمان الداراني -رحمه الله-: قد يعملون بطاعة الله عز وجل، ويتعاونون على أمره، ولا يكونون إخوانًا حتى يتزاوروا ويتباذلوا(٢).

وقال معروف الكرخي - رحمه الله -: امش ميلاً صلِّ جماعة، امش ميلين صلِّ جمعَة، امش ثلاثة أميال عد مريضًا، امش أربعة أميال شيع جنازة، امش خمسة أميال شيع حاجًا أو معتمرًا، امش ستة أميال شيع غازيًا في سبيل الله.. امش سبعة أميال بصدقة من رجل إلى رجل.. امش ثمانية أميال أصلح بين الناس.. امش تسعة أميال صل رحمًا وقرابة.. امش عشرة أميال في حاجة عيالك.. امش أحد عشر ميلاً في معاونة أخيك.. امش بريدًا- والبريد اثنا عشر ميلاً- زر أخًا في الله(٣).

---

(١) الإخوان لابن أبي الدنيا ص١١٢.

(٢) المرجع السابق ص١٢٧.

(٣) التبصرة لابن الجوزي (٢/ ٣٠٠).

وقال الليث بن أبي سليم -رحمه الله-: ما من رجل يزور أخاه لا يزوره إلا ابتغاء مرضاة الله عز وجل- وتنجيز الموعود، والتماس ما عنده، وحفظًا لحق أخيه، إلا حياه كل ملك بتحية لا يحيى بها صاحبه، ثم صاح ورق الجنة وسبح، ثم قيل: هذا فلان زار أخًا له في الله..

أحبتي في الله: . .

والحب في الله له واجبات وآداب، فمن واجباته أن تخبر من تحب أنك تحبه في الله.. قال ﷺ: «**إذا أحب أحدكم صاحبه، فليأته في منزله، فليخبره أنه يحبه**»(١).

وفي رواية أخرى: «**إذا أحب أحدكم أخاه في الله، فليعلمه أنه يحبه**»(٢) وسبب ذلك أن فيه مزيد الحب وتأكيده..

ولذلك فإن أستاذ البشرية ﷺ كان يطبق ذلك عمليًا، لنقتدي به، ولنتأسى بأفعاله وسلوكه، ففي يوم من الأيام أخذ بيد معاذ بن جبل رضي الله عنه إمام العلماء- وقال له: «**يا معاذ، والله إني لأحبك، ثم أوصيك أن لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول: اللهمَّ أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(٣).

وكذلك من واجبات المحبة: أن تحب لأخيك ما تحبه لنفسك، لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(٤).

وكذلك من واجبات المحبة البذل والعطاء، فرحم الله القائل:

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وابن حبان والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد وصحيح سنن أبي داود (٥١٢٤).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨١).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٥٩٦).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري ومسلم وابن حبان.

إنَّ أخـاك الصـدق مـن كـان مـعك
ومن يضـر نفسـه لينفـعك
ومـن إذا ريب الزمـان صـدعك
شـتت فـيك شـمله ليجـمعك

لما هاجر عبد الرحمن بن عوف إلى المدينة فقيرًا لا شيء له، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، فعرض عليه سعد أن يشاطره نعمته، وأن يطلق له أحسن زوجتيه.

فقال له عبد الرحمن بن عوف ﷺ: بارك الله لك في أهلك ومالك ولكن دلني على السوق..

وقال عبد الله بن عمر ﷺ: أتى علينا زمان، وما يرى أحد منا أحق بالدنيا والدرهم من أخيه المسلم، وإنا في زمان الدنيا والدرهم أحب إلينا من أخينا المسلم[1]..

سبحان الله! يقول هذا العلم سيدنا عبد الله بن عمر ﷺ في زمانه، فكيف لو رأي زمانًا؟! أو بصيغة أفضل ماذا لو رأى أهل هذا الزمان، الذي نعيش فيه..

نعـيب زمـاننا والعـيب فـينا
وليس لزمـاننا عـيب سـوانا
ولـيس الـذئب يأكـل لحـم ذئـب
ويأكـل بعـضنا بعـضًا عـيانًا

ابن عمر يقول ذلك وكان يعيش في قرن قال عنه الحبيب المصطفى ﷺ: «**خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**..»[2] فكيف بأصحاب هذا الزمان.

---

(١) رواه الطبراني بأسانيد بعضها حسن قاله الهيثمي في المجمع.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم.

قال سفيان بن عيينة -رحمه الله-: سمعت مساور الوراق يحلف بالله تعالى ما كنت أقول لرجل إني أحبك في الله، وأمنعه شيئًا من الدنيا[1].

وقال يزيد بن عبد الملك: إني لأستحي من الله عز وجل- أن أسأل الله الجنة، لأخ من إخواني، وأبخل عليه بدينار أو درهم..

وقال أحد الصالحين: وددت أن جميع إخواني أتوني فشاركونى في معيشتي حتى يكون عيشنا عيشًا واحدًا، ولوددت أن جميع إخواني أتوني في حوائجهم، وإني لأستحي من الله عز وجل أن ألقى الأخ من إخواني، فأدعو له بالجنة، وأبخل عليه بالدنيا، والدنيا أصغر وأحقر من أن يقال لي يوم القيامة: كنت كذّابًا، لو كانت الدنيا في يدك كنت بها أبخل[2].

خرج إبراهيم بن أدهم -رحمه الله- في سفر، ومعه ثلاثة نفر من أصحابه فدخلوا مسجدًا في بعض المفاوز، والبرد شديد، وليس للمسجد باب، فلما ناموا، قام إبراهيم، فوقف على الباب إلى الصباح، فقيل له: لمَ لم تنم؟ فقال: خشيت أن يصيبكم البرد، فقمت مقام الباب[3].

أحبتي الكرام...

وأختم لكم بهذه الصورة المشرقة للمحبة الصادقة بما رواه الإمام القرطبي عن حذيفة العدوى، قال: انطلقت يوم اليرموك، أطلب ابن عم لي، ومعي شيء من الماء، وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به، فقلت له: أسقيك؟ فأشار برأسه أن نعم، فإذا أنا برجل يقول: آه آه فأشار إليّ ابن عمى أن انطلق إليه، فإذا هو هشام ابن العاص، فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم.. فسمع آخر يقول: آه آه، فأشار

---

(١) الإخوان لابن أبي الدنيا ص٢٠٤.
(٢) الإخوان لابن أبي الدنيا ص٢٢٣.
(٣) التبصرة (٢/ ٣٠١) لابن الجوزي.

هشام، أن انطلق إليــه، فجئتــه، فإذا هو قد مــات، فرجعت إلى هشام فــإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمى، فإذا هو قد مات[1].

اللهمَّ ارزقنا حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك..

اللهمّ متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا..

اللهمَّ وفق ولاة أمور المسلمين إلى ما تحبه وترضاه.. اللهم ولِّ أمورنا خيارنا، ولا تولِّ أمورنا شرارنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها.. برحمتك يا أرحم الراحمين..

اللهمَّ اغـفـر لنا ذنوبنا وإسـرافنا في أمرنا، وثبـت أقدامنا وانصـرنا على القــوم الكافرين..

❑ ❑ ❑

(١) تفسير القرطبي (٢٨/١٨).

ثانيًا: المحظورات

الوصية رقم (٦٠)

* التحذير من الرِّبا *

عن البراء بن عازب ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**الرِّبا اثنان وسبعون بابًا، أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإنّ أربى الربا، استطالة الرجل في عرض أخيه**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله: . .

هذه الوصية النبوية المباركة تتضمن التحذير من الربا بأسلوب أشد من النهى المباشر عن أكل الربا، وإلا فماذا يكون الحرام بعد أن يأتي الرجل أمه. . وهذا أدنى باب من أبواب الربا. .

ثم قرن بذلك التحذير من أن يستطيل المسلم في عرض أخيه المسلم فهو أربى الربا. . وأعظمه حرمة. . ألم يقل ذلك إمام النبيين، وسيد المرسلين ﷺ في ختام عمره الشريف المبارك، في أعظم جمع عرفه تاريخ الإسلام على مر العصور والدهور. . يوم حجة الوداع يوم أن أكمل الله به الدين، ووقف يخطب قائلاً: «**إنّ أموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»(٢) وقد عبر عبد الله ابن عمر ﷺ عن هذا المضمون، حين نظر يومًا إلى بيت الله الحرام. . إلى الكعبة المشرفة، فقال: «**ما أعظمك، وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك**»(٣).

وهل هناك علاقة بين التحذير من الربا، والتحذير من حرمة عرض المسلم وماله ودمه؟ نعم. . إنها علاقة قوية. . كيف ذلك؟

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٨٧١) وصحيح الجامع (٣٥٣١).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٣) **حسن**: رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٠٣٢).

لأن التعامل بالربا فيه إيذاء للمسلم، واعتداء على حرمة ماله، التعامل بالربا أكل لأموال الناس بالباطل، وقد وعد الله الوعيد الشديد لمن آذى المؤمن.. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

الربا فيه إيذاء للمسلم، وقد أوجب الله على المؤمنين أن يكونوا متعاونين متكاملين، فيكون بعضهم أولياء بعض، وأن ينتفعوا برزق الله الذي أعطاها على أساس هذا التكافل، فأوجب الزكاة، وشرع القرض الحسن، وأوجب عليهم أن يلتزموا في معاملاتهم جانب القصد والاعتدال، ويتجنبوا السرف والتبذير..

جعل القرض فيه قربة من القربات، ومن الأعمال الصالحات، التي ترضى رب الأرض والسموات، لأن فيه إيصال النفع، وقضاء للحاجات، وفيه تفريج للكربات.. قال تعالى في الحث على القرض: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥].

والحياة كلها بيد الله- والأرزاق كلها بيد الله.. والأموال كلها بيد الله ومع ذلك يرغب عباده، ويكنى سبحانه عن الفقير المحتاج بنفسه، ليحث على هذه المعاملة، فيما يروى عن رب العزة والجلال: «**يقول الله تعالى: يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، فيقول: كيف أطعمك وأنت الله رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلانًا استطعمك فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته، لوجدت ذلك عندي..**»[1].

وقرن القرض بالصلاة فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا..﴾ [المزمل:٢٠].

وقرنه مع الإيمان بالرسل، ومع شعائر الإسلام، كالصلاة، ووعد عليه بتكفير الذنب، ودخول الجنات.. ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..﴾ [المائدة:١٢]

---

(١) رواه مسلم وغيره.

وتواردت أحاديث النبي ﷺ فقال: «**من منح منيحة لبن أو ورق، أو هدى زقاقًا، كان له مثل عتق رقبة**»(١).

وفي القرض تيسير وقضاء للحاجات.. قال ﷺ: «**من يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة**»(٢).

والقرض شكر بنعمة الله تعالى تستوجب الزيادة.. ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [إبراهيم:٧] وبعد القرض يرغب الإسلام في التيسير على المقترض المعسر، وإمهاله في الدفع، بل يرغب في التنازل عنه، والوضع..

فعن أبي قتادة أنه طلب غريمًا له، فتوارى عنه، ثم وجده، فقال له: إني معسر، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة، فلينفس عن معسر، أو يضع عنه**»(٣).

وعن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: حملت من الخير شيئًا؟ قال: لا، قالوا: تذكر، قال: كنت أداين الناس، فآمر فتياني أن ينظروا المعسر، ويتجاوزوا عن الموسر، فقال الله تعالى: تجاوزوا عنه**»(٤).

وعن بريدة قال: سمعت رسول الله ﷺ: «**من أنظر معسراً، فله مثل صدقة، قبل أن يحمل الدين، فإذا حل فأنظره، فله بكل يوم مثليه صدقة**»(٥).

أحبتي في الله:..

هذا حث الإسلام على البر والتعاون، لذا حرم الربا، ليس في شريعتنا فقط، وإنما حرمه في كل الشرائع.. قال تعالى: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ**

---

(١) صحيح: أحمد في مسنده وابن حبان والترمذي وقال: حسن صحيح.
(٢) رواه مسلم وابن حبان والترمذي وأبو داود والنسائي.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم والبخاري وذكره المنذري في الترغيب والترهيب.
(٥) صحيح: رواه أحمد في مسنده والحاكم والترمذي وقال: حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦١٠٨).

أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ﴿١٦٠﴾ وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

ولم يزد الربا في شريعتنا إلا تحريمًا، وبغضًا للربا، ولمن يتعامل به، وسخطًا بل وحربًا على أهله. . ولذلك قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴿٢٧٨﴾ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

في ضمن هذا الوعيد، أن المرابي محارب لله ورسوله، قد آذنه الله بحربه، ولم يجيء هذا الوعيد في كبيرة سوى الربا، وقطع الطريق والسعي في الأرض بالفساد لأن كل واحد منهما مفسد في الأرض، وقاطع الطريق على الناس، هذا بقهره لهم، وتسلطه عليهم، وهذا بامتناعه في تفريج كرباتهم إلا بتحميلهم كربات أشد منها، فأخبر عن قطاع الطريق بأنهم يحاربون الله ورسوله، وآذن هؤلاء إن لم يتركوا الربا بحربه، وحرب رسوله.

وتأملوا حال آكل الربا، كيف صوره القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله..﴾ [البقرة: ٢٧٥].

لقد جعل مولانا من علامات الذين كانوا يأكلون الربا في الدنيا، ويتعاملون به، يوم القيامة يبعثون كالمصروعين. .

ورحم الله الإمام الفخر الرازي حين قال في تفسيره الكبير:

للمفسرين في الآية أقوال:

القول الأول: أن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونًا، وذلك كالعلامة المخصوصة بآكل الربا، فيعرفه أهل الموقف بتلك العلامة، أنه آكل الربا في الدنيا، فعلى هذا معنى الآية: إنهم يقومون مجانين، كمن أصابه الشيطان بجنون.

القول الثاني: قال ابن منبه: يريد إذا بعث الناس من قبورهم، خرجوا مسرعين، لقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً﴾ [المعارج:٤٣] إلا أكلة الربا، فإنهم يقومون، ويسقطون، كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، وذلك لأنهم أكلوا الربا في الدنيا، فأرباه الله في بطونهم يوم القيامة، حتى أثقلتهم، فهم ينهضون ويسقطون، ويريدون الإسراع فلا يقدرون.

ويرى صاحب الظلال أنهم لا يقومون في الحياة، ولا يتحركون إلا حركة الممسوس المضطرب، القلق المتخبط، الذي لا ينال استقرارًا، ولا راحة..

إنَّ الجزاء من جنس العمل.. فأي حرب أشد وأنكى؟ أي حرب أخطر بعد أن يكون محاربك الله رب العالمين، ملك الملوك؟ ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة:٢٨٣] حرب معلنة من الله ورسوله.. حرب على الأعصاب والقلوب.. حرب على البركة والرخاء.. حرب على السعادة..

حرب يسلط الله فيها بعض العصاة على بعض.. حرب ساحقة ماحقة.. تأكل الأخضر واليابس، جزاء وفاقًا بما أثقلوا كاهل الناس بالضرائب والتكاليف، لسداد فوائد ديونهم.. فعمّ الفقر والسخط والبلاء..

أحبتي في الله:..

والسنة المطهرة أقامت حربًا شعواء على آكل الربا، وبينت الوعيد الشديد والعذاب الأليم، الذي ينتظره في الآخرة.. يوم يقوم الناس لرب العالمين، جعل النبي ﷺ الربا من السبع الموبقات، فقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»(١).

وسماها النبي ﷺ بالموبقات، التي توبق صاحبها في نار جهنم يوم القيامة، وهي من أكبر الكبائر..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

وحققت لعنة الله عز وجل وبغضه وسخطه على آكل الربا.. قال عبد الله بن مسعود ﷺ: لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله وقال ﷺ: «**لعن الله الربا وآكله وموكله، وكاتبه وشاهده وهم يعلمون**»[١].

وهو من علامات الساعة، قال ﷺ: «**بين يدي الساعة يظهر الربا والزنى، والخمر**»[٢].

وتصوروا بشاعة هذا المنظر، الذي يرويه لنا الإمام أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتيت ليلة أُسري بى على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات، ترى من خارج بطونهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا**»[٣].

وتأملوا حديث سمرة بن جندب ﷺ الذي قال فيه النبي ﷺ: «**رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم، فيه رجل قائم، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج، رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا الذي رأيته في النهر؟ قال: آكل الربا**»[٤].

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح:

قال ابن هبيرة: إنما عوقب آكل الربا بسباحته في النهر الأحمر، وإلقاؤه الحجارة، لأن أصل الربا يجرى في الذهب، والذهب أحمر، وأما إلقام الملك له الحجر، فإنه إشارة إلى أنه لا يغني عنه شيئًا، وكذلك الربا، فإن صاحبه يتخيل أن ماله يزداد، والله من ورائه محقه[٥]..

---

(١) رواه مسلم والنسائي وأبو داود والترمذي.
(٢) **صحيح**: رواه الطبراني وصححه الألباني في الصحيحة (٣٤١٥) وصحيح الترغيب (١٨٦١).
(٣) **صحيح**: رواه أحمد وابن ماجه وغيرهما.
(٤) رواه البخاري.
(٥) فتح الباري (١٢/ ٤٦٥).

قال تعالى: ﴿يَمحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُربِي الصَّدَقَاتِ﴾ وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة**» **وفي رواية**: «**الربا وإن كثر، فإن عاقبته إلى قلة**»(١).

ولقد حذر أستاذ البشرية ﷺ الأمة من التعامل بالربا، لأن من عقوبته أن الله عز وجل يمسخ المتعاملين به قردة وخنازير.. فقال البشير النذير ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لينتهين أناس من أمتي عن أشر وبطر، ولعب ولهو، فيصبحوا قردة وخنازير، باستحلالهم المحارم، واتخاذهم القينات، وشربهم الخمر، وأكلهم الربا، ولبسهم الحرير**»(٢).

وبين الرسول أن أكلة الربا، والمتعاملين به، يحل بهم عذاب الله عز وجل قال ﷺ: «**ما ظهر في قوم الزنا والربا إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله عز وجل**»(٣).

أحبتي في الله:..

في الحديث الأخير جمع الرسول ﷺ بين الزنا والربا في سبب ظهور ونزول العذاب.. وقال ﷺ محذرًا: «**درهم ربا يأكله الرجل، وهو يعلم، أشد عند الله عز وجل من ست وثلاثين زنية**»(٤) وهذا وعيد شديد وإنما كان الربا أشد من الزنا، لأن الزنا مستهجن شرعًا وعقلاً، وله زواجر، وروادع تردع عنه، إن لم يُردع عنه الشرع، ولذلك لما أسلمت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان عام الفتح، وبايعت النبي ﷺ على الإسلام، بايعهن النبي ﷺ بيعة النساء، وفيها: «**ألا يشركن بالله شيئًا، ولا يسرقن ولا يزنين**» فلما سمعت هند قوله: (**ولا يزنين**) ضربت على رأسها، وقالت في دهشة وعجب: أو تزني الحرة؟

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجة والحاكم وقال: صحيح الإسناد وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٨٦٣) و ص. ج (٥٥١٨).

(٢) حسن: حسنه الألباني في صحيح الترغيب (١٨٦٤) وعبد الله بن أحمد في زوائده.

(٣) صحيح: رواه أبو يعلى بإسناد صحيح وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٤٠٢) وصحيح الجامع (٦٧٩).

(٤) صحيح: رواه أحمد والدارقطني والبيهقي والطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٨٥٥) وصحيح الجامع برقم (٣٣٧٥).

أما الربا، فإن حرمته محض تعبد، ولذلك كانوا يأكلونه في الجاهلية، فلما حرمه الإسلام، اعترضوا على تحريمه، قائلين: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾.

فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة:٢٧٥] فيجب عليكم أن تحرموه، لتحريم الله عز وجل له، وإن لم تظهر لكم علة التحريم.

وقد جرت العادة بأن الحرام دائمًا كثير وسهل، حذر الله عز وجل المرابين من الاغترار بكثرة الأموال، التي يحصلون عليها من وراء تعاملاتهم بالربا.. فقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:١٠٠].

والنبي ﷺ يوضح للأمة أن الخير ليست في كثرة الأموال، قال ﷺ: «**إذا رأيت الله تعالى يعطى العبد من الدنيا ما يحب، وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك منه استدراج**»(١).

أحبتي الكرام...

لكن لماذا حرم الله عز وجل الربا؟

إن المال في الحقيقة ملك الله عز وجل، والإنسان مستخلف فيه.. فليس هذا المال ملكك أيها الإنسان، لذا ينبغي عليه أن ينفذ فيه ما أمره الله به، الذي هو المالك الحقيقي له.. قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ..﴾ [الحديد:٧].

فالمالك الحقيقي لهذا المال، يريد أن يكون هذا المال سببًا في عمارة الأرض، ولقضاء مصالح المجتمع، وسد حاجات الناس.. لذلك أمر أن يحرك هذا المال في السوق، ويوجه إلى جميع أنواع الاستثمار، الذي فيه رخاء المجتمع.. ونماؤه.. فصاحب المال إذا أنشأ بماله بقالة، أو محطة بنزين أو مستشفى أو صيدلية أو مخبز..

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده والطبراني عن عقبة بن عامر وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦١) والصحيحة برقم (٤١٣).

أو غيـر ذلك من المشـاريع النافعـة، فإنه يكون قـد حقق بذلك لنفـسه الربح بالبـيع الحلال.. وهذا هو هدف الشارع الحكيم.. وهو تحـريك المال حتى يعود بالنفع على الطرفين، صاحب المال والمجتمع.

أما الفوائد الربوية فـهي تحقق أكبر عائق أمـام استثمار هذه الأموال، فـهي تجمد الأموال، وتدور هذه الأموال في دائرة مغلقة، تصب في مصلحة صاحب المال فقط، فهذه المؤسسات الربوية، هي رمز لاسـتبداد صاحب المال وأنانيته أرأيتم لو أن كل من عنده مال استـمـرأ هذه الفائدة الربوية السـهلة المضمونة، وأودع أمـواله في البنوك، وتجمدت فماذا استفاد المجتمع منها..

كما أن من حـكم تحريم الربا، أن الربا يوقع العداوة والبغـضاء بين الناس، وهذا مخالـف لمقاصد الشريعـة الغراء.. فإن من مقـاصدها نشر المحبـة والسلام، والأمن والأمان.. والدعـوة إلى المحبة والوئام.. والقضـاء على العداوة والبغـضاء.. والربا يوجد العداوة والبغضاء بين الناس.. لذلك حرمه في جميع الشرائع..

ومن مساوئه أنه يضيق على المعسرين.. فكم في السجون والمحاكم من المعذورين المدينين.. الذين عـجـزوا عن سدادها، فـزج بهم في السـجـون من غيـر ذنب ولا جريمة..

أحبتي الكرام...

جعـل الله عز وجل المال عـصب هذه الحيـاة،، ثم الأولاد ثمرة القلب، وقـرة العين، وجعلهمـا معًا زينة الحياة الدنيا، فـقال تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً**﴾ [الكهف:٤٦].

وقد حذرنا من فتنة الأموال والأبناء.. فأين نستثمر أموالنا؟

سوف أذكـر لك هذا المقال كامـلاً للدكتور/ حـسين شحاته خبـير استـشاري في المعاملات وهو بعنوان: «كيف يستثمر المسلم ماله بعيدًا عن شبهات الربا؟».

أحبتي في الله:..

لقد أثارت فتنة إيداع الأموال في البنوك التقليدية الكثير من الجدل بين الفقهاء، وترتب على ذلك أن بعض الذين كانوا يستثمرون أموالهم في هذه البنوك بدءوا فعلاً في سحبها منها تجنبًا للشبهات ملتزمين بحديث رسول الله ﷺ: «**إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**»، ووصيته ﷺ التي يوصينا فيها: «**دع ما يريبك إلا ما لا يريبك**».

ويتساءل المسلمون: أين نستثمر أموالنا؟ ويوجد منا الموظف والأرملة والمحال إلى المعاش، وغير ذلك من الذين لا يستطيعون ضربًا في الأرض وهم الآن يودعون أموالهم في البنوك التقليدية بفائدة للحصول على إيراد يعينهم على الحاجات الأصلية للحياة مثل المأكل والمشرب والعلاج والتعليم والمسكن.. ونحو ذلك.

كما ظهر سؤال آخر: هل معاملات المصارف الإسلامية حلال؟ وخصوصًا في ظل ما يثار حولها من شبهات، ومنها: أنها تتعامل مع البنوك التقليدية، وأنها تودع بعضًا من أموالها لدى البنك المركزي، وأنها توزع عائدًا قريبًا من الفائدة التي توزعها البنوك التقليدية، وأنَّ بعض الموظفين فيها يدعون بأنه لا توجد فروق جوهرية بينها وبين البنوك التقليدية، وأنه لا فرق بين التمويل بالمرابحة لشراء سلعة وبين الاقتراض بفائدة من البنوك التقليدية.

كل هذه التساؤلات وغيرها تحتاج إلى إجابة لمن يريد الاستثمار والتمويل وهذا هو القصد من هذه الدراسة.

لقد انقسم المسلمون إزاء التساؤلات السابقة إلى فرق على النحو التالي:

١ـ **فئة لا تعطي أي اعتبار للحلال والحرام** ويهمها العائد الكبير على رأس المال، وتفصل بين الدين والحياة، وبين العبادات والمعاملات وتقول: «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، وتتعامل مع أي بنك سواء كان وطنيًا أو أجنبيًا، يهوديًا أو إسلاميًا، المهم عندها أن تحصل على أقصى ربحية أو عائد بأي وسيلة حتى ولو بطرق غير مشروعة، وهؤلاء لا يهمهم النواحي الشرعية لاستثمار المال.

٢ـ فئة تتبع الفتوى التي تتفق مع هوى النفس وتقول: «ضعها في رقبة عالم واخرج سالم»، ولا تريد أن تبذل أي جهد للبحث عن الأدلة والحقيقة، ولا تجتنب الشبهات، وتميل إلى الأخذ بالرخص.

٣ـ فئة ورعة تتجنب الشبهات وتضع حاجزًا من الحلال بين الحرام والمشتبه فيه، وهي الفئة التي دخل الخوف من الله إلى قلبها وتريد أن تتحرى الحلال وتستشعر قول الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٢٧٨، ٢٧٩]، وقوله عز وجل: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٢٨١]، وقول الرسول ﷺ: «**لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه**» (رواه مسلم)، وهذه الفئة هي التي يهمها تمامًا أن تعرف الحق فتتبعه وتعرف الباطل فتتجنبه، وتدعو الله سبحانه وتعالى دائمًا بالدعاء المأثور: «**اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، واغننا بفضلك عمن سواك**».

لقد أصاب هذه الفئة الخوف والوجل والحيرة والشك، وتسأل كيف تستثمر المال بعيدًا عن الشك والريبة؟ كما ترفض الفتوى التي لا سند لها من القرآن أو السنة أو من أقوال الفقهاء من الخلف أو السلف، وهذه الفئة هي التي تعنينا في هذه الدراسة ونحاول أن نوضح لها الأحكام والمبادئ والضوابط الشرعية لاستثمار المال وتمويل المشروعات على النحو التالي.

الضوابط الشرعية لاستثمار المال:

في ظل انتشار وسائل توصيل العلم للناس من خلال وسائل التكنولوجيا الحديثة ومنها شرائط الكاسيت والفيديو والحاسوب والإنترنت والقنوات الفضائية، يجب على المؤمن التقي الذي يخشى الله أن يبحث عن الأدلة القوية لكل رأي، ويختار الرأي الذي يرتاح إليه قلبه، وفقًا لوصية رسول الله ﷺ: «**الإثم ما حاك في صدرك وتخاف أن يطلع عليه الناس**»، ووصيته ﷺ التي يوصي فيها «**استفت قلبك**» ولا ينبغي ولا يجوز شرعًا أن نقول: «ضعها في رقبة عالم واخرج سالم».

ولقد اتفق الفقــهاء من السلف والخلف على مجموعـة من الضوابط المستنبطة من مصادر الشريعة الإسلامية لاستثمار الأموال بعيدًا عن الربا، ومن أهمها:

- استثمار المال في مجالات الحلال الطيب: المشروعية والطيبات.

- فقه الأولويات: الضرورات فالحاجيات.

- المشاركة في الربح والخسارة وهو ما يسمى في الفقه «الغنم بالغرم».

- المحافظة على المال لأنه قوام الحياة ولا يجب تعريضه للهلاك.

- تنمية المال حتى لا تأكله الزكاة «الصدقة» بالاستثمار وحبسه عن التداول.

- لا كسب بلا جهـد ولا جهد بلا كسب، وذلك عند تفاعل ومـشاركة المال مع العمل.

- ربط العوائد بالمخاطر وكلمـا زادت المخاطر زادت العوائد ولا ربح حلال بدون مخاطر.

- ضوابط أخرى كثيرة يضيق المقام لبـيانها ولكن نكتفي بما نحتاجه الآن في هذه الدراسة.

لذلك يجب على من يخشى الله ويتقيه أن يلتزم بهذه الضوابط قبل أن يقدم على استـثمار أمواله، كـما يجب عليه تجنب هـوى النفس التي أحيانًا يزين لهـا الشيطان الحرام الكثير فتقدم عليه ولا تبالي بأن الحلال القليل فيه البركة من الله.

البواعث والدوافع الذاتية لاستثمار المال بالحلال:

من البـواعث والدوافع والحـوافـز التي ترشـد وتوجـه المسلم المؤمن التـقي إلى الاستثمار الحلال الطيب ما يلي:

- الإيمان العميق القـوي بأن المال مال الله وأنه مستخـلف فيه، ولذلك يجب أن يكون استثمار المال وفقًا لشرع الله المالك الحقيقي لهذا المال.

- الإيمان الصادق الراسخ بأن الله يبارك في الحـلال الطيب القليل ويمحق الخبيث ولو كثر.

- الإيمان بالمحاسبة الأخروية مع الله يوم القيامة، وأننا سنسأل لماذا استثمرنا أموالنا بالربا وفي الخبائث؟ مصداقًا لقوله تعالى في آخر آيات الربا: ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقول الرسول ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**» (الترمذي).

- الإيمان بأن الرزق بيد الله سبحانه وتعالى.

كيف تستثمر مالك بالحلال؟

لقد فتح الله أبوابًا شتى من الحلال الطيب ليستثمر من خلال المال، فلا يستوي ولا يتماثل الربح الحلال الطيب مع الربا الحرام.. لقد قالوا وما زالوا يقولون ﴿**إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا**﴾، فرد الله عليهم بقوله: ﴿**وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾، ومدلول ذلك: لقد أحل الله الربح الناتج من البيع والشراء، وحرم الربا الناتج من مبادلة مال بمال وزيادة بدون أن توجد سلعة أو خدمة ليتم التعامل عليها بما كان يتعامل العباس عم النبي ﷺ قبل الإسلام حيث كان يمول التجار بالربا، ونهاه الرسول ﷺ عن ذلك.

ومن أمثلة الوسائل الحلال لاستثمار المال على سبيل المثال ما يلي:

أولاً: الاستثمار الذاتي:

أي أن يقوم صاحب المال بتشغيل ماله بنفسه، أو يشتري به محلات تجارية ويؤجرها.. أو يشتري سلعاً معمرة للمستقبل، ويجب أن يضع الفرد نصب عينيه دائمًا تنمية ماله ولا يتركه عاطلاً، كما يجب أن يوقن تمامًا أن مجالات الاستثمار الحلال مفتوحة ميسرة والمحرمة هي التي ورد نص يحرمها، كما يجب أن يتأكد من الحلال في مجال الاستثمار من تطبيق القاعدة الشرعية وفي الوسيلة إليه مع مشروعية الغاية ومشروعية الوسيلة، وهذه الصيغة من صيغ استثمار المال تصلح لمن عنده خبرة في مجالات الأعمال ولا تصلح لمن لا يستطيعون ضربًا في الأرض مثل الموظفين والأرامل والشيوخ ونحوهم.

ثانيًا: الاستثمار عن طريق نظام المضاربةالإسلامية «فكرة توظيف الأموال المشروعة»:

وهو نوع من أنواع المشاركة بين صاحب رأس المال وصاحب العمل، حيث يتوفر لدى الأول رأس المال وتنقصه الخبرة العملية أو يصعب عليه القيام بممارسة الخبرة العملية أو يصعب عليه القيام بممارسة المعاملات، ويتوفر لدى الثاني الخبرة والمقدرة على ممارسة نشاط المعاملات سواء أكانت تجارية أم زراعية أم صناعية أم خدمية ويتفقان سويًا على توزيع عائد ربح عمليات المعاملات الفعلية كل فترة زمنية بينهما بنسبة يتفقان عليها «أي تطبيق قاعدة الغنم بالغرم».

وهناك شروط مختلفة لعقد المضاربة الإسلامية، ولكن قد تتخذ أشكالاً مختلفة وكل أشكالها مشروعة ما لم تكن في أي منها مخالفة لنص شرعي، ويرجع في ذلك إلى فقه المضاربة في كتب الفقه.

ومن الضوابط الشرعية للمضاربة الإسلامية ما يلي:

- أن تكون في مجال الحلال الطيب.
- أن لا يضمن صاحب العمل رأسمال المضارب.
- أن لا يضمن صاحب العمل ربحًا محددًا مسبقًا لصاحب المال.
- يضمن صاحب العمل لصاحب المال التعدي والإهمال.
- لا يشترك صاحب المال في الإدارة بل له حق الإشراف والمراقبة.

ولكي يمكن تطبيق هذه الوسيلة أو الصيغة يجب أن يتوافر في صاحب العمل الأمانة والصدق والكفاءة الفنية، وهذا يتطلب من صاحب المال أن يختار من يخافون الله ولديهم الخبرة والحنكة والبصيرة.

ثالثًا: استثمار المال بطريق المشاركة (نظم الشركات: تضامن- توصية- محاصة):

يقصد بالمشاركة هنا أن يشترك اثنان أو أكثر في تجارة أو صناعة أو زراعة أو تقديم الخدمات للغير كل منهم يقدم مالاً وعملاً، على أن يقتسما ما يسوقه الله إليهم من

ربح حسب ما يتفقا عليه، وإذا خسرا توزع بينهم الخسارة بنسبة حصة كل منهم في رأس المال.

وتتعدد صور ونظم المشاركة حسب طبيعة الشركاء والعمليات التي سوف يقومون بها، وفي ضوء القاعدة الشرعية: أن الأصل في المعاملات الحل والإباحة ما لم يصطدم بنص شرعي يوجب التحريم، فكل المشاركات حلال، فمنها المشاركة الثابتة ومنها المشاركة المنتهية بالتمليك، ويعتبر استثمار الأموال طبقًا لنظام المشاركة من أهم الطرق المشروعة لملاءمتها مع طبيعة المشروعات الاقتصادية المعاصرة، وهناك صور مختلفة للمشاركة أجازها فقهاء الإسلام مثل شركات التضامن والتوصية البسيطة والمحاصة وشركات الصنائع، وشركات الوجوه، وأي صورة أخرى مستحدثة تتفق مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

ومن متطلبات هذه الصيغ وجود الشريك الأمين الصادق الكفء ومجال الاستثمار الحلال الطيب، كما يجب أن تكتب العقود وتوثق، ويوضح فيها شروط الإدارة وتوزيع الأرباح والخسائر والتصفية، والتخارج أو نحو ذلك، وهذه الشركات هي قوام النشاط الاقتصادي والتنمية الشاملة للمجتمع وتعالج مشكلة التضخم، لأن الأموال تكون مستثمرة في أصول عينية.

رابعًا: استثمار المال عن طريق المساهمات في رءوس أموال **الشركات المساهمة:**

تعتبر شركات المساهمة وما في حكمها من صيغ الاستثمار التي أجازها الفقهاء المعاصرون لأنها تقوم على أساس قاعدة المشاركة في الربح والخسارة «الغنم بالغرم» بشرط أن تعمل في مجال الحلال الطيب ووفقًا للأولويات الإسلامية.

ورأسمال الشركة المساهمة مقسم إلى حصص يطلق على كل حصة سهم، ويعتبر السهم شريكًا في صافي الموجودات «أصول» الشركة، وفي نهاية كل فترة مالية تحسب النتائج، فإذا كانت ربحًا يوزع على حملة الأسهم بضوابط قانونية ونظامية وإذا تحققت خسارة يتحملها حملة الأسهم بحسب ما يمتلك كل منهم ويعتبر التعامل في الأسهم العادية حلالاً متى كانت الشركة المصدرة له تتعامل في الحلال.

وتعتبر الشركات بصفة عامة والشركات المساهمة بصفة خاصة من دعائم الأنشطة الاقتصادية بصفة خاصة من دعائم الأنشطة الاقتصادية في أي دولة وبدونها يكون الكساد والتخلف، وتحاول الدول وضع النظم وسن القوانين لتشجيع هذا المجال من الاستثمار.

كما تعتبر الأسهم من أهم الأوراق المالية التي يتم التعامل عليها في سوق الأوراق المالية حيث تسهل من انسياب الأموال لتمويل المشروعات وهذا ما تسعى الدول لتحقيقه.

وهنا يجب على دعاة المصالح المرسلة من الفقهاء أن يشجعوا هذا النوع من الاستثمار ولا يصدوا عنه لأنه أفضل من إيداع الأموال في البنوك بفائدة، ولأن المصلحة الحقيقية للوطن هي تشجيع إنشاء الشركات وحث الناس على شراء الأسهم الحلال بدلاً من تخزينها في البنوك بفائدة وفقًا لنظام المتاجرة في الديون، وهناك فروق جوهرية بين الربح الحلال الناتج من الأسهم وبين الربا الناتج من إيداع المال لدى البنوك التقليدية.

خامسًا: استثمار الأموال بنظام المضاربة الإسلامية مع البنوك الإسلامية:

لقد أسست المصارف الإسلامية على أساس تجميع المال بصيغة المضاربة الإسلامية، فالعقد الذي بين المستثمر وبين المصرف الإسلامي هو عقد مضاربة يقوم على أساس قاعدة «الغنم بالغرم» أي المشاركة في الربح والخسارة، ويقوم المصرف الإسلامي بتشغيل تلك الأموال واستثمارها مع الغير بصيغ المشاركة والمرابحة والإجارة والاستصناع والسلم ونحو ذلك، وما يأتي من ربح يوزع بينه وبين أصحاب الأموال وتقوم هيئات الرقابة في المصارف الإسلامية بالاطمئنان إلى أن هذه المعاملات تتم وفقًا لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية وتغطي بذلك شهادة تنشر مع القوائم المالية.

من هنا نجد أن العقود التي بين أصحاب الأموال «المستثمرين- المودعين» وبين المصرف الإسلامي هي عقود مضاربة لا يضمن فيها المصرف ربحًا معينًا ولا يحدده مقدمًا بل يعرف بعد استثمار هذه الأموال في تمويل المشروعات ومعرفة الأرباح الفعلية التي تقسم بينهم وبين المصرف وذلك في نهاية كل فترة مالية.

وبالرغم من الشبهات والأخطاء التي تقع فيها بعض المصارف الإسلامية في بعض الدول العربية والإسلامية والأجنبية إلا أنها في مجملها أفضل من إيداع الأموال في البنوك التقليدية التي هي موضع شك وريبة ولا يطمئن إليها كثير من الناس.

وفي هذا المقام نناشد المسئولين عن المصارف الإسلامية بأن يتقوا الله في معاملاتهم، كما نطلب من هيئات الرقابة الشرعية بذل المزيد من الجهد في الرقابة الفعالة لتأكيد الثقة وتجنب الشك وسد الذرائع أمام الناس.

سادسا: استثمار الأموال من خلال المؤسسات التعاونية:

تقوم المؤسسات التعاونية المختلفة على نظام المساهمة والمشاركة وفقًا لأسس معينة ولا تختلف هذه المؤسسات عن نظام الاستثمار في الشركات إلا من حيث نظم العمل والإدارة حيث تقوم على أساس قاعدة المشاركة في الربح والخسارة «الغنم بالغرم» وعدم ضمان ربح معين، ومن أمثلة ذلك تعاونيات الإسكان وتعاونيات النقل وتعاونيات التعليم وتعاونيات التأمين.

وهناك صيغ استثمار أخرى للمال يضيق المقام لبيانها مثل المزارعة والمساقاة والسلم والاستصناع والإجارة المنتهية بالتمليك، وما ذكر كان على سبيل المثال لا الحصر.

حقائق وثوابت حول الاستثمار وفقًا للشريعة الإسلامية يجب على المسلم المؤمن التقي الوجل الذي يبحث عن كيفية استثمار ماله أن يوقن الثوابت الآتية:

١- لقد أحل الله الربح الناتج من الأنشطة المختلفة الحلال الطيبة وحرم الربا الناتج من مبادلة مال بمال وزيادة.

٢- يمحق الله سبحانه وتعالى بركة المعاملات الربوية مصداقًا لقوله عز وجل: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾.

٣- تجنب المعاملات التي فيها شبهات، «**فالحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**»، فاتق الله أيها المستثمر، والتزم بوصية رسول الله ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**».

٤- عندما يحـرم الله بابًا من المعامـلات المالية يفتح أبـوابًا شتى من الحلال فـهو سبحانه وتعالى الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

٥- يجب التحري والاطمئنان إلى الأدلة الشرعية التي يرتاح إليها قلب الإنسان.

٦- لقد خُتمت آيات الربا بالتذكير بالإيمان والتقوى ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾.

ولا يسعنا أيها الأحبة الكرام إلا أن نتوجه بقلوبنا وجوارحنا إلى الله عز وجل أن يبارك لنا في أمـوالنا، وأولادنا وذرياتنا.. وأن يرزقنا الحلال الطـيب، وأن يبارك لنا فيه..

اللهمَّ يا من له الأمر كله، نسألك الخير كله، ونعوذ بك من الشر كله، اللهمَّ إنا نسألك بصفـاتك العليا، وأسـمائك الحسنى، ما علمنا منهـا وما لم نعلم أن تـعز الإسلام والمسلمين، وأن تـذل الشرك والمشركين، وأن ترفع راية التـوحيـد والموحدين عالية خفاقة بفضلك وكرمك يا رب العالمين. ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادي للإيمان، أن آمنوا بربكم فآمنا.. ربنا فاغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار.. ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد.

اللهمَّ أصلح ما فسد من أمرنا، واجعل قلوبنا غير قاسية، وألسنتنا غير مجادلة ولا كاذبة، ولا مـغتابة، ولا نمامـة، واجعل همتنا عـالية إليك واجعل سـعينا كله لك.. واجعل الهدى طريقنا، واشرح للإسلام صدورنا ولا تخيب رجاءنا، يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٦١)

* احذروا فتنة النساء *

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل، كانت في النساء**»(١).

أحبتي في الله: . .

أولاً نحمد الله عز وجل ونشكره إذ هدانا للإسلام، فالإسلام أكبر نعمة أسداها ربنا عز وجل للبشرية، قال مولانا سبحانه: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً**﴾ [المائدة: ٣]

وقال سبحانه: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً**﴾ [آل عمران: ١٠٣]

فالحمد لله على نعمة الإسلام، وكفى بها نعمة، والحمد لله على نعمة القرآن وكفى بها نعمة وفي هذا القبس النبوي الشريف يحذرنا فيه أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ من أمرين، هما سبب في التعاسة والشقاء لمن لم يراعى ما أمره به ربه سبحانه، ورسوله ﷺ وهما:

١- الدنيا.

٢- النساء.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه لهذا القبس النوراني المحمدي:

تجنبوا الافتتان بها- أي الدنيا- وبالنساء، وتدخل في النساء الزوجات وغيرهن وأكثرهن فتنة: الزوجات، لدوام فتنتهن، وابتلاء أكثر الناس بهن. .

---

(١) رواه مسلم.

وقال: معنى (الدنيا خضرة حلوة) يحتمل أن المراد به شيئان:

أحدهما: حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة، فإن النفوس تطلبها طلبًا حثيثًا، فكذا الدنيا..

الثاني: سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين..

أحبتي في الله:..

فقد حذرنا الرسول ﷺ هنا من فتنة الدنيا، وبين أن مآلها إلى الفناء وقد ورد لفظ (الدنيا) في كتاب الله تعالى في مائة وأربعة عشر موضعًا، وكذلك ورد لفظ (الآخرة) في كتاب الله عز وجل في مائة وأربعة عشر موضعًا..

قال تعالى: ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت:٦٤] وقال سبحانه: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ**﴾ [يونس:٢٤].

ولقد مرَّ النبي ﷺ بالسوق، والناس عن جانبيه، فمر بجدي أسك- أي صغير الأذن- ميت، فتناوله، فأخذ بأذنه، ثم قال لهم: «**أيكم يحب أن يكون له هذا بدرهم؟** قالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ ثم قال: **أتحبون أنه لكم؟** قالوا: والله، لو كان حيًا، كان عيبًا فيه أنه أسك، فكيف وهو ميت فقال: **فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**»(١).

فها هي الدنيا في كامل زينتها، وأبهى حلتها، وأجمل بهجتها، **تعرض نفسها** لخاطبيها وحق لها ذلك، لكثرة الغافلين واللاهين والعابثين..

فقد مرَّ المسيح عليه السلام بامرأة عليها من كل زينة، **فذهب ليغطي وجهه عنها**، فقالت: اكشف عن وجهك، فلست بامرأة، إنما أنا الدنيا، **فقال لها: ألك زوج؟**

---

(١) رواه مسلم وأبو داود وذكره المنذري في الترغيب والترهيب.

قالت: لي أزواج كثيرون، فقال: أكلهم طلقت؟ قالت: بل كلهم قتلت.. فقالت: أحزنت على أحد منهم؟

فقالت: هم يحزنون عليَّ، ولا أحزن عليهم ويبكون عليَّ، ولا أبكي عليهم.. فهذه حقيقة الدنيا التي يطلبها ويخطب ودها كثير من الناس، كما وصفها النبي ﷺ فهي مبغوضة، ساقطة، ولا تعادل عند الله جناح بعوضة، وكم يساوي جناح البعوضة في موازين الناس؟ أم لعله يسمن أو يغني من جوع؟

قال ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى الكافر منها شربة ماء**»(١).

وقال: «**الدنيا ملعونة، ملعونة ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، أو متعلمًا**»(٢).

فكل ما يبعد عن طاعة الله عز وجل مبغوض ملعون..

قال إمامنا الشافعي ـ رحمه الله ـ:

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها
وسيق إلينا عذبها وعذابها
فلم أر إلا غروراً وباطلاً
كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي إلا جيفة مستحيلة
عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلمًا لأهلها
وإن تجتذبها تنازعك كلابها

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح وأحمد وابن ماجه وصححه الألباني في الصحيحة (٦٨٦) وصحيح الترغيب (٣٢٤٠).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤١٤).

ولو تفكر الإنسان في حقيقتها ومآلها، لزهد فيها أشد الزهد.. قال ابن عباس ﵄: يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء، بادية أنيابها مشوه خلقها، لا يراها أحد إلا كرهها، فتشرف على الخلائق، فيقال لهم: أتعرفون هذه؟ هذه هي التي تفاخرتم وتحاربتم عليها، ثم يؤمر بها إلى النار، فتقول: يا رب، أين أتباعي وأحبابي وأصحابي، فيأمر الله بهم، فيلحقون بها في النار..

ومع كل هذه التحذيرات من خير الخلق، ومن رب الأرض والسموات، فلا تجد إلا قلوبًا ميتة، وعقولاً مسلوبة، لشغف أهلها بحب الدنيا وبهرجتها الزائفة الزائلة، خربوا آخرتهم الباقية، وعمروا دنياهم الفانية..

تنافس كثير من الناس من أجل الدنيا، وتقاطعوا وتدابروا من أجلها، فضاعت حقوق بعضهم بين بعض..

هي الدنيا تقول بملء فيها
حذاري حذاري من فتكي وبطشي
فلا يغرركم مني ابتسام
فقولي مضحك والقول مبكي

فالخطر هو حب الدنيا، وليس ملك الدنيا، فيمكنك أن تملك الدنيا ولا تملكك، وأن تسخرها ولا تسخرك، وتستخدمها ولا تستخدمك.. ضعها في يديك، ولا تضعها في قلبك.. اجعلها وسيلة لعمل الصالحات، واستباق الخيرات، ولا تجعلها غاية لك تركض وراءها وتعيش لها، وتقاتل من أجلها.. فرق بين هذا وذاك.. فقد ورد: «حب الدنيا رأس كل خطيئة».

حاول أخي الحبيب أن تخرج من حب الدنيا إلى حب الآخرة.. إلى حب الله عز وجل لا تؤثر الدنيا الفانية على الآخرة الباقية.. ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧] ﴿**كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ**﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١].

هذه مشكلة الكثير من الناس، أنهم يحبون العاجل، والنفس مولعة بحب العاجل، يقدمونه على الآجل.. العاجلة هي الدنيا.. والآجلة هي الآخرة..

قال أحد الزّهاد: لو كانت الدنيا ذهبًا يفنى، والآخرة خزفًا يبقى، لآثر العاقل خزفًا يبقى على ذهب يفنى..

حب الدنيا هو الذي أهلك الناس، هو الذي جرهم إلى الهاوية، هو الذي جعلهم يقاتل بعضهم بعضًا.. يعادي الابن أباه.. ويعادي الأخ أخاه.. ويعادي الأرحام بعضهم بعضًا في سبيل عرض يسير من الدنيا..

هي التي أبعدتهم عن الله عز وجل.. حب الدنيا وإرادتها والتنافس من أجل الحصول عليها هو الذي يفعل بهم كل ذلك، وليس ملك الدنيا، فقد كان من الصحابة رضوان الله عليهم من يملك الدنيا في يديه، ولم تدخل قلبه.. كانوا يملكون الآلاف المؤلفة، فإذا طلب منهم شيء في سبيل الله، قدموه لله عز وجل رخيصًا مثل عثمان بن عفان رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما..

وكان في الأنبياء ملوك، كيوسف وداود وسليمان عليهم السلام، ولكن الدنيا لم تفتنهم عن آخرتهم.. ﴿ **فَأَمَّا من طغى ﴿٣٧﴾ وآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى** ﴾ [النازعات: ٣٩-٤١].

إنك مهما ملكت من الدنيا، فماذا لك منها؟ هل تستطيع أن تأكل أكثر من ملء معدتك؟ كل ما شئت، فوالله بعد أن يمر من فمك إلى المريء والحلقوم، يستوي الرديء والطيب يستوي الحلو والحامض.. كله سيخرج من مخرج واحد..

الدنيا لا تستحق منا هذا كله.. ماذا تستطيع أن تأخذ منها؟ هل تستطيع أن تأخذ معك في قبرك صندوقًا من ذهب؟ هل ستأخذ معك دفتر شيكات؟ ليس للكفن جيب، ولو صنعنا لك في الكفن جيوبًا ووضعنا لك فيها الأموال، ماذا ستفعل بها، لا تستطيع أن تقدم لعزرائيل ملك الموت رشوة، ليؤخر أجلك، ولا تستطيع أن ترشو منكر ونكير، لكي يلقنوك الإجابة..

فاحذروا من الدنيا، ومن التنافس فيها.. قال بعض الصالحين: زهدت في الدنيا خفلة غنائها، وكثرة عنائها، وسرعة فنائها، وخسة شركائها..

عشاق الدنيا أخساء.. يتقاتلون على الفلس، لا يقنعون بقليل، ولا يشبعون من كثير.. هم مثل جهنم، يقال لها: هل امتلأت، فتقول: هل من مزيد.. يبيع صاحبه من أجل درهم أو دينار.. والعياذ بالله.

فيا من أحببت الدنيا وزينتها، وركنت إليها، وقاتلت من أجلها، واهتممت بالمناصب والشياخة والكراسي والرياسة، أقول: دونك هذا الحديث، الذي يقول فيه الحبيب ﷺ: «**يؤتي بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة ثم يقال له: يا ابن آدم، هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا يا رب، ويؤتي بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط**»(١).

أحبتي الكرام...

ثم حذرنا النبي ﷺ بعد التحذير من فتنة الدنيا، حذرنا من فتنة النساء، فقال: «واتقوا النساء» ورب العزة والجلال يقول لنا في كتابه العزيز: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦].

قوا أنفسكم وأهليكم هذه النار، بفعل الوقاية منها، ولا يكون ذلك إلا بامتثال أمر الله ورسوله، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله، والقيام بما أوجب علينا وحملنا من الرعاية والحماية خصوصًا النساء.. لماذا النساء؟

لأن النساء يحتجن إلى زيادة الرعاية، لأنهن ناقصات عقل ودين، كما أخبر بذلك سيد المرسلين، ورسول رب العالمين ﷺ كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من**

---

(١) رواه مسلم.

إحداكن» قلن: ما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «**أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟**» قلن: بلى.. قال: «**فذلك نقصان عقلها، أليس إذا حاضت، لم تصلِّ ولم تصم؟**» قلن: بلى.. قال: «**فذلك من نقصان دينها**»[١].

ولأن المرأة قاصرة التفكير والنظر، فنظرها لا يتجاوز قدميها، وتفكيرها مضطرب، لا يستقر على شيء، عاطفتها متداعية، كل شيء يجذبها ويميل بها ولذلك جعل رب العزة والجلال الرجال قوامين عليهن، فقال سبحانه: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ..** ﴾ [النساء: ٣٤].

أحبتي في الله:..

إنَّ كثيرًا من النساء في عصرنا هذا قد لعب الشيطان بهن وبأفكارهن وتصرفاتهن وخالفن طريق الهدى إلى طريق الغواية والضلال، تخرج الواحدة منهن إلى السوق لحاجة ولغير حاجة، تخرج إلى الطرقات متزينة، متبرجة، تلبس الثياب والحلي تخرج متعطرة.. والنبي ﷺ يقول: «**وإن المرأة إذا استعطرت، فمرت بالمجلس، فهي كذا وكذا**» يعني زانية[٢].

وفي رواية ابن حبان والنسائي بإسناد حسن: «**أيما امرأة استعطرت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها، فهي زانية، وكل عين زانية**»[٣].

تخرج المرأة منهن فتمشي في الطريق مشية الرجال، وترفع صوتها كالرجال، وتزاحم الرجال وتخالطهم في المواصلات، وفي الأسواق، وكل ذلك مخالف لهدى سيد النبيين وإمام المرسلين، وسلفنا الصالح ﷺ أجمعين، فلقد خرج الحبيب ﷺ يومًا من المسجد، فوجدهن قد اختلطن بالرجال في الطريق، فقال رسول الله ﷺ للنساء: «**استأخرن، فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق عليكن بحافات الطريق**»[٤] فكانت المرأة تلتصق بالجدار، حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

(٢) رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وذكره المنذري في الترغيب (١٠٦٥).

(٣) رواه الحاكم وصححه وقال: صحيح الإسناد.

(٤) **حسن**: رواه أبو داود والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٣١) والصحيحة (٨٥٦).

وعن أم سلمة ﵂ قالت: لما نزل قوله تعالى: ﴿**يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ**﴾ خرج نساء الأنصار، كأن على رءوسهن الغربان من الأكسية.

وقالت عائشة ﵂: ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، أشد تصديقًا لكتاب الله عز وجل، ولا إيمانًا بالتنزيل، لقد أنزلت: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**..﴾ [النور:٣١] فانقلب الرجال يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم، يتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل، فاعتجرت به، تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله في كتابه.

أحبتي الكرام...

إنَّ المتأمل لأوضاع العالم الإسلامي في القرون الأخيرة، يجد أن فساد أكثر مجتمعاته كان بهاتين الفتنتين، فتحت الدنيا عليهم، أو على مترفيهم، فطغت نساؤهم، وضعف أمامها المترفون، فخرجت للشوارع سافرة، ونزعت الحجاب متبرجة، وزاحمت الرجال جريئة، غير مستحية، ولا خجلة.. قال تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾ [الإسراء:١٦] ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الأنفال:٢٥].

وقال النبي ﷺ: «**إنَّ المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان**»[(١)] وقال: «**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»[(٢)] أي زينها وجملها في نظر الرجال.

وعن أسامة بن زيد ﵄ عن النبي ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي والطبراني في الأوسط وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٣٤٤) وصحيح الجامع (٦٦٩٠).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي والبخاري ومسلم وأحمد والنسائي.

ولذلك فإن أعداء الإسلام انتهزوا الفرصة، وحاربونا بالمرأة، لقد حملوا علينا بخيلهم ورجلهم، وجردوا الحملات المسممة بسهام الشهوات، وسموم الشبهات، لتعبث في قلوب المسلمين فسادًا، وتجوس خلال ديارهم لتسلخهم من دينهم الحق، الذي ارتضاه الله لهم.

وقد كان هؤلاء الأعداء خبثًا ما كرين في حربهم، لأنهم تفهموا أسباب قوة المسلمين، وحددوها، ثم اجتهدوا في توهينها وتحطيمها بكل ما أوتوا من مكر ودهاء..

إنهم علموا أن المرأة من أعظم أسباب القوة في المجتمع الإسلامي، وهم يعلمون أنها سلاح ذو حدين، وأنها قابلة لأن تكون من أخطر الأسلحة للفتنة والتدمير..

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

ففتنة النساء من أعظم الفتن في الدنيا.. وفتنة الشهوات وحبها من أعظم الفتن لذلك أراد أعداء الإسلام أن يفتنوا المسلمين عن دينهم، فجعلوا من المرأة أهم معاول الهدم، وهم يتظاهرون بالشفقة عليها، والحرص على حقوقها، وخدع من خدع منهن لجهلهن بالدين.

أيها الأحبة الكرام...

فها هو الرسول الأعظم ﷺ لا يصافح النساء مع طهارة قلبه لأنه قدوة حسنة للمسلمين، فعن أميمة بنت رقيقة أنها قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة نبايعه، فقال: «**إني لا أصافح النساء**»(١).

ولوي عنق الفضل بن عمه العباس، خوفًا من أن يفتتن بالمرأة الشابة حين كان رديفًا له على دابته، فأتى الجمرة، فرماها، فأتته امرأة من خثعم، فقالت: إنّ أبي

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي والنسائي والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥١٣) وأخرجه ابن الجوزي في ذم الهوى ص١٢٩.

شيخ كبيـر، وقد أدركته فريضة الله تعالى في الحـج، فهل يجوز أن أحج عنه؟ قال: «نعم» وفي رواية: «**حجي عن أبيك**».

قـال عليُ بن أبي طالـب ﷺ- راوي الحديـث: ولوي عنق الفـضل فـقـال له العبـاس: يا رسول الله، مـالك لويت عنق ابن عـمك؟ قال: «**رأيت شـابًا وشابة، فخفت الشيطان عليهما**»(١).

والنساء مصـائد الشيطان، لأن إبليس عليه اللعنة، لما أهبط آدم علـيه السلام إلى الأرض، قال لربه: قـد علمت أنه سيكون لهم كتـاب ورسل، فما كتـبهم ورسلهم؟ فأخـبره الله عـز وجل أن رسلهم الملائكة والنبيـون منهم، وكتـبهم التـوراة والإنجيل والزبور، والفرقان.

قال له: فـما كتـابي؟ قال: كتـابك الوشم، وقرآنك الشعـر، ورسلك الكهنة، وطعامك مـا لم يذكر اسم الله عز وجل علـيه، وشرابك من كل مـسكر، وصدقك الكذب، وبيتك الحمام، ومصائدك النساء، ومؤذنك المزمار، ومسجدك الأسواق(٢).

ولأجل فتنة النساء قالت السـيدة عائشة ﷺ: لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعـهن المساجد، كـما منعت نساء بـني إسرائيل ولذلك كرهت عـائشة ﷺ خروج النساء في العيدين.

وكره ذلـك ابن عباس ﷺ وقـال: كان النسـاء الأكابر وغـيرهن، يخـرجن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعثمان ﷺ العيد، فلما كان سعيد بن العاص، سألني عن خروج النســاء، فرأيت أن يمنع الشـوابّ الخروج، فأمـر مناديه: لا تخرج يوم العـيد شابة، فكان العجائز يخرجن(٣).

أحبتي في الله:..

وللسلف رضوان الله عليهم كلامًا في الخوف من فتنة النساء، فعن معاذ بن جبل

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني برقم (٨٨٥) وصحيح الجامع (٣٤٦٧).
(٢)، (٣) ذم الهوى لابن الجوزي ص١٢٩ المكتبة العلمية بيروت.

ﷺ قال: ابتليتم بفتنة الضـراء فصبرتم، وستبتلون بفتنة الـسراء، وأخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء، إذا تسوَّرن الذهب، ولبـسن رياط الشام، وعصب اليمن، **فأتعبن** الغني، وكلفن الفقير ما لا يجد..

وهذا بالفعل ما حدث في أزماننا وعصورنا..

وهذا سعيد بن المسيب ـ رحـمه الله يقول ـ: **ما يئس الشيطان من ابن آدم قط إلا** أتاه من قبل النساء.

وهذا سعيـد بن جبير ـ رحمـه الله يقول ـ: **لأن أؤتمن على بيت مملوء من الدر**، أحب إليَّ من أن أؤتمن على امرأة حسناء.

وميمـون بن مهران العابد يقول نحـو هذا.. **لأن أؤتمن على بيت مال** أحب إليَّ من أن أؤتمن على امرأة.

هذا تحذير الإسلام من الافتتان بـالمرأة، والتحذير من السير على هواها، لكن مع ذلك قد كـرمها الإسـلام، وأحاطها بعنايـته ورعايتـه، **إذا سارت على الدرب الذي** رسمه لها، والهدى الذي وضحه لها، والهدف التي خلقها من أجله..

والمرأة المسلمة قـد وعت هذا التكريم، فاعتـزت به، وأسهمت في بناء المجـتمع الإسلامي، وفي نشـر الإسلام، والاعتزاز به.. فـكانت مغارس حكمة، ومـغاوص آداب.. إنهن أمهات صدق.. لقد كان منهن صفية عمة الحبيب ﷺ إذا انقلبت لترى ما فعل المشركون بأخيها حمزة في معركة أحد وقد نفذت إليه هند بنت عتبة، فبقرت بطنه، ونزعت كبده، وجـدعت أنفه، وسلمت أنفه، وجاء أبو سفيـان يطعنه برمحه في فمـه، فأشتد حـزن رسول الله ﷺ وأبصر عـمته مـقبلة، لتنظر ما فـعل القوم بأخيهـا، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبيـر بن العوام: «**دونك أمك فامنعـها**» فلما وقف ابنهـا يعتـرضهـا، قـالت: دونك، لا أرض لك، لا أم لك.. فـرجف بطل قريش، واعتقل لسـانه، وكر راجعًا إلى رسول الله ﷺ فحدثه حديـث أمه، فقال: «**خلِّ سبيلها**» فأتت أخاها، فنظرت إليه، فصلت عليه واسـترجعت، واستغفرت له، وقالت لابنها: قل لرسول الله ﷺ: لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله..

أحبتي الكرام...

ولو ذهبنا نستقرئ أسماء عظماء في هذه الأمة، ومن كان وراءهم لطال الأمر اقرءوا تاريخكم.. اقرءوا عن أبناء أسماء بنت أبي بكر، اقرءوا عن عبد الله بن الزبير.. اقرؤوا تاريخ معاوية الذي كان إذا نوزع الفخر يقول: (وأنا ابن هند) اقرءوا تاريخ عمر بن عبد العزيز، وسفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث، اقرءوا تاريخ الأوزاعي وربيعة الرأي، كلهم قامت عليهم نساء فضليات، عرفن حق الله عليهن، فرعين أبناءهن خير رعاية، ونشأنهم أعظم تنشئة.

لقد كان منهن من بلغن المنزلة الرفيعة في العلوم، فهذا هو الإمام مالك ـ رحمه الله ـ كان يُقرأ عليه الموطأ، فإن لحن القارئ في حرف أو زاد، أو نقص تدق ابنته الباب، فيقول أبوها للقارئ: ارجع فالغلط معك، فيرجع فيجد الغلط.

فهل تقرأ بناتنا هذه الأسفار، فينشأن تلك التنشئة، ويحفظن حق الله عليهن أم أنهن سيظللن مشغولات بمتابعة ما لا يزدهن عن إسلامهن وعن رسولهن إلا بعداً.. مسلسلات هابطة في أشرطة فاسدة، ومجلات لا تحمل إلا سموماً قاتلة تورد بأسلوب خبيث خادع أن لفلانة مشكلة تعرضها، وتقدم لها الحلول التي لا كرامة لامرأة فيها، ولعل الأمر كله افتراض.

نسأل الله العظيم أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.. اللهم احفظ بناتنا ونساءنا.. اللهم أكرمنا ولا تهنا، وكن لنا ولا تكن علينا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا، وبارك لنا في أرزاقنا وفي أوقاتنا واغفر ذنوبنا يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٦٢)

* كثرة الكذب من أمارات الساعة *

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم**»(١). صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام الأفاضل...

ها هو سيد الأولين والآخرين، وقائد الغرِّ المحجلين، ورسول رب العالمين سيدنا محمد ﷺ يخبرنا عن غيب لم يره، ولم يشاهده، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى.. يخبرنا ويعلمنا بأمارة من أمارات الساعة، والتي لا يعلمها إلا الله وحده.. ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**..﴾ [لقمان: ٣٤]

لكنه أعلم حبيبه ومصطفاه محمدًا ﷺ عن بعض أماراتها.. وتلك واحدة من هذه العلامات، وهي انتشار الكذب وكثرته، ونحن بالفعل في زمان قد انتشر فيه الكذب بجميع صوره، وبين جميع طبقات الناس- إلا من رحم ربي- والحبيب ﷺ يحذرنا في هذه الوصية، يحذرنا من الكذب، ومن الكذابين بأبلغ أساليب التحذير وأوبينها وأوضحها «**فإياكم وإياهم**».

ولا شك أنَّ الكذب عمل مرذول، وصفة ذميمة، فهو من خصال النفاق ومن شعب الكفر، بل إنَّ الكفر نوع من أنواعه.. قال ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**»(٢) وقال: «**ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام، وقال: إني مسلم الذي إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف**»(٣).

---

(١) رواه مسلم رقم (٧) باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها (١/ ٢٢).

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وغيرهم.

(٣) حسن: رواه أبو يعلى وغيره وحسنه الألباني في صحيح الترغيب.

والكذب دليل ضعة النفس، وحقارة الشأن، وخبث الطوية. . الكذب يقلب الحقائق، فيدني البعيد، ويبعد القريب، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح. . قال ﷺ: «**إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**»(١).

قال الماوردي ـ رحمه الله ـ: والكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم، لسوء عاقبته، وخبث نتائجه، لأنه ينتج النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة، ولذلك قيل: من قل صدقه، قل صديقه. .

وقال الحسن: الكذب جماع النفاق. .

وقيل في منثور الحكم: الكذاب لص، لأن اللص يسرق مالك، والكذب يسرق عقلك. .

الكذب أساس الرذائل، وأصل الشرور، فكثيرًا ما ضاعت به حقوق، وانتهكت به حرمات، وارتكبت به جرائم. . وكم من خبر كاذب كان سببًا في تقطيع الصلات، وإثارة العداوات بين الناس. .

وكم من شائعة كاذبة اختلقها شخص مهين، كان لها أثر على الأفراد والجماعات؟! وكم من أعراض انتهكت بسبب الكذب؟!

والكذب عدو لنفسه وللحياة كلها، فهو فتنة متحركة، يشعل النار هنا وهناك، ويؤجج اللهيب في كل بقعة يحل بها أو يقيم، فهو منافق لئيم وقد نفر الإسلام من الكذب، ونهى عنه، قال تعالى في كتابه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾ [الزمر: ٣] وقال تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ**﴾ [الجاثية: ٧] ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ [البقرة: ١٠].

والكذاب المستكبر لا يدخل الجنة إلا إذا دخل الجمل في ثقب الإبرة. . إلا إذا

---

(١) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

تاب إلى الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ.. ﴾ [الأعراف: ٤٠].

أحبتي الكرام...

ولقد انتشر الكذب وكثر في هذا الزمان، وكثر فيه الكذابون، وزيفت فيه الحقائق، وضيعت فيه الحقوق..

لو تأملنا هذه المجتمعات ونظرنا فيها نظرة فاحصة، لوجدنا معظم الناس كذابين إلا من رحم ربي.. الأب يكذب على أبنائه.. والأم تكذب على بناتها.. والأولاد يكذبون على آبائهم.. والتجار يكذبون على زبائنهم.. والصانع وأصحاب الحرف من نجار، وسباك، وبناء، وكهربائي.. والزوجة تكذب على زوجها.. والزوج يكذب على زوجته..

لو تدبرنا معظم الأقوال والأفعال والأحوال، لوجدنا كذبًا في كذب.. بيت هنا أو هناك يدمر بسبب أخبار كاذبة.. إنسان يحكم عليه بالسجن أعوامًا متعددة بسبب كلمات كاذبة.. وأخبار كاذبة.. والله لقد مل الناس الكذب، لأن رائحته النتنة فاحت وملأت البقاع.. ولو كان للكذب رائحة ما استطاع أحد على وجه الأرض أن يتنفس هواء نقيًا..

لماذا يكذب التاجر على زبائنه؟ وقد قال ﷺ: «**اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب**»[(١)]..

ألم يقل النبي ﷺ: «**البَيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك في بيعهما، وإن كذبا وكتما، محقت بركة بيعهما**»[(٢)].

لماذا يحلف التجار أيمانًا كاذبة، والنبي ﷺ قد قال عنهم: «**إنَّ التجار هم**

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي.

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وأبو داود والبيهقي.

الفجّار» قيل: يا رسول الله، أليس قد أحل الله البيع؟ قال: «**بلى، ولكنهم يحلفون، فيأثمون، ويحدثون فيكذبون**»(١).

إن الذي يحلف أيمانًا كاذبة ليروج سلعته، لا ينظر الله إليه، ولا يكلمه يوم القيامة، كما قال النبي المصدق ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المنان الذي لا يعطى شيئًا إلا منة، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره**»(٢).

الحلف الكاذبة تسود القلب، قال ﷺ: «**ما حلف حالف بالله، فأدخل فيها مثل جناح بعوضة، إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة**»(٣).

لماذا يكذب الأب على أبنائه.. فعن عبد الله بن عمر قال: جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صغير، فذهبت لألعب، فقالت لي أمي: ي عبد الله، تعال أعطك..

فقال رسول الله ﷺ: «**ما أردت أن تعطيه؟**» فقلت: أردت أن أعطيه تمرًا.. فقال: «**أما أنك لو لم تفعلي، كتبت عليك كذبة**»(٤).

الأم تكذب على ولدها من أجل أن يلبي طلبها، والأب يكذب على ولده من أجل أن يرضيه، كيف نعلم أولادنا الصدق بعد ذلك؟

كيف نعلم بناتنا الصدق بعد ذلك؟ وأبناؤنا وبناتنا يروننا نكذب؟ يقول الأب لولده الصغير، حين يأتي إلى المنزل أحد الناس يسأل عنه: قل له: أبي غير موجود، لكن الابن يذهب إلى الطارق ببراءة ويفتح له، ويقول له: إنَّ أبي يقول لك: هو غير موجود..

سبحان **الله!** يقول ذلك، لأن الطفل صفحة بيضاء جميلة، يقول النبي ﷺ:

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والحاكم (٦١٢) وصححه وأقره الذهبي.
(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائي والبيهقي.
(٣) **حسن**: رواه أحمد والترمذي والحاكم.
(٤) **حسن**: رواه أحمد في مسنده وأبو داود في سننه وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

«كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.. »(١) فهما شيئان لا ثالث لهما، إمَّا أن نربي أبناءنا على الصدق والفضيلة وحسن الخلق، وإما أن نربي أبناءنا على الكذب وسوء الخلق، وهم مسئولية كبرى في أعناق الآباء والأمهات، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ..** ﴾ [التحريم: ٦].

وقال إمام المربين، وسيد الناس أجمعين ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها.. »**(٢).

وفي الصحيحين من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت، وهو غاش لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة»**(٣).

والكذب أنواع، وأخطرها: الكذب على الله عز وجل: فمن الناس من يتجرأ على الفتوى بدون علم، أو دليل أو بينة، قال تعالى: ﴿ **وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٣] وقال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ** ﴾ [النحل: ١١٦].

لقد أصبح الدين ألعوبة في أيدي كثير ممن يعطى لنفسه حق الفتوى، فيهذى بما لا يدرى، ويهرف بما لا يعرف، ويتقبل هذا بعقله، ويرفض هذا كذلك بعقله، وسيدنا عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «لو كان الدين بالرأي، لكان مسح الخف أولى من المسح على أعلاه»(٤).

وكذلك من أنواع الكذب القبيحة والخطيرة: الكذب على رسول الله ﷺ فنجد

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) **صحيح**: صحيح سنن أبي داود للألباني.

من يكذب عليه للترغيب أو للترهيب، أو لترويج بدعة أو ضلالة أو غير ذلك، وفي حديث: «**إنَّ كـذبًا عليَّ ليس ككذب على أحـد، من كذب عليَّ مـتعـمدًا، فليـتبـوأ مقعده من النار**»(١).

لماذا ننسب إلى رسول الله ﷺ ما لم يقله؟ لماذا نحل ونحرم ما لم يحله ويحرمه حبيبنا ﷺ.

وهناك من يكذب لإضـحاك السامـعين، ألم يقل سيـد الأولين والآخرين ﷺ: «**ويلٌ للذي يحدث، فيكذب، ليضحك به القوم، ويل له، ويلٌ له**»(٢).

نجد من يكذب في مجامع الناس ومجالسهم، حتى يُصَدَّر في المجلس ولأجل أن يستظرفه الناس، ويستطرفوا حديثه ويستعذبوه، تراه يأتي بالغرائب ويسوق مالا يخطر ببال، ولا يدور لك بخيال..

وهذا يكذب للمـفاخـرة في إظهار فـضله، فتـراه يدعى العلم، ويظهر الفـضل ويتشـدق بكثرة الأعمال، والإحـسان إلى الناس وهو عاطل من ذلك كله فـلا فضل لديه، ولا علم عنده، ولا إحسـان يصدر منه، وإنما هو كاذب فـي ذلك كله، ليظهر فضله، ويفاخر أقرانه..

وهذا يكذبْ ليفسد ذات البين، فبعض الناس- والعياذ بالله- لا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار، حـتى يفسد ذات البين، ويفرق شـمل المتحابين فتراه يـختلق الأقاويل، وينسج الأباطيل، ليفسد بين صديقين، ويحل محلها القطيعة والبين، فهذا العمل بلية عظيمة، ورزية جسيمة، فكم من روابط قد تقطعت بهذا الصنيع الدنيء الحقير!

وترى من يكذب ليستعطف الناس، فتراه يظهر فقره وفاقته، ويوهم من حوله بأن الديون قد ركبته، ولم يعد له طاقة في سدادها..

أو يزعم أنه مريض، وربما حمل شـهادة أو تحليلاً طبيًا يوهم الآخـرين أن حالته

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) **حسن**: رواه أبو داود والتـرمذي وحـسنه والنسائي والبـيهـقي وحسنه الألبـاني في صحـيح الترغيب (٢٩٤٤).

تحتاج إلى عـملية جراحـية كـبيرة تكاليفـها باهظة، ولا يقدر عليهـا وحده. . فنجد الناس يعطونـه أمـوالهم عطفًا عليـه. . وهو كذاب، ألا نذكـر الحجـاج بن يوسـف الثـقـفي حين وقف يخطب الجـمـعة يـومًا من الأيام فـأطال في الخطبـة، حـتى مل المسلمون، وضـاق الوقت، وكاد يدركـهم العصـر فصاح من جـانب المسجـد شاب جريء، وقال له في شـجاعة: أقصر أيها الأمـير، فإن الوقت لا ينتظرك، والرب لا يعذرك. . فاسـتشاط الحجاج غضـبًا، وأمر بالقبض عليه، وأدخله السجن، فـتخوف أهله بطش الحجاج، فاجتهدوا حـتى دخلوا عليه وكلموه في شأن ابنهم، وادعوا كذبا بأنه مجنون فقال لهم: إن أقرَّ بهذا خليت سبـيله، فاحتالوا على السجان حتى دخلوا إلى هذا الشاب، وقـالوا له: تظاهر بالجنون أمام الأمـير، لكنه رفض أن يتظاهر كذبًا أنه مجنون، وقـال لهم: معاذ الله أن أنكر نـعمة الله عليَّ، وأتظاهر كـذبًا بمرض قد عافاني الله منه. .

فلما بلغ الحجاج ذلك عفا عنه. .

فما أجمل أن يصدق المسلم مع الله، ومع نفسه، ومع الناس. .

ما أجـمل الصدق في الأقـوال والأفعـال والأحوال. . لكن الكذب شـؤم ووبال على صاحـبه. . قال ﷺ: «**تحروا الصـدق، وإن رأيتم فيه الهـلكة، فإن فيـه النجاة، وتجنبوا الكذب، وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة**»(١).

قال بعض الشعراء:

إذا مـــــــــا المـرء أخـطـأه ثـلاث
فـــبـــعـــه ولو بـكف مـن رمــــاد
ســــلامــــة صـــــدره والصـــــدق مـنه
وكــــتــــمــــان الســـرائر فـي الفـــؤاد

---

(١) **ضعيف**: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائطي في مكارم الأخـلاق وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٣٩٨).

كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: «**إياك أن تستعين بكذوب، فإنك إن تطع الكذوب تهلك**».

والكذب شرٌّ كله.. ليس هناك كذب أبيض، وآخر أسود، ولكنه أسود كله.. إلا من كان يصلح بين الناس، قال ﷺ: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيراً، أو ينمي خيراً**»(١).

قال ابن شهاب: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث المرأة زوجها.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح هذا الحديث:

قال القاضي: لا خلاف في جواز الكذب في هذه الصور، واختلفوا في المراد بالكذب المباح فيها، ما هو؟

فقالت طائفة: هو على إطلاقه، وأجازوا ما لم يكن في هذه المواضع للمصلحة، وقالوا: الكذب المذموم ما فيه مضرة، واحتجوا بقول إبراهيم عليه السلام: ﴿**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا**..﴾ [الأنبياء:٦٣] و﴿**إِنِّي سَقِيمٌ**..﴾ [الصافات:٨٩] وقوله: إنها أختي ـ على زوجته ـ وقول منادي يوسف: ﴿**أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**﴾ [يوسف:٧٠] قالوا: ولا خلاف أنه لو قصد الظالم قتل رجل هو عنده مختف، وجب عليه الكذب في أنه لا يعلم أين هو..

وقال آخرون منهم الطبري: لا يجوز الكذب في شيء أصلاً، قالوا: وما جاء من الإباحة في هذا: المراد به التورية، واستعمال المعاريض، لا صريح الكذب، مثل أن يعد زوجته أن يحسن إليها، ويكسوها كذا، وينوي إن قدر الله ذلك..

وحاصله أن يأتي بكلمات محتملة يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه..

وإذا سعى في الإصلاح نقل عن هؤلاء إلى هؤلاء كلاماً جميلاً، ومن هؤلاء إلى هؤلاء كذلك، وورَّى.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم.

وكذا في الحـرب، بأن يقول لعدوه: مـات إمامكم الأعظم، وينوى إمـامهم في الأزمان الماضـية، أو غدًا يأتينا مدد- أي طعـام ونحوه، وهذا من المعاريض المبـاحة، فكل هذا جائز. . وتأولوا قصة إبراهيم ويوسف عليهما السلام وما جاء من هذا على المعاريض. . والله أعلم.

وأما كذبه لزوجته وكذبها له، فالمراد به في إظهار الود، والوعد بما لا يلزم ونحو ذلك.

أما المخادعة في منع مـا عليه أو عليها، أو أخذ ما ليس له، أو لهـا، فهو حرام بإجماع المسلمين والله أعلم.

أحبتي الكرام...

وقبل أن أنتـهي من الحديث عن هذه الوصـية التي تحـذر من الكذب والكذابين، أود أن أنقل لكم هذا البـحث الذي يكشف لنا الإعـجـاز العلمي في القـرآن والسنة المطهرة، يقول العلـماء: وبعد الكثير من التـجارب وجد الباحثـون أن الإنسان عندما يقوم بالكذب في اللحظات الأولى تحدث تغيرات على وجهه تدوم لأجزاء من الثانية، ومعظم الناس لا يلاحظون هذه التغيرات، ولكن بالتصوير السريع تظهر هذه التغيرات بوضوح على معظم أجزاء الوجه.

ويؤكد البـاحثون في معظم الحـساب العصـبي أن أي عاطفة أو إحسـاس يمر بها الإنسان تولد تغيرات في وجهه ولكنها تمر سريعًا بحيث تصعب ملاحظتها.

ولذلك فقد طور هؤلاء البـاحثون برنامج كمـبيوتر يحلل تغيرات الوجـه بسرعة مذهلة، ويرصد أي تغيرات مهما كانت صـغيرة، ويقولون: إن التعابير التي تظهر في حالة الغضب، وتلك التي تـظهر في حالة الإحساس بالذنب وهكذا. والنتـيجة التي نصل إليها أن الأحاسيس التي يمر بها الإنسان تظهر على وجهه ولذلك قال تعالى في حق أولئك الملحدين، الذين ينكرون القرآن: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ..**﴾ [الحج: ٧٢] فقـد ربط القرآن بين تعابير الوجـه وبين ما يدور في دماغ هؤلاء من أحاسيس ومشاعر تجاه القرآن.

ويقول العلماء: إنَّ أي تصرف لدى تكراره بكثرة، فإنه يترك آثاره الواضحة على الوجه بالدرجة الأولى، حتى يصبح جزءًا من تعابير الوجه، ولذلك قال تعالى في حق المؤمنين، الذين يكثرون من السجود: ﴿ **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ..** ﴾ [الفتح: ٢٩].

وكذلك فإن هؤلاء المؤمنين يتميزون بوجوههم النضرة يوم القيامة نتيجة صدقهم ﴿ **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ..** ﴾ [المطففين: ٢٤].

أما الذين كانوا يكذبون في الدنيا تحشر وجوههم سوداء يوم القيامة من آثار الكذب قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾ [الزمر: ٦٠].

وفي تجربة جديدة أيضًا وجد العلماء أن هناك تغيرات تحدث للصوت أثناء الكذب، ومعظم الناس لا يلحظون هذه التغيرات، ولكن بعض العلماء صمموا برنامج كمبيوتر لتحليل الترددات الصوتية، وتبين لهم أن الإنسان بمجرد أن يبدأ بالكذب، فإن انحناء بسيط يحدث في المنحنى البياني الخاص بصوته، وهذا ما أخبر الله به حبيبه محمدًا ﷺ عن أولئك المنافقين، الذين يقولون عكس ما في قلوبهم.. ﴿ **وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ** ﴾ [محمد: ٣٠].

فقد أكد مولانا سبحانه أن النفاق والكذب يظهران على وجه صاحبهما.. ﴿ **فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ** ﴾ أي بالتعابير المرسومة على وجوههم، وأن هذا الكذب يظهر في قولهم، وفي صوتهم.. ﴿ **وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ** ﴾ ولحن القول هي تلك النغمة الخفيفة التي تظهر على الصوت أثناء الحديث، ومن ذلك الألحان واللحن أي التصنع في الصوت.

وهذه معجزة تشهد على صدق هذا القرآن، لأنه أخبرنا عن حقيقة علمية، لم تتكشف لنا إلا في القرن الحادي والعشرين، وهي علاقة الكذب بالوجه، وعلاقة الكذب بالصوت.

اللهم اجعلنا من الصادقين في الدنيا، واحشرنا مع الصادقين والصديقين في الآخرة، اللهم اجعلنا من الذين يسلمون وجوههم إلى الله عز وجل، ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين..

اللهم إنا نسألك إيمانًا يباشر قلوبنا، حتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ورضنا من العيش ما قسمت لنا..

اللهم اجعلنا ممن يخاف مقامك ووعيدك، ويرجو لقاءك، واجعلنا نتوب إليك توبة نصوحًا.. ونسألك عملاً متقبلاً.. وسعيًا مشكوراً، وتجارة لن تبور بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٦٣)

* احذروا الترف *

عن معاذ بـن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ لما بعث به إلى اليـمن، قال: «**إياك والتنعم، فإنَّ عباد الله ليسوا بالمتنعمين**»[1] صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله:..

هذه الوصية الكريمة المباركة كانت لصـحابي جليل من أصحاب الحبيب المصطفى ﷺ يحذره من الترف، والتنعم المبالغ فيـه، لأن التنعم بالمباح، وإن كان جائزًا، لكنه يوجب الأنس به.. فما هو الترف؟

الترف معناه في اللغة، كما جاء هنا في الوصية: التنعم الزائد، والمترف هو الذي أبطرته النعمة وأطغته.. ومن عادة الإنسان وطباعه الطغيان، وخاصة إذا أصابه الغنى والسلطان، إلا من عصمه الله بالإيمان.. ﴿**كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى**﴾ [العلق:٦، ٧] وهذه الظاهرة ما أكثـرها في أحوال الناس، فتجد الإنسـان وهو في قمة تنعمه بالنعمة تجده جبـارًا عنيدًا، لا يخاف العواقب، ولا يفكر في المصير، وكأن على بصره غشاوة.. مع أنه يرى كل يوم إنسانًا محمولاً على الأعناق، والناس يذهبون به إلى قبـره، تاركًا كل ثرواته، وكل شهـواته، وكل ما كان يتنعم به، ويذهب وحـيدًا فريدًا، ومع ذلك لا يتـعظ ولا يعتبـر.. وليس غريبًا أن تعمـى بصيرتـه، ويحجبـه حجـاب الغنى، فإن المتـرف قد وقع فريسـة لشبكة معـقدة من الأهواء والشـهوات، والمصالح المتشابكة والملذات التي ترتبت على استسلامه لحياة الترف.

أحبتي الكرام...

وقد ذكرت مادة الترف عدة مرات في القـرآن الكريم، في مواضع مختلفة، كلها

---

(١) **حسن**: رواه أحمد والبيهقي وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٥٣): رجال أحمد ثقات وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٦٦٨).

تفيد أنَّ عاقبة المترفين وخيمة وبيلة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ [الإسراء:١٦] وقال: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٤] والمترفون هم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر:١٥،١٦].

المترفون تراهم مدللون، مخنثو العزم، مائعو الإرادة، فالدنيا عندهم، كأس وغانية.. يعيشون لطلب الشهوات، والحصول على الملذات.. منطقهم: اليوم خمر، وغدًا أمر.. شعارهم: عيش الحياة اليوم، فتمتع بكل ما فيها، ووقت الله يدبرها الله وهذه الأوصاف نجدها تغلب على معظم شباب العصر، إنهم نشأوا في وسط عالم مادي.. الدين عندهم غائب.. لا علاقة للدين بالحياة عندهم.. الدين في المسجد ودور العبادة فقط.. الدين طقوس وشعارات.. الإنسان حر.. ولا حرج إن خرجت المرأة متبرجة متعطرة.. كاسية عارية.. ولا مانع من أن يتشبه الرجال بالنساء أو العكس فهناك حرية.. لا مانع من الاختلاط.. الزنا ما دام بالتراضي.. المال عندهم هو السلاح وقيمة المرء بما في جيبه.. ولعلنا نسمع في كل يوم مثل هذه الشعارات الكاذبة وحولها تدندن معظم وسائل الإعلام، حتى صدقها الكثير من الناس، حتى صارت عندهم مثل الحقيقة التي لا تقبل النقاش، وكل من يخرج عن هذه الأمور، وتلك الشعارات، يعتبر إرهابيًا.. يعتبر متشددًا متكلفًا.. إلى آخر هذه الأمور التي يرددها من لا يؤمنون بالله واليوم الآخر.. من نسوا أن الحياة دار ابتلاء ودار فناء إنهم لم يفكروا إلا فيما هم فيه فقط.. ولسان حالهم يقول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾ [البقرة:٢٠٠] يريدون عرض الدنيا، والله يريد الآخرة..

أحبتي في الله:

ولهذا نجد أن الحبيب المصطفى ﷺ نهى أصحابه الكرام عن التنعم، الذي يؤدي بهم إلى الترف.. وحضهم على البذاذة فقال لهم: **«البذاذة من الإيمان»**(١) أي رثاثة

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده وابن ماجه والحاكم عن أبي أمامة الحارثي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٧٩).

الهيئة، وترك الترفه، وإدامة التزين، والتنعم في البدن والملبس، إيثارا للخمول بين الناس من الإيمان، أي من أخلاق أهل الإيمان، إن قصد به تواضعًا، وزهدًا وكفًا للنفس عن الفخر والتكبر، لكن لو قصد إظهار الفقر، وصيانة المال، فليس هذا من الإيمان، بل يكون حينئذ معرضًا النعمة للكفران، ومعرضًا عن شكر المنعم المنان..

فالبذاذة من الإيمان، لأن التجمل المنهي عنه، ما كان على وجه الفخر والتعاظم والكبرياء.. وهذا الخبر لا يتناقض مع ما ورد أن النبي ﷺ كان إذا قدم عليه الوفد، لبس أحسن ثيابه، ولا يتناقض مع خبر: «**إنَّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»(١) لما ذكرنا ورسولنا ﷺ هو أسوتنا وقدوتنا، فكان يعطى أصحابه القدوة من نفسه فينام على الحصير، فيؤثر في جنبه، وتمر عليه الأهلة الثلاثة ولا يوقد في بيته نار ويربط الحجر على بطنه من شدة الجوع، لتستقيم الأمة من بعده على ترك الترفه الذي يخرج الإنسان عن الحد، الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم..

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاروق الإسلام يقول: اخشوشنوا، وتمعددوا، وانزوا على الخيل نزوًا، واقطعوا الركب، وامشوا حفاة.

ومعنى تمعددوا: أي اقتدوا بمعد بن عدنان وتشبهوا به في الزهد والتقشف، والزموا خشونة اللباس، ودعوا التنعم، وزيّ العجم.

وامشوا حفاة: فهو حث على التواضع، ونهي عن الإفراط في الترفه والتنعم.

ولأجل ذلك كان سلف الأمة ـ رضوان الله عليهم ـ يتركون الترفه والتنعم المؤديان إلى التعاظم والتكبر، والميوعة، وغير ذلك.. وكانوا يؤثرون الفقر، ويرون أنه أفضل لحال المرء، وكانوا يرون الغنى مضيعة للعلم، وضياع العلم، ضياع للدين..

قال أحدهم: الغنى أضيع لطالب العلم من الفقر..

وقال آخر: كثرة المال، وطيب العيش، تسد مسالك العلم إلى النفوس، فلا تتجه

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي والطبراني والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧١٢).

النفوس إلى العلم مع الترف غـالبًا. . فالغنى قد يسهل اللهـو ويفتح بابه، وإذا انفتح باب اللهو، سـد باب النور والمعرفة. . فلذائذ الحـياة وكثرتـها، تطمس نور القلب، وتعمى البصيرة. .

أما الفقـير، وإن شغله طلب القوت، فـقد سدت عنه أبواب اللهو، فـتشرق في نفسه أنوار الهداية. . وأنوار المعارف. .

وانظروا هذا الموقف اللطيف الذي جرى بين عالمين جليلين من علمـاء الأمة الإسلامية، فقـد اجتمع يومًا العـالم الجليل ابن حزم الأندلسي الفقـيه الظاهري صاحب كـتاب المحلى، اجتمع مع أبي الوليد الباجي الفقيه المالكي، وكان ذلك سنة ٤٤٠هـ فلما انقضت المناظرة قال أبو الوليد لابن حزم: اعذرني، فإن أكثر مطالعتي كانت على سُرج الحراسى. .

فأبو الوليد كان فقيرًا جدًا، لدرجة أنـه لا يجد مالاً يشترى به مصباحًا في داره، فاعتذر لابن حزم، لأن قراءته ومطالعته، ومذاكرته، وطلبه للعلم، كان على مصابيح الحراس الذين يمشون ليـلاً بمشاعلهم، ليحرسوا البلاد من اللصـوص، فكان هو يسير خلفهم في ضوء سرجهم ليذاكر العلم. . سبحان الله!. .

وهذا هو بقى بن مخلد- العالم الجليل- له مسند كمسند الإمام أحمد، وهو أول من نشر علم الحديث بالأندلس، كما ذكره الإمـام الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء يقول عنه أبو عـبد الملك: كانت تمضى عليه- أي على بقي بن مـخلد ـ رحمه الله ـ الأيام وقت طلبه للعلم، ليس له عيش إلا ورق الكرنب، الذي يُرمى[(١)]. .

سبحان الله!! يخرج هذا العالم الجليل الذي قال فـيه ابن حزم: ما صنف تفسير مثل تفسير بقى بن مخلد. . يخرج يبحث عن شيء يطعمه فلا يجد إلا ورق الكرنب الذي يرمى به في القمامة. . حتى أتى عليـه يوم باع فيه سراويله من أجل أن يشتري أوراقًا يكتب فيها، وجلس بلا سراويل. .

بل كان من سلفنا الصالح من يعتـبر الماء البارد منة من الله من أعظم المنن، التي

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٢) للذهبي وتذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٠).

ن لم يستوف شكرها فهي لا تصلح لأمثالهم، فيهجرون الشرب من الماء البارد، لنبعد عن الترف، والتنعم الخارج عن حده..

قال الجنيد ـ رحمه الله ـ: دخلت على الإمام السري، وهو يبكي فسألته، عن سبب بكائه فقال: جاءتني البارحة الصبية، فقالت: يا أبت، هذا الكوز، أعلقه لك يبرد، فنمت، فرأيت جارية من أحسن الخلق، نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟ فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرد.. فكسرت الكوز(١)..

قال تعالى: ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] قال بعض أهل العلم: النعيم الماء البارد قال ﷺ: «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له: ألم أصح لك جسمك؟ وأروك من الماء البارد؟!**»(٢).

فلنرب أبناءنا على التقشف والشدة، فالشدة هي التي تصنع الرجال، وترويض النفس يحتاج إلى زجرها وترغيبها على حد سواء، فلا بد من أن نعمل للغاية التي خلقنا لأجلها ومن أجلها، ونبذل كل وسعنا في طلب آخرتنا، فهي الباقية..

قال الشاعر:

ليس أمر المرء سهلاً كله
إنما الأمر سهول وحزون
ربما قرت عيون بشجى
مرمض قد سخت عنه عيون
تطلب الراحة في دار العنا
خاب من يطلب شيئًا لا يكون

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/ ١٥٣) للهيثمي.

(٢) **صحيح**: رواه ابن حبان في صحيحه والترمذي والحاكم وقال: صحيح الإسناد وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٢٢٣) والصحيحة (٥٣٩) وصحيح الجامع (٢٠٢٢).

أحبتي الكرام...

وتأتي أحداث التاريخ لتعطينا أدلة وبراهين عملية على صحة أن عاقبة المترفين إلى الهلاك، عندما انحصرت دولة الإسلام بالأندلس في غرناطة، وصارت دولة الصليب بأسبانيا محيطة بهم، كما كان الحال في المدينة المنورة أول ما فتحها رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.. أحاطت بهم دولة الصليب من كل مكان، فكان هذا يقتضي من أهل غرناطة أن يظلوا دائمًا معتصمين بدينهم وإيمانهم، وعلى أعلى درجات الاستعداد والجهاد.. لكن كان الأمر مغايرًا تمامًا ففي سنة ٨١٠هـ تولى أمر غرناطة رجل اسمه [يوسف الثالث] من نسل بني الأحمر، وكان أول ما سعى له بعد أن وصل للحكم هناك، أن يقوم بمعاهدة سلام مع الصليبيين في قشتالة [أسبانيا النصرانية] لمدة عامين، فوافق الصليبيون، لضعفهم في تلك الفترة، فلما مضت المدة، وشعر الصليبيون بقوتهم أرادوا الزحف على غرناطة، فطلب منهم يوسف الثالث تجديد المعاهدة، لكنهم رفضوا، وأغاروا على مدينة (أنتقيرة) وأخذوها، مما اضطر يوسف للخضوع لهم بشروط مهينة، ووافق الصليبيون على المعاهدة.

فماذا فعل أهل غرناطة أثناء تلك المدة؟

اسمعوا لوصف مؤرخي الأندلس من مسلمين وصليبيين لحال غرناطة، أثناء معاهدة السلم المؤقتة.. إنها حالة تنبئكم بعاجل السقوط وعاقبة المترفين كان عند المعتمد بن عباد أحد حكام الأندلس زوجة وبنات، وكانوا يعيشون في الترف والنعيم والحبور والقصور، وفي يوم من الأيام اشتهت هذه الزوجة أن تخوض في الطين.. مثل نساء الفقراء والمساكين..

سبحان الله! لاحظوا أذواق المترفين.. إنها عندها من الطعام والشراب والفراش الوثير، والجواهر، والدرر، والجواري والخدم، الشيء الكثير، وأشياء أخرى كثيرة ولكنها اشتهت أن تحمل قربة الماء، وتخوض بها في الطين، لتملأها مثل الجواري والخدم ولكن أين الطين، الذي ستخوض فيه زوجة هذا الحاكم؟!

قام المعتمد بن عباد، وأمر الحاشية بأن تأتيه بالمسك والكافور، ويعجن بماء

الورد، ويوضع طينًا على مسافات هائلة من الأرض في القصر، ويرش عليه ماء الورد، ثم أعطيت الزوجة قربة فاخرة فيها خيوط من الحرير، وصارت تحملها على كتفها وبناتها ووصيفاتها من خلفها، وتمشي في ذلك الطين، وقد فعلت، فحققت رغبتها..

هذه لذات المترفين.. وماذا بعد؟

مات المعتمد بن عباد في أغمات مأسورًا وبناته كنّ في الأطمار البالية، لا تكاد تجد الواحدة منهن ما يستر عورتها، فلما رأى والدهم هذا المشهد، وكان شاعرًا فحلاً، قال أبياتًا كثيرة يتذمر فيها من حاله ومآله، ومن ضمن هذه الأبيات يقول:

في ما مضى كنت بالأعياد مسرورًا
فجاءك العيد في أغمات مأسورًا
ترى بناتك في الأطمار جائعة
يغزلن للناس ما يملكن قطميرًا
برزن نحوك للتسليم خاشعة
أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن في الطين والأقدام حافية
كأنها لم تطأ مسكًا وكافورًا
من بات بعدك في ملك يُسر به
فإنما بات بالآمال مغرورًا

فتلك عاقبة الترف والمترفين المسرفين..

فهذا بيان ودليل على أن الترف مفسد للنفوس، ومقس للقلوب، ينسي العبد مقامه بين يدي رب العالمين، ويصرفه عن نفسه، لذلك حذر سيدنا رسول الله ﷺ من ذلك، فقال: «**ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا**

عليكم، كما بسطت للذين من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»(١).

أحبتي الكرام...

إن الداء ليس في أصل النعمة التي يمن الله عز وجل بها على العباد، إذا أنعم الله على إنسان بنعمة، فالخطأ ليس في أصل النعمة، ولكن في الإنسان الذي يوهب له تلك النعمة، فيتغير حاله، ويبارز ربه بالعظائم والمنكرات، ويسخر تلك النعمة والأموال والقوة للفساد في الأرض، والصّد عن سبيل الله، ومحاربة الله ورسوله والعياذ بالله- وليس المقصود بأن يفهم الناس أن المطلوب من أهل الإيمان في عصرنا أن يكونوا فقراء.. أو أن الغنى شر كله.. أو أن الفقير المؤمن، أعظم وأفضل من الغني المؤمن.. ليس هذا هو المقصود.. فقد يكون الغني الشاكر أفضل وأعظم ثوابًا عند الله عز وجل من الفقير الصابر، فقد أعطى الله عز وجل نبيه سليمان عليه السلام الملك والغنى، استجابة لدعائه: ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**﴾ [ص:٣٥].

وسيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كان مليارديرالصحابة، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وعبد الله بن المبارك رحمه الله وغيرهم من سلف هذه الأمة ومسألة الغنى والفقر، ليس لأحدهما فضل إلا بتقوى الله عز وجل، فأيهما أعظم إيمانًا وتقوى كان أفضل من الآخر.. ولكن ربما يكون الفقر لبعض الناس مصلحة وفيه نفع له من أن يكون غنيًا.. كما تكون الصحة لبعض الناس أنفع من المرض، وبعضهم يكون المرض أنفع له.. كما جاء في الأثر الذي رواه البغوي وغيره عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ومولاه: «**إنَّ من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقرته، لأفسده ذلك. وإنَّ من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته، لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الصحة، ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإنَّ من عبادي من لا يصلحه إلا السقم، ولو أصححته، لأفسده ذلك، إني أدبر عبادي، وإني بهم لخبير بصير»**(٢).

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) أخرجه البغوي وغيره وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٧٥).

وقد ورد قول النبي ﷺ: «**إنَّ فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم**»(١) ونصف يوم يعني خمسمائة سنة. . ﴿وإنَّ يومًا عند ربك كألف سنةٍ مما تعدُّون﴾ [الحج:٤٧] لماذا يدخلون الجنة قبل الأغنياء؟

لأن حساب الفقراء أخف من حساب الأغنياء، ثم إذا حوسب أحدهم، فإن كانت حسناته أعظم من حسنات الفقير، كانت درجته في الجنة أعلى، حتى ولو كان متأخرًا في الدخول. . فليست العبرة بالغنى ولا بالفقر. . المهم الرضا عن الله عز وجل، وعدم التسخط، وعدم البطر. . «**عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له**»(٢).

والمؤمن دائمًا يتذكر قول الله عز وجل: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

والله سبحانه وتعالى قد يعطي العبد، وهو مقيم على معصيته، ويكون ذلك استدراجًا كما في الحديث: «**إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب، وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج**»(٣) ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء:١٨] قال سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ: يؤتون ثواب ما عملوا في الدنيا، وليس لهم في الآخرة من شيء. .

وقال قتادة ـ رحمه الله ـ: من كانت الدنيا همه، وسدمه وطلبته ونيته وحاجته، جزاه الله بحسناته، في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة، ليس له فيها حسنة، وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا، ويثاب عليها في الآخرة. .

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥، ١٦].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي وابن حبان وقال الترمذي: حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣١٨٩).

(٢) رواه مسلم.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد والطبراني في الكبير، صححه في صحيح الجامع (٥٦١) وسبق تخرجه.

اللهمَّ يا غني يا كريم. .أكرمنا بكرمك. . واغننا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عـمن سـواك. . لا تكلنا إلى أنفـسنا طرفـة عين فنهلك. . ارحم ضـعـفنا. . وتول أمـرنا. . وأحسـن عاقـبـتنا. . اللهمَّ ارحـم من لا راحم له سـواك. . ولا ناصـر له سواك. . ولا مأوى له سواك. . ولا مغيث له سواك. .

اللهمَّ كن للمستضعفين عـونًا، وللمضطهدين سندًا، اللهمَّ فرج هم المهمومين. . وأزل كرب المكروبين. . وزلزل الأرض تحت أعـدائك أعداء الدين. . ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا، يا أرحم الراحمين. . يا رب العالمين. .

❐ ❐ ❐

الوصية رقم (٦٤)

* احذروا مخالطة الرجال بالنساء *

عن عقبة بن عـامر الجهني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء**».

فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟

قال: «**الحمو الموت**»[١] صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام...

هذه وصية جليلة القدر، رفـيعة الشأن، ففيهـا أسلوب تحذير للرجال والنساء من خطورة الاختلاط، ومفاسده..

والمراد بـ (الحمـو) هم أقارب الزوج غيـر آبائه وأبنائه، فأمـا الآباء و الأبناء فهم محارم للزوجة، يجوز لهم الخلوة بها.. والمراد الأخ وابن الأخ، وأبناء العم ونحوهم ممن لا يجوز لهم الخلوة بالزوجة.

ومعنى (الموت) هنا: أي الخوف منه، والفتنة المتوقعـة منه أكثر من غيره، لتمكنه من الوصول إلى المرأة، والخلوة بها من غيـر أن ينكر عليه أحد، بخلاف الأجنبي.. كما ذكره النووي في شرح مسلم.

قـال الطبـري: المعنى أن خلوة الرجل بامـرأة أخيـه، أو ابن أخيـه تنزل منزلة الموت.. وقال القرطبي: وإنما بالغ في الزجر عنه، وشـبهه بالموت، لتسامح الناس به من جهة الزوج والزوجـة، لإلفهم بذلك، حتى كأنه ليس بأجـنبي من المرأة، فخرج هذا مـخرج قـول العـرب: الأسـد الموت، والحرب الموت.. أي لقـاؤه يفـضى إلى الموت.. وكذلك دخوله على المرأة قـد يفضى إلى موت الدين أو إلى موتهـا بطلاقها عند غيرة الزوج، أو إلى الرجم إن وقعت الفاحشة.

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وغيرهم.

أحبتي في الله:..

الاختلاط بين الرجال والنساء، خطر جسيم، وشرٌّ عظيم، قال تعالى: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبرجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى..** ﴾ [الأحزاب:٣٣] وقد بلغ من عناية الإسلام أن أمر بالمباعدة بين أنفاس الرجال وبين أنفاس النساء.. وأمر رسول الله ﷺ وأصحابه الأخيار الأطهار حين يسألون نساءه الطاهرات، أن يكون بينهم وبينهن حجاب وستر، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ..** ﴾ [الأحزاب:٥٣].

كانت امرأة تطوف بالبيت الحرام، فتعرض لها عمر بن أبي ربيعة الشاعر، وكان وقحًا، فأعرضت عنه وزجرته، فتركها، ثم امتنعت عن السير وحدها بمكة المكرمة.. في طواف أو غيره..

وبينما هي سائرة في يوم من الأيام، إذ رآها ذلك الشاعر، ومعها أخوها، فانصرف مسرعًا، ولم يتعرض لها، فأنشدت:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له

وتتقي صولة المستأسد الحامي

فبلغ ذلك الحديث الخليفة العباسي (المنصور) فقال: أحب أن لا تبقى فتاة في خدرها إلا سمعت هذا الحديث، لكيلا تتعرض المرأة للرجال الأجانب إلا ومعها محرم يقيها منهم..

فياليت بناتنا ونساءنا يسمعن هذا الحديث ويعملن به، فتحرص المرأة المسلمة على أن تكون دائمًا في حماية رجلها، ويحرص الرجل على أن تكون زوجته في حمايته حفظًا للأعراض، وقطعًا لوسوسة الشيطان، وسدًا لطرق الغي والضلال..

أحبتي الكرام...

وفي حياتنا هذه نرى النساء يدافعن الرجال ويزاحمنهم في كل طريق في الأسواق، في الجامعات، في النوادي، في كل مكان.. حتى في بيت الله الحرام،

وحول الكعبة المشرفة.. ألا يعلم هؤلاء أن أستاذ البشرية ورسول الإنسانية ﷺ قد خصص في مسجده المبارك بابًا للنساء من أجل أن لا يختلط الرجال بالنساء..

قال نافع: لما خصص النبي ﷺ باب النساء، قال عبد الله بن عمر: والله لن أدخل منه أبدًا، فما دخل منه عبد الله حتى توفاه الله عز وجل.

وهو باب معروف الآن في المسجد النبوي يسمى بباب النساء، وهو إلى جوار باب جبريل عليه السلام..

وكانت المرأة في العهد النبوي تستحي من الرجال، كانت النساء لا تزاحمن الرجال، لا في الطرقات، ولا في المساجد، وإنما كانت تطوف بالبيت الحرام بعيدة عن أعين الرجال.. بعيدة عن المزاحمة..

لما جاءت امرأة إلى أم المؤمنين عائشة ﵂ وقالت لها: قومي بنا نستلم الحجر، فقالت لها السيدة عائشة ﵂: انطلقي، إليك عني، ورفضت أن تقوم معها، خشية أن تزاحم الرجال..

وعن أبي أسيد الأنصاري ﵁ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد، حين اختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال للنساء: «**استأخرن، فإنه ليس لكُنَّ أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق**» فكانت المرأة تلصق بالجدار، حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به[(١)]..

وعن أبي سعيد قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله..

فقال: «**اجتمعن في يوم كذا وكذا، في مكان كذا وكذا**» فاجتمعن، فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله تعالى[(٢)]..

---

(١) **حسن**: رواه البيهقي في شعبه (٧٥٧٦) وأبو داود وحسنه الألباني في الصحيحة (٨٥٦) وصحيح الجامع (٩٢٩) وصحيح سنن أبي داود (٥٢٧٢).

(٢) رواه البخاري وغيره.. وقال ابن بطال في شرحه: قال: قال المهلب: فيه من الفقه أن العالم إذا أمكنه أن يحدث بالنصوص عن الله ورسوله، فلا يحدث بنظره ولا قياسه، لأن النبي ﷺ =

فلو كان الاختلاط بين الرجال والنساء جائز، لما خصص الرسول ﷺ لهن مجلسًا خاصًا يرشدهن فيه إلى أمور الدين، بل منع الإسلام من الاختلاط في المسجد، فجعل للرجال مكان، وللنساء مكان، بل فضل آخر صفوف النساء على غيره من صفوفهن لبعده عن مكان الرجال، فقال ﷺ: «**خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**»[١].

وفي حديث أسماء بنت أبي بكر ﵄ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من كن يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا ترفع رأسها حتى يرفع الرجال رءوسهم، كراهة أن يرين من عورات الرجال**»[٢].

وفي حديث عائشة ﵂ قالت: كان ﷺ يصلي الصبح بغلس فتنصرف نساء المؤمنين، لا يعرفن من الغلس[٣]. .

يقول ابن بطال ـ رحمه الله ـ: هذه السنة المعمول بها أن تنصرف النساء في الغلس- أي الظلام- قبل الرجال، ليخفين أنفسهن، ولا يتبين لمن لقيهن من الرجال.. فهذا يدل أنهن لا يقمن في المسجد بعد تمام الصلاة، وهذا كله من باب قطع الذرائع، والتحظير على حدود الله، والمباعدة بين الرجال والنساء، خوف الفتنة، ودخول الحرج، ومواقعة الإثم في الاختلاط بهن[٤].

أحبتي الكرام..

ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من

= حدثهم حديثًا عن الله لا يبلغه قياس ولا نظر، وإنما توقيف ووحي، وكذلك ما حدثهم به من سنة فهو عن الله لقوله تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾ ولقوله: أوتيت القرآن ومثله معه قال أهل العلم: أراد بذلك السنة التي أوتي.. وفيه سؤال الطلاب العالم أن يجعل لهم يومًا يسمعون فيه العلم، وإجابة العالم إلى ذلك وجواز الإعلام بذلك المجلس للاجتماع فيه.

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٢) **صحيح**: صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٨٥١).

(٣) رواه البخاري.

(٤) شرح ابن بطال (٤/ ٨٤).

عظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة.. واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا.. لما اختلط البغايا بعسكر موسى عليه السلام، وفشت فيهم الفاحشة، أرسل الله عز وجل عليهم الطاعون، فمات في يوم واحد سبعون ألفًا..

وأعداء الإسلام يحبون ذلك لنا.. يحاربوننا بالمرأة، فهي أشد الأسلحة فتكًا بالرجال.. ألم يقل سيد الرجال ﷺ: «**ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء**»(١).

تقول إحدى الداعيات الكافرات (أنا ميليجان): ليس هناك طريق لهدم الإسلام أقصر مسافة من خروج المرأة المسلمة سافرة متبرجة.

وتقول كاتبة إنجليزية تدعى (اللادي كوك): إنَّ الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط، تكون كثرة أولاد الزنا، وههنا البلاء العظيم على المرأة..

ولقد أثبتت الدراسات كذب وافتراء ما نشره عبيد المدينة الغربية، وعبيد التطور، كانوا يقولون: إن الاختلاط يهذب غريزة الرجل..

يقولون: إن الاختلاط يخفف من الكبت الجنسي بين الرجل والمرأة..

فعلام هذا الغلو والتطرف؟!

مهلاً.. مهلاً يا دعاة الاختلاط.. اقرءوا الدراسات والإحصائيات، لكي تعلموا أن كثرة الاختلاط كثرة للجرائم والفواحش والزنا والعياذ بالله.. في الستينيات زارت الكاتبة الأمريكية (هيلين ستانبري) مدينة القاهرة- وفي مؤتمر صحفي- هكذا- سألها أحد المحررين بصحيفة الجمهورية عن رأيها في المرأة المصرية، والمرأة الأمريكية!

لقد أجابت- مع أنها امرأة كافرة- فقالت: إنَّ مجتمع المسلمة مجتمع كامل، وسليم ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده..

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٩٧).

وقالت: إن هـذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي، فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة، وتحتم احترام الأب والأم، بل وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التي تهدد المجتمع والأسرة في أوربا وأمريكا..

ثم تواصل حديثها ناصحة فتقول: ولهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم، وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط.. وقيدوا حرية الفتاة.. بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من الإباحية والانطلاقة، ومجون أوروبا وأمريكا.. امنعوا الاختلاط.. لقد عانينا منه في أمريكا كثيرًا، ولقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعًا معقدًا، مليئًا بكل صور الإباحية والخلاعة.. وإن ضحايا الاختلاط يملئون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية.

أحبتي الكرام...

إن الإسلام بمنعه الاختلاط بين الجنسين، يريد أن يقيم حاجزًا بين الفضيلة وبين الرذيلة.. ويعمل على احترام المرأة، ويحافظ عليها، كما يحافظ المرء على جوهرة ثمينة.. وقد فهمت نساء العصر الأول ذلك، فكن عن الاختلاط بعيدات، ومن ربهن خائفات، وبدينهن متمسكات، لذا قال عنهن رسول الله ﷺ: «**خير النساء من تسرك إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك**»(١).

أما في زماننا فأصبحت المرأة تخالط الرجال في زينتها الفاتنة، ولباسها الفاضح.. تخالط الرجال الأجانب في الأفراح، والمتنزهات، والمصايف في الإسكندرية، وفي غيرها من بلاد الشواطئ، حيث التهتك ظاهر، والحياء مقبور ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

وكثرت الخلوة بين الرجال الأجانب والنساء في الملاهي وفي المحلات، وفي الأعمال ورسول الله ﷺ قال: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما..**»(٢).

تأملوا حال النساء المحجبات وما يحيط بهن من الحياء، والبعد عن مزاحمة

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني عن عبد الله بن سلام وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٩٩).
(٢) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي والحاكم وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٦).

الرجال في الأسواق وغيرها.. وقارنوا بينها وبين المرأة السافرة الفاجرة وهي تحادث رجلاً أجنبيًا فاجرًا، تظن من حالهما أنهما زوجان بعقد أُشهد عليه سيدنا أبو هريرة ﷺ ولو رآها زوجها الديوث وهي على هذه الحال، لما تحركت منه شعرة، لموات غيرته.. نعوذ بالله من موت الغيرة، ومن سوء المنقلب..

أين هؤلاء الأزواج من أعرابي رأى من ينظر إلى زوجته، فطلقها غيرة على المحارم، فلما عوتب في ذلك، قال قصيدته الهائية المشهورة، ومنها:

وأترك حبها من غير بغض

وذاك لكثرة الشركاء فيه

إذا وقع الذباب على طعام

رفعت يدي ونفسي تشتهيه

وتجتنب الأسود ورود ماء

إذا رأت الكلاب ولغنَ فيه

أين هؤلاء الأزواج من أعرابية سقط نصيفها- أي خمارها- عن وجهها، فالتقطته بيدها، وغطت وجهها باليد الأخرى، وفي ذلك قيل:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه

فتناولته واتَّقَتْنا باليد

أحبتي في الله:..

فكم من رجل تحطمت حياته، وساءت معيشته، وضاعت ثروته نتيجة للاختلاط الذي حرمه الله عز وجل!

وكم من امرأة ضاع شرفها بسبب الاختلاط المحرم، والشرف إذا ضاع **لا يعود!**

إذا كثر التبرج والاختلاط، كثرت الفواحش، والنبي المصطفى ﷺ يقول مخاطبًا الأمة المحمدية في شخص المهاجرين: «**يا معشر المهاجرين: خمس إذا ابتليتم بهن،**

وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[1].

أحبتي الكرام...

اسمعوا لهذا النداء الإيماني من الرحمن الرحيم جل جلاله يقول فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ورسولكم يقول: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته..»[2].

فامنعوا زوجاتكم من التبرج والاختلاط.. امنعوا بناتكم، فأنتم موقوفون مسئولون أمام الله عز وجل.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في الطرق الحكمية ص٣٢٤-ص٣٢٦، مختصره: (ومن ذلك: أن ولي الأمر يجب عليه أن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق) والفَرج، ومجامع الرجال.

فالإمام مسئول عن ذلك، والفتنة به عظيمة..

ويجب عليه- أي ولي الأمر أو الإمام- منع النساء من الخروج متزينات متجملات ومنعهن من الثياب التي يكن بها كاسيات عاريات، كالثياب الواسعة والرقاق، ومنعهن من حديث الرجال في الطرقات، ومنع الرجال من ذلك.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه البيهقي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٩٧٨).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

وإن رأى ولي الأمر أن يفسد على المرأة- إذا تجملت وتزينت وخرجت- ثيابها بحبر ونحوه، فقد رخص في ذلك بعض الفقهاء وأصاب.. وهذا من أدنى عقوبتهن المالية.

وله أن يحبس المرأة إذا أكثرت الخروج من منزلها، ولاسيما إذا خرجت متجملة، بل إقرار النساء على ذلك إعانة لهن على الإثم والمعصية، والله عز وجل سائل ولي الأمر عن ذلك.

وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ النساء من المشي في طريق الرجال، والاختلاط بهن في الطريق..

فعلى ولي الأمر أن يقتدي به في ذلك..

وقال الخلال في جامعه: أخبرني محمد بن يحيى الكحال، أنه قال لأبي عبد الله: أرى الرجل السوء مع المرأة؟

قال: صِحْ به.. وقد أخبر النبي ﷺ أن المرأة إذا تطيبت وخرجت من بيتها فهي زانية، ويمنع المرأة إذا أصابت بخوراً أن تشهد عشاء الآخرة في المسجد، قال النبي ﷺ: «**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»(١) ا.هـ.

تأملوا امرأة في الثلاثين من عمرها، والأربعين، تلهث وراء الأتوبيس، وتختلط بهذا وذاك حتى تصل إلى عملها..

وفتاة في العشرين من عمرها.. في قمة الشباب تتدافع الأيدي في عربات المواصلات، وهي تتحامل حتى تصل إلى كليتها، أو معهدها، أهكذا يكون العمل؟ أم هكذا يطلب العلم؟! حتى لو كان هذا العلم شرعياً؟

نعم ربما تكون تلك المرأة في حاجة ماسة إلى الأموال التي تتقاضاها من عملها، لكن أيكون ذلك على حساب دينها وشرفها؟

(١) **صحيح**: رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٩٠).

نعم، ديننا قد حض على طلب العلم، وجعله فريضة، لكن هل يبدأ في طلب العلم بمعصية الله عز وجل؟!

فيـــادرة حـــفظت بالأمس غـــاليـــة
واليـــوم يبـــغـــونها لـلهـــو واللـعب
يا حـــرة قـــد أرادوا جـــعلهـــا أمـــة
غـــريبـــة العـــقل غـــريبـــة النسب
هل يـســتــوى مَنْ رســـول الله قـــائده
دومًـــــا وآخـــــــر هـاديه أبـو لـهـب
وأين مـن كـــانت الـزهراء أســـوتـهـــا
ممن تـقـــفت خـطى حـــمـــالة الحطب
فـــلا تبـــالى بما يـلقـــون من شـبـــه
وعندك الـشـــرع إن تدعـــيـه يـســتـــجب
سلـيــه.. من أنـا؟ من أهلي؟ لمن نســبى؟
للـغـــرب أم أنـا للإســـلام والعـــرب
لمن ولائي؟ لمن حـــبي؟ لمن عـــمـلي؟
لله أم لـدعـــــــــاة الإثـم والـكـذب؟
همـا سـبـيـلان يـا أخـتـاه مـالهـمـا
من ثالث فـاكـسـبي خيـرًا أو اكتـسـبي
ســـبـــيـل ربك والقـــرآن منهـــجـــه
نـور مـن الله لم يـحـــــجب ولم يـغـب

فـاسـتـمـسكـي بعـرى الإسـلام وارتـفـعي

بالنـفس من حـمـــأة الفـــجـــار واجـــتـنبي

صـوني حـــيـاءك..صـوني العـــرض لا تهني

وصـــابـري واصـــبـــري لله واحـــتـــســـبي

اللهم ردنا إلى الإسلام رداً جميلاً. . اللهم انصرنا على أعدائنا. . وانصرنا على شيطاننا وانصرنا على شهواتنا. . اللهم احفظ بناتنا. . واحفظ نساءنا. . وسلم شبابنا. .

اللهمَّ هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إمامنا. .

اللهم استر عوراتنا. . وآمن روعاتنا. . واهدنا واهد بنا واجعلنا سببًا لمن اهتدى. . وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد. .

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٦٥)
إن الله لا يحب المسبلين

عن المغيرة بن شعبة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يا سفيان بن سهل، لا تسبل، فإنّ الله لا يحب المسبلين**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام...

كونوا من المنفذين لهذه الوصية، التي أوصاها رسولنا وحبيبنا محمد ﷺ للأمة الإسلامية في شخص الصحابي الجليل سفيان بن سهل ﷺ حيث رآه النبي ﷺ مسبلاً إزاره، فأوصاه ناهيًا إياه أن يسبل إزاره، وفي بعض الروايات أن رسول الله ﷺ أخذ بحجزته.. وذلك خطر ما كان عليه سفيان ﷺ.

أحبتي في الله:..

إنَّ الله عز وجل قد أنعم على بني آدم بنعم لا يحصون عددها، ولا يطيقون شكرها.. ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا**..﴾ [النحل:١٨].

وإن من هذه النعم العظيمة التي أنعم الله بها على خلقه، نعمة اللباس يقول مولانا جل شأنه في معرض الامتنان ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ**﴾ [النحل:٨١].

وقال جل في علاه: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ**..﴾ [الأعراف:٢٦] وهذه الآية الكريمة المباركة وضحت لنا أن هناك أنواعًا ثلاثة من اللباس.. أتدرون ما هي؟ إنهما نوعان حسيان، وآخر معنوي، فما هما النوعان الحسيان؟ وما هو اللباس المعنوي؟

---

(١) **حسن**: رواه أحمد في مسنده والبيهقي وابن حبان وحسنه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٢٠٣٩) والصحيحة (٤٠٠٤) وصحيح سنن ابن ماجة برقم (٣٥٧٤).

الأول الحسي: هو ذلكم اللباس الذي يواري العورات، ويستر السوءات وهو ضروري لستر عورة بني آدم..

وأما النوع الثاني الحسي: هو لباس يتجمل به المرء (وريشًا) هو ليس بضروري، ولكنه يحسن الهيئات، ويجعل للزينات..

وأما اللباس المعنوي، وهو أعظم هذه الأنواع وأهمها، إنه لباس التقوى قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦] اللباس الذي يوارى العورات سهل ميسور يمكن لأي شخص أن يحصل عليه، لكن لباس التقوى، عزيز ونادر الحصول عليه، فلربما تجد بعض الناس يغير ملابسه في اليوم الواحد أكثر من عدة مرات، لكنه بعيد كل البعد عن اللباس المعنوي. لباس التقوى. ذلك اللباس الذي يدوم ويستمر مع صاحبه في دنياه وأخراه..

لباس التقوى لا يستطيع الإنسان أن يحصل عليه بالمال، ولا بالسيارات، ولا بالعقارات، ولكن يمكن الحصول عليه بالرجوع إلى الله عز وجل، والتوبة إليه، والندم على ما سبق من الذنوب والمعاصي، وفعل الخيرات، والتقرب إلى خالق الأرض والسموات..

يمكن أن تحصل عليه بقراءة القرآن، والمحافظة على فرائض الله، واجتناب ما حرم الله عز وجل..

أيها الأحبة الكرام...

لقد صارت ظاهرة عجيبة، وآفة قبيحة، وداء غريب بين الناس في عصرنا هذا، خاصة بين الشباب.. إنها آفة الإسبال.. إسبال الملابس أسفل الكعبين وجرها..

وهذه الظاهرة الآثمة تتنافى تمامًا مع التقوى التي هي أعظم لباس للإنسان.. ومنافية للمروءة والأخلاق الحميدة التي أمرنا بها الشارع الحكيم لأن فيها إعراض عن أوامر الرسول الأعظم ﷺ ونواهيه ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن الإسبال، لما فيه من الكبر والخيلاء وهذا مكروه شرعًا، ومذموم طبعًا، بل إنه من كبائر الذنوب، التي

توعد صاحبها بالنار، إن لم يتب منها في الحياة الدنيا، فإن مات صاحبها ولم يتب منها، فهو تحت مشيئته تعالى، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه..

ومن العلماء الذين اعتبروا الإسبال كبيرة من الكبائر.. الإمام ابن حجر الهيتمى في كتابه (الزواجر عن اقتراف الكبائر) وكذلك الإمام الذهبي في كتابه (الكبائر) لما صرحت الأحاديث من شدة الوعيد عليها..

فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**» قالها رسول الله ﷺ ثلاث مرارٍ.. قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «**المسبل والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذبة**»(١).

وفي رواية: «**المسبل إزاره**» والمسبل هو الذي يطول ثيابه، ويرسله إلى الأرض.. وقال ﷺ: «**إنَّ الله عز وجل لا ينظر إلى مسبل الإزار**»(٢) أي لا ينظر إليه نظر رحمة..

وقال ﷺ: «**المسبل في صلاته، ليس من الله في حل ولا حرام**»(٣) أي لا يؤمن بحلال الله، وحرامه، وليس من دين الله في شيء..

وقد ورد أن المسلم الذي يلبس ثيابًا طويلة تحت الكعبين يعذب بالنار قال ﷺ: «**ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار**»(٤).

وعن عمر بن الرشيد رضي الله عنه قال: أبصر رسول الله ﷺ رجلاً يجر إزاره، فأسرع إليه، أو هرول، قائلاً له: «**ارفع إزارك واتق الله**» فقال الرجل: إني أحنف تصطك ركبتاي..

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

(٢) **صحيح**: رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم (٥٣٣٢) والصحيحة برقم (١٦٥٦).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود وغيره وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٢٠٤١).

(٤) رواه البخاري والنسائي وذكره الألباني في صحيح الجامع (٥٥٢٩).

فقال: «**ارفع إزارك، كل خلق الله حسن**»(١).

يقول الراوي: فما رئي ذلك الرجل بعد، إزاره يصيب أنصاف ساقه. يا سبحان الله.. ورسول الله ﷺ وسيد الخلق، وإمام الدعاة، يهرول أو يسرع خلف رجل من عامة المسلمين، لكي يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر! فهذا والله إن دل على شيء، فإنما يدل على أهمية الأمر وخطورته وعن الأشعث بن سليم قال: سمعت عمتي تحدث عن عمها، قال: بينما أنا أمشي بالمدينة، إذا بإنسان خلفي، يقول: «**ارفع إزارك، فإنه أتقى**» فإذا به رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إنما هي بردة ملحاء قال: «**أمَا لك فيَّ أسوة؟**» فنظرت، فإذا إزاره إلى نصف ساقيه وقال صلوات ربي وسلامة عليه لجابر ابن سليم: «**إياك وإسبال الإزار، فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة**»(٢).

فإسبال الإزار حرام قطعًا للأحاديث المتقدمة، ولم ينقل عن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أنه كان يسبل ثوبه أسفل الكعبين. قال أبو بكر بن العربي رحمه الله: لا يجوز للرجل أن يجاوز بثوبه كعبه، ويقول: لا أجره خيلاء، لأن النهي قد تناوله لفظًا، ولا يجوز لمن تناوله اللفظ حكمًا أن يقول: لا أمتثله، لأن تلك العلة ليست فيَّ، فإنها دعوة غير مسلمة، بل إطالته ذيله دالة على تكبره(٣).. ا.هـ.

وأما من احتج بحديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه وما جاء في استرخاء ثوبه عليه، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من جر ثوبه خيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة**».

قال أبو بكر: يا رسول الله، إنَّ أحد شقي إزاري يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال النبي ﷺ: «**لست ممن يصنعه خيلاء**»(٤) فيجاب على ذلك: أنه ليس في هذه القصة حجة من وجهين:

---

(١) **صحيح**: السلسلة الصحيحة رقم (١٤٤١).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني في المشكاة (١٩١٨) وصحيح الترغيب (٢٧٨٢) وصحيح سنن أبي داود (٤٠٨٤).

(٣) فتح الباري (١٦/٣٣٦) لابن حجر العسقلاني.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي

الأول: أنَّ أبا بكر ﵁ قال: إنَّ أحـد شقي ثوبي يسـترخى إلا أن أتعاهد ذلك منه فهو لم يرخ ثوبه اخـتيالاً منه، ولم يقصده، ومع ذلك كان يتـعهده، لكن الذين يسبلون، ويزعمون أنهم لم يقصدوا الخيلاء يرخون ثيابهم عن قصد، فنقول لهم: إن قصدتم إنزال ثيـابكم إلى أسفل من الكعبين بدون قصد الخيـلاء، عذبتم على ما نزل فقط بالنار، وإن جـررتم ثيابكم خـيلاء عذبتم بما هو أعظم من ذلك، فـلا يكلمكم الله، ولا ينظر إليكم، ولا يزكيكم، ولكم عذاب أليم.

الوجه الثـاني: أن الذي زكى أبا بكر ﵁ وشهد له بأنه لم يصنع ذلك خـيلاء، إنما هو الحبيب المصطفى ﷺ فهل نال أحد من هؤلاء تلك التزكـية والشهادة؟ ولكن الشيطان يفتح لبـعض الناس اتباع المتشابه من نصوص الكتاب والسنة، لـيبرر لهم ما كانوا يعملون..

أحبتي في الله:..

فالحذر من الإسبال، وجـر الإزار، فقد قال النبي ﷺ: «**بينما رجل يجر إزاره، إذ خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**»[(١)] وقال ﷺ مخبراً عن رجل أعجبته نفسه: «**بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مُرجِّل جُمَّته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**»[(٢)].

والتـجلجل كمـا قـال ابن فارس: أن يسـوخ في الأرض مع اضطراب شـديد، ويندفع من شق إلى شق.. فـالمعنى: يتـجلجل في الأرض أي ينزل فيـها مـضطربًا متدافعًا[(٣)].

أيها الأحبة الكرام...

ومنهم من احتج بأن الإسبال في الإزار فقط، ولم تشمل السراويل أو البنطلون،

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري (٥٣٤٣).

(٣) فتح الباري (١٦/ ٣٣٤).

واحتجوا بقوله ﷺ: «**الإسبال في الإزار، والقميص والعمامة، من جر منها شيئًا خيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»[١].

والجواب على ذلك كما قال أهل العلم:

قال ابن حجر في الفتح: والاقتصار على الإزار لا يدفع وجود الرداء، وإنما خص الإزار بالذكر، لأنه هو الذي يظهر به الخيلاء غالبًا..

وقال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ: وإنما ورد الخبر بلفظ الإزار والأردية، فلما لبس الناس القميص والدراريع، كان حكمها حكم الإزار.

وقال ابن حزم ـ رحمه الله ـ في المحلى: فهذا عموم السراويل والإزار والقميص، وسائر ما يلبس[٢]..

وقال الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: طول القميص والسراويل، وسائر اللباس إذ تعدى ليس له أن يجعل ذلك أسفل من الكعبين، كما جاءت بذلك الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ[٣]..

وقال المحدث الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ عن الإسبال في السراويل والبنطلون: لا يجوز لأن الإزار ليس مقصودًا بذاته، وإنما المقصود هو الثوب، سواء كان إزارًا أم قميصًا، أو كان عباءة، فلا ينبغي للمسلم أن يطيل ثوبه- أيًا كان- إلى ما تحت الكعبين.

أحبتي الكرام...

لكن ما هو اللباس الواجب والمستحب؟

هناك أحاديث متعددة في هذا الموضوع، فمنها:

---

(١) صحيح: رواه أبو داود وصححه الألباني.
(٢) المحلي لابن حزم الظاهري (٤/ ١٠٠) كتاب الصلاة.
(٣) مجموع الفتاوي (٢٢/ ١٤٤) لابن تيمية.

١- قول النبي ﷺ: «**الإزار إلى نصف الساق**» فشق عليهم فقال: «أو إلى الكعبين، ولا خير فيما في أسفل من ذلك»(١).

٢- ومنها حديث: «**إزارة المسلم إلى نصف الساق، ولا حرج أو لا جناح فيما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار، من جر إزاره بطرًا لم ينظر الله إليه**»(٢).

٣- ومنها حديث: «**وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين وإياك وإسبال الإزار..**»(٣).

٤- وحديث ابن عمر ﷺ قال: مررت على رسول الله ﷺ وفي إزاري استرخاء، فقال: «**يا عبد الله، ارفع إزارك**» فرفعته، ثم قال: «**زد**» فما زلت أتحراها بعد، فقال بعض القوم: إلى أين؟ فقال: «**أنصاف الساقين**»(٤).

والخلاصة في حكم تطويل الثياب وقصره أن له أربع حالات:

الأولى: أن يكون سنة، وهو إلى نصف الساق.

الثانية: أن يكون مباحًا، وهو ما دون نصف الساق إلى الكعبين.

الثالثة: أن يكون حرامًا، وهو ما كان أسفل الكعبين.

الرابعة: أن يكون أشد حرمة، وهو أن يجروه خيلاء وكبرًا وبطرًا.

وحرمة الإسبال للأمور التالية:

الوعيد بالنار لمن أسبل للخيلاء، إن الإسبال فيه إسراف، والمسبل لا يأمن تعلق النجاسة بثوبه.

---

(١) **صحيح**: صححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٠٣٢).

(٢) **صحيح**: صحيح سنن أبي داود (٤٠٩٣) للألباني.

(٣) **صحيح**: صحيح سنن أبي داود (٤٠٨٤) صحيح سنن الترمذي (٢٨٧٧) صحح الجامع (٧٣٠٩).

(٤) رواه مسلم.

أحبتي في الله:..

أمر الإسبال أمر خطير، يجب أن لا يتهاون به المسلم، كما لم يتهاون به السلف - رضوان الله عليهم - ومن بعدهم، ولنا في قصة مقتل عمر بن الخطاب ﷺ درس وعبرة، فهي كما رواه الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه من حديث عمرو بن ميمون رحمه الله وهو طويل، جاء فيه:

«جاء رجل شاب، فقال: فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض.. قال عمر: ردوا عليَّ الغلام، فقال له: يا ابن أخي، ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك».

الله أكبر.. إنه في آخر لحظات حياته.. إنه بعد بضع دقائق سيغادر الدنيا إنه عما قليل ملاقٍ ربه.. ومع ذلك لم يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفي أي مسألة؟! في مسألة الإسبال، وليس في مسألة الخلافة إنه ينفذ قول الرسول الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(١).

ولو أننا امتثلنا لأوامر ربنا، وتجنبنا نواهيه، وامتثلنا أمر رسوله ﷺ كلما رأينا منكرًا أنكرناه على فاعله أيًا كان غنيًا أو فقيرًا، رجلاً كان أو امرأة، لزالت كثير من المنكرات، ولما استطاع من في قلبه حب للمنكر أن يظهره، لأنه يعلم أن المجتمع سينكر عليه، وأنه سيصبح غريبًا عن أفراد مجتمعه، فبذلك تصلح المجتمعات، وتحل البركات، وتجاب الدعوات..

أما بالنسبة للمرأة، فإن نساء الصحابة الكرام لما سمعن حديث النبي ﷺ امتثلن لذلك، كما في حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**» قالت أم سلمة ﷺ: فكيف يصنعن النساء بذيولهن، قال: «**يرخين شبرًا**».

فقالت: إذن تنكشف أقدامهن، قال: «**فيرخينه ذراعًا، لا يزدن عليه**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم والترمذي وابن ماجة والنسائي.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح ورواه النسائي.

أما رجال العصر فقد قلبوا الأمر وأبدلوها.. قلبوا هذا الحديث، وخالفوا أمر رسول الله ﷺ فأطال الرجال ثيابهم، بل وسحبوها على الأرض، وأما النساء فإنهن رفعن ثيابهن، واقتدين بالكافرات العاهرات، ولم يقتدين بفعل أمهات المؤمنين..

أيها الأحبة الكرام...

هيا بنا نستقيم على شرع ربنا، وتعليمات رسولنا ﷺ في كل حركاتنا وسكناتنا..

هيا بنا نمتثل أوامره، ونتجنب نواهيه، ومن ذلك الإسبال، فإنه مما حرمه الله.. إنه مما يبغضه الله عز وجل.. هيا بنا ننتهي عن الإسبال ونتخلق بأخلاق الرجال.. الرجال الذين حملوا راية الإسلام عالية خفاقة حتى صارت في ذروتها..

أحبتي الكرام...

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتوجه إلى الله عز وجل أن يحفظ بناتنا ونسائنا وزوجاتنا، وأن يوفقنا إلى صالح الأعمال.

اللهمَّ إنا نسألك أن تهبنا جزيل عطائك، والسعادة بلقائك، والمزيد من نعمك وآلائك، وأن تجعل لنا نورًا في حياتنا، ونورًا في مماتنا، ونورًا في قبورنا، ونورًا في حشرنا، ونورًا في حسابنا، ونورًا نفوز به لديك فإنا ببابك سائلون، وبنعمائك وفضلك معترفون.

اللهمَّ إنا ندعوك من لا يجد لذنبه غافرًا غيرك، ولا لمأمول من الخيرات معطيًا سواك، ولا لكسره جابرًا إلا أنت، فأصلح ما فسد من أمرنا واغفر لنا ذنوبنا، وتوفنا مسلمين، يا رب العالمين..

الوصية رقم (٦٦)

* احذروا الزواج بغير ولي *

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها، فلها المهر بما استحل من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام...

أردت بهذه الوصية الكريمة، ومن خلال هذا الهدى النبوي الكريم أن أحدثكم عن مشكلة من المشاكل الاجتماعية الخطيرة التي اصطلى بنارها كثير ممن لا دين لهم، ويمتد أذاها ليشمل غالب أفراد الأمة، حتى إذا استشرى ضررها، واستطال لهيبها، آذنت للمجتمع بهلاك، ونادت على الأمة بنذر شؤم وشقاء..

هذه المشكلة هي ما يسميها البعض بالزواج العرفي، ويسميها آخرون بالزواج السري..

وهذا الهدى النبوي الشريف الذي سوف نعيش في ظلاله، يحذر من هذا النوع من الزواج..

قال صاحب عون المعبود: **(أيما امرأة نكحت)** أي نفسها، وأيما من ألفاظ العموم في سلب الولاية عنهن من غير تخصيص ببعض دون بعض(٢).. **(بغير إذن وليها)** أي أوليائها فنكاحها باطل ثلاث مرات..

قال العلماء: كررها ثلاث مرات للتأكد والمبالغة..

وشريعة الإسلام شريعة كاملة متكاملة، تكفل لأتباعها حياة يحفها الأمن، وترعاها القدرة الإلهية، وترفرف في عليائها سعادة الإخلاد إلى التوحيد.

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه والدارمي وصححه الألباني.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٤/ ٤٧٥) رقم (١٧٨٤).

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦]

وإن من أشد نوازع الفطرة البشرية، الميول إلى الجنس الآخر، هذا الميول الذي أودعه الله عز وجل في جذر وأعماق القلوب، فلا ينفك عنه رجل أو امرأة وحتى لا تكلف الشريعة البشر مالا يطيقون، جاءتهم بسعادتهم في الدنيا قبل الآخرة، فقد شرعت لهم النكاح، وجعل الزواج أو النكاح دينًا ورضيه حكمًا وأنزله وحيًا، فقال جل في علاه: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٢].

أحبتي في الله: . .

وعقد النكاح جعله الإسلام من أخطر العقود التي تتم بين الرجل والمرأة، لذلك فهو العقد الوحيد الذي سماه الله عز وجل عقدًا غليظًا، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ٢٠، ٢١].

الزواج.. هذا الميثاق الغليظ.. يبيح اللقاء بين رجل وامرأة كلاهما أجنبي عن الآخر، وربما لم تره هذه المرأة يومًا من الأيام، ولم يرها هو الآخر.. وبهذا العقد يباح لكل منهما مع الآخر مالا يباح لغيره..

بهذا العقد يقدر الله عز وجل بين هذا الرجل، وتلك المرأة مخلوقًا جديدًا يجمع بين لحم هذا، ودم هذه، لا هو خالص من الرجل، ولا هو خالص من المرأة، بهذا العقد يرث كل من الطرفين الآخر..

بهذا العقد يقوم بيت جديد.. هذا العقد ينشئ الأسرة التي هي لبنة الأساس في بنيان هذه الأمة، حيث تنكشف جاذبية الفطرة بين الجنسين لا لتجمع بين مطلق الذكران، ومطلق الإناث.. ولكن لتتجه إلى إقامة الأسر والبيوت، وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً

ورحمة إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١] الزواج الشرعي الصحيح هو السبيل الوحيد، الذي يضمن للمرأة حقوقها، وكرامتها ويضمن للأولاد حقوقهم وكرامتهم في المجتمع الإسلامي، لأن الزوج في هذا الزواج الشرعي مسئول مسئولية كاملة عن زوجته وأولاده، قال ﷺ: «**كلكم راع ومسئول عن رعيته.. فالرجل في بيته راع ومسئول عن رعيته..**»(١).

لكن أحبتي الكرام ما هي صورة الزواج العرفي القائم في مجتمعنا؟

إنها تتلخص في التقاء الشباب بالفتيات في المعاهد والجامعات، أو الرجال بالنساء في العمل، فيرى الشاب الفتاة المستهترة المتبرجة، المتزينة شعرها المكشوف، وثيابها الضيقة، أو العارية.. تخرج متعطرة، لتثير الشباب والرجال، فيترصد لها، ويلتقي بها. فيلهب مشاعرها وأحاسيسها بكلمات الحب والعشق والغرام، التي عرفها وحفظها من المسلسلات، ومن الأفلام والمسرحيات الهابطة، ويقسم لها أنه يحبها حبًّا جمًّا.. حبًّا قد ملء عليه حياته، وأحرق فؤاده، وهو لا يستطيع أن تغيب عنه، أو تفارقه لحظة من ليل أو نهار، وأنه لا يصبر على فراقها.. وهو يريد أن يتزوجها.. ولكن كيف يتزوجها، والظروف غير ميسرة.. ولو تقدم لأهلها الآن لرفضوه.. لأنه طالب.. أو لا يعمل.. أو ليس معه المهر الذي يدفعه لهم.. ومن هنا يحاول الشاب أن يقنع الفتاة بهذه الفكرة، فكرة أن يتزوجها عرفًا.. أو سرًّا دون أن يعلم أهلها.. دون علم أبيها الذي رباها.. وما زال ينفق عليها.. ثم توافق الفتاة المخدوعة على ذلك، فيتزوجها زواجًا باطلاً دون أن يدرى والدها المسكين عن هذا الزوج شيئًا..

أحبتي الكرام...

ثم يأتي هذا الشاب ليكمل فصول خديعته وخيانته الكبرى، فيأتي بورقة ويشهد عليها اثنين من زملائه، وأصحابه المقربين، ممن يعرفون علاقته المحرمة والمشبوهة..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي.

وأنا أقـول: هذا الزواج باطل بنص الوصيـة التي نعيش في ظلالـها: «**أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها، فنكاحها باطل**. . ثلاث مرات»[(١)]. .

والله سبحانه وتعـالى أمر في النكاح أن يميز عن السفاح والبغاء، فقـال سبحانه: ﴿**فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ**﴾ [النساء: ٢٥].

وقد قال أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية محمد ﷺ: «**لا نكاح إلا بولي**»[(٢)] قال السيوطي: حمـله الجمهور على نفي الصحة، وأبو حنيـفة على نفي الكمال، والأول أرجح فلا يصح عقد الزواج في أي بلـد من البلاد، ولا في أي زمان، إلا بشروطه، وشروطه وأركانه: الإيجاب والقبول، والولي، والصداق، والشهود، والإعلان. .

فلا يصح الزواج إلا بالولي، والولي هو أبو المرأة أو جدها أو عـمها، أو أخوها أو من يزوجهـا. . ولي من أهلها. . فإن لم يكن لها قـريب من نسبها. . فـالقاضي ولي من لا ولي له. . السلطان. . قـال تعالى: ﴿**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ**. .﴾ [البقرة: ٢٣٢].

قال الشـافعي ـ رحمه الله ـ: وهذه الآية هي أبين مـا في القرآن كله على أنه لا نكاح إلا بولي. . أتدرون ما سبب نزول هذه الآية؟

لقد نزلت في حق الصـحابي الجليل معـقل بن يسار ﷺ فلقد زوج مـعقل بن يسار أخته لرجل من أصحاب النبي ﷺ وأحسن إليه معقل وأكرمه، وبعد فترة طلق هذا الرجل أخت معقل، فلما انقضت عدتها جاء مرة أخرى، ليرد المرأة، لكن معقل ابن يسار ﷺ وهو ولي أخته رفض، وقال له: زوجتك وأكرمتك، فطلقتها ثم جئت تخطبـها، والله لن تعـود إليك أبدًا، وكـان رجلاً لا بأس به، وكـانت المرأة تريد أن

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجـة والدارمي وصححه الألباني في المشكاة (٣١٣١) وصحيح الجامع (٢٧٠٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن مـاجة والترمذي وصـححه الألباني في صـحيح الجامع (٧٥٥٥).

ترجع إليه، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٣٢] فلما سمع معقل الآية، قال: الآن أفعل يا رسول الله.. فأنكحها إياه بعقد جديد ومهر جديد.. والعضل: هو المنع والتضييق..

واستدل الفقهاء على أن الزواج لا يجوز إلا بولي بقوله عز وجل في كتابه: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور:٣٢] الخطاب من الله تعالى لأولياء المرأة أن يقوموا بإنكاحهن وتزوجهن.. وفي الحديث الصحيح الذي أخرجه ابن ماجه والبيهقي والطبراني من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: «**لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها**»(١).

قال سيدنا أبو هريرة ﷺ: الزانية هي التي تزوج نفسها..

وقال ابن عباس ﷺ: البغي هي التي تزوج نفسها..

ماذا يريد هؤلاء بعد ذلك؟ هذه هي الأدلة وكلها صحيحة على عدم جواز زواج المرأة بدون إذن وليها..

إنهم يحتجون برأي الإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ الذي استدل بحديث صحيح رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر يستأذنها أبوها في نفسها، وإذنها صماتها**»(٢) لكن معناها عند أكثر أهل العلم: أن الولي لا يزوجها إلا برضاها وأمرها، فإن زوجها- أي الأيم (الثيب) فالنكاح مفسوخ- فلا يجوز لولي المرأة الثيب أن يزوجها رغمًا عنها، فإن زوجها رغمًا عنها، فيحق لها أن تفسخ النكاح.

واستدلوا على ذلك بما في صحيح البخاري عن خنساء بنت خدام الأنصارية ﷺ أن أباها زوجها، وهي ثيب، فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجة والطبراني والبيهقي وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٩٨) وصحح سنن ابن ماجة برقم (١٨٨٢).

(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

وفي سنن أبي داود وابن ماجه، أن جارية بكرًا أتت النبي ﷺ فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة، فخيرها..

ورأى الإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ الذي جوز فيه أن تزوج المرأة نفسها، أخذه واستنبطه بالقياس على جواز أن تبيع المرأة سلعتها بنفسها.. وهذا قياس فاسد، كما قال علماء الأصول، لأنهم يقولون: لا قياس مع النص ومن طريف ما يذكر أن أحد علماء الشافعية كان يقول لبعض علماء الحنيفة: النكاح بغير ولي، مسألة خلاف بين أبي حنيفة وبين رسول الله ﷺ نفسه، فإنه ﷺ قال: «**أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها، فنكاحها باطل**»[1] وقال أبو حنيفة: بل نكاحها صحيح.

فلماذا يختار هؤلاء رأي الإمام أبي حنيفة ويتركون رأي الجمهور الذي يستند إلى الأدلة الصحيحة.. والذي يسانده الواقع، وهو أحوط وأسلم لدين المسلمين وأعراضهم؟ أم أنه مجرد الهوى والشهوة، التي قال الله عز وجل فيها: ﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً**﴾ [الفرقان: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿**فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [القصص: ٥٠].

أحبتي في الله:..

وهناك شرط آخر هام جدًا من شروط صحة النكاح، إنه: **الإعلان**: فقد ورد في مسند الإمام أحمد وغيره من حديث عبد الله بن الزبير بسند حسن: قال: «**أعلنوا النكاح**»[2].

وقد ورد: «**فصل ما بين الحلال والحرام، ضرب الدف، والصوت في النكاح**»[3].

وعند الطبراني من حديث يزيد بن السائب أن النبي ﷺ سئل: هل يرخص لنا

---

(١) تقدم تخرجه.

(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه وابن حبان وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٢) وصحيح سنن ابن ماجة (١٨٩٥).

(٣) **حسن**: رواه ابن ماجة والحاكم وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ورواه الترمذي وحسنه.

يلهو عند العرس؟ قال: «**نعم**» إنه نكاح لا سفاح، ثم قال النبي ﷺ: «**أشيدوا النكاح**»(١) أي أعلنوه وأظهروه.

وفي البخاري عن عائشة أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار. فقال النبي ﷺ: «**يا عائشة، ما كان معكم لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو؟**»(٢).

وفي رواية بلفظ: فقال: «**فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني؟**» قلت: ماذا تقول: قال: «**تقول: أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم، ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم، ولولا الحنطة السمراء ما سمنت عذاريكم**».

• وفي المسند من حديث أبي الحسن المازني أن النبي ﷺ كان يكره نكاح السر، حتى يضرب بدفٍّ، ويقال: أتيناكم أتيناكم.. فحيونا نحييكم..

كل هذه أدلة على اشتراط الإعلان في صحة الزواج، والشريعة الإسلامية حين شرعت إعلان النكاح، إنما شرعته، لأنها تهدف من ورائه لحكم غاية السمو، وأهداف لا يمكن لتشريع من التشريعات بلوغها.. فمنها مثلاً: أن هذا الإعلان يبعث رسالة مباشرة للفتاة التي سيدخل بها في تلك الليلة ولكل فتاة تأمل في النكاح: إنك أيتها الفتاة، حينما تسلمين عرضك لرجل أجنبي عنك، فإنما تسلمينه وسط هالة من المهابة والإجلال.. توازي فقدانك عذريتك بعد تلك الليلة..

ثم إنه يقول لها: احذري أن تمنحي عرضك وجسدك، وأغلى ما تملكين بعد دينك لأحد، إلا في عقد شرعي يباركه وليك، وذووك، ويشهد عليه هذا الجمع..

هذا هو النكاح الشرعي فبالله عليكم أين هذا الذي يسمى زواج عرفي أو سري لماذا يحرص كل من الطرفين على إخفائه حتى عن الأهل والأصدقاء؟ لماذا يحرص كل من الطرفين على أن لا ينتج بينهما ولد..

فبالله عليكم، أهو زواج أم زنا؟!

---

(١) **حسن**: ذكره الألباني في الصحيحة (١٤٦٣) وصحيح الجامع (١٠١٠).
(٢) رواه البخاري (٤٧٦٥).

لينظر كل عاقل متأملاً: مـا الفرق بين هذا الزواج الشرعي المكتمل الأركان وبين الزنا المقنن..

عـــفــوا تعـف نســـاؤكم في المحــــرم
وتجـنبـــــوا مـــــالا يـلـيق بمسلـم
إن الـزنا ديـن فـــإن أقـــرضـــتـــه
كـــان الـوفـــا من أهـل بيـــتك فـــاعـلم
ياهـاتكـا حـــرم الـرجــــال وقـــاطعًـــا
ســـبل المـودة عـــشت غـــيـــر مكرم
لو كـنت حـــرًا من ســـلالة مـــاجـــد
مـــا كنـت هتّـــاكًـــا لحـــرمـــة مـــسلم
مـن يـزن يــزن بـه ولـو بـجـــــــداره
إن كنـت يا هذا لـبـــيـــبًـــا فـــافـــهم

أحبتي الكرام...

لقد تـفاقمت هذه المـشكلة الخطيرة، وأصـبحت ظاهرة، بعـد أن كانت مـجرد حالات فردية، فقد ذكـرت إحصائية من الشئون اجتماعـية في بلدنا مصر أن حوالي ١٧٠ ألف طالبة تزوجن من وراء ظهـور أهلهن.. هذا في الطلاب فمـا بالكم بكافة المجتمع..

فالزواج العرفي أو السري باطل باطل..

نسأل الله عز وجل أن يحفظ بناتنا وبنات المسلمين..

اللهمّ لا تخيـبنا يا أمل المؤملين، ويا مـلاذ اللائذين، ارحم من ناداك وهو يؤمن أنك ربه، وقصدك وأنت حسبه، وارزقنا يا ربنا من التوفـيق للأعمال الصالحة المقبولة عندك، ما يـوجب لنا رضاك، وأن تعمـر جوارحنا بطاعـتك المرضيـة عندك وقلوبنا

حبك وحب من تحبه، وحب ما تحبـه، وتوسع في قلوبنا، وتؤهلها لمعرفتك الخاصة التي أكرمت بهـا عبادك العارفين، وأوليـاءك الصالحين اللهمَّ اعصـمنا من شر الفتن، وعافنا من جميع البلايا والمحن، وأصلح أحوالنا ونقِّ قلوبنا من الحقد والحسد، واغفر ذنوبنا بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين، يا رب العالمين. .

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٦٧)

* احذروا الشائعات *

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع**»[١] صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله:..

هذا القبس النبـوي الشريف، رغم قلة ألفاظه، وقلة حروفـه، إلا أنه من أفصح الكلام وأبلغه وأوجزه في الدلالة علـى أخطر أمر من الأمور الشائعة في المجتـمعات وكيف لا يكون بليغًا وفصيحًا، وقد خرج من فم من لا ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى؟! وكيف لا يكون كذلك، وقد قال سيد الفصحاء، وأستاذ البلغاء ﷺ: «**ألا وأني قد أوتيت الكتاب ومثله معه**»[٢] والمراد بالكتاب، القرآن ومثله معه المواعظ والأحكام والأمثال، التي تماثل القرآن في وجوب العمل..

يقول المناوي ـ رحمه الله ـ في معنى الوصية التي نعيش في ظلالها:

«لو لم يكن للرجل إثمًا إلا تحـديثه بكل ما يســمعه من غيـر بينة أنه صدق، أو كذب يكفـيه من الإثم، لأنه إذا تحدث بكل مـا يسمعـه، لم يخلص من الكذب، إذ جميع ما يسمع ليس بصدق، بل بعضـه كذب، فعليه أن يبحث، ولا يتحدث إلا بما ظن صدقه، فإن ظن كذبه حـرم، وإن شك وقد أسنده لقائله، وبين حاله، بريء من عهدته، وإلا امتنع أيضًا، ومحل ذلك ما إذا لم يترتب عليه لحوق ضرر، وإلا حرم. ولو كان صدقًا، بل إن تعين الكذب، لدفع ذلك، وجب»[٣].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح**: رواه أحمـد وأبو داود وابن ماجه وصحـحه الألباني في صحـيح الجامع (٢٦٤٣) وصحيح سنن أبي داود (٤٦٠٤).

(٣) فيض القدير (٤/ ٧٢١) للمناوي.

وهذه الوصية الكريمة تتضمن التحذير من السير وراء الشائعات، وما أكثر الشائعات في مجتمعاتنا.. بل وما أخطرها.. إشاعات مقصودة.. وإشاعات غير مقصودة.. فلا يكاد يشرق شمس يوم جديد إلا وتسمع بإشاعة في البلد أو في المدينة من هنا أو من هناك..

وقد حذرنا ربنا جل في علاه في قرآنه بنداء من نداءات الإيمان، فقال في سورة الأدب، ليؤدب عباده، وليهذبهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦].

فكم للشائعات من خطر عظيم في انتشارها، وأثر بليغ في ترويجها.. إنها من أخطر الأسلحة الفتاكة والمدمرة للمجتمعات والأشخاص..

فكم أقلقت الإشاعة من أبرياء؟! وكم حطمت من عظماء؟! وكم هدمت الشائعة من وشائج؟ وكم تسببت في جرائم؟! وكم فككت من علاقات وصداقات؟ وكم هزمت الإشاعة من جيوش؟! وكم أخرت الإشاعة في سير أقوام؟!

أحبتي الكرام...

إنَّ تاريخ الإشاعة قديم، قدم هذا الإنسان، وقد ذكر في كتاب الله عز وجل نماذج من ذلك منذ فجر التاريخ، وبالنظر في قصص الأنبياء وتاريخهم نجد أن كلا منهم قد أثير حوله الكثير من الإشاعات من قبل قومه، ثم يبثونها ويتوارثونها أحيانًا، ولا شك أن تلك الإشاعات كان لها الأثر في جعل بعض المعوقات في طريق دعوة هؤلاء الأنبياء.. فهذا نبي الله نوح عليه السلام، اتهم بإشاعة من قومه بأنه: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ..﴾ [المؤمنون:٢٤] أي يتزعم ويتأمَّر.. ثم يشاع عنه أنه ضال: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف :٦٠] وثالثة يشاع عنه بأنه مجنون.. ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ [القمر:٩] وهذا نبي الله هود عليه السلام يشاع عنه الطيش والخفة فقالوا عنه: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف:٦٦] ومرة يشاع عنه أنه مصاب في عقله.. ﴿قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ

مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود :٥٣،٥٤] ثم هذا موسى عليه السلام يحمل دعوة ربه إلى فرعون وملئه وقومه، فيملأ فرعون سماء مصر، ويسمم الأجواء من حوله بما يطلق على سيدنا موسى عليه السلام من شائعات، فيقول: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء :٣٤،٣٥] وبرغم هذه الأراجيف والأباطيل والشائعات من حول كليم الله موسى عليه السلام، فإن الحق ظهر واكتسح في يوم المبارزة.. ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء:١٨] وألقى السحرة ساجدين، وبهت فرعون أمام هذا المشهد الإيماني الرهيب ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه:٧٣] لكن أسعفته حيلته ودهاؤه بأن يلجأ من جديد إلى تلفيق إشاعة أخرى، فنسب إلى موسى أنه كان قد رتب الأمور مع السحرة، وأن سجودهم وإيمانهم محض تمثيل واتفاق لمنافع يحققونها سويًا ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٢٣] وقال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ..﴾ [طه:٧١].

إذن يتبين لنا من هذه الأمثلة أن الإشاعة موجودة منذ القدم.. موجودة مع وجود هذا الإنسان على وجه الأرض، وستبقى بقاءه، لأن من طبيعة النفس البشرية أنها تصاب بأمراض نفسية، كالحسد، والبغض والكراهية، والإشاعة هي وسيلة من الوسائل التي يستطيع بها الإنسان أن يعبر أو يفرغ ما بداخله، وعما يجول في نفسه تجاه الآخرين..

أحبتي الكرام...

ولقد وقع للمسلمين في العهد الأول شائعات كان لها آثار سيئة منها تلك الشائعة التي انتشرت أن كفار مكة أسلموا، وذلك بعد الهجرة الأولى للحبشة، كانت نتيجتها أن رجع عدد من المسلمين إلى مكة، وقبل دخولهم، علموا أن الخبر كذب فدخل منهم من دخل، ورجع منهم من رجع إلى الحبشة، فأما الذين دخلوا مكة فقد أصابهم التعذيب والهوان والنكال الشديد من قريش.

وفي معركة أحد عندما أشاع الكفار في صفوف الجيش الإسلامي، أن رسول الله ﷺ قد قتل، أثر ذلك تأثيرًا شديدًا على بعض الصحابة - رضوان الله عليهم- لدرجة أن بعضهم ألقى السلاح، وترك القتال؟

وكانت أعظم الإشاعات خطر في تاريخ الدولة الإسلامية (حادثة الإفك) فلم يمكر بالمسلمين مكرًا كان أشد من تلك الوقيعة، وكانت مجرد فرية وإشاعة مختلقة بيِّن الوحي كذبها، لكنها لولا عناية الله برسوله ومصطفاه ﷺ كانت قادرة هذه الإشاعة على أن تعصف بالأخضر واليابس، ولا تبقى على نفس مستقرة مطمئنة، ولقد مكث مجتمع المدينة بأكمله شهرًا كاملاً، وهو يصطلي نار تلك الفرية، ويتعذب ضميره، وتعصره تلك الإشاعة الهوجاء.

رسول الله ﷺ يرمى في بيته؟!.. وفي من؟!

في عائشة، والتي أحبها من كل قلبه..

رسول الله ﷺ يرمى في طهارة فراشه، وهو الطاهر الذي فاضت طهارته على العالمين؟

رسول الله ﷺ يرمى في صيانة حرمته، وهو القائم على صيانة الحرمات في أمته؟!

وتدخَّل الوحي، ليضع حدًا لتلك المأساة الفظيعة، وليكون درسًا تربويًا رائعًا لذلك المجتمع، ولكل مجتمع مسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وصدق الله إذ يقول: ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ..﴾ [النور: ١١].

أحبتي الكرام...

وتلك إشاعة أخرى كاذبة، وهي تلك الإشاعة التي دبرت ضد الخليفة الراشد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه الرجل الذي ذكر أصدق الناس أجمعين ﷺ بأنه تستحي منه الملائكة الكرام، أشاعوا بأنه ضرب الصحابي الجليل عمار بن ياسر، حتى فتق أمعاءه، وهي فرية كاذبة، قال ابن العربي: وأما عن ضربه عمار فزور، وإفك،

ودعوى ضربه ابن مسعود، وكسر أضلاعه، ومنعه عطاء سنتين، كل هذا باطل وزور، ولا أصل له(١).

وأشاعوا بأنه ولى أقاربه، وأشاعوا أنه أخرج أبا ذر إلى الربذة، وكلها باطلة.. وكل هذه الإشاعات الكاذبة الباطلة، كانت لها آثار سيئة، ليس فقط على المجتمع في ذلك الوقت، ولكن على الأمة الإسلامية بأثرها، فهي تجمع أخلاط من المنافقين ودهماء الناس وجهلتهم، وأصبحت لهم شوكة، وقتل على إثرها خليفة المسلمين عثمان ﷺ بعد حصاره في بيته، وقطع الماء عنه، بل كانت آثار هذه الفتنة أن قامت حروب بين الصحابة الأجلاء ﷺ كمعركة الجمل وصفين، من كان يتصور أن الإشاعة تفعل كل هذا، بل خرجت على إثرها الخوارج، وتزندقت الشيعة، وترتب عليها ظهور المرجئة والقدرية الأولى، ثم انتشرت البدع بكثرة، وظهرت فتن وبدع، وقلاقل كثيرة، ما تزال الأمة الإسلامية تعاني من آثارها إلى اليوم.

أحبتي في الله:..

إنَّ الإشاعات التي تنطلق من هنا ومن هناك، إنما تستهدف إثارة الأحقاد، ونشر الظنون السيئة، وترويج السلبيات، وتضخيم الأخطاء.

إنها سلاح بيد المغرضين، وأصحاب الأهواء والأعداء والعملاء، يسلكه أصحابه لزعزعة الثوابت، وخلخلة الصفوف، وإضعاف التماسك، وغالب الإشاعات لا تصدر إلا من مكروه أو منبوذ قد امتلأ قلبه حقدًا سواء كان فردًا أو جماعة، وفاض بالكراهية صدورهم، وضاق بالغيظ أنفسهم، فيطلق الواحد منهم الشائعة، لينفس من غيظه وحقده والكراهية التي في صدره..

وإننا نعيش في عصر قد كثرت فيه الإشاعات، وترويجها بأي شكل من الأشكال فلابد وأن يكون للمسلم منهج واضح في التعامل مع الشائعات، ورب العزة والجلال يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [الحجرات: ٦].

(١) تثبيت الإمام لأبي نعيم ص١٥١، ١٥٢.

ففي الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخـر، فليقل خيرًا أو ليصمت**»(١) وكما في الوصية التي نعيش معها: «**كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما سمع**»(٢).

وقال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: وفي الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ ينهى عن: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال(٣).

قيل وقـال، أي كثرة الحـديث، وكثرة الكلام دون تدبـر، ولا تثبت ولا تبين.. وفي سنن أبي داود أن النبي ﷺ قال: «**بئس مطية الرجل زعـموا**»(٤) وهذه هي التي سماها بعض أهل العلم من المعاصرين (وكالة يقولون) فنرى الكثير من الناس يتناقلون الأخبـار والشائعـات دون روية، وهم بذلك يسهـمون بفت عضد المسلمـين وضعف معنوياتهم، وبث الرعب في قلوبهم..

فماذا يفعل المسلم تجاه الشائعات؟

أولاً: ينبغي عـلى المسلم أن يحسن الظن بأخـيه المسلم، قـال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**..﴾ [الحجرات: ١٢] وقد قال ﷺ «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسـوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»(٥).

يقول عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: أحسن بصاحبك الظن ما لم يغلبك(٦)..

وقد قال الله عـز وجل في نصح المسلمين في حادثة الإفك: ﴿**لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً**..﴾ [النور: ١٢].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه مسلم وأبو داود والحاكم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود وأحمـد وصححه الألـباني في الصحيـحة (٨٦٦) وصحـيح الجامع (٢٨٤٦).

(٥) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

(٦) حلية الأولياء (٥/ ٢٧٧).

ثانيًا: أن يطلب المسلم الدليل البرهاني على أية إشاعة يسمعها، قال تعالى: ﴿لَوْلاَ جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور:١٣] هذا إذا كان الأمر يهمه، وله تدخل، وإلا، فمن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه، كما أخبرنا رسول الله ﷺ.

ثالثًا: أن لا يتحدث بما سمعه، ولا ينشره، فإن المسلمين لو لم يتكلموا في أية إشاعة لماتت في مهدها، قال تعالى: ﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا..﴾ [النور:١٦].

رابعًا: أن يرد الأمر لأولى الأمر، ولا يشيعه بين الناس أبدًا، وهذه قاعدة عامة في كل الأخبار المهمة، والتي لها أثرها الواقعي، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء:٨٣] فإذا حوصرت الشائعات بهذه الأمور، فإنه يمكن أن تتفادى آثارها السيئة، التي تترتب عليها بإذن الله تعالى..

فاحذروا من الشائعات، واتقوا الله عز وجل، فإن الكلمة التي تخرج من أفواهكم مسئولية عظيمة في الدنيا والآخرة.. سوف تسألون عنها.. خاصة إذا كانت ضد مسلم، وهو منها بريء..

احذروا أن تكونوا أنتم الانطلاقة لكل شائعة من الشائعات، واحذروا أن تكونوا مروجين للشائعات، فأنتم موقوفون بين يدي رب الأرض والسموات فإذا سمعت أخي الحبيب بخبر من الأخبار، سواء كان ذلك في مجلس من المجالس العامة، أو المجالس الخاصة، أو قرأته.. وكان يتعلق بأي مسلم، وفيه تهمة له، أو نقيصة فاحتفظ بالخبر لنفسك، ولا تنقله إلى غيرك، والمسألة مسألة حسنات أو سيئات.

نسأل الله عز وجل أن يحفظ أعراضنا، وأن يحفظ ألسنتنا..

اللهم احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بك أن نغتال من تحتنا.. اللهمَّ تقبل منَّا أحسن ما عملنا، وتجاوز عن سيئ ما عملنا.. اللهم تقبل توبة التائبين، واغفر ذنوب المذنبين..

اللهم جازنا بالإحسان إحسانًا، وبالإساءة عفوًا وغفرانًا.. اللهمَّ تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم..

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٦٨)

* لا تصروا على الذنوب *

عن عبد الله بن عـمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ويل للمصـرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله: . .

هذا القـبس النبـوي الشـريف يحذر تحـذيرًا شـديدًا من الإصـرار على الذنوب والذنوب هي عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله عز وجل في فعل أو ترك. .

وقـيل: ترك المأمـورات، وفعل المحظورات، أو تـرك ما أوجب الله وفـرض من كـتابه أو علـى لسان رسـوله ﷺ أو ارتكاب مـا نهى عنه الله ورسوله من الأقـوال والأعمال الظاهرة والباطنة. . قال تعالى: ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [النساء: ١٤].

والذنوب تنقسم إلى قسمين:

١- صغائر ٢- كبائر

بنص القرآن الكريم، وسنة النبي الكريم ﷺ قال تعالى: ﴿**إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً**﴾ [النساء: ٣١] وصح عنه ﷺ أنه قال: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، كفارة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»(٢).

والصغائر كمـا عرفها العلماء هي ما دون الحدين (أي حد الدنيـا ووعيد الآخرة) ولم يقترن بالنهي عنه وعيد أو لعن، أو غضب أو عقوبة.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنـده وصححه الألباني في صحيح الجـامع برقم (٨٩٧) وصحيح الترغيب (٢٢٥٧).

(٢) رواه مسلم.

ومن أمثلتها: النـظر إلى النساء، البصاق في المسجد، إنشـاد الضالة في المسجد، والالتفات في الصلاة.. أو نحو ذلك..

أما الكبائر، فـجمع كبيرة، وهي كل ذنب ختمـه الله عز وجل بنار أو غضب أو لعنة أو عقوبة دنيوية..

وقال الضحاك: هي ما أوعد الله عليه حدًّا في الدنيا، أو عذابًا في الآخرة وقال الحسن بن الفضل: ما سماه الله في القرآن كبيرًا، أو عظيمًا، نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً**﴾ [النساء: ٢] ﴿**إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً**﴾ [الإسراء: ٣١] ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣] ﴿**إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾ [يوسف: ٢٨] ﴿**سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**﴾ [النور: ١٦] ﴿**إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً**﴾ [الأحزاب ٥٣].

وقال سـفيان الثـوري ـ رحمه الله ـ: الكبـائر ما كان فيـه من المظالم بينك وبين العباد والصغائر: ما كان بينك وبين الله، لأن الله كريم يعفو.

قال ابن القـيم ـ رحمه الله ـ في مـدارجه[1]: مراد سـفيـان أن الذنوب التي بين العـبد، وبين الله أسهـل أمرًا من مظالم العـباد، فـإنها تزول بالاسـتغـفار، والعـفو والشفاعة وغيرها وأما مظالم العبـاد، فلابد من استيفائها.. لحديث: «**الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة: ديوان لا يعـبأ الله به شيـئًا، وديوان لا يترك الله منه شيـئًا، وديوان لا يغفره الله، فأما الديوان الذي لا يغفره الله، فالشرك بالله، قال الله عز وجل: ﴿مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ﴾ وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئًـا، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبـين ربه، من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله عـز وجل، يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئًـا، فظلم العباد بعضهم بعضًا، القصاص لا محالة**»[2].

ومعلوم أن هذا الديـوان مشتـمل على الكبائر والصغـائر، لكن مسـتحقـه أكرم

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٢).

(٢) **حسن**: رواه أحمد فـي مسنده (٢٥٩٠٩) وحسنه حمـزة الزين لأجل صدقة بن موسى فـيه كلام (١٨/ ١١٧) وصححه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٥) ووافقه الذهبي.

الأكرمين وما يعفو عنه من حقه، ويهبه أضعاف أضعاف ما يستوفيه، فأمره أسهل من الديوان الذي لا يترك منه شيئًا لعدله، وإيصال كل حق إلى صاحبه.

أحبتي الكرام...

وأقوال العلماء في تعريف الكبائر والصغائر كثيرة لا يتسع المقام لسردها هنا ولكن أود أن أبين هنا في هذا المقام كيف أن الصغائر تصير بالإصرار عليها من كبائر الذنوب..

والشارع الحكيم كما نهى عن كبائر الذنوب، نهى عن صغائرها، فنحن مكلفون بترك الصغائر كلها، كما نحن مكلفون بترك الكبائر كلها، قال ربنا تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠] قال ابن جرير الطبري: ظاهر الإثم وباطنه.. سره وعلانيته، والإثم: كل ما عصى الله به من محارمه..

وقال مجاهد: الإثم: المعاصي كلها.

وصغائر الذنوب كثيرة، والعلماء إنما يعدون صغائر الذنوب صغائر، إذا خلت من الاستخفاف بها، والإصرار عليها، وكانت مما يحزن العبد عليه ويندم، وإلا فإنهم يعدونها مع الاستخفاف والعزم والإصرار من الكبائر، كإطلاق البصر في المحرمات، وسماع ما يلهى عن القرآن، واللعب بما يصد عن الذكر، وترك رد السلام، وبذاءة اللسان، وسوء معاملة الناس وخداعهم، وعدم رد ما يستعار من كتب ونحوها.. وغير ذلك، وقد عدَّ ابن عباس ﷺ من صغائر الذنوب: التبسم والضحك في معصية.

ومع أن صغائر الذنوب قد لا يسلم أحد منها، إلا أن الخطر يكمن في التهاون بها لأن التهاون بالذنوب، دليل على ضعف الإيمان، وقلة تعظيم العبد لربه عز وجل قال أنس ﷺ: إنكم لتعملون أعمالاً، هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات[1]. يعني من المهلكات.

---

(١) رواه البخاري.

وقال بشر بن الحارث ـ رحمه الله ـ: لو تفكر الناس في عظمة الله عز وجل، لما عصوه وقال بلال بن سعد ـ رحمه الله ـ: لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت.

وقال الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ: لا تستصغر معصية أصلاً، فإن الله عز وجل خبأ غضبه في معاصيه، فلعل مقت الله فيه(١).

والإصرار على الصغائر بحيث يتعمد صاحبها تكرارها، ويغفل عن التوبة منها، ومحوها بالحسنات يحولها إلى منزلة الكبائر..

قال أبو محمد بن عبد السلام في تعريف الإصرار: هو أن تتكرر منه الصغيرة تكرارًا يشعر بقلة مبالاته بدينه، إشعار ارتكاب الكبيرة بذلك.

وبين ابن الصّلاح علامة تميز بين من يصر على المعصية، وبين من لا يصر عليها، فالمصرُ على المعصية، هو من كانت حاله عكس حال من يريد التوبة، بأن يعزم على معاودة الذنب في حين أن التائب يعزم على تركه، ويستمر على الذنب في حين أن التائب يتركه.. قال رحمه الله: المصرُ من تلبس من أضداد التوبة باسم العزم على المعاودة، أو باستدامة الفعل(٢).

أحبتي الكرام...

وقد ذكر الإمام الغزالي في الأحياء أن الصغيرة تصير كبيرة بأسباب منها: الاستصغار والإصرار، فإن الذنب كلما استعظمه العبد، صغر عند الله عز وجل وكلما استصغره عظم عند الله تعالى، مع العلم بأن العفو عن كبيرة، قد انقضت ولم يتبعها مثلها، أرجى من العفو عن صغيرة يواظب عليها العبد..

ومثال ذلك قطرات من الماء تضع على الحجر متواليات، فإنها تؤثر فيه، ولو جمعت تلك القطرات في مرة واحدة، وصبت عليه لم تؤثر.

---

(١) يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار ص١٧٥.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

الإصرار على الذنب أقبح منه، ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار(١).

وقد ورد أن المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه، يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره.

وغالبًا ما يقع التهاون بصغائر الذنوب اعتمادًا على الظن بأنها هفوات وزلات، لا تكتب على الإنسان، ولا عقوبة فيها، وهذا ظن وفهم خاطئ، حذرنا منه القرآن الكريم، والرسول الأمين ﷺ فعن سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ لما نزلت هذه الآية: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً**﴾ [الإنسان:٨] كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل، إذا أعطوه، فيجيء المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة، ونحو ذلك، فيردونه، ويقولون: ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطي، ونحن نحبه. وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير، كالكذبة، والنظرة، والغيبة، وأشباه ذلك، يقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر، فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه، فإنه يوشك أن يكثر، فنزلت(٢): ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة:٧،٨].

أحبتي الكرام...

ومن رحمة الرحمن الرحيم بنا أنه بشرنا بمغفرة الصغائر، إذا اجتنبنا الكبائر، وشرع لنا مكفرات كثيرات للذنوب والسيئات، بل وجعل الحسنات ماحية للسيئات، لكن ينبغي أن لا ننسى أنه سبحانه حذرنا في الوقت نفسه من التهاون بصغائر الذنوب والتوبة منها، قال ﷺ: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه**»(٣) وفي

---

(١) مدارج السالكين.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير.

(٣) **حسن**: رواه أحمد والطبراني والبيهقي وحسنه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٢٤٧٠).

رواية: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإن مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها، تهلكه**»(١).

قال الحافظ العلائي: مقصود الحديث الحث على عدم التهاون بالصغائر، ومحاسبة النفس عليها، وعدم الغفلة عنها، فإن في إهمالها هلاكه، بل ربما تغلب الغفلة على الإنسان، فيفرح بالصغيرة، ويتبجح بها، ويعد التمكن منها نعمة، غافلاً عن كونها، وإن صغرت سببًا للشقاوة، حتى إن من المذنبين من يتمدح بذنبه لشدة فرحه بمقارفته، فيقول: أما رأيتني كيف مزقت عرضه؟

ويقول المناظر: أما رأيتني كيف فضحته، وذكرت مساوئه حتى أخجلته؟ وكيف استخففت به وحقرته.

ويقول التاجر: أما رأيت كيف روجت عليه الزائف، وكيف خدعته وغبنته؟ وبعض الناس يتهاون في ارتكاب هذه الذنوب اعتمادًا على أنها مغفورة بالأعمال المكفرة كالصدقة، وغيرها، فهل سأل نفسه عن تلك الأعمال من صوم وصلاة وحج، أقُبلت أم لا؟ تكفى لمحو سيئاته أم لا؟ من يدري؟

وقد قال الأستاذ الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ: «**إنَّ الشيطان قد يئس أن تعبد الأصنام في أرض العرب، ولكنه سيرضى منكم بدون ذلك، بالمحقرات، وهي الموبقات يوم القيامة، اتقوا الظلم ما استطعتم، فإن العبد يجيء بالحسنات يوم القيامة، يرى أنها ستنجيه فما زال عبد يقول: ربِّ ظلمني عبدك مظلمة، فيقول: امحوا من حسناته، وما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنة من الذنوب، وإن مثل ذلك كسفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب، فتفرق القوم ليحتطبوا فلم يلبثوا أن حطبوا، فأعظموا النار وطبخوا ما أرادوا، وكذلك الذنوب**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والطبراني والضياء وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٨٦).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبو يعلى وأحمد والطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٢٢١) ج (٢/ ٢٦٣).

ولهذا قال ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «**يا عائشة، إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالبًا**»(١).

ومن الذي يعلم أنّ الله تعالى سامحه في الهفوات والزلات، حتى لا يتوقف عن فعلها ويترك التوبة منها؟ وإذا كان الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﷺ يقول: «**والله إني لأتوب إلى الله واستغفره في اليوم أكثر من سبعين مرة**»(٢) فهل يحق لأحد أن يترك التوبة من صغائر الذنوب.

قال أبو علي الروزباري ـ رحمه الله ـ: من الاغترار أن تسيء، فيحسن إليك، فتترك التوبة توهمًا أنك تسامح في الهفوات.

ثم إنّ السقوط في مستنقع التهاون بصغار المعاصي، قد يشغل النفس عن التوبة ويجعلها تتكاسل عن الأعمال التي تكفر الذنوب.

قال أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه: إنّ الرجل ليعمل الحسنة، فيثق بها، ويغشى المحقرات، فيلقى الله يوم القيامة، وقد أحاطت به خطيئته، وإن الرجل ليعمل السيئة فما يزال منها مشفقًا حذرًا، حتى يلقى الله يوم القيامة آمنا(٣).

أحبتي الكرام...

وقد يجر التهاون ببعض الخطايا أو الذنوب الصغائر إلى أن يتهاون مرتكبها بما هو أكبر منها وأعظم، لأن التجرؤ على الصغائر يفتح على النفس التعود عليها وممارستها لاسيما مع سهولة اقترافها، حتى تتعود النفس انتهاك حدود الله، ومخالفة أوامره ونواهيه، فيسهل لها الشيطان، وييسر لها ما هو أكبر وأعظم، كما يزين لها طريق الكبائر. قال سبحانه: ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾ [البقرة:١٦٨].

قال أبو عبيدة ـ رحمه الله ـ: خطوات الشيطان، هي المحقرات من الذنوب.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجة والدارمي والبيهقي في الشعب وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٤٧٢).

(٢) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

(٣) شرح ابن بطال (١٩/ ٢٦٦).

وقال بعض السلف: المعاصي بريد الكفر..

ومن أخطر أضرار التهاون بصغائر الذنوب، ما تصيب به القلب من قسوة فكلما ارتكب العبد سيئة، ولم يتب منها، نقص إيمانه، واسود قلبه، وازدادت قسوته، فلا يخشع لموعظة، ولا يستجيب لناصح، قال النبي المصطفى، والرسول المجتبى ﷺ: «**إنَّ العبد إذا أخطأ خطيئة، نكت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر، وتاب، صقل قلبه، وإن عاد، زيد فيها، حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكره الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**»[١] وجاء في بعض الآثار أن رجلاً من بني إسرائيل قال: يا رب، كم أعصاك ولا تعاقبني فقال له، أو قيل له: يا عبدي، كم أعاقبك وأنت لا تشعر؟!

وقال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: أعظم المعاقبة أن لا يحس المعاقب بالعقوبة، وأشد من ذلك أن يقع السرور بما هو عقوبة، كالفرح بالمال الحرام، والتمكن من الذنوب، ومن هذه حاله لا يفوز بطاعة[٢].

أحبتي في الله:..

فلا تغفلوا عما غفل عنه المجرمون، حيث قال ربنا عز وجل: **﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾** [القمر:٥٣] هذا ما غفل عنه المجرمون في الدنيا، فأذهلهم خطره يوم القيامة **﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾** [الكهف:٤٩] قال سفيان الثوري: سئلوا حتى عن التبسم، فقيل: فيمَ تبسمت يوم كذا وكذا؟[٣] ولهذا لما قرأ الفضيل بن عياض هذه الآية مرة من المرات، قال: يا ويلتاه، ضجوا إلى الله تعالى من الصغائر قبل الكبائر.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي.

(٣) الدر المنثور للسيوطي.

وذكر القرطبي قول قتادة ـ رحمه الله ـ: اشتكى القوم الإحصاء، وما اشتكى أحد ظلمًا، فإياكم ومحقرات الذنوب، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه[1].

اللهمَّ إنا نستغفرك من الذنوب كلها، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها..

اللهمَّ اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير..

اللهمّ طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

اللهمَّ باعد بيننا وبين خطايانا كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهمَّ ارزقنا من طاعتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، وارزقنا فرجًا قريبًا، وتوبة نصوحة مقبولة يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

---

(١) تفسير القرطبي.

الوصية رقم (٦٩)
* احذروا أن تعادوا لله وليًا *

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله عز وجل من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أفضل مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله:..

أولاً: من هم أولياء الله عز وجل؟

إنهم قوم اصطفاهم الله بمحبته، وآثرهم بفضله ورحمته، أولئك الذين اعتصموا بأسباب السعادة والنجاح، واجتهدت نفوسهم في نيل الرضا والفلاح، ولم تمل أبدانهم من طول العبادة، فأفاض الله عليهم من أنواره، وجعل لهم مكانة لم يجعلها لغيرهم، وتولاهم بنصرته وتأييده.. أولئك هم أولياء الله.. أولياء الله.. هم قوم عصمهم الله من مزالق الهوى والضلال، فبشروا بالأمن والسعادة في الدنيا والآخرة.. ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ [يونس:٦٢-٦٤] وأنى لهم أن يخافوا وقد آمنوا بالله وتوكلوا عليه؟ وأنى لهم أن يحزنوا وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه؟ فأثمر إيمانهم عملاً صالحًا، وسكينة في النفس ويقينًا في القلب..

قال الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: من كان مؤمنًا تقيًا، كان لله وليًا..

يقول أبو عمرو المروزي رحمه الله: من صفات الأولياء ثلاثة: الرجوع إلى الله في كل شيء، والفقر إلى الله في كل شيء، والثقة بالله في كل شيء..

---

(١) رواه البخاري في باب التواضع (٦٠٢١) والبيهقي في سننه الكبرى.

هم الذين تابوا وأنابوا إلى الله عز وجل.. فمن صفاتهم الإنابة، قال تعالى: ﴿وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق:٣٣].

ومن علامتهم: تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وإنصاف عن قوة.. هم المخلصون الذين يكتمون إحسانهم كما يكتمون سيئاتهم، هم الذين أخلصوا نيتهم لله رب العالمين، ومن خلصت نيته، كفاه الله ما بينه وبين الناس أوحى الله إلى داود عليه السلام:

يا داود.. إنَّ لي عباداً من خلقي يحبوني وأحبهم، ويذكروني وأذكرهم، وينظرون إليَّ وأنظر إليهم، فإن سلكت طريقهم نجوت، وإن حدت عنهم، هلكت..

فقال داود: يا رب، وما علامتهم؟ فقال: يراعون الظلام، كما يراعى صاحب الغنم غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس، كما تحن الحمامة إلى وكرها، حتى إذا جنهم الليل، واختلط الظلام بالظلام.. وفرشت الفرش، ونصبت الأسرة وخلا كل حبيب بحبيبه.. نصبوا أقدامهم، وافترشوا لي وجوههم.. وناجوني بإحساني إليهم.. وتملقوني بإنعامى عليهم.. وهم بين صارخ وباك، ومتأوه وشاك.. وقائم وقاعد.. وراكع وساجد.. فبعيني ما يتحملون من أجلي.. وبسمعي ما يشكون من حبي..

إنها والله صفات المتقين الصالحين.. الذين منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، نزلت أنفسهم في الرخاء كما نزلت في البلاد..

أما الليل فصافون أقدامهم، يرتلون أجزاء القرآن ترتيلاً، فإذا مروا بآية فيها تخويف، كأن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم، وإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعًا..

أحبتي في الله:..

هذه هي بعض أوصافهم، وتلك هي منزلتهم في الدنيا والآخرة.. لا يحزنون إذا حزن الناس، ولا يخافون إذا خاف الناس.. على وجوههم النور، ومكانهم

نور.. ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

ولقد بلغ من علو شأنهم، وسمو قدرهم، أن أعلن رب العزة والجلال الحرب على كل من أراد بهم سوءًا، أو ألحق بهم أذى، كما جاء في هذا القبس الرباني والهدى النبوي، الذين يود الله عز وجل ورسوله أن يقول لأمة الإسلام احذروا أن تؤذوا أولياء الله.. ثم افعلوا فعلهم، وانهجوا نهجهم.. وسيروا على دربهم.. وماذا كانوا يفعلون؟

كانوا يتقربون إلى الله بأفضل شيء، وهو ما افترضه عليهم، ثم كانوا يتقربون بعد ذلك بالنوافل من الصلاة والصيام والصدقة والحج والعمرة وغيرها فانظروا كيف يدافع الله عز وجل عن أوليائه وأحبائه، وكيف يمدهم بالنصرة، والتأييد، ثم انظر كيف يتوعد من دعاهم بالحرب.

قال الله تعالى لكليمه موسى عليه السلام: اعلم أن من أهان لي وليًّا، أو أخافه، فقد بارزني بالمحاربة، وعاداني، وعرض نفسه ودعاني إليها، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي؟ أو يظن الذي يعاديني أنه يعجزني؟ أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني؟ وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة، فلا أكل نصرتهم إلى غيري.

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ:

واعلم أن جميع المعاصي محاربة لله عز وجل.. قال الحسن: ابن آدم، هل لك بمحاربة الله من طاقة؟ فإن من عصى الله، فقد حاربه، لكن كلما كان الذنب أقبح كانت المحاربة لله أشد، ولهذا سمى الله عز وجل أكلة الربا، وقطاع الطريق محاربين لله تعالى ورسوله، لعظم ظلمهم لعباده، وسعيهم بالفساد في بلاده، وكذلك معاداة أوليائه، فإنه سبحانه يتولى نصرة أوليائه ويحبهم ويؤيدهم، فمن عاداهم فقد عادى الله وحاربه..

فالله عز وجل لا يتخلى عن أوليائه، ولا يتركهم فريسة لأعدائهم- حتى ولو

تأخر هذا النصر أو طالت مدته.. فهـذا النصر وهذا التأييد، إنما هو مرتبط بسنن الله تعالى التي لا تتبـدل ولا تتغير.. وسنة الله عز وجـل- اقتضت أن يمهل الظالمين دون إهمـال لهم، فإن تابوا وأنـابوا، وزالت عداوتهم للـصالحين، تاب الله عليـهم، وإن أصروا على باطلهـم، وتمادوا في غيهم، فـإن الله عز وجل يملى لهم استـدراجًا، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وبذلك ينتصر الله لأوليائه.. ويجعل العاقبة لهم، والغلبة على من عاداهم..

فنبي الله وخليله ورسـوله إبراهيم ـ عليـه السلام- كـان وليًّـا لله عز وجل، لما اعتدى عليـه النمرود وعاداه وآذاه، كان في حـرب مع الله عز وجل، أرسل الله إليه شيئًا بسيطًا قليلاً.. أرسل إليه جنديًا من جنوده.. بعوضة صغيرة دخلت في أذنه، فكان لا يهدأ باله، ولا يسـتقر ضمـيره، إلا إذا ضرب بالنعـال على أم رأسه.. من يحبه يضربه على أكرم شيء في جسده بأقذر شيء وهو النعل على رأسه..

نبي الله موسى عليـه السلام وكليمـه، وهو ولي من الأولياء، لأن كل نبي ولي لله، وليس كل ولي نبي.. لما ظلم فرعون وطغى وتكبر أهلكه الله عز وجل؟، أغرقه في اليم فكان جـزاؤه من جنس عمله.. لقد كـان يقول لأهل مـصر ﴿**أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ [الزخرف:٥١] فأجراها الواحد القهار من فوقه، وأغرقـه، حتى روي أنه استغاث بموسى عليه السـلام سبعين مرة، لكنه لم يغثـه، فعاتبـه ربه.. يا موسى، لقـد استغاث بـك سبعين مـرة فلم تغثه، فـوعزتي وجلالي، لو استغاث بي مرة واحدة، لوجدني قريبًا مجيبًا..

وسيد الأنبـياء، وخاتم المرسلين سيدنا مـحمد ﷺ هو إمام الأولياء وكـبير أمناء الأرض.. ﷺ لما شتـمه عتـبة بن أبي لهب وتفل في وجهـه قال ﷺ داعيًـا عليه: «**اللهمَّ سلط عليه كلبًا من كلابك**» فأكله السبع وهو في سفره..

فقـد كان أبو لهب يحتمل البـز إلى الشام، ويبعث بولده مع غلمـانـه ووكلائه، ويقول: إنكم قد عـرفتم سني وحقي، وأن محمدًا قد دعـا على ابني دعوة، والله ما آمنها عليه فتعاهدوه، فكانوا إذا نزلوا المنزل ألزقـوه إلى الحائط، ووضعوا عليه الثياب

والمتاع، حتى نزلوا في مكان من الشام، يقال له: الزرقاء، ليلاً، فطاف بهم الأسد، فجعل عتبة يقول: يا ويل أمي، هو والله آكلي كما دعا محمدٌ عليَّ، قتلني محمد وهو بمكة وأنا بالشام..

فجاء الأسد، فشم وجوههم واحدًا واحدًا، حتى انقض على رأس عتبة، فهزمه هزمة ففضخ رأسه، فقال وهو بآخر رمق: ألم أقل لكم إن محمدًا أصدق الناس.. ولما أراد سراقة أن يلحق بالحبيب المصطفى وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت قريش قد أعدت لمن يأتي بمحمد ﷺ حيًا أو ميتًا مائة من الإبل وكاد يدركهما حتى بكى الصديق رضي الله عنه فقال له الحبيب محمد ﷺ: «**لمَ تبكي؟**» فقال: والله ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك يا رسول الله- أي من الخوف على حياتك- فقال ﷺ: «**اللهمَّ اكفناه بما شئت**» فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد، ووثب عنها- وكاد أن يهلك فقال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمِّين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي، فخذ منها سهمًا، فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا، فخذ منها حاجتك..

فقال رسول الله ﷺ: «**لا حاجة لي فيها**» ودعا له رسول الله[1]..

ولما أرسل رسول الله ﷺ كتابه إلى كسرى ملك الفرس، مزق كسرى هذا الكتاب، فلما بلغه ﷺ ذلك قال: «**اللهمَّ مزق ملكه**» وحدث ذلك، فمزق الله ملكه[2].. ومن ينتبع هذا يجد في كتب السيرة الكثير والكثير.

أحبتي الكرام...

وهذا سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ ولي من أولياء الله الصالحين، كان عالمًا فقيهًا جليلاً، وكان زاهدًا من الزهاد العُبّاد، جاء به الحجاج بن يوسف الثقفي الظالم السفاح ليقول له: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير..

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده برقم (٣) وصححه أحمد شاكر (١/ ١٦٦) وذكره صاحب الهدى والرشاد (٣/ ٢٤٩).

(٢) رواه البخاري والبيهقي.

قال: بل أنت الشقي بن كسير..

قال: لقد سمتني أمي بذلك فهي أعلم منك باسمي..

قال له: شقيت وشقيت أمك، لأقتلنك..

قال: الأمر ليس إليك.. فقال الحجاج: اضربوا عنقه..

فقال: دعوني أصلي ركعتين لله..

قال الحجاج: وجهوه إلى قبلة النصاري..

قال سعيد: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥].

قال: إني أستعيذ منك بما استعاذت به مريم.

فقال: وما عاذت به؟

قال: قالت: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم :١٨].

قال الحجاج: لأبدلنك بالدنيا نارًا تلظى.

قال سعيد: لو علمت أن ذلك بيدك، لاتخذتك إلهًا..

قال: كبوه على وجهه.

قال سعيد: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه :٥٥].

قال: اذبحوه.

قال سعيد: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، خذها مني، حتى تلقاني بها يوم القيامة.. اللهمَّ لا تسلطه على أحد يقتله بعدي».. بماذا انتقم الله لهذا الولي؟

يقال: إن الحجاج لما حضرته الوفاة، كان يغوص ثم يفيق، ويقول: مالي ولسعيد ابن جبير(١)..

(١) وفيات الأعيان (٢/٣٧) لابن خلكان والبداية والنهاية (٩/١٠٢) لابن كثير.

وقيل: إنه في مدة مرضه كان إذا نام رأى سعيد بن جبير آخذا بمجامع ثوبه، يقول له: ياعدو الله، فيم قتلتني، فيستيقظ مذعوراً، ويقول: مالي ولسعيد بن جبير..

ويقال: إنه رئى الحجاج في النوم بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: قتلني بكل قتيل قتلته قتلة، وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة(١).

أحبتي في الله:..

(من عاد لي وليًّا فقد آذنته بالحرب..) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج:٣٨].

سيدنا عثمان بن عفان ﷺ كان من أصحاب رسول الله ﷺ وكان يلقبه بـ(ذي النورين) وكان رجلاً تستحي منه الملائكة، وكان من أولياء الله الصالحين، هذا الصحابي الجليل، والولي الكريم لما حاصر الثوار داره، منعوه زواده، ومنعوه الماء الذي تتفجر به بئر رومة التي اشتراها من خالص ماله، وأهداها للمسلمين..

لقد حاصره أعداء الله أربعين يومًا، وعنده في داره من المهاجرين والأنصار قريب من سبعمائة، ومجموعة من مواليه، لو تركهم لمنعوه، فقال لهم: أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده، وأن ينطلق إلى منزله..

وقال لرقيقه: من أغمد سيفه، فهو حرٌّ.

وعن نافع بن عمر، أن عثمان ﷺ أصبح يحدث الناس، قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقال: «**يا عثمان، أفطر عندنا**» فأصبح صائمًا وقتل من يومه(٢).. استشهد وهو يقرأ كتاب الله عز وجل، سالت دماؤه الطاهرة الزكية على المصحف وهو يختم حياته بالقرآن الكريم.. ورزقه الله عز وجل الشهادة في سبيله.. فهل ترك الله عز وجل الذين عادوه وآذوه؟ إنه تعالى لقد أعلن الحرب على من يعادي أولياءه أو يؤذيهم..

(١) وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٤).
(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٠٤) وتاريخ دمشق (٥/ ٢١٩).

عن أبي قلابة قال: كنت في رفقة بالشام، وسمعت صوت رجل يقول: يا ويلاه النار.. قال: فقمت إليه، وإذا رجل مقطوع اليدين والرجلين من الحقوين، أعمى العينين، منكبًا لوجهه، فسألته عن حاله، فقال:

«إني كنت ممن دخل على عثمان الدار، فلما دنوت منه، صرخت زوجته، فلطمتها فقال عثمان ﷺ: مالك قطع الله يديك ورجليك، وأعمى عينيك، وأدخلك النار» فأخذتني رعدة عظيمة، وخرجت هاربًا، فأصابني ما ترى، ولم يبق من دعائه إلا النار.. قلت له: بُعدًا لك وسحقًا(١)..

وعن طعمة بن عمر قال: كان رجل قد يبس وشحب من العبادة، فقيل له: ما شأنك؟ قال: إني كنت حلفت أن ألطم عثمان، فلما قتل جئت فلطمته، فقالت لي امرأته: أشل الله يمينك، وصلى وجهك النار، فقد شلت يميني، وأنا أخاف النار»(٢).

وقال يزيد بن حبيب: إن عامة الذين ساروا إلى عثمان- أي لقتله- جُنُّوا»(٣) أي أصابهم الله عز وجل بالجنون..

وهذا هو سيدنا الحسين بن على ﷺ كان ابن بنت الرسول الأعظم، - فاطمة ﷺ - سيدة نساء الجنة، وهو وأخوه الحسن سيدا شباب أهل الجنة، وكان من أولياء الله الصالحين.. لما استشهد ﷺ وقتله الأعداء ظلمًا وعدوانًا، واعتدوا عليه، عاداهم الله عز وجل.. «**ومن عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب**».

يقول ابن كثير - رحمه الله - في البداية والنهاية:

وأما ما روى من الأحاديث والفتن التي أصابت من قتله، فأكثرها صحيح، فإنه قل من نجا من أولئك الذين قتلوه، من آفة وعاهة في الدنيا، فلم يخرج منها حتى أصيب بمرض، وأكثرهم أصابه الجنون(٤).

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة (٥٠٧) تحقيق حمزة النشرتي.

(٢) مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا رقم (٣٠) ص٣٣ تحقيق: زياد حمدان.

(٣) **حسن**: رواه الطبراني بإسناد حسن الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٥٥٣).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٥٧٣).

وذكر ابن أبي الدنيا في مجابى الدعوة أنه كان رجل من بني أبان بن دارم، يقال له: زرعة، شهد قتل الحسين ﵁ فرمى الحسين بسهم، فأصاب حنكه، فجعل يتلقى الدم- أي يخرج منه- وكان الحسين ﵁- قد دعا بماء ليشرب، فحال بينه وبين الماء، فقال الحسين: اللهمَّ ظمئه.. اللهمَّ ظمئه.

قال: فحدثني من شهده وهو يموت، وهو يصيح من الحر في بطنه، والبرد في ظهره وبين يديه المراوح والثلج، وخلفه الكانون، وهو يقول: اسقوني فقد أهلكني العطش.. فيأتونه بإناء كبير فيه السويق أو الماء أو اللبن، لو شربه خمسة لكفاهم، فيشربه، ثم يعود، فيقول: اسقوني، أهلكني العطش قال: فانقد بطنه، كانقداد البعير(١).

وهذا سعد بن أبي وقاص ﵁ الصحابي الجليل، وولي من أولياء الله الصالحين لما شكاه أهل الكوفة إلى فاروق الإسلام سيدنا عمر بن الخطاب ﵁ وادعوا عليه زورًا وبهتانًا عدة أمور: أنه لا يحسن يصلي..

قال سعد: أما أني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أخرم عنها، أركد في الأولين- أي أطيلهما- وأخفف الأخرين.

قال عمر: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق.. فبعث رجالاً يسألون عنه في مجالس الكوفة فكانوا لا يأتون مجلسًا إلا أثنوا عليه خيرًا. حتى أتوا مسجدًا من مساجدهم، فقام رجل يقال له: «أبو سعدة» أراد أن يؤذى سعدًا، ويحاربه، فقال عنه: إنه كان لا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية.

فقال سعد: اللهمَّ إن كان كاذبًا، فأعم بصره، وأطل فقره، وعرضه للفتن فاستجاب الله دعوته، فأعمى بصره، وأطال فقره، وعرضه للفتن، فكان يتعرض للإماء في السكك، فيقال له: كيف أنت، قال: كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد(٢).

---

(١) مجابي الدعوة رقم (٥٨) لابن أبي الدنيا (ص٥١،٥٢).

(٢) مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا رقم (٣٢) (ص٣٥).

أحبتي الكرام...

فمن عادى أولياء الله تعالى، فقد آذنه الله عز وجل بالحرب، فدل على أنه سيصل إليه عذاب الله ونكاله..

قال الفاكهي: وفي هذا تهديد شديد، لأن من حارب الله عز وجل أهلكه.

قال الشيخ ابن عيثمين ـ رحمه الله ـ: فيه أنّ معاداة أولياء الله من كبائر الذنوب.. وفيه: إثبات أولياء الله عز وجل، ولا يمكن إنكار هذا، لأنه ثابت في القرآن والسنة، ولكن الشأن كل الشأن تحقيق المناط، بمعنى: من هو الولي؟ هل تحصل الولاية بالدعوى أو تحصل بهيئة اللباس؟ أو بهيئة البدن؟ الجواب: لا، فالولاية بينها الله عز وجل في قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣] فمن كان مؤمنًا تقيًّا، كان لله وليًّا..

قال: واعلم أن ولاية الله عز وجل نوعان: عامة وخاصة..

فالعامة: ولايته على الخلق كلهم تدبيرًا وقيامًا بشئونهم، وهذا عام لكل أحد للمؤمن والكافر، والبر والفاجر، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ۝٦١ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ..﴾ [الأنعام:٦١،٦٢].

وولاية خاصة: وهي ولاية الله عز وجل للمتقين.. قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧].

وفيه: إثبات الحرابة لله عز وجل لقوله: «آذنته بالحرب» وقد ذكر الله عز وجل في الربا.. ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ..﴾ [البقرة:٢٧٩] وذكر في قطاع الطريق.. ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ..﴾ [المائدة:٣٣].

وهكذا كان جزاء من حارب أولياء الله وعاداهم؟!

لكن ما هو أفضل شيء نتقرب به إلى الله الواحد الأحد؟ وما هي الأعمال التي قام بها الأولياء حتى صاروا بهذه المنزلة العظيمة عند الله عز وجل؟

هذا ما سوف نواصل الحديث عنه في اللقاء القادم..

نسأل الله عـز وجل أن يجعلنا من أوليائه.. اللهم اجـعلنا من أوليائك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون..

اللهم احشـرنا مع النبيين والصـالحين، ووفقنا لصـالح الأعمـال يا رب العالمين، اللهمَّ يا عظيم السلطان.. يا قديم الإحسان.. يا كثير الخير.. يا واسع العطايا.. يا باسط الرزق.. يا جميل الستـر.. يا مقوي كل ضعـيف.. ويا مأمن كل خائف أمنا يوم الخوف والـفزع.. والطف بنا في الأمـور كلها.. وكن لنا عـونًا وسندًا وكن لنا مـؤيدًا.. وارفع راية الإسـلام والمـسلمين.. وعـمـر جـوارحنا بطـاعـتك يا أرحم الراحمين.. يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

ثالثًا: الزهد والرقائق

الوصية رقم (٧٠)

* تقربوا إلى الله بالعبادة والطاعة *

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله عز وجل قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها.. ورجله التي يمشي بها.. وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه..**»(١) صدق رسول الله فيما بلغ عن ربه.

أحبتي في الله:..

تكلمنا في اللقاء الماضي عن جزاء من عادى أولياء الله عز وجل، وتحدثنا عن بعض صفات الأولياء، ومكانتهم عند الله عز وجل؟ لكن اليوم نتحدث عن: العبادة التي يتقرب بها العبد إلى ربه ومولاه، فيزداد منه قربًا، ويزدادوا له حبًّا هيا بنا لنعيش مع ذلك أيها الأحبة الكرام..

يقول الإمام ابن رجب رحمه الله:

لما ذكر الله عز وجل أن معاداة أوليائه محاربة له، ذكر بعد ذلك وصف أوليائه، الذين تحرم معاداتهم، وتجب موالاتهم، فذكر ما يتقرب به إليه بما يقربهم منه، وأعداؤه الذين أبعدهم عنه بأعمالهم المقتضية لطردهم، وإبعادهم منه، فقسم أولياءه المقربين إلى قسمين:

أحدهما: من تقرب إليه بأداء الفرائض، ويشمل ذلك فعل الواجبات، وترك المحرمات، لأن ذلك كله من فرائض الله عز وجل، التي افترضها على عباده.

والثاني: من تقرب إليه بعد أداء الفرائض بالنوافل..

---

(١) **صحيح**: سبق تخريجه.

فظهر بذلك إلى أنه لا طريق يوصل إلى التقرب إلى الله تعـالى وولايته ومحبته، سوى طاعته التي شرعـها على لسان رسوله ﷺ فمن ادعى ولاية الله تعالى ومحبته بغير هذا الطريق، تبين أنه كاذب في دعواه، كما كان المشركون يتقربون إلى الله تعالى بعبادة من يعبدونه من دونه، كما حكى الله عنهم أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى..﴾ [الزمر:٣].

وكمـا حكى عن اليهـود والنصارى، أنهـم قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ..﴾ [المائدة:١٨] مع إصرارهم على تكذيب رسله، وارتكاب نواهيه، وترك فرائضه..

فلذلك ذكر هنا أن أولياء الله تعالى على درجتين:

الدرجة الأولى: المتقـربون إليه بأداء الفرائض، وهذه درجـة المقتصدين أصـحاب اليمين.. وأداء الفـرائض أفضل الأعمال، كـما قال الفاروق عـمر بن الخطاب ؓ: أفضل الأعمال: أداء ما افترض الله، والورع عما حرم الله وصدق النية فيما عند الله..

وقال عمر بن عـبد العزيز رحمه الله في خطبته: أفـضل العبادات أداء الفرائض، واجتناب المحارم.. وذلك لأن الله تعالى إنما افترض على عباده هذه الفرائض ليقربهم منه، ويوجب لهم رضوانه ورحمته..

وأعظم فرائض البدن التي تقرب إلى الله عز وجل: الصلاة، ألم تروا أن الله قال لحبيبه ومصطفاه ﷺ: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾.

وبقدر سجود العبد لله عز وجل، بقدر رفعته عند الله تعالى.. قال صلوات ربي وسلامه عليه: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»(١).

ويقول موصيًا أحد الصحب الكرام: «**وعليك بكثرة السجود لله، فإنه لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك خطيئة**»(٢).

وعن ربيعـة بن كعب الأسلمي ؓ قـال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد ومسلم.

بوضوئه وحاجته، فقال لي: «**سل**» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة.. قال: «**أو غير ذلك؟**»

قلت: هو ذاك.. قال: **فأعني على نفسك بكثرة السجود**»[١].

وفي رواية عنه أيضًا أنه قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ وأقوم له في حوائجه نهاري، فإذا كان الليل آويت إلى باب رسول الله، فبت عنده، فلا أزال أسمعه يقول: سبحان الله، سبحان ربي، حتى أمل، أو تغلبني عيني، فأنام، فقال لي يومًا: «**يا ربيعة، سلني، فأعطك**» فقلت: أنظرني حتى أنظر، وتذكرت أن الدنيا منقطعة، فقلت: يا رسول الله، أسألك أن تدعو الله أن ينجيني من النار، ويدخلني الجنة، فسكت رسول الله، ثم قال: «**من أمرك بهذا؟**» قلت: ما أمرني به أحد، ولكني علمت أن الدنيا منقطعة فانية، وأنت من الله بالمكان الذي أنت منه، فأحببت أن تدعو الله لي، قال: «**إني فاعل، فأعني على نفسك بكثرة السجود**»[٢] ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ..**﴾ [النحل:٥٩] فالسجود له أعظم دلائل الإجلال، وتمريغ الوجه في التراب أقصى علامات التذلل للوهاب، فهو أقصى درجات العبودية، وأصدق دلائل الإذعان، وأجمل رسائل الحب، وأعذب مناظر الخشوع وأفضل أثواب الافتقار، وهو انطراح للجبار، وتذلل للقهار، إنه تزلف للمحبوب وانطلاق من أسر الدنيا، وهروب من قيود الطاغوت، وتجرد من أوسمة العظمة وتخل عن رتب الفخامة، وألقاب الزعامة ﴿**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً..**﴾ [مريم :٩٣] يسجد الملك والمملوك، والغني والفقير، والسيد والمسود والرجل والمرأة، كلهم سواء في فقرهم إلى الكريم، وذلهم للعظيم..

والسجود رسالة معبرة لكل ملوك الأرض، وكل عظماء الدنيا أن التذلل الحق والخشوع الحق، للملك الحق.. للواحد القهار، والكبير المتعال.. لمن بيده مقاليد السموات والأرض..

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد والطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٨٨).

إن السجود بمظهره الخاشع، يثير في النفس أن العظمة لله، والكبرياء لله، والقوة لله، والجبروت لله.. والاستعلاء لله.. والملك لله.. والعبودية لله.. فهو انحناء لعظمته.. وافتقار لجوده، واعتراف بفضله، وإقرار بنعمه، واستسلام لجلاله وعظمته.

كان فؤادي خاليًا قبل حبكم
وكان بكل الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواك أجابه
فلست أراه عن فنائك يبرح
فلا تحرمنَّ النفس من فيض جودكم
فلست أرى قلبي لغيرك يصبح

إذا سجد العبد، فك سلاسل التقليد من الأعراف والعادات، فخر ساجدًا يمرغ جبينه لله تعالى، وأعطى القلب زمامه..

كن مع الله وابتغ الله وحده
ليس إلاه في العوالم عُدة
واجعل الله خفق قلبك حمدًا
ورجاء.. وخشية ومودة
كابد الوجد بالذي لا تراه
واجعل القرب من إلهك سجدة
هو نور السماء والأرض فاقتبس
واقدح به لروحك زنده
وتنفس بذكره وتلبث
لتجليه مدة إثر مدة

أفضل الفرائض الصلاة، لأنها تحرق الذنوب وتمحوها، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحترقون تحترقون.. فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم الظهر غسلتها تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا**»(١).

الصلاة لأن رسول الله ﷺ أوصى بها وهو في آخر لحظات حياته المباركة قبل أن تصعد روحه إلى الرفيق الأعلى بلحظات، كان يقول: «**الصلاة.. الصلاة، وما ملكت أيمانكم**»(٢) وكان يقول عنها في حياته: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»(٣) الصلاة لأنها راحة الأرواح.. وراحة القلوب.. وراحة الأبدان، لذلك كان يقول لخير مؤذن عرفه التاريخ: «**أرحنا بها يا بلال**»(٤) الصلاة لأن.. الصلاة أم العبادات، لما فيها من ألوان العبودية الشاملة لسائر بدن الإنسان: للقلب، والعقل، واللسان..

فللسان: الشهادتان، والتكبير، والتعوذ، والبسملة، وتلاوة القرآن، والتسبيح، والتحميد، والاستغفار، والصلاة على النبي المختار.

وللجوارح: القيام، والركوع، والسجود، والاعتدال، والخفض، والرفع، والقعود..

وللعقل: التفكير، والتدبر، والتفقه، والتفهم.

وللقلب: الخشوع، والرقة، والخوف والتضرع..

بالإضافة إلى أنها تتضمن سائر أركان الإسلام..

---

(١) **حسن صحيح**: رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٥٧).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد والنسائي وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٧٣).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤).

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود وصححه الألباني في تخريج المشكاة (١٢٥٣) وصحيح سنن أبي داود (٤٩٨٥).

أحبتي الكرام...

وهذا حديث جامع لأركان الإسلام، ومبين لمن قام به العبد من الفرائض التي فرضها الله على عباده.. عن عمرو بن مرة الجهني قال: جاء رجل من قضاعة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وصمت رمضان، وقمته، وآتيت الزكاة، فقال رسول الله ﷺ: «**من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء**»(١).

وإن من الفرائض المقربة إلى الله عز وجل السعي إلى صلاة الجمعة، قال ﷺ: «**من غسل يوم الجمعة واغتسل، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب ودنا من الإمام، فاستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها**»(٢) ولا عجب فهو خير يوم طلعت فيه الشمس، فيه خصال وأحداث عظيمة جليلة: فيه خلق آدم، وفيه أهبط إلى الأرض، وفيه توفي، وفيه تقوم الساعة، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، وكل الموجودات تشفق من يوم الجمعة، وهو سيد الأيام وأعظمها، أعظم عند الله من يوم الأضحى، ويوم الفطر..

يقول ابن رجب- رحمه الله -: ومن الفرائض المقربة إلى الله عز وجل: [عدل الراعي في رعيته]: سواء كانت رعيته عامة كالحاكم، أو خاصة، كعدل أحاد الناس في أهله وولده، كما قال ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»(٣) وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور، على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما والوا**»(٤).

---

(١) **حسن**: رواه ابن حبان والبزار وابن خزيمة وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٧٤٨).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود وابن حبان والترمذي وابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٦٩٠).

(٣) تقدم تخرجه (متفق عليه).

(٤) رواه مسلم في الإمارة (١٨٢٧).

عدل الراعي واجب، ومن خالف هلك.. قال ﷺ: «**ما من أمير عشرة، إلا ويؤتي به يوم القيامة مغلولاً، حتى يفكه العدل، أو يوبقه الجور**»[١].

أحبتي الكرام...

ولو تتبعنا الفرائض التي تستوجب محبة الله عز وجل، ما وسعتنا هذه السطور لكن تعالوا بنا ننتقل إلى:

الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين، وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع، وذلك يوجب للعبد محبة الله عز وجل «**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه..**».

قال أهل العلم يستحب للمسلم الإكثار من التطوع تقربًا إلى الله عز وجل، وجبرًا لما يقع في الفرائض من نقص..

فمن نافلة الصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة وبعدها، ومن أكد ذلك ركعتان قبل الصبح، وأربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، فهذه ثنتا عشرة ركعة، يقول فيها النبي ﷺ: «**ما من عبد مسلم يصلى لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة، إلا بنى الله له بيتًا في الجنة**»[٢].

في سنة الفجر يقول: «**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**»[٣].

وأما سنة الظهر، فقد قال ﷺ: «**من صلى قبل الظهر أربعًا وبعدها أربعًا، حرمه الله على النار**»[٤].

وعن أبي أيوب ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليم، تفتح لهن أبواب السماء**»[٥].

---

(١) **صحيح**: رواه البيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٧١) والصحيحة (٣٤٤).
(٢) **صحيح**: رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي.
(٣) رواه مسلم والترمذي.
(٤) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي وابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٦٤).
(٥) **حسن**: صحيح سنن أبي داود (١٢٧٠) وصحيح الجامع برقم (٨٨٥).

وأما سنة العصر، فعن عليٍّ ﷺ قال: كان النبي ﷺ يصلي قبل العصر أربع ركعات، يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة المقربين، ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين.

وقد حث عليها، فقال ﷺ كما في حديث ابن عمر ﷺ: «**رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعًا**»[١].

وأما سنة المغرب القبلية، فقد قال فيها ﷺ: «**صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب، ثم قال في الثالثة: لمن شاء**»[٢] كراهية أن يتخذها الناس سنة.. وحث على الإكثار من التطوع قبل الجمعة، فقال: «**من اغتسل ثم أتى الجمعة، فصلى ما قدر له، ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته، ثم يصلي معه، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام**»[٣].

وحث على الصلاة بعدها، فقال: «**إذا صلى أحدكم الجمعة، فليصلِّ بعدها أربعًا**»[٤] ورغب في الانتظار بعد صلاة الفجر، حتى طلوع الشمس، وصلاة ركعتين، فقال: «**من صلى الغداة في جماعة، ثم قعد يذكر الله، حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة**»[٥].

ورغب في صلاة الضحى، فقال: «**قال الله عز وجل: ابن آدم، اركع لي من أول النهار أربع ركعات، أكفك آخره**»[٦].

وبين أن ركعتي الضحى تجزيء عن ثلاثمائة وستين صدقة، فقال: «**يصبح على**

---

(١) حسن: رواه أحمد والترمذي وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٥٨٨) وصحيح الجامع (٣٤٩٣).

(٢) صحيح: صحيح سنن أبي داود (١٢٨١) وصحيح الجامع (٣٧٩١).

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) حسن: رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (٥٨٦).

(٦) صحيح: رواه الترمذي وأحمد ورواته محتج بهم كما ذكره المنذرى في الترغيب وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٣٩).

كل سلامي من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»[١].

ورغب في الصلاة عقب كل وضوء، فقال: «**ما من مسلم يتوضأ، فيحسن وضوءه ثم يقوم، فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه، إلا وجبت له الجنة**»[٢].

ورغب في صلاة الوتر، فقال: «**إنَّ الله وترٌ يحب الوتر**»[٣].

فهذه نوافل مطلقة ومقيدة، ويبقى بعد ذلك قول خاتم النبيين وإمام المرسلين: «**الصلاة خير موضوع، فمن شاء أن يستكثر، فليستكثر**»[٤].

وأما نوافل الصيام، فقد رغب فيها ﷺ ولو لم يكن فيها إلا حديث: «**ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله تعالى، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا**»[٥] لكفى وحديث: «**عليك بالصوم، فإنه لا مثل له**» لكفى وأما عن نافلة الصدقة، فقد حث عليها رب العزة والجلال مع الزكاة الواجبة، فقال تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً ..**﴾ [المزمل: ٢٠].

وحديث النبي ﷺ: «**اتقوا النار، ولو بشق تمرة**»[٦].

وأما عن نافلة الحج والعمرة، فقد قال ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**»[٧].

---

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.
(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائي.
(٣) **حسن**: رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وحسنه الألباني.
(٤) **حسن**: رواه الطبراني في الأوسط وحسنه الألباني في الترغيب (٣٩٠).
(٥) رواه البخاري ومسلم.
(٦) **صحيح**: رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٧) **صحيح**: تخرج في موضع آخر رواه الترمذي والنسائي

ويكره للقادر أن يتأخر عن حج التطوع أكثر من خمس سنين، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: إنَّ عبداً أصححت له جسمه، ووسعت عليه في المعيشة، تمضى عليه خمسة أعوام لا يفد إليَّ لمحروم**»[(١)].

اللهمَّ ألزمنا سبيل الاستقامة، التي لا زيغ بعدها، وارفعنا إلى مرتبة القانتين والخاشعين والصديقين والصالحين، واجعلنا من أهل الرضا في الدنيا والآخرة..

اللهمَّ أعذنا من أحوال أهل الشقاء، ووفقنا لأعمال أهل التقى، وارزقنا الاستعداد ليوم اللقاء.. يا من عليه الاعتماد والمتكل..

اللهمَّ كن لنا مؤيداً، ولا تجعل لفاجر علينا يداً.. واجعل لنا عيشاً قارًّا، ولا تشمت بنا أحداً.. يا من عم جميع خلقه كرمه وجوده..

اللهمَّ اغفر وارحم وتجاوز عما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو يعلى وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٠٩).

الوصية رقم (٧١)

* من أحب الله أحبه الله *

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله عز وجل قال: من عادى لي وليًّا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أفضل مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني، لأعيذنه..**»(١).

أحبتي الكرام...

وما زال الحديث موصولاً مع هذا القبس الرباني المبارك، وبقي حديث فيه عن قول الرب جل في علاه: «**فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها..**» إنَّ العبد إذا تقرب إلى الله عز وجل بالفرائض التي فرضها عليه، ثم تقرب أكثر بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع وذلك يوجب للعبد محبة الله عز وجل..

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: المراد بهذا الكلام أن من اجتهد بالتقرب إلى الله بالفرائض ثم بالنوافل، قربه إليه، ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد الله عز وجل على الحضور والمراقبة، كأنه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة الله، ومحبته وعظمته، وخوفه ومهابته، وإجلاله، والأنس به، والشوق إليه، حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهدًا له بعين البصيرة، كما قيل:

ساكن في القلب يعمره
لست أنساه فيذكره

---

(١) صحيح: سبق تخرجه.

غـــاب عن ســـمـــعي وعـن بصـــري
فـــســـويداء القلـب تبـــصـــره

قال الفضيل ابن عياض ـ رحمه الله ـ: «إن الله تعالى يقول: كذب من ادعى محبتي، ونام عني، أليس كل محب يحب خلوة محبوبه؟ ها أنا مطلع على أحبابي، وقد مثلوني بين أعينهم، وخاطبوني على المشاهدة، وكلموني بحضور، وغداً أعينهم في جناني»[١] ولا يزال هذا الذي في قلوب المحبين المقربين يقوى، حتى تمتلئ قلوبهم به، فلا يبقى في قلوبهم غيره، ولا تستطيع جوارحهم أن تنبعث إلا بموافقة ما في قلوبهم ومن كان هذا حاله، قيل فيه: ما بقي في قلبه إلا الله.. والمراد معرفته ومحبته وذكره..

قال بعض العارفين: احذروه، فإنه غيور، لا يحب أن يرى في قلب عبده غيره. ومتى امتلأ القلب بعظمته، محا ذلك من القلب كل ما سواه، ولم يبقى للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا إرادة إلا لما يريده منه مولاه.. فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره، فإذا نطق، نطق به، وإن سمع، سمع به، وإن نظر، نظر به، وإن بطش، بطش به، فهذا هو المراد بقوله[٢]: «كنت سمعه... إلخ»

وقال الخطابي ـ رحمه الله ـ:

والمعنى: توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها، بأن يحفظ جوارحه عليه، ويعصمه عن موافعة ما يكره الله عز وجل من الإصغاء إلى اللهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده، ومن السعي إلى الباطل برجله[٣]..

وقال بعضهم: معناه أنه لا يتحرك له جارحة إلا في الله، ولله، فهي كلها تعمل في الحق وللحق..

---

(١) أخرجه الدنيوري في المجالسة (١٣٢) وعبد الحق الأشبيلي في التهجد (١٠٤٦).
(٢) جامع العلوم والحكم ص٤٨٢.
(٣) فتح الباري (٨/ ٣٤٢) لابن حجر العسقلاني.

أوصت امرأة من السلف أولادها، فقالت لهم: تعودوا حب الله وطاعته، فإن المتقين ألفوا الطاعة، فاستوحشت جوارحهم من غيرها، فإن عرض لهم الملعون بمعصية، مرت المعصية بهم محتشمة، فهم لها منكرون.

يقول ابن رجب: ومن هذا المعنى قول عليٍّ: إن كنا لنرى أن شيطان عمر، ليهابه أن يأمره بالخطيئة(١).

وقد أشرنا إلى أن هذا من أسرار التوحيد الخاصة، فإن معنى: لا إله إلا الله، أنه لا يؤله غيره حبًا، ورجاء، وخوفًا، وطاعة، فإذا تحقق العبد بالتوحيد التام، لم يبق فيه محبة لغير ما يحبه الله عز وجل، ولا كراهية لغير ما يكره الله، ومن كان كذلك، لم تنبعث جوارحه إلا بطاعة الله عز وجل، وإنما تنشأ الذنوب من محبة ما يكرهه الله، أو كراهة ما يحبه الله، وذلك ينشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله وخشيته(٢)..

أحبتي الكرام...

أوصى الله إلى داود عليه السلام: يا داود، أحبني، وأحب من يحبني، وحببني إلى الناس.. فقال: يا رب، أحبك، وأحب من يحبك، فكيف أحببك إلى الناس؟ قال: تذكرهم بآلائي ونعمائي، فلا يذكرون مني إلا حسنًا..

والله تعالى إذا أحب عبدًا من عباده، أحبته الملائكة الكرام، وعلى رأسهم سيدنا جبريل عليه السلام..

قال ﷺ: **«إذا أحب الله عبدًا، نادى جبريل عليه السلام: إن الله قد أحب فلانًا، فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانًا، فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض»**(٣).

---

(١) مناقب عمر لابن الجوزي ص٢٢٥ ط- التوفيقية.

(٢) جامع العلوم والحكم ص٤٨٣ لابن رجب.

(٣) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

ومن أحبه الله، وأحبه جبريل، ووضع له القبول في الأرض، أحبه كل شيء، حتى الحيوانات المؤذية والسباع..

فهذا سفينة مولى رسول الله ﷺ يقول: «ركبت البحر، فانكسرت سفينتي التي كنت فيها، فركبت لوحًا من ألواحها، فطرحني اللوح في أجمة فيها الأسد فأقبل إليّ يريدني، فقلت: يا أبا الحارث، أنا مولى رسول الله ﷺ فطأطأ رأسه، وأقبل إليّ، فدفعني بمنكبه، حتى أخرجني من الأجمة، ووضعني على الطريق، وهمهم، فظننت أنه يودعني..»(١).

وهذا صلة بن أشيم ـ رحمه الله ـ خرج يومًا في غزاة إلى كابل، فترك الناس عند العتمة، فصلى ثم اضطجع، فالتمس غفلة الناس، ثم دخل في غيضة، ثم قام يصلي فافتتح الصلاة، فجاء أسد، فدنا منه، فلم يلتفت إليه، ولما سلم قال له: أيها السبع، اطلب الرزق من مكان آخر، فولى، وإن له زئيرًا تتصدع منه الجبال.. وما زال يصلي حتى طلع الفجر(٢)..

وهذا هو إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله تعالى ـ رآه بعضهم وهو نائم في بستان وعنده حية في فمها طاقة نرجس، فما زالت تذب عنه ـ أي الذباب ـ وتدفعه عنه حتى استيقظ(٣).

ويذكر ابن الجوزي عن نصر بن منصور أن إبراهيم بن أدهم ورد المصيصة، ليطلب أبا إسحاق الفزاري فأعلم أنه يرعى فرسه في الجبل، فذهب ليطلبه فجاء الليل، وكان المكان مسبعًا، فأخذوا يرمقونه، فأتته أسود ثلاثة، يتلو بعضها بعضًا، فتقدم الأول فشمه، ودار به، ثم تنحى ناحية، فربض، وفعل الثاني والثالث كفعل الأول، ولم يزل إبراهيم يصلي ليلته قائمًا، حتى إذا كان السحر، قال للأسد

---

(١) **صحيح**: رواه الحاكم (١٥/ ٢١٥) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ورواه الطبراني في الكبير (٦/ ١٩٠).

(٢) حلية الأولياء (١/ ٣١٧) لأبي نعيم.

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص٢٤٩.

الثلاثة: ما جاء بكم، تريدون أن تأكلوني؟ امضوا مضت الأسد وذهبت؛ دون أن تضره[١]. .

أحبتي الكرام...

لكن ما هي الأسباب التي نستجلب بها محبة رب الأرباب؟

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ:

١- فمن ذلك معرفة نعمة الله على عباده، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها. .

قال بعضهم: إذا كانت القلوب جبلت على حب من أحسن إليها، فواعجبًا لمن لا يرى محسنًا غير الله عز وجل- كيف لا يميل بكليته إليه. .

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: أتحب أن تحبك أحبتي وملائكتي وماذرأت من الجن والإنس؟ قال: نعم يا رب، قال: ذكرهم آلائي ونعمائي. . والحب على النعم من جملة شكر المنعم، وهو واجب على من أنعم عليه، ولهذا يقال: إن الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح. .

٢- ومنها: معرفة الله عز وجل:

قال عتبة الغلام: من عرف الله تعالى أحبه، ومن أحب الله أطاعه، ومن أطاعه، أسكنه في جواره، فطوباه وطوباه، وطوباه. .

ومن أعظم أسباب المعرفة الخاصة: التفكر في ملكوت السموات والأرض، وما خلق الله من شيء. . كان شميط بن عجلان يقول: دلنا ربنا على نفسه في هذه الآية: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ**. .﴾ [يونس: ٣].

وفي كتاب الله عز وجل كثير من الآيات الدالة على عظمته وقدرته وجلاله

---

(١) الحلية (٣/ ٣٤٤) لأبي نعيم.

وكماله وكبريائه ورأفته، ورحمته، وبطشه وقهره وقدرته وانتقامه، إلى غير ذلك من صفاته العلي، وأسمائه الحسنى، والندب إلى التفكر في مصنوعاته، الدالة على كماله، فإن القلوب مفطورة على محبة الكمال، ولا كمال على الحقيقة إلا له سبحانه، ولهذا كان السلف يفضلون التفكر على نوافل البدن.

قال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: الفكر في نعم الله أفضل العبادة..

وقال عبد الله بن محمد التيمي: أفضل النوافل طول الفكرة.

وقال ذو النون: تنال المعرفة بثلاث: بالنظر في الأمور كيف دبرها، وفي المقادير كيف قدرها، وفي الخلائق كيف خلقها..

فكلما قويت معرفة العبد بالله، قويت محبته له، ومحبته لطاعته، وحصلت له لذة العبادة من الذكر وغيره، على قدر ذلك..

٣- ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله عز وجل: معاملة الله بالصدق والإخلاص، ومخالفة الهوى، فإن ذلك سبب لفضل الله على عبده، وأن يمنحه محبته.

قال فتح الموصلي: من أدام النظر بقلبه، ورثه ذلك الفرح بالمحبوب، ومن آثره على هواه، ورثه ذلك حبه إياه، ومن اشتاق إليه، وزهد فيما سواه، ورعى حقه، وخافه بالغيب، ورثه ذلك النظر إلى وجهه الكريم يوم القيامة[(١)].

وسئل المرتعش: بم تنال المحبة؟ قال: بموالاة أولياء الله عز وجل ومعاداة أعدائه.

٤- ومن أعظم ما تستجلب به المحبة: كثرة الذكر مع الحضور:

قال ذو النون: من شغل قلبه ولسانه بالذكر، قذف الله في قلبه الاشتياق إليه.

وقال الجنيد: كان يقال من علامة المحبة لله: دوام الذكر بالقلب واللسان.

٥- ومما يستجلب به المحبة: تلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ولاسيما الآيات

---

(١) خرجه أبو نعيم وغيره وذكره ابن رجب.

المتضمنة للأسماء والصفات، والأفعال الباهرات، ومحبة ذلك يستوجب به العبد محبة الله، ومحبة الله له..

ففي الصحيحين «أن رجلاً كان يصلي بأصحابه، ويختم قراءته بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فأمر النبي ﷺ أن يسأل عن ذلك، فقال: إنه صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأها، فقال ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله عز وجل فليعرض نفسه على القرآن، فمن أحب القرآن فهو يحب الله عز وجل، فإنما القرآن كلام الله عز وجل.

وقال أبو سعيد الخراز: من أحب الله عز وجل، أحب كلامه، ولم يشبع من تلاوته.

وقال سهل بن عبد الله: علامة حب الله، حب القرآن..

لا تخدعن فللمحب دلائل
ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه
وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة
والفقر إكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أن يرى من عزمه
طوع الحبيب وإن ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى متبسما
والقلب فيه من الحبيب بلابل

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

ومن الـدلائل أن يرى مـــتـــفـــهـــمًـــا
لـكـلام مـن يخـطـى لـديـه الـســـــائـل
ومن الـدلائل أن يرى مـــتـــقـــشـــفًـــا
مـــتـــحـــفظًا في كـل مـــا هو قـــائل[1]

في بعض الإسرائيليات - يقول الله عز وجل:

«ابن آدم، اطلبني تجدني، فإن وجدتنـي وجدت كل شيء، وإن فشلت فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء».

كان بعضهم يكثر من تلاوة القرآن، ثم فتر عن ذلك، فرأى في المنام يقول له:

أمـــــا كـنـت تـزعـم حـــــبـي
فـلـم جـــفـــوت كـــتـــابـي
أمـــا تـدبـرت مـــا فـــيـــه
مـن لـطـف عـــتـــابـي

اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربنا إلى حبك..

اللهمَّ اجعل حبك أحب إلى نفسي وأهلي ومن الماء البارد..

اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إليَّ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي..

اللهم ارزقني حبك وحب ملائكتك ورسلك وعبادك الصالحين..

اللهمَّ اغـفر لنا ذنوبنا وإسـرافنا في أمرنا، وثبت أقـدامنا، وانصرنا على الـقوم الكافرين..

❑ ❑ ❑

(١) من كلام أبي تراب النخشبي ذكره ابن رجب في استنشاق نسيم الأنس.

الوصية رقم (٧٢)

* من ستر مسلمًا ستره الله *

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا يستر عـبدٌ عبدًا في الدنيـا، إلا ستره الله يوم القيامة**»[١] صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله:..

هذه وصية من وصـايا أفصح من نطق بالضاد، وصيـة من أوتى جوامع الكلم، وأوتي فـواتحه وخواتمه، واختـصـر له الكلام اختـصارًا.. وصـية من أبلغ البلـغاء، وأفصح الفصـحاء سيدنا مـحمد ﷺ.. وهو في هذه الوصية المـوجزة يصور لنا أن الجزاء من جنس العمل، فمن كان حريصًا على ستر المسلمين في هذه الدنيا، إذا زلوا أو وقعوا في الهفوات، فإن الله تعالى يستره في مـوقف هو أشد ما يكون احتياجًا فيه إلى الستر والعـفو، حين تجتمع الخلائق كـلها للعرض والحساب فـفي الحديث الآخر «**ومن ستر مسلمًا، ستره الله يوم القيامة**»[٢].

والله عز وجل قد أمرنا بستر العـورات، وتغطية العيوب، وإخفاء الهنات والزلات ومن مقتضى أسمـائه الحسنى، وصفاته العلا: الستير، فهو سـتير يحب أهل الستر لما رأى النبي ﷺ رجلاً يغـتسل في الخلاء، بلا إزار، فـخطب وحمـد الله وأثنى عليه، وقال: «**إنَّ الله حليم حييٌ ستير، يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**»[٣].

فالإسلام يتشوف إلى الستر، ويتطلع إلى إخـفاء الزلات، وكتمان العيوب، لأن إفشـاء العيب يعـيب صاحـبه بالدرجـة الأولى، وهو سبب كبـير من أسـباب فـشو الفاحشة، وانتشار الفساد.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) **صحيح**: رواه النسائي وأبو داود وصححه الألباني.

ولذلك لما جاء هزال بن يزيد الأسلمي إلى النبي ﷺ ورفع له شأن ماعز «**يا هزال، لو سترته بثوبك، لكان خيرًا لك**»(١).

ومن هنا جاء الحث على ستر المسلمين والمسلمات، قال ﷺ: «**من ستر عورة أخيه المسلم، ستر الله عورته يوم القيامة**»(٢).

وهذا الستر متعلق بالمعاصي والآثام، لا أن يستره بالكسوة ونحوها.

والستر على نوعين كما ذكر أهل العلم:

أولها: ستر أهل الخير والصلاح، وأهل الطاعة، الذين تكبو بهم أقدامهم أو تزل بهم ألسنتهم، أو يحصل منهم هفوة، أو يأتي منهم عيب، فنسترهم، ونقيل عثراتهم، ولا نبديها للناس، قال ﷺ: «**أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إلا الحدود**»(٣) وذوى الهيئات: هم أهل الصلاح والاستقامة، وأهل الخير، وأهل المعروف، الذين تبدو منهم بادرات أو هفوات، أو زلات.

من ذا الذي ما ساء قط
ومن له الحسنى فقط

من ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

تريد مهذبًا لا عيب فيه
وهل عود يفوح إلا بدخان

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٩٠) والصحيحة (٣٤٦٠).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجة وغيره وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٣٣٨) وصحيح الجامع (٦٢٨٧).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد عن عائشة وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٨٥) والصحيحة (٦٣٨).

أتريد من الإنسان أن يكون معصومًا؟ إذا كان الإنسان ظاهر الصلاح والخير، وحسناته أكثر من سيئاته.. وهذا الإنسان يكون متصنعًا بالعدل، فيكون مقبول الشهادة..

قال ابن المبارك كما في كتاب الكفاية عند الخطيب البغدادي: العدل عندنا- أي عند أهل السنة والجماعة- هو الذي زادت حسناته على سيئاته..

وقال سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ: ليس مسلم يخلو من ذنب، لكن من زاد صلاحه على فساده، فهو المقبول الثقة.

فإذا هذا الخيِّر بدرت منه بادرة، فاسكت، ولا تخبر، واكتم واستر، واطلب من الله عز وجل أن يسترك بهذا، كما سترته..

يقول ابن رجب ـ رحمه الله ـ عن بعض الصالحين، قال: والله الذي لا إله إلا هو، إن كان عندنا قوم ستروا عيوب الناس، فستر الله عيوبهم، وإنه كان عندنا قوم ليس لهم عيوب، فكشفوا عيوب الناس، فأحدث الله لهم عيوبًا.. فالجزاء من جنس العمل..

إذا وجدت إنسانًا ما، يغتاب الناس، فاعلم أن الناس يغتابونه كذلك، وإذا وجدته يطعن في أعراضهم، فالناس يطعنون هم كذلك في عرضه..

قال عبد الله بن عباس ﷺ: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك، فاذكر عيوبك..

وقيل: من سعادة المرء أن يشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره..

قال الشاعر الحكيم:

المرء إن كان عاقلاً ورعًا
أشغله عن عيوبه ورعه
كما السقيم المريض يشغله
عن وجع الناس كلهم وجعه

وقال آخر:

لا تكشفن مساوئ الناس ما ستروا
فيهتك الله ستراً عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا
ولا تعب أحداً منهم بما فيكا[١]

قال أبو عاصم النبيل: لا يذكر الناس بما يكرهون إلا سفلة، لا دين لهم[٢].

ثانيها: والنوع الثاني من الناس هم المجاهرون بالمعاصي، المنتهكون لحرمات الله وحدوده، فهؤلاء المجاهرون المعلنون لا يستر عليهم، وإنما يخبر بهم السلطان أو المسئول أو القاضي، أو نحو ذلك.. لماذا؟ ليكون ذلك ردعًا لهم عن ارتكابهم المعاصي جهاراً ويكون ذلك زجراً لهم، فإنهم لو تُركوا لحملوا الناس على المعاصي..

ولذلك قال النبي ﷺ: «**واغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها**»[٣]..

قال الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ: من لم يعرف منه أذى للناس، وإنما كانت منه زلة، فلا بأس أن يشفع له، ما لم يبلغ الإمام، وأما من عرف بشرٍ، أو فساد، فلا أحب أن يشفع له أحد، ولكن يترك حتى يقام عليه الحد..

والعجب كل العجب من أناس يسترهم الله عز وجل، فيأبون إلا هتك الأستار، قال النبي المختار ﷺ: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عز وجل، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه**»[٤].

---

(١) تفسير القرطبي.
(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر (١/ ٣٩٩، ٤٠٠).
(٣) رواه البخاري ورواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة.
(٤) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

فمن هذا الباب يقع المسلم في المعصية، أو الفاحشة، ثم يجلس مع أصحابه، فيحدثهم بما فعل فهذا يحمل الوزر مضاعفًا، يجمع على معصيته أو خطيئته خطايا:

فيحمل الوزر من حيث إنه ارتكب ما حرم الله عز وجل، ومن حيث جرأته على محارم الله عز وجل ويحمل الوزر من حيث إنه هتك ستر الله عليه، وجاهر بمعصيته..

ويحمل الوزر من حيث إنه زين الفاحشة لغيره، وجرأه عليها، وربما تكفل له بالدلالة على الشر، أو المعصية..

وأسوأ من هذا أن يفاخر بالجريمة، ويفتخر بالفاحشة.. وأسوأ منه أن يفاخر في جرائم وآثام لم يفعلها، ليظهر بين أقرانه بصورة البطل المغوار، صاحب المغامرات..

قال ﷺ: «**من ابتلي من هذه القاذورات بشيء، فليستتر بستر الله عز وجل**»[١].

ومن هتك الأستار، أن تخلع المرأة ثيابها في غير بيت زوجها، ولذلك لما دخل نسوة من أهل الشام على أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت لهن: أنتن اللاتي تدخلن الحمامات؟ لقد قال ﷺ: «**ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيتها إلا هتكت الستر فيما بينها وبين الله عز وجل**»[٢].

أحبتي الكرام...

واعلموا أن الطاعات والقربات بمثابة الستر لصاحبها من النار يوم القيامة، ففي الحديث: «**من استطاع منكم أن يستتر من النار، ولو بشق تمرة، فليفعل**»[٣].

وأعظم لباس يستتر به العبد، هو لباس التقوى، قال الله عز وجل: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٦].

---

(١) صحيح: رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عمر وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٩).
(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وقال صحيح على شرطها وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم (١٧٠).
(٣) رواه البخاري ومسلم.

واعلموا أن الشيطان أعدى أعدائنا، فهو بعداوته يسعى في كشف السوءات والعورات لعلمه أن الستر من الصفات الحميدة النبيلة.. قال الله عز وجل: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا..**﴾ [الأعراف: ٢٧].

أي ليكشف سترهما.. وهذا متمثل الآن في بيوت الأزياء، ودعوات العرى والخلاعة، والاختلاط، فهذا دليل فساد العقل والفطرة، وموافقة الشيطان وأعوانه، ومخالف للرحمن وأوامره.. ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً..**﴾.

وشريعتنا الغراء تحث أتباعها على الستر، ولذلك لم تتشوف لكثرة عدد المحدودين والمرجومين فالتهمة لا تكون إلا بالبينة، أو الإقرارات، وكل ذلك بشروط وأحكام، ألم تروا إلى الرسول الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ حين أتى إليه ماعز بن مالك لكي يقر ويعترف له بالزنا، يقول له النبي ﷺ: «**لعلك قبّلت أو غمزت، أو نظرت**»[(١)] فالرسول يلقنه، لماذا؟ ليدرأ عنه الحد بأي شبهة من الشبهات، لأن من سنة الحبيب ﷺ درء الحدود بالشبهات، فلما أفصح عن الأمر، وأصبح واضحًا كالشمس أمر برجمه وهذا يدل على أن الحدود لا تقام إلا بالإفصاح دون الكنايات..

وقد استعمل التلقين في درء الحدود بالشبهات السلف الصالح - رضوان الله عليهم- فقد روى أن عمر أتى برجل، فقيل له: إنه سارق، فقال عمر: إني لأرى يد رجل ما هي بيد سارق، فقال الرجل: والله ما أنا بسارق، فخلى سبيله.

وعن الشعبي أنه أُتـى عليّ بن أبي طالب- بامرأة يقال لها شُراحة، وهي حبلى من الزنا، فقال: ويحك لعل رجلاً استكرهك؟ قالت: لا، فقال: لعله وقع عليك وأنت نائمة قالت: لا، قال: فلعل زوجك من عدونا، فأنت تكرهين أن تدلي عليه؟ قالت: لا، فجعل يلقنها هذا وأشباهه، وتقول: لا، حتى رجمها[(٢)].

(١) رواه البخاري وأبو داود وأحمد وغيرهم.
(٢) شرح ابن بطال (١٥/ ٤٨٠).

وقد شرع إقامة حد القذف على من رمى مؤمنًا بغير بينة شرعية.. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

ونهانا الله عز وجل عن هتك الستر، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

أحبتي في الله:..

ورغم أن الحدود كفارات للمعاصي الكبيرة كالزنا والسرقة، لكن الستر أولى، والرجوع إلى الله عز وجل والندم على المعصية واجب.. لما جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله، إني عالجت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسها- أي أنه استمتع بها ولم يجامعها- فأنا هذا- أي أمامك- فاقض فيَّ ما شئت.. فقال له عمر: لقد سترك الله، لو سترت نفسك، فلم يرد النبي ﷺ بشيء، فقام الرجل فذهب، فأتبعه النبي ﷺ رجلاً دعاه، وتلا عليه هذه الآية: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤] فقال رجل من القوم: يا نبي الله، هذا له خاصة؟ قال ﷺ: «**بل للناس كافة**»(١) ونلاحظ أنَّ النبي ﷺ لم يسأله عن هذه المرأة التي فعل بها كذا وكذا، كما لم يسأل ماعز عمن زنا بها، لأن الإسلام يحب الستر.

وعن مريم بنت طارق، أن امرأة قالت لأم المؤمنين السيدة عائشة ﵂: إنَّ كريًّا- وهو من يؤجر الدواب للحمل- أخذ بساقي- أي أمسك بها- وأنا محرمة!

فقالت لها: حجْرًا حجْرًا أي سترًا سترًا ـ وأعرضت عنها بوجهها، وقالت: يا نساء المؤمنين، إذا أذنبت إحداكن ذنبًا، فلا تخبرن به الناس، ولتستغفرن الله، ولتتب إليه، فإن العباد يعيّرون ولا يغيِّرون، والله تعالى يُغيِّر ولا يُغيَّر(٢).

وعن العلاء بن بدر قال: لا يعذب الله قومًا يسترون الذنوب.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) مكارم الأخلاق للخرائطي ٣٠٥.

وعن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: «من كان بينه وبين أخيه سترًا فلا يكشفه.

وعن عوف الأحمسي قال: كان يقال: من سمع بفاحشة، فأفشاها، كان فيها كالذي بدأها»[١].

وعن أبي الشعثاء قال: كان شرحبيل بن السمط على جيش، فقال لهم: إنكم نزلتم أرضًا فيها شراب- أي خمر- ونساء، فمن أصاب منكم حدًا، فليأتنا حتى نطهره.. فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ﷺ فكتب إليه: «لا أمَّ لك تأمر قومًا ستر الله عليهم أن يهتكوا ستر الله عليهم؟!»[٢].

أحبتي الكرام...

لقد كانت أخلاق السلف الصالح رحمهم الله تعالى أن يستروا العيوب، فكان كل ينشغل بعيب نفسه، ويحتقر نفسه، ويترك عيب غيره، وما فعل السلف هذا عن جهل منهم، بل لحديث رسول الله ﷺ: «**يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه، وينسي الجذل أو الجذع في عين نفسه؟**»[٣].

والقذى هو ما يقع في العين من غبار أو تبن أو وسخ أو غير ذلك، والجذل هو ما عظم من أصول الشجر المقطع..

قال أبو عبيد: الاجتماع على فساد القلوب، شُبِّه بأقذاء العين، والحديث ضربه مثلاً لمن يرى الصغير من عيوب الناس ويعيرهم به، وفيه من العيوب ما نسبته إليه، كنسبة الجذع إلى القذاة.

ونحن لسنا مأمورين بأن نتتبع عورات الناس، فعن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ: «**إنك إن اتبعت عورات الناس، أفسدتهم، أوكدت أن تفسدهم**»[٤]

---

(١) الزهد لوكيع بن الجراح (٣/ ٧٦٨).

(٢) المرجع السابق (٣/ ٧٧٤).

(٣) **صحيح**: رواه ابن حبان والبخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٨٠١٣) وصحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٣٣١).

(٤) **صحيح**: رواه البيهقي في شعب الإيمان وأبو داود وصحح الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٢٩٥.

وقال كما في حديث بريدة ﷺ: «**ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عوراتهم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، يفضحه في بيته**»[١].

وليحذر المسلم أن يقول في أخيه المسلم ما ليس فيه.. فمن الممكن أن يصف إنسان إنسانًا آخر بالكبر، أو بأنه ديوث، أو بأنه فاجر أو غير ذلك من العيوب، وهذا الإنسان بريء منها، وليس فيه شيء منها، فالرسول ﷺ يقول عن ذلك «**من قال في مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله ردغة الخبال، حتى يخرج مما قال**»[٢].

والإسلام قد منع إعلان العيوب وإشهارها، واعتبر الإعلان نفسه جريمة أخرى منفصلة عن جريمة مرتكب المعايب والذنوب، كما ذكرنا قبل ذلك لأمرين:

أولاً: أنه يتيح الفرصة للمذنب أن يراجع نفسه، ويتوب إلى الله عز وجل، فلو علم أن أمره قد افتضح، وذنبه قد انكشف، فقد ضاع الحياء من وجهه، وربما أغراه الافتضاح والتشهير على السير قُدما في المعايب والرذائل.

أما لو ظل عيبه مستوراً، فإن الاحتفاظ بسمعته، وسيرته يبقى قائمًا لديه- روى عقبة بن عامر ﷺ مرفوعًا: «من رأى عورة فسترها، كان كمن أحيا موءودة»[٣].

ثانيًا: منع انتشار الفساد في الأرض، فإعلان العيوب والعورات دون أن يصحبه العقاب المشروع لهذا الخطأ أو الزلل، يفسد الجو الاجتماعي، ويغرى الآخرين بارتكابها، وكان ذلك الإعلان بمثابة تنبيه وتعليم للأشرار.

إذن الستر على العاصي يطفئ نار الفساد، ويشيع المحبة، ويورث الساتر سعادة في دنياه وأخراه.. كما أنه يثمر حسن الظن بالله عز وجل وبالناس..

ورحم الله الشافعي حين قال:

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي وابن حبان وابن ماجة وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٣٣٩).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦١٩٦).

(٣) **ضعيف**: رواه أحمد وأبو داود والترمذي وضعفه الألباني.

إن شـئـت أن تحـيـا سليـمًـا من الأذى
وحظـك مــوفــور وعــرضـك صين
لســانك لا تـذكــر بـه عــورة امــرئ
فـكـلـك عــــورات ولـلـنـاس ألـسـن
وعــيـنك إن أبـدت إليـك مـســاوئًا
فــصـنهــا وقـل يا عـين للـناس أعـين
وعـاشـر بمـعـروف وسـامح مـن اعـتـدى
وفـــارق ولـكن بـاللـتـي هي أحـــسـن

اللهمَّ استرنا بسترك الجميل في الدنيا والآخرة، اللهمَّ استر نساءنا، واستر بناتنا، واستر عيوبنا، وحسن أخلاقنا، وتول أمرنا، وأحسن عاقبتنا..

اللهمَّ إنا نسألـك نفوسًا بك مطمـئنة، تؤمن بلقائك، وترضى بقـضائك، وتقنع بعطائك..

اللهم يا من أظهـر الجميل، وسـتر القبيـح.. يا من لا يهتك الستـر، تجاوز عن سيـئاتنا، وانصرنا فـأنت خيـر الناصرين، وانشر علينا من خـزائن رحمـتك بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٧٣)

* من يستعفف يعفه الله *

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من يستعفف، يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله**..»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

هذه وصية عظيمة من وصايا أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية محمد ﷺ وأصل هذه الوصية أنَّ ناسًا من الأنصار سألوا النبي ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفذ ما عنده ﷺ فقال ﷺ: «**ما يكون عندي من خير، فلن أدخره عنكم**» أي لن أحبسه وأخبؤه وأمنعكم إياه، منفردًا به عنكم، ثم قال: «**ومن يستغن، يغنه الله**» أي من يظهر الغنى بالاستغناء عن أموال الناس، والتعفف عن السؤال، حتى يحسبه الجاهل غنيًا من التعفف، يغنه الله عز وجل عنهم، فيجعله غنيًا بقلبه، ففي الحديث الآخر: «**ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس**»(٢) أو أن الله عز وجل يعطيه ما يكون سببًا في غناه عن الخلق..

(**ومن يستعفف، يعفه**) وهذا الشطر من الوصية هو ما أريد أن أركز الحديث عنه.

قال ابن الجزري في النهاية- في معنى هذه الوصية:

الاستعفاف، طلب العفاف، والتعفف، وهو الكف عن الحرام، والسؤال من الناس أي من طلب العفة وتكلفها، أعطاه الله إياها..

وقيل: الاستعفاف: الصبر والنزاهة عن الشيء.. يقال: عف يعف عفة فهو عفيف وتطلق العفة على الابتعاد عما لا يحل ولا يحمل..

---

(١) صحيح: صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٦٤٤) وصحيح سنن الترمذي (٢٠٢٤) والنسائي (٢٥٨٨).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

وقد وردت مادة العفة في أربعة مواطن في القرآن الكريم: الأول في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ [النساء:٦].

والثاني والثالث: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور:٣٣] وقوله تعالى: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ..﴾ [النور:٦٠].

والرابع في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ..﴾ [البقرة:٢٧٣].

ومن هنا تنوعت أنواع العفة:

١ - **العفة عن شهوة الفرج**: وذلك إذا كانت خارجة عن نطاق ما أحله الله عز وجل لأن الاستجابة لهذه الشهوة فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا، إذا لم يضبطها صاحبها بضوابط الدين والعقل، والمحمود في هذه الشهوة كما يقول الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ هو «أن تكون معتدلة، ومطيعة للعقل والشرع في انقباضها وانبساطها».

ولقد جرى العرف على استعمال كلمة (العفة) فيما يشير إلى صيانة الإنسان شهوته الجنسية عن الحرام والرذيلة، وهذا العرف يدل على أن العفة هنا ذات مكانة جليلة حتى كأنها كل العفة..

هذا سيدنا يوسف عليه السلام نشأ محاطًا بعطف أبيه يعقوب عليه السلام، فحسده إخوته وأخذوه وألقوه في بئر عميقة، وجاءت قافلة إلى البئر، فوجدت يوسف عليه السلام فأخذته وذهبت به إلى مصر، ليبيعوه في سوق العبيد، فاشتراه عزيز مصر (وزيرها الأكبر) لما رأى فيه من كرم الأصل، وجمال الوجه، ونبل الطبع، وطلب من امرأته أن تكرمه، وتحسن إليه، وكبر يوسف، وصار شابًا قويًا جميلاً، فأعجبت به امرأة العزيز، ووسوس لها الشيطان أن تعصى الله معه، فانتظرت خروج العزيز، وقامت بغلق الأبواب جيدًا، واستعدت، وهيأت نفسها، ثم دعت يوسف إلى نفسها، وسجل القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣].

سبحان الله: إنه أجابها بكل عفة وأدب وطهارة نفس.. معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون.. ألجأ إلى الله، وأعتصم بالله، ولن أجيبك إلى ما تريدين، وأنفذ لك ما تطلبين، وإن كنت قد أغلقت الأبواب، فإن ربي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.. وتحاول امرأة العزيز مرة تلو الأخرى، وعلى مرأى ومسمع من بني جنسها اللاتي لمنها فيه، فاستعصم وتعفف، فعفه الله عز وجل، قائلاً ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٣-٣٤].

ويأتي أدب النبوة الممتع فيقص علينا قصة أصحاب الصخرة، التي سدت عليهم باب الغار، فجعل كل منهم يتوسل إلى الله عز وجل بصالح عمله، حتى يزيل الله عز وجل عنهم الهم والكرب الذي أمسوا فيه، وساعتها كانوا قد أيقنوا بالهلاك والدمار، وأخذ كل واحد منهم يدعو ربه أن ينجيهم، وكان أحد هؤلاء الثلاثة يقول في دعائه، كما ورد عن سيد البشر ﷺ: «**اللهمَّ إنك تعلم أنه كان لي ابنة عم، من أحب الناس إليَّ، فراودتها عن نفسها، فامتنعت منى، حتى ألمت بها سنة من السنين** - أي في شدة من الشدائد- **فجاءتني فأعطيتها مائة وعشرين ديناراً، على أن تُخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها، فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إليَّ وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهمَّ إن كنت فعلته ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه..**»(١).

فانفرجت الصخرة شيئًا بحيث لا يستطيعون أن يخرجوا منها، حتى توسل الثاني والثالث بصالح أعمالهما، ففرج الله عنهم..

وكذلك روى أبو بكر بن عبد الله المزني، أنَّ قصابًا هام بفتاة لبعض جيرانه وبادلته الفتاة حبًا بحب، ولكنها كانت عفيفة وشريفة، فتبعها ذات يوم وهي على خلوة من الطريق، وراودها عن نفسها، فقالت له: لا تفعل، فإني أشد حبًا لك منك

---

(١) رواه البخاري.

لي، ولكني أخاف الله رب العالمين، فارتدع، وقال: أنت تخافينه، وأنا لا أخافه؟ ثم رجع تائبًا، فاستجاب الله دعوته..

ومما رواه السلف أن شابًا عابدًا كان بالكوفة، فتعرضت له امرأة بالطريق، وقالت له: يا فتى، اسمع منى كلمات أكلمك بها، فقال لها: هذا موقف تهمة، وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعًا، فقالت له: والله ما وقفت موقفي هذا جهالة بأمرك، ولكن معاذ الله أن يتشوف العباد إلى مثل هذا منى، والذي حملني على أن لقيتك في مثل هذا الأمر بنفسي معرفتي أن القليل من هذا عند الله كثير، وأنتم معاشر العُبَّاد على مثال القوارير، أدنى شيء يعيبها، وجملة ما أقوله لك: إنَّ جوارحي كلها مشغولة بك، فالله الله في أمري وأمرك.

ومضى الشاب في طريقه ثم كتب إليها يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، اعلمي أيتها المرأة أنَّ الله عز وجل إذا عصاه العبد، حلم، فإذا عاد إلى المعصية مرة أخرى، ستره، فإذا لبس لها ملابسها، غضب الله تعالى لنفسه، غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب، فمن ذا يطيق غضبه؟ فإن كان ما ذكرت باطلاً، فإني أذكرك يومًا تكون السماء فيه كالمهل، وتكون الجبال كالعهن، وتجثو الأمم لصولة الجبار العظيم، وإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي، فكيف بإصلاح غيري؟ وإن كان ما ذكرته حقًا، فأنا أدلك على طبيب هدى، يداوى الكلوم الممرضة، والأوجاع المرمضة.. ذلك هو الله رب العالمين، فاقصديه به بصدق المسألة، فإني مشغول عنك بقوله تعالى: ﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴾ [غافر: ١٨، ١٩] فأين المهرب من هذه الآية؟! وبعد أيام تعرضت له، فأراد الرجوع من الطريق، فقالت له: يا فتى، لا ترجع، فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم أبدًا إلا غدًا بين يدي الله تعالى، ثم بكت، وقالت: اسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك، وامنن عليَّ بموعظة أحملها عنك، وأوصني بوصية أعمل بها، فقال لها: أوصيك بحفظ نفسك من نفسك، وأذكرك بقوله ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ** ﴾ [الأنعام: ٦٠].

أحبتي الكرام...

وقيل لأبي بكر المسكي: إنّا نشم منك رائحة المسك على الدوام، فما سببه؟ فقال: والله إنّ لي سنين عديدة لم أستعمل المسك، ولكن سبب ذلك أنّ امرأة احتالت عليّ حتى أدخلتني دارها، وأغلقت دوني الأبواب، وراودتني عن نفسي، فتحيرت في أمري، فضاقت بي الحيل، فقلت لها: إنّ لي حاجة إلى الطهارة، فأمرت جارية لها أن تمضي بي إلى بيت الراحة (الحمام) فأخذت العذرة وألقيتها على جميع جسمي، ثم رجعت إليها وأنا على تلك الحالة، فلما رأتني دهشت، ثم أمرت بإخراجي، فمضيت واغتسلت، فلما كانت تلك الليلة رأيت في المنام قائلاً يقول لي: فعلت ما لم يفعله أحد غيرك، لأطيبن ريحك في الدنيا والآخرة، فأصبحت والمسك يفوح منى، واستمر ذلك إلى الآن(١).

تلك هي عاقبة العفة، وجزاء من يتعفف عن محارم الله عز وجل..

أحبتي في الله...

٢- **وهناك نوع آخر من العفة،** وهو عفة الجوارح، فالمسلم يعف يده ورجله، وعينه وأذنه وفرجه عن الحرام، وقد طالب الله عز وجل المؤمنين بالتعفف في النظر بغض البصر، فقال سبحانه: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ [النور: ٣٠، ٣١] وقد سئل رسول الله عن نظرة الفجأة، فقال: «**اصرف بصرك**»(٢) وحث النبي ﷺ شباب الأمة على النكاح طلبًا للعفة، وأرشد من لا يتيسر له النكاح أن يستعين بالصوم والعبادة، حتى يغض بصره، ويحصن فرجه، فقال ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**»(٣).

---

(١) المواعظ والمجالس لابن الجوزي ص١٦٣.

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم.

٣- **وهناك نوع ثالث من العفة**: وهو عفة الجسد، فالمسلم يستر جسده، ويبتعد عن إظهار عورته، وكذلك المرأة المسلمة، تستر جسدها، وتستر زينتها، ولا تتبرج، قال تعالى: ﴿**وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ..**﴾ [النور:٣١] وقال تعالى: ﴿**وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**﴾ [الأحزاب:٣٣].

٤- **وهناك نوع رابع من العفة**، وهو العفة عن أموال الغير: **فالمسلم عفيف عن** أموال غيره، لا يأخذها بغير حق، وقد دخل على الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله- أحد رجال الخلافة، ليعرض عليه أمرًا من الأمور، ولما انتهى الرجل إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أخذ يسامره، ويتحدث معه في بعض الأمور، فطلب منه عمر الانتظار فقام، فأطفأ المصباح، وأوقد مصباحًا غيره، فتعجب الرجل، وقال له: يا أمير المؤمنين، إنَّ المصباح الذي أطفأته ليس به عيب، فلم فعلت ذلك؟ فقال عمر: لأن المصباح الذي أطفأته يوقد بزيت من مال المسلمين، أما هذا فعلى حساب عمر فقد ضرب لنا هذا الخليفة المثل الأعلى في التعفف عن أموال الدولة، حتى ولو كانت قليلة.. كما يتعفف المسلم عن مال اليتيم إذا كان يرعاه، ويقوم على شئونه فإذا كان غنيًا، فلا يأخذ منه شيئًا، بل ينميه، ويحسن إليه، طلبًا لمرضاة الله عز وجل، لكن إذا كان فقيرًا، فليأخذ منه بالمعروف.. قال تعالى: ﴿**وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [النساء:٦].

وقد ضرب لنا الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف ﵁ مثلاً رائعًا في العفة عن أموال الغير، وذلك حين هاجر إلى المدينة المنورة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين الصحابي الأنصاري (سعد بن الربيع) ﵁ فقال سعد لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك، فسمها لي، أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك وفي مالك، دلني على سوق بني قينقاع، فدلوه على السوق فذهب ليتاجر، ويكسب من عمل يده، عفة وكرامة وعزة منه..

٥- **وهناك نوع خامس**: وهو العفة في المأكل والمشرب: **فالمسلم عفوف في نفسه**

يمتنع عن اللقمة الحرام، يقذف بها في جوفه، لأن من أكل الحرام، لم يقبل الله منه صلاة ولا عبادة من العبادات طيلة أربعين يومًا، وكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به بل إنَّ الله عز وجل لا يستجيب له دعاءً. قال ﷺ: «**إنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾** [المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ..﴾ [البقرة: ١٧٢] **وإن الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، فيقول: يا رب، يا رب ومطعمه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب له**»(١).

والنبي ﷺ حث المؤمنين على أكل الحلال الطيب، ويكون من كسب أيديهم فقال: «**ما أكل أحد طعامًا قط، خير له من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده**»(٢).

وقال: «**من أمسى كالاً - أي متعبًا - من عمل يده، أمسى مغفورًا له**»(٣) وذلك لأن في الكسب من عمل اليد عفة وشرف وكرامة، وفي الحرام وسؤال الناس، ذلة وهوان وفي الآخرة، دخول النار، قال النبي المختار ﷺ: «**إنه لا يربو - أي لا يزيد ولا ينمو - لحم نبت من سحت، إلا كانت النار، أولى به**»(٤).

٦- وهناك نوع آخر من العفة، وهو عفة اللسان: فالمسلم يعف لسانه عن السب والشتم، فلا يقول إلا طيبًا، ولا يتكلم إلا بالطيب العفيف، والله عز وجل يصف المسلمين بقوله: ﴿**وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ**﴾ [الحج: ٢٤] ويأمرنا أن نقول الخير دائمًا، فيقول تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا..﴾ [البقرة: ٨٣] النبي الأكرم، والرسول الأعظم ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعان، ولا الفاحش،**

---

(١) رواه مسلم والترمذي.

(٢) رواه البخاري وابن ماجة.

(٣) **ضعيف**: أخرجه ابن عساكر عن المقدام بن معد وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠١٣).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٧٢٩) وصحيح الجامع (٤٥١٩).

ولا البذيء»[١] وقد حثنا النبي ﷺ على أن نتحلى بالصدق في أقوالنا وأفعالنا، ونعف ألسنتنا عن الكذب فقال: «**إنَّ الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق، حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**»[٢] وقال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت**»[٣].

وهناك نوع أخير من العفة، وهو التعفف عن سؤال الناس، فالمسلم يعف نفسه عن سؤال الناس إذا احتاج، فلا يتسول، ولا يطلب المال بدون عمل، وقد مدح الله أناسًا من الفقراء لا يسألون الناس إلحافًا، لكثرة عفتهم فقال: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً**﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وقال ﷺ: «**اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستعفف، يعفه الله**»[٤].

ولذلك كان النبي ﷺ يدعو ربه، فيقول: «**اللهمَّ إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»[٥] فالمسلم عفوف لا يذل نفسه، قال الشاعر:

لنقل الصخر من قمم الجبال
أحب إليَّ من منن الرجال
يقول الناس لي في الكسب عار
فقلت: العار في ذل السؤال

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي والبيهقي وأحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٨١) والصحيحة (٣٢٠).

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

بلوت الناس قرنًا بعد قرن
ولم أر مثل مختال بمال
وذقت مرارة الأشياء طرًا
فما طعمٌ أمرُّ من السؤال
ولم أر في الخطوب أشد هولاً
وأصعب من مقالات الرجال

فإذا كانت العفة خلقًا من أخلاق القرآن والسنة، وصفة من صفات أهل الإيمان، فما أجدر أتباع الحبيب محمد ﷺ بأن يحرصوا عليها، ويتصفوا بها، ليكونوا صادقين في اتباعهم رسولهم الذي وصفته أمهم عائشة ﵂ بقولها: «**كان خلقه القرآن**».

اللهمَّ نور بالقرآن بصائرنا وأبصارنا، واستعملنا به سرًا وعلانية، اللهمَّ ذكرنا منه ما نسينا، وعلمنا منه ما جهلنا.. اللهمَّ عاف به مبتلانا وارحم به موتانا، واجعله حجة لنا لا علينا.. اللهمَّ اجعلنا ممن يتخلق بأخلاقه، فيحل حلاله، ويحرم حرامه ويؤمن بمتشابهه ويقف عند عجائبه.. اللهمَّ أعزنا بعزتك، وانصرنا على أعدائنا وأغفر لنا يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٧٤)

* من لا يرحم الناس لا يرحمه الله *

عن جرير بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من لا يرحم الناس، لا يرحمه الله**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

تأملوا هذه الوصية الجليلة المباركة.. إنها وصية على إيجازها، وصغر حجمها، وقلة ألفاظها، إلا أنها تحوى الخير كله.. وقد جاءت بلفظ آخر عند الطبراني من حديث جرير أيضًا: «**من لا يرحم من في الأرض، لا يرحمه من في السماء**»(٢).

والرحمة من أعظم الأخلاق.. والنبي ﷺ بعثه الله وأرسله ليثبت مكارم الأخلاق.. فالأخلاق المثلى عماد الأمم وقوام الشعوب، وهي باقية ما بقيت أخلاقهم.. وتدهور الأخلاق ينجم عن نقص الوازع الديني في النفوس..

والرحمة خلق عظيم.. ووصف كريم، أوتيه السعداء، وحرمه الأشقياء.. وأعظم الرحمات في هذا الوجود، رحمة الرحمن الرحيم جل في علاه، فهي أوسع لعباده من رحمة الأم بولدها.. لما قام رسول الله ﷺ يصلى وخلفه رجل أعرابي رفع يديه، وقال: اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا، فقال له رسول الله ﷺ: «**لقد حجرت واسعًا**»(٣).

الرحمة صفة كمال في المخلوق، بها يتعاطف الخلق، يشفق بها القوي على الضعيف، فينحو عليه بما ينفعه، ويمنع عنه شره، بل ويتواد بها بنو آدم..

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني بإسناد جيد قوي كما ذكره المنذري في الترغيب وذكره الألباني في صحيح الترغيب برقم (٢٢٥٥).

(٣) رواه البخاري.

الرحمة فطرة مستقيمة، وصفة عظيمة، فطر الله الخلق عليها، الرحمة التي غابت عند كثير من البشرية الآن، وصارت الآرض ومن عليها مفتقدين لها.. العالم كله في أشد الاحتياج لهذا الخلق العظيم.. فبغيابه انتشرت الجرائم، وصارت القنابل تدوي هنا وهناك.. الملايين يقتلون في لحظة..

بغياب الرحمة وفقدانها فقدان للحياة الهانئة، وإحلال للجاهلية الجهلاء، والأثرة العمياء.. لأجل هذا حث الإسلام على الرحمة في كل شئون الحياة..

فقال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**»(١) وقال: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»(٢) وقال كما في وصيتنا: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**»(٣) وقال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**»(٤).

وقال ﷺ: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**»(٥) والجزاء من جنس العمل والاتصاف بهذا الخلق الكريم، لم يعد هدفًا أساسيًا، ولكن الهدف الأساسي أن يعلم المسلم أن خلق الرحمة هو خلق النجاة يوم القيامة.. فلا بد أن تعرف من الآن إن كنت سترحم يوم القيامة أم لا؟ ستعلم من الآن هل ستكون من المرحومين يوم الفزع الأكبر.. يوم العرض على الواحد الديان أم لا؟

سل نفسك الآن هل أنت ترحم الناس؟ إن هناك علاقة قوية بين رحمتك للناس في الدنيا، ورحمتك يوم القيامة.. فمن عامل الناس بالرحمة في الدنيا.. عامله الله عز وجل برحمته يوم القيامة.. ورحمة المولى عز وجل أوسع الرحمات.. رحمة الرحمن الرحيم أوسع ما تتصور.. إنه كتبها على نفسه، فقال سبحانه: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ**

---

(١)،(٢) **صحيح**: رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٢٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

على نفسه الرحمة﴾ ويقول مخاطبًا من أرسله ربه رحمة للعالمين: ﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾ [الأنعام:١٤٧].

عندما تقرأ هذه الآية الكريمة، يتبادر في ذهنك سؤال، وهو كم تبلغ هذه الرحمة الواسعة؟ فتأتي آية أخرى لتوضح لك الجواب: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء..﴾ [الأعراف:١٥٦] تأمل قوله: كل شيء.. والنبي ﷺ يقول: «**لما خلق الله الخلق، كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش، إنّ رحمتي سبقت غضبي**»(١) سبحان الله! تخيلوا الكون كله يقوم على مبدأ الرحمة.

منذ أن خلق الله آدم عليه السلام، ونفخ فيه الروح، عطس، فقال: الحمد لله فقالت له الملائكة: رحمك الله يا آدم.. خلق الله آدم ومعه الرحمة.. وقام الكون كله على الرحمة.. ولن يدخل أحد الجنة إلا برحمته، كما قال نبي الرحمة ﷺ: «**لن يدخل أحدكم الجنة بعمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته**»(٢) ورحمات ربنا عز وجل كثيرة، يقول: «**جعل الله الرحمة مائة جزء، وأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، بها يتراحم الخلق، حتى ترفع الدابة عن حافرها**»(٣).

الله.. كل هذه الرحمة.. رحمة واحدة، وسعت كل الخلائق: البشر.. الحيوانات.. الطيور.. الحشرات.. كل هؤلاء يتراحمون رحمة واحدة.. وادخر لنا باقي المائة ليرحمنا بها يوم القيامة..

الليل نسكن فيه: رحمة.. النهار نعمل ونجد ونجتهد رحمة.. ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ [القصص:٧٣] فتخيلوا معي لو كانت هذه الدنيا كلها ليل دامس.. ظلام حالك.. من يأتينا بالنهار.. ولو كان النهار دائمًا، فمن يغيب النهار ويأتي بالليل.. لو دام النهار.. أو

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه وغيرهم.

(٣) رواه البخاري.

دام الليل.. ما كان هناك زرع يخرج من الأرض.. لو ظلت الحياة نهاراً فقط، أو ليلاً فقط، لأصيب الإنسان بالأمراض النفسية والعصبية.. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص:٧١،٧٢] وتأملوا عظيم رحمته سبحانه في تعاقب الليل والنهار.. النهار لا يأتي فجأة.. والليل كذلك لا يأتي فجأة.. بل بالتدريج، يقول الرحمن الرحيم: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير:١٧،١٨] عسعس أي تدرج، وتنفس: أي نفسًا نفسًا عسعس أي دنا من أوله وأظلم شيئًا فشيئًا.. تنفس: أضاء شيئًا فشيئًا حتى أقبل.. سبحان الله! إنها رحمات لا تخطر لنا ببال.. بالرغم من أننا نراها، وتمر علينا كل يوم لكننا لا نفكر.. لكننا نغفل.. تنبهوا ولا تغفلوا..

نزول الغيث من السماء رحمة.. ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ..﴾ [الشورى:٢٨] بدون الماء ماذا يحدث للأرض؟ ماذا يحدث للزرع.. تموت الأرض.. ويموت الزرع.. ويموت الحيوان.. واستشعروا قوله: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ وكأن المطر يوزع رحمات الله على الأرض.. الله أكبر.. تحمله الرياح مبشرات بين يدي رحمته.. والغيث هو المطر الذي هو أنفع أنواع الرزق، وأعمها فائدة، وأكثرها مصلحة.. ينزله بعدما أيسوا عن ذلك، فيعرفون بهذا الإنزال للمطر بعد القنوط مقدار رحمته سبحانه لهم.. ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا..﴾ [الروم: ٥٠] ينزل هذا المطر برحمته عذبًا فراتًا سلسبيلاً.. ولو شاء لجعله أجاجًا.. مالحًا.. لكن برحمته جعل عذبًا يستفيد منه الإنسان والحيوان والطير، والأرض والنبات.. رحمات كلها.. ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة:٦٨-٧٠] جعل العلاقات الاجتماعية كلها رحمات.. الزوجة والزوجة.. ثم الأبناء.. الآباء وضع الله في قلوبهم الرحمة والحنان والرفق والمودة.. سبحان الله.. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١] ومن مظاهر رحمته سبحانه أنه لا يؤاخذنا بذنوبنا.. لأنه لو آخذنا بذنوبنا ما تركنا على هذه الأرض لحظة واحدة.. **﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى..﴾** إنَّ ذنوبنا كثيرة جدًا، ومع ذلك يمهلنا، حتى نرجع إليه، لنتوب.. هذه رحمة.. إن فعلت الحسنة ضاعفها لك.. وإن فعلت السيئة لم يضاعفها.. بل تكون سيئة واحدة.. كل هذا برحمته..

من رحمته أن يسترك إذا عصيته، ولا يفضحك، ويقول لك يوم القيامة كما ذكر رسول الله ﷺ: «**سترتها عليك في الدنيا، وأنا اليوم أغفرها لك**»(١).

الشريعة الإسلامية كلها رحمة.. بل رحمات.. رحمته عمت كل شيء حتى الكفار؟! نعم حتى الكفار الذين لم يؤمنوا بوحدانيته.. بل عبدوا معه الأصنام والأوثان والحجارة وغيرها إنهم يعصون، ومع ذلك لم يمنع عنهم الماء.. ولم يمنع منهم الهواء.. ولم يمنع عنهم الأرزاق.. يرزقهم.. يأكلون من رزقه، ويشربون من مائه.. ويعصونه ومع ذلك لم يمنع عنهم الأرزاق.. الابتلاءات والمصائب التي تحل بالعباد من رحمته لنا؟ سبحان الله!! كيف ذلك؟ لأنها تكفر الخطيئات، وتحط السيئات، وترفع الدرجات «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياه**»(٢) ولأنها تذكر الإنسان بربه ومولاه، وتجعله يلجأ إليه في أن يكشف عنه ضره..

أحبتي الكرام...

إذا كان ربنا عز وجل يرحمنا هذه الرحمات، فلماذا إذن نعذب في هذه الحياة الدنيوية؟ لماذا نتعرض للمشاكل الكثيرة؟ هذا رسب في الامتحان، ذاك فقد أباه أو أخاه ذاك مرض مرضًا شديدًا، هذا طلق زوجته، هذه توفي ولدها الوحيد، هذا لا يجد عملاً.. طالما أن الله يرحمنا، فلماذا يحدث كل هذا؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

إن الرحمة تقتضي إيصال المنفعة، أو دفع الضرر.. ولكننا أحياناً لا نعرف أين المنفعة ولا أين الضرر؟ وقد يكون توصيل المنفعة لك من طريق آخر غير مباشر كالابن الذي يرفض الدواء المر.. فهو لا يدرك بعقله منفعة الدواء.. لا يدرك أن المرارة التي في الدواء هي التي فيها الشفاء.. وعندما يسقى الأب ابنه الصغير الدواء، ينظر إليه، ولسان حاله يقول: لماذا تعذبني؟ ولله المثل الأعلى..

فالمنفعة الحقيقية أن تصلك الرحمة، حتى ولو كانت مكروهة من جانبك..

انظروا وتأملوا كليم الله موسى عليه السلام، الذي تربى في قصر فرعون.. تربية القصور فيها تدليل.. وفجأة تغيرت حياة موسى من الترف والنعيم إلى الشدة.. يهرب تاركاً مصر إلى مدين، ماذا يعمل هناك في مدين؟ يعمل راعياً للأغنام عند الرجل الصالح والنبي الصالح شعيب عليه السلام مدة عشر سنوات.. يا الله لمَّ كل هذا؟ لأنه فيما بعد سوف يقود بني إسرائيل، وما أدراك من بنو إسرائيل! فكان لابد من هذه الشدائد التي مرَّ بها ليتعلم الحلم والصبر، وليتعلم قيادة الأمم. فهذه رحمة..

أحبتي الكرام...

وإن من أعظم الرحمات هو أن الله عز وجل أرسل إلى البشرية من هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، قال تعالى مخاطباً إياه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] لم يقل مولانا (رحمة للمؤمنين) بل قال: ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

والعالمون جمع عالم ليشمل كل الخلق.. ليشمل المؤمن والعاصي، والطائع، والكافر، والإنسان والحيوان.. والطير.. لما قيل الرسول ﷺ ادع على المشركين، قال: «**إني لم أبعث لعّانًا، وإنما بعثت رحمة**»(١).

رحمة، لأننا به عرفنا الله عز وجل، عرفنا الغاية التي خلقنا الله عز وجل من أجلها عرفت الجنة والنار.. عرفت حقك وحقوق الآخرين.. ويوم القيامة تبرز رحمته في شفاعته لنا..

---

(١) رواه مسلم.

أحبتي الكرام...

إذا كان ربنا هو الرحمن الرحيم.. ونبينا هو الرءوف الرحيم.. وقرآننا أنزله ربنا لنا رحمة.. وبعث لنا الرسل رحمة.. والكون بما فيه كله رحمات، فلماذا لا يرحم بعضنا بعضًا.. يقول سيد الرحماء عليه الصلاة والسلام: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»(١) وعن ابن مسعود ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لن تؤمنوا حتى تراحموا**» قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم، قال: «**إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة**»(٢).

وفي رواية أنه قال: «**والذي نفسي بيده، لا يضع الله رحمته إلا على رحيم**» قالوا: كلنا يرحم.. قال: «**ليس برحمة أحدكم صاحبه، يرحم الناس كافة**»(٣).

ليس المطلوب أن تقصر الرحمة على من تعرف من قريب أو صديق، ولكنها رحمة عامة تسع العامة كلهم.. يدخل في الرحمة المؤمن والكافر، والبهائم المملوك منها وغير المملوك والمؤمن يتميز بقلب مرهف لين رحيم، يرق للضعيف، ويألم للحزين، ويحن على المسكين، ويمد يده إلى الملهوف، وينفر من الإيذاء.. ويكره القسوة والعنف فهو مصدر خير وبر لمن حوله..

أحبتي الكرام...

وإذا كان الأمر كذلك، فإن من أولى الناس، وأحقهم بالرحمة، وأولاهم بها: الوالدين فببرهما تستجلب الرحمة، وبالإحسان إليهما تكون السعادة ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾ [الإسراء: ٢٤].

ثم من بعد ذلك الأولاد، فلذات الأكباد، فعن أسامة بن زيد ﷺ قال: كان

---

(١) **حسن**: رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٦٧).

(٢) **حسن**: رواه الطبراني ورواته رواة الصحيح ورواه الحاكم وحسنه الألباني في الترغيب رقم (٢٢٥٣).

(٣) **صحيح**: الألباني في الصحيحة برقم (١٦٧).

رسول الله ﷺ- يأخذني، فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمهما، ثم يقول: «**اللهمَّ ارحمهما، فإني أرحمهما**»(١).

وبعض الناس تخلو قلوبهم من الرحمة، ومن الرقة والحنو.. وفي ألفاظهم غلظة.. قبَّل رسول الله ﷺ الحسن والحسين ﷺ وعنده الأقرع بن حابس فقال الأقرع: إنَّ لي عشرة من الولد، ما قبّلت منهم واحدًا، فنظر رسول الله ﷺ إليه، وقال له: «**من لا يرحم، لا يُرحم**»(٢) وفي رواية: «**أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك**»(٣).

ويرتبط بالوالدين والأولاد، ذوى الأرحام، فالرحم مشتق من الرحمة، فحريٌّ أن تستقيم معها في معناها، ففي الحديث: «**الرحم شجنة من الرحمة، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها، قطعه الله**»(٤) والغلظة والجفاء والقطيعة والصدود في حق ذي الرحم، تحرم العبد بركة الله وفضله، وتعرضه لسخط الله ومقته..

ومن مواطن الرحمة: إحسان معاملة الضعفاء من الخدم، والترفق بهم فيما يكلفون به من أعمال، والتجاوز عن هفواتهم، وليحذر أولئك الذين يقسون، وينسون الرحمة أن يبطش الله بهم في الدنيا قبل الآخرة.. فعن أبي مسعود البدري ﷺ قال: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا خلفي: «**اعلم أبا مسعود**» فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا، فإذا هو رسول الله ﷺ وإذا هو يقول: «**اعلم أبا مسعود، أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام**» فقلت يا رسول الله، هو حرٌّ لوجه الله، فقال: «**أما لو لم تفعل، لفحتك النار**»(٥) وجاءه ﷺ رجل يسأله: كم أعفو عن الخادم؟ فقال: «**كل يوم سبعين مرة**»(٦) وممن تتطلب حالتهم

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.
(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٤) رواه البخاري وغيره.
(٥) رواه مسلم.
(٦) **صحيح**: رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٢٨٩).

الرحمة: المرضى وذوو العاهات، والإعاقات، فينبغي الرحمة بهم، والرفق بحالهم، والحذر من الإساءة إليهم، أو الاستهانة بمتطلبات راحتهم، والقسوة معهم جرم عظيم.. ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ [النور: ٦١].

أما الصغار والأطفال فإنهم محتاجون إلى عناية خاصة، ورحمة راحمة، فليس منا من لم يرحم الصغير، ويوقر الكبير.. والنفوس ذات الفطرة السليمة تتعلق بالصغير حتى يكبر، والمريض حتى يشفى، والمسافر حتى يرجع، وفي الحديث: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا**»(١).

أيها الأحبة الكرام...

وتعاليم الإسلام، وآداب الشريعة في هذا الباب تتجاوز الإنسان الناطق إلى الحيوان الأعجم.. فجنات عدن تفتح أبوابها لامرأة بغي، سقت كلبًا(٢)، فغفر الله لها، ونار جهنم فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة حتى ماتت، لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض(٣).

فإذا كانت الرحمة بكلب تغفر ذنوب البغايا، فإن الرحمة بالبشر تصنع العجائب وفي المقابل إذا كان حبس هرة أوجب النار، فكيف بحبس البرآء من البشر بل كيف بقتل البشر..

وتترقى تعاليم ديننا الحنيف حتى بالرحمة بالبهائم، حتى في حال ذبحها، يقول البشير النذير ﷺ: «**إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم، فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم، فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته**»(٤) تلك الرحمة بالحيوانات حتى عند ذبحها..

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي والحاكم وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٤٤٥).

(٢) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة.

حتى العصفور الصغير، يقول النبي ﷺ: «**من قتل عصفورًا عبثًا عج إلى الله يوم القيامة، يقول: إنَّ فلانًا قتلني عبثًا، ولم يقتلني منفعة**»(١) فوالله ما أحوج البشرية إلى هذه المعاني الجليلة السامية، وما أشد افتقار الناس إلى التخلق بخلق الرحمة، في زمن قست فيه القلوب، وكثرت الشهوات والماديات عصر غاضت فيه الرحمة من قلوب الكثير من الخلق، فلا يسمع لصرخات الأطفال، ولا لأنين الثكلى، ولا لحنين الشيوخ، ولا لكلمة الضعفاء. . لا يسمع فيه إلا للغة القوة، ومنطق القدرة. . ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، . .

عصر صارت فيه الدماء رخيصة. . الدماء تسفح، وتمزق الأشلاء باسم الديمقراطية وباسم الحرية، وباسم هذه الدعاوي والشعارات الخداعة الكذابة. . صارت الدماء أرخص شيء في هذا الوجود. . صارت أحقر شيء. . ولا حول ولا قوة إلا بالله. .

ما ذنب الشيخ الكبير الذي مزقت أشلاؤه الرشاشات، ما ذنب الطفل الرضيع الذي نام على أحلامه فتفجر جسده بهذه القاذفات والصواريخ والطائرات.

ما ذنب الطفل الصغير، الذي لازال في لفائفه. . لماذا قتل؟ وهذه المرأة المسكينة التي لا تحمل سلاحًا، وهي تجلس في بيتها، وفجأة ترى أولادها أمام عينيها يمزقون. . أين الرحمة؟

دين الإسلام دين الرحمة. . ودين الرفق. . ودين الكرامة. . إذا كان العصفور يشتكي يوم القيامة إلى ربه أنه مات عبثًا، فما بال هؤلاء الأبرياء الذين يقتلون في كل ساعة، بل في كل لحظة. . ماذا سيقولون لله عز وجل يوم القيامة. .

ما أحوجنا إلى رحمة ربنا عز وجل. . ولكي يرحمنا لابد أن نتراحم.

قال العارف البوني: فإن كان شوق إلى الرحمة من الله، فكن رحيمًا لنفسك ولغيرك ولا تستبد بخيرك، ارحم الجاهل بعلمك، والذليل بجاهك، والفقير بمالك،

---

(١) رواه ابن حبان والنسائي.

والكبير والصغير بشفقتك ورأفتك، والعصاة بدعوتك. والبهائم برفع غضبك فأرحم الناس من الله عز وجل أرحمهم خلقه..

وبعد هذا كله لابد أن تلجأ إلى الرحمن الرحيم.. إلى من وسع الخلق رحمة وعلمًا.. يا رب..

مـــازلـت أعـــرف بالإســـاءة دائـمًـــا
ويكـون منـك العـــفـــو والغـــفـــران

ولم تـتـــقـــصني إن أســأت وزدتـني
حــتى كــأن إســاءتي إحــســـان

تولـى الجــمــيل على الـقــبــيح تكرمًــا
أنــت الإلــه المــنــعــم المــنــان

اللهمَّ ارحمنا فأنت بنا راحم، ولا تعذبنا فأنت علينا قادر، والطف بنا يا مولانا فيما جرت به المقادير.. اللهمَّ ارحمنا بترك المعاصي أبدًا ما أبقيتنا، وارحمنا أن نتكلف مالا يعيننا وارزقنا حسن النظر فيما يرضيك عنا..

اللهمَّ اختم لنا أيامنا وأعمارنا برضوانك، واجعل مآلنا إلى جنانك، وأعذنا من عقوبتك ونيرانك برحمتك يا أرحم الراحمين..

اللهمَّ اغفر لعبادك المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، وأصلح ذات بينهم، وألف بين قلوبهم، واهدهم سبل السلام، وأخرجهم من الظلمات إلى النور بكرمك ورحمتك يا أرحم الراحمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٧٥)

* الشتاء غنيمة العابدين *

عن عامر بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**الغنيمة الباردة، الصوم في الشتاء**»[١] وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: ألا أدلكم على الغنيمة الباردة؟ قالوا: بلى، فيقول: الصيام في الشتاء.

أحبتي في الله...

ومعنى الغنيمة الباردة: أي السهولة الميسورة، لأن الصائم لا يشعر في الشتاء بحرارة العطش، ويكون النهار قصيرًا، والليل أطول منه..

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: قيام ليل الشتاء يعدل صيام نهار الصيف وثبت عن فاروق هذه الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: الشتاء غنيمة العابدين.

وعن أبي سعيد مرفوعًا: «**الشتاء ربيع المؤمن، طال ليله فقامه، وقصر نهاره فصامه**»[٢].

قال ابن رجب رحمه الله: إنما كان الشتاء ربيع المؤمن، لأنه يرتع في بساتين الطاعات، ويسرح في ميادين العبادات، وينزه قلبه في الأعمال الميسرة فيه وقد أكد السلف على ذلك وعلى رأسهم صحابة رسول الله ﷺ فقد كانوا يعتنون بالشتاء، ويرحبون بقدومه، ويفرحون به، ويحضون غيرهم على اغتنام أوقاته..

فهذا سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يقول: مرحبًا بالشتاء تنزل فيه البركة،

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٧٩٧) وحسنه في الصحيحة برقم (١٩٢٢).

(٢) **حسن لغيره**: رواه أبو يعلى والعسكري بتمامه وأحمد وأبو نعيم مختصرا وفي سنده أبو الهيثم ضعفه جماعة ووثقه آخرون وله شواهد فيصير حسنا لغيره قاله العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٥).

ويطول فيه الليل للقيام، ويقتصر فيه النهار للصيام ولله در الحسن البصري، حين قال: نعم زمان المؤمن الشتاء، ليله طويل، يقومه، ونهاره قصير، يصومه.

وعن الحسن أيضًا أنه قال: الشتاء ذكر، وفيه اللقاح، والصيف أنثى وفيه النتاج..

وعن عبيد بن عمير - رحمه الله - أنه كان إذا جاء الشتاء قال: يا أهل القرآن، طال ليلكم لقراءتكم، فاقرءوا، وقصر النهار لصيامكم فصوموا.

أحبتي الكرام...

كان سيدنا داود عليه السلام يصوم في الصيف والشتاء، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، لذلك قال ﷺ: «**كان أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا..**»(١).

إذا لم نستطع أن نصوم صيام داود عليه السلام، فلنصم في أيام الشتاء ثلاثة أيام من كل شهر عربي، وهي الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر كما أوصانا ﷺ ولننتهز الفرصة في أيام الشتاء، فالنهار قصير، ولا يشعر المسلم وهو صائم بشدة العطش لبرودة الجو، فقد قال ﷺ: «**من صام ثلاثة أيام من كل شهر، فقد صام الدهر كله**»(٢) أي ثلاثة أيام، سواء كان من وسطه، أم من أوله، أم من آخره، كما بينا في وصية قبل ذلك..

إنها فرصة ذهبية من أعظم الفرص للمتنفل الذي يبتغي الأجر من الله عز وجل وإذا أكثر العبد من النوافل أحبه رب العباد والبلاد سبحانه وتعالى ألم يقل في الحديث القدسي الجليل: «**وما زال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه..**»(٣).

---

(١) رواه البخاري وأحمد.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي وأبو داود وغيرهم وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري وقد تخرج في أكثر من موضع.

الشتـاء فرصة ذهبيـة، أوكازيون رباني لمن عليه قضـاء من أهل الأعذار، أو من عليه كفارات لليـمين، أو ظهار أو نحوها. . فالشتاء غنيمة بـاردة ميسورة إن شاء الله عز وجل. .

أحبتي الكرام...

وقد وردت في السنة المطهرة أجور كثيرة عظيـمة تثبت لفاعلها الثواب الجزيل في الشتاء منها:

١- إسباغ الوضوء على الكريهات: قال سيد الكائنات ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟**»

قالوا: بلى يا رسول الله. .

قال: «**إسباغ الوضـوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجـد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط..**»[1].

وهكذا دلنا النبي ﷺ على الأجر العظيم المتـمثل في محو الخطايا، وغـفرانها، ورفع الدرجات، بإعلاء المنزل في الجنـة.

فمن الأعمال المذكورة في الحديث (إسباغ الوضوء على المكاره) يعني إتمام الوضوء وإكماله باستيعاب الأعضاء بالغسل، وتطويل الغرة، وتكراره- أي الغسل ثلاث مرات، وقـد أطلق عليهـا المكاره، وهي التي تكون في شـدة البـرد، لمشقـتـها على العـامل، وصعوبتـها عليه، ولذلك أمر المكلف بمجاهدة نفـسه، ولذلك فنحن نرى أن مما يكرهه الإنسان، ويشق عليه ويعسر أن يتوضأ مع برد شديد، وعلل يتأذى معها بمس الماء.

فمن علم ذلك، هانت عليـه مشقة الـقيام من النوم للوضوء، والقـيام بين يدي الرب جل في عـلاه، وترك لذة الفـراش الدافئ إلـى لذة الصـلاة، ومناجـاة العليم العلام، صـارت المشقـة والألم الحاصل من البـرد في الوضوء لذة وحـلاوة عنده لا تعادلها حلاوة. . إنها حلاوة الإيمان والطاعة. .

---

(١) رواه مسلم.

مع العلم بأن بعض أهل العلم ذكروا أن تسخين الماء لدفع برده، لكي يستطيع المسلم أن يتوضأ به مع راحة نفسه وبدنه، لا يمنع من حصول الثواب المذكور في الحديث. .

إن عامر بن عبد قيس ﷺ سأل ربه أن يهون عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتى بالماء، وله بخار(١).

فهذا ممن أكرمهم الله عز وجل، وبدل لهم الأمر، فكان كرامة لهم منه سبحانه فهذا سيدنا على بن أبي طالب ﷺ لما دعا له النبي ﷺ أن يقه داء الحر والبرد، كان يلبس كسوة الصيف في الشتاء، وكسوة الشتاء في الصيف، ولا يضره(٢). .

وهذا داود بن نصير الطائي ـ رحمه الله ـ جاء معه ضيف، فجاء برغيفين يابسين، فقال له: ادن فكل. . يقول: فأشفقت عليه أن آكل معه، فأكل ثم قام إلى شن في الدار في يوم صائف، فأخذ يشرب منه. . فقال له: يا أبا سليمان، لو أمرت أحدًا أن يبرد لك هذا الماء؟!

فقال: أما علمت أن الذي يبرد له الماء في الصيف، ويسخن له في الشتاء لا يحب لقاء الله عز وجل(٣). .

أحبتي في الله...

إنَّ الشتاء أمره عجيب لمن تذوق طعم العبادة فيه، وقد ذكر الله عز وجل أن من أوصاف أهل الجنان، أنهم . ﴿**كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [الذاريات:١٧، ١٨] وقد ذكر النبي ﷺ أنهم ممن يدخلون الجنة بسلام، فقال: «**وصلوا بالليل ركعات والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»(٤).

وقد كان العابد منهم كالنجم الساطع، والضوء اللامع في الليالي الحالكات. .

---

(١) الحلية لأبي نعيم (١/ ٢٤٤).

(٢) العقد الفريد (٢/ ١٠) لابن عبد ربه.

(٣) الحلية لأبي نعيم (٣/ ٣١٩).

(٤) حلية الأولياء.

ولهذا أثر عن غير واحد من السلف عند مشهد الاحتضار أنهم يبكون قيام ليالي الشتاء، فهذا عامر بن عبد قيس رضي الله عنه يقول وهو على فراش الموت: (ما أبكى على دنياكم رغبة فيها، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء)(١).

ونفس الكلام يكرره أبو يزيد العجلي يقول:

(لولا ثلاث: ظمأ الهواجر، وطول ليل الشتاء، ولذاذة التهجد بكتاب الله عز وجل، ما باليت أن أكون يعسوبًا)(٢).

وليس هذا بغريب فإن في العبادة لذة لا يعلمها إلا الله عز وجل، ومن فقدها فهو محروم..

قال عبد الله بن وهب: كل ملذوذ إنما له لذة واحدة، إلا العبادات، فإن لها ثلاث لذات: إذا كنت فيها، وإذا تذكرتها، وإذا أعطيت ثوابها.

ونحسبهم- رحمهم الله تعالى- قد ذاقوا اللذة الأولى والثانية، ونسأل الله عز وجل أن لا يحرمنا وإياهم اللذة الثالثة.

وكانوا يستثمرون الليل عمومًا، وليل الشتاء على وجه الخصوص في العبادة وطلب العلم.

كان صفوان بن سليم رحمه الله يصلي في البيت أي بداخله في الصيف، وإذا كان في الشتاء صلى على السطح لئلا ينام.

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقسم ليله ثلاث أقسام بين القيام والنوم، وطلب العلم، فعنه رضي الله عنه قال: جزأت الليل ثلاثة أجزاء: ثلثًا أصلي، وثلثًا أنام، وثلثًا أذكر فيه حديث رسول الله ﷺ.

وكان السلف يرشدون إلى ذلك، قال أحمد بن الفرات: لم نزل نسمع شيوخنا يذكرون أشياء في الحفظ، فأجمعوا أنه ليس شيء أبلغ فيه من كثرة النظر وحفظ الليل غالب على حفظ النهار.

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٢٤٣) وصفة الصفوة (١/ ٣٤٩).

(٢) الحلية (٢/ ١٤٨) وصفة الصفوة (١/ ٣٠٨).

وقال: سمعت إسماعيل بن أويس يقول: إذا هممت أن تحفظ شيئًا، فنم وقم عند السحر، فأسرج وانظر فيه فإنك لن تنساه بعد إن شاء الله.

وهذا الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ يقول: واعلم أن للحفظ ساعات، ينبغي لمن أراد التحفظ أن يراعيها، فأجود الأوقات: الأسحار، ثم بعدها وقت انتصاف النهار، وبعدها الغدوات دون العشيات، وحفظ الليل أصلح من حفظ النهار..

وقيل لبعضهم: بم أدركت العلم؟ قال: بالمصباح والجلوس إلى الصباح..

هناك فرق كبير بين من يضيع أوقات الشتاء، بل وسائر أيام العام في اللهو وارتكاب المعاصي، فطوبى لمن رقد إذا نعس، واتقى الله إذا استيقظ فحاله أحسن وأطيب من هذا العاصي لربه..

قال يحيى بن معاذ ـ رحمه الله ـ: الليل طويل، فلا تقصره بمنامك، والإسلام نقي فلا تدنسه بآثامك..

أحبتي الكرام...

وفي الشتاء عبر وعظات.. في شدة البرد عظة وعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فقد قال أفضل الخلق ﷺ: «**اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير**»(١).

فمن وقف على ذلك وتأمل واعتبر، كان ذلك تسلية وتصبرًا له على العبادة حتى يسلم من زمهرير جهنم وحرها، وتوجب عليه الاستعاذة من سمومها..

في الشتاء تنزل البركات، وتنشر الرحمات من رب الأرض والسموات، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ [الشورى:٢٨] المطر بركة من الله عز وجل لأهل الأرض، وقد وصفه الله عز وجل بذلك، قال سبحانه: ﴿**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ**﴾ [ق:٩].

---

(١) رواه البخاري ومالك والبيهقي.

والمسلم حين يرى المطر ينزل من السماء يتذكر نعم الله عليه فيشكرها ولا يكفرها المسلم الحق هو الذي يعتبر ويتعظ من كل ما يراه حوله . .

فهذه السيدة رابعة العدوية ـ رحمها الله ـ تعالى تقول: ما سمعت الأذان، إلا ذكرت منادي القيامة، ولا رأيت الثلج - أي المطر - إلا رأيت تطاير الصحف ولا رأيت جرادًا إلا ذكرت الحشر[(١)].

وإذا رأى المسلم المطر، يفعل كما كان رسول الله ﷺ يفعل . . وماذا كان رسول الله ﷺ يفعل؟

روى مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر، قال: فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا: يا رسول الله، لم صنعت هذا ؟!

قال: «**لأنه حديث عهد بربه تعالى**»[(٢)].

ومن السنة إذا رأيت المطر، وهو يهطل من السماء أن تقول: اللهمَّ صيبًا نافعًا . . فعن عائشة رضي الله عنها قالت: إنَّ رسول الله ﷺ كان إذا رأى المطر، قال: «**اللهمَّ صيبًا نافعًا**»[(٣)].

وبعد نزوله يقول كما كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهمَّ حوالينا ولا علينا**»[(٤)].

ويقول المسلم: مطرنا بفضل الله ورحمته.

وليعلم المسلم أن الدعاء مستجاب عند نزول الغيث من السماء . . فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ثنتان ما تردان: الدعاء عند النداء، وتحت المطر**»[(٥)].

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٤٩٢) لابن الجوزي.

(٢) **صحيح**: صحيح سنن أبي داود برقم (٥١٠٠).

(٣) رواه البخاري والنسائي.

(٤) رواه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود.

(٥) **حسن**: رواه الحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧٨).

أحبتي في الله...

وهكذا يحقق المسلم معاني العبودية لله عز وجل في كل وقت وحين، يعبد الله ويذكره، ويدعوه ويرجوه..

وليعلم المسلم أن هذه الأيام مراحل، وسوف يقطعها مرحلة مرحلة..

جاء رجل إلى داود الطائي رحمه الله وقال له: يا أبا سليمان، قد عرفت الرحم الذي بيننا، فأوصني..

قال: فدمعت عيناه، ثم قال: يا أخي، إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة، حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زادًا لما بين يديها، فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب، والأمر أعجل من ذلك، فتزود لسفرك، واقض ما أنت قاض[١]..

ويقول ابن الجوزي رحمه الله في لطائفه:

إخواني: السنون مراحل، والشهور فراسخ، والأيام أميال، والأنفاس خطوات والطاعات رءوس أموال، والمعاصي قطاع الطريق، والربح الجنة، والخسران النار، ولهذا الخطب شمر الصالحون عن سوق الجد في سوق المعاملة، وودعوا بالكلية ملاذ النفس[٢].

اللهمَّ ارحمنا بترك المعاصي أبدًا ما أبقيتنا، وارحمنا أن نتكلف مالا يعنينا وارزقنا حسن النظر فيما يرضيك عنا.. اللهمَّ اختم لنا أيامنا وأعمارنا برضوانك واجعل مآلنا إلى جنانك وأعذنا من عقوبتك ونيرانك..

اللهمَّ اغفر لعبادك المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وأصلح ذات بينهم وألف بين قلوبهم، واهدهم سبل السلام، وأخرجهم من الظلمات إلى النور يا رب العالمين..

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٣٣٣) وحلية الأولياء (٣/ ٣١٩).

(٢) اللطائف ص٢٧ لابن الجوزي.

الوصية رقم (٧٦)

* أميطوا الأذى عن الطريق *

عن أبي برزة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: «**أمط الأذى عن الطريق، فإنه لك صدقة**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام...

إن من سعة فضل الله تعالى ورحمته على الإنسان، أن مهد له الأرض، وجعل له فيها كل الأمور التي يحتاج إليها، لكي يساير حياته، ويؤدي رسالته التي أرادها الله عز وجل منه في هذه الحياة، ومن ذلك أن جعل له على الأرض طرقًا، في البر والبحر، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهم فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ وقال تعالى في سورة النحل: ﴿**وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ [النحل: ١٥، ١٦].

والرواسي هي الجبال الشامخات، حتى لا تضطرب بما عليها، وجعل فيها سبلاً أي طرقًا، يسلكها الإنسان من مكان إلى مكان، ومن بلد إلى بلد، ومن قطر إلى قطر، وقد أظهرها الله عز وجل وبينها لأجل أن يهتدي بها الناس في تنقلاتهم وفي أسفارهم، وقال تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً..**﴾ [طه: ٥٣] وقال: ﴿**وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣١].

أحبتي الكرام...

لأجل هذا كله فإن الإسلام قد حث كل مسلم على الاهتمام بالطريق ما أمكنه

---

(١) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٢٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٩٠) والصحيحة (١٥٥٨).

إلى ذلك سبيلاً، ووعده على أي عمل يقوم به لمصلحة الطريق وللمارة ثواب الصدقة المقبولة من الله الكريم جل في علاه، كما بينت الوصية التي نعيش في ظلالها، وقد ورد أن أبي برزة ﷺ قال لأستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ: يا رسول الله، دلني على عمل أنتفع به، فقال له: «**أمط الأذى عن الطريق، فإنه لك صدقة**».

وفي رواية: «**اعزل الأذى**»(١) وفي رواية: «**نحِّ الأذى عن طريق المسلمين**»(٢) وإماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان، كما قال النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة - أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»(٣).

وجعلها ﷺ صدقة كما في حديث أبي برزة، وحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «..**وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة**»(٤).

ولحديث أبي ذر الغفاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أبواب الخير لكثيرة: التسبيح والتحميد، والتكبير والتهليل، والأمر بالمعروف صدقة، والنهي عن المنكر، وتميط الأذى عن الطريق، وتسمع الأصم، وتهدى الأعمى، وتدل المستدل على حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كله صدقة منك على نفسك**»(٥).

وعن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجرًا عن طريق الناس، أو شوكة أو عظمًا عن طريق الناس، أو أمر بمعروف**

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه.
(٢) حسن: السلسلة الصحيحة برقم (٢٣٧٣).
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه البخاري ومسلم.
(٥) صحيح ابن حبان في صحيحه وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٩٧٠).

أو نهي عن منكر، عـدد الستين والثـلاثمائة فإنه يمسـي يومئذ، وقـد زحزح نفـسه عن النار»(١).

وقد رآه النبي الأكـرم، والرسول الأعظم ﷺ رأى إماطة الأذى عن الطريق من محـاسن الأعـمـال وأزكاها. . فـعن أبي ذر الغـفـاري رضي الله عنه قال: قـال النبي ﷺ: **«عرضت عليَّ أعمـال أمتي، حسنها وسـيئتها، فـوجدت في محاسن أعـمالها، الأذى يماط عن الطريق، ووجـدت في مسـاوئ أعـمـالهـا: النخـامـة تكون في المسـجـد لا تدفن»**(٢).

وعن أبي شـيبة الهـروى قال: كـان معـاذ يمشي ورجل معـه، فرفع حـجراً من الطريق، فقـال: ما هذا؟ فقال: سـمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من رفع حجراً من الطريق، كتبت له حسنة، ومن كانت له حسنة، دخل الجنة»**(٣).

فهذه الأحاديث الشريفة تثبت لمن أبعد الأذى عن الطريق، ثواب الصدقة، وتجعل هذا العمل من الأعمال التي تزحزح صاحبها عن النار، وتعده شعبة من شعب الإيمان كلما تقـدم الزمن، وتواصلت الحضـارات، كلما ازددنا إيمانًا على إيمان، ويقـينًا على يقين، وحبًّا على حب لإسلامنا العظيم. .

إسلام الحضارة والرقي. . إسلام الرحمة والتعاون والجمال. .

وها هي الأيام تثـبت لنا عيـانًا بيانًا لنظرة الإسـلام المتبـصرة من بعـيد لأهمـية الطريق، والدعوة إلى المحافظة عليه، والعناية به، فـها هي دول العالم تنفق المليارات في كل عام على الطرق وتحسـينها، وتجديدها وتطويرها، وأصبحت القـوانين الخاصة بالطرق منتشرة في كل الأقـطار، خاصة تلك القوانين المتعلقـة بالمرور، وكلها تهدف إلى ضمان الـسير على الطريق بسرعـة وسهولة، وراحة وأمان وإذا كـانت الأحاديث السابقة تعتبر إماطة الأذى عن الطريق صـدقة، فهاهي أنوار أخريات من كلمات خير

(١) رواه مسلم وغيره.
(٢) رواه مسلم وابن ماجه.
(٣) **حسن**: وذكره الألباني في صحيح الترغيب.

البريات، وحبيب رب الأرض والسموات تمنح مانع الأذى عن الطريق ومبعده منحًا عالية عجيبة، تكاد لا تصدق، ولكن خير الله عز وجل واسع، وفضله عظيم، وخيره وفير..

فمن منا يتصور أن مسلمًا يبعد غصن شوك عن الطريق، فينال شكر الله، ليكون من أصحاب الجنات؟!

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك، فأخره، فشكر الله له، فغفر له**»(١).

ومن منا يتصور أن مسلمًا يقطع شجرة من ظهر الطريق، كانت تؤذي المسلمين، فيغفر له، ويتقلب في الجنة؟! فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد رأيته يتقلب في الجنة من شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين**»(٢) وفي رواية: «**مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال**: والله لأنحين هذا عن **المسلمين، لا يؤذيهم، فأُدخل الجنة**»(٣).

من منّا يتصور أن مسلمًا لم يعمل خيرًا قط، لكنه يزيل غصن شوك، وينزعه عن طريق المسلمين، فيشكر الله له، ويكافئه بدخول الجنة.. فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**نزع رجل لم يعمل خيرًا قط، غصن شوك عن الطريق**، فشكر الله له، **فأدخله الجنة**»(٤).

فأي فضل هذا؟ وأي تكريم هذا؟ وأي ثواب عظيم هذا، لمن يرفع الأذى ويبعده عن طريق المسلمين، حتى لا يتأذى أحد..

إنها حضارة الإسلام السامية.. والتي تجعل من الطريق مسار أمن وسلامة، وراحة وأمان..

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) **حسن صحيح**: رواه ابن حبان وصححه الألباني في الترغيب (٣/ ٨٣) وصحيح الجامع (٦٧٥٥).

أحبتي في الله..

وإذا كان هذا الثواب العظيم لمن يرفع الأذى عن طريق المسلمين فهل يمكن أن نتصور مدى الأجر والثواب من الله الواحد الأحد، لمن يقوم بإصلاح طريق به مطبات خطرة، ويجعله سهلاً مريحًا للمارة، أو ينشيء طريقًا جديدًا يربط بين مكانين، أو يربط بين قريتين أو مدينتين، إن هذا يكون عملاً عند الله عظيمًا كبيرًا، ولا يقدر عليه إلا أهل العزم واليقين لكن هذه دعوة لأن نتعاون جميعًا لإبعاد كل أذى عن طريق المسلمين..

ولنا أن نتصور خطر إيذاء المسلمين في إلقاء ما يؤذيهم في طرقاتهم مثل قشور الموز، أو رمي الزجاج المكسور، أو الأوساخ والقاذورات أو الشوك غير ذلك..

وفي هذا العصر قد تساهل الكثير من الناس بهذا الأمر، فصاروا لا يبالون بأذية الناس في طرقاتهم، وأمكنة جلوسهم واستراحاتهم.. يحفرون حفر في الطريق، ويلقون الأحجار والحديد، ويقذفون بالمياه القذرة العفنة ذات الرائحة الكريهة في طرقات الناس، ولو كان في ذلك أذية الناس، وتعرضهم للخطر، وتناسوا ما في ذلك من الوعيد والإثم..

ولا نجد من يساهم محتسبًا فيزيل هذا الإيذاء، أو يتسبب في إزالته، بمراجعة المسئولين عن ذلك- إلا من رحم الله عز وجل.

وسبل إيذاء المسلمين ظاهرة واضحة، فمن الناس من يتبول أو يتغوط في طرقاتهم، وخاصة في المناطق الريفية، وهذا يتسبب في لعن صاحبها، قال ﷺ: «**اتقوا اللاعنين**»

قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟

قال: «**الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم**»(١).

قال الإمام الخطابي:

---

(١) رواه مسلم وأحمد.

المراد باللاعنين: الآمران الجالبـان للعن، الحاملان للناس عليه، والداعـيان إليه، وذلك أن من فعلهـما، لُعن وشُتم، يعني عادة الناس لعنة، فلمـا صارا سبـبًا أسند اللعن إليهما على طريق المجاز العقلي.

قال: وقد يكون اللاعن بمعنى الملعون، أي الملعون فاعلها، فهو كذلك من المجاز العقلي.

وليس كل ظل يحرم قضاء الحاجـة فيه، فقد قضى النبي ﷺ حاجته في حائش النخل وله ظل..

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق والظل**»(١).

والمراد بالموارد: المجارى والطريق إلى الماء.. واحدها مورد.

والمراد بقارعـة الطريق: أعلاه سـمى بذلك، لأن المارين عليـه يقرعونه بنـعالهم وأرجلهم..

ومن أذية المـسلمين: الجلوس عـلى الطرقـــات، لما في ذلك من الاطـلاع على شئـونهم الخاصة، التي لا يحـبون الاطلاع عليها، ولمـا في ذلك من النظر إلى ما لا يجوز النظر إليـه من النساء، وغير ذلـك من المحاذير، وأشدها عدم القـيام بالواجب نحو المارة، قال ﷺ: «**إياكم والجلوس في الطرقات**».

قالوا: يا رسول الله، ما لنا بدٌّ من مجالسنا نتحدث فيها، فقال رسول الله ﷺ: «**فإذا أبيتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقه**».

قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟

قال: «**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمرٌ بالمعروف، ونهي عن المنكر**»(٢)

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود وابن ماجة وحسنه الألباني.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

فقد دل هذا الحديث على منع الجلوس في الطرقات إلا من قام بحقها من هذه الأمور..

وأما من جلس للنظر إلى ما غدا وراح، ولم يقم بما أرشد إليه هادي الأمة من هذه الأمور، فهو آثم.

ومن الشباب من يقوم بتحويل الطرقات في الشوارع إلى ملاعب للكرة، مما يتسبب في كثرة الصخب، والتجمعات حولها، مما يؤذي المارة، وأصحاب البيوت، وربما يكون في البيوت مرضى، أو طلاب علم يذاكرون ويجتهدون فيؤذي هؤلاء وهؤلاء..

ومن أذية المسلمين في طرقاتهم، وتعريضهم للخطر، تولى قيادة السيارات من لا يحسنون القيادة مثل الأطفال، ونحوهم، فترى طفلاً يركب سيارة لا يستطيع التحكم فيها لضعفه، أو لصغره، فإذا كان ولي الأمر يريد أن يدرب ولده، فينبغي أن يدربه في مكان خاص بالتدريب، لا يدربه في طريق الناس، حتى لا يؤذيهم..

أحبتي في الله...

ومن إيذاء المسلمين في طرقاتهم: خروج النساء سافرات لـ حـوه، كاسيات عاريات، متبرجات.. قال ﷺ: «**صنفان من أهل النار، لم أرهما** وذكر **منهما- ونساء كاسيات عاريات مميلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[1].

ومن أذية المسلمين في طرقاتهم: عدم الاستتار عند قضاء الحاجة، وهذا مما عمت به البلوى.. فتجد في بعض الأماكن حمامات عامة، يدخلها الرجال، فيقف الواحد بجوار الآخر، لقضاء الحاجة، ولا يستطيع الرجل أن يستر عورته عمن بجواره.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.. وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فقال: «**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل**»[2].

(١) رواه مسلم (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة.

(٢) رواه مسلم (٣٣٨) كتاب الحيض.

ومن المعلوم أن عدم الاستتار سبب من أسباب عذاب القبر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مرَّ بقبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة**»[١]..

اللهمَّ عاملنا بما أنت أهله، ولا تعاملنا بما نحن أهله، اللهم إنَّا نسألك الأمن والأمان، والعفو والغفران، اللهمَّ توفنا وأنت راضٍ عنا.. ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم..

❏ ❏ ❏

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

الوصية رقم (٧٧)

قل هو الله أحد ثلث القرآن

عن عائشة ﵂ أنَّ النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكـان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيـختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعـوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال رسول الله: «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟**» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. .

فقال ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام...

هذا القـبس النبوي الشـريف، وهذا الهدى النبـوي يود فيـه أستاذ الـبشرية ومـعلم الإنسانية ﷺ وهو الذي علم المتعلمين، وهو الذي يريد أن يصل بأمته إلى شاطئ السعادة في الدنيا والآخرة. . يريد الرسول ﷺ أن ينبه أتباعه إلى شيئين عظيمين، وهما:

أولا: فصل سورة الإخلاص. . قل هو الله أحد.

ثانياً: أن من أحب شيئًا من أجل الله، أحبه الله عز وجل. .

فماذا عن فضل سورة الإخلاص؟ ولم سميت بذلك؟

إنها سميت بسورة الإخلاص، لأنها أخلصت لذكر أسماء الله تعالى وصفاته، أو لأن من قرأها معتـقدًا بها، فقد أخلص توحيده لله عـز وجل، أو لأنها تخلص العبد من الشرك وتسمى كما ذكر السيوطي سـورة الأساس، لاشتمالها على توحيد الله عز وجل، وهو أساس الدين. .

كما ذكر الإمام النيسابوري وغيره أن من أسمائها، يقال لها: التفريد أو التجريد أو التوحيد، أو النجاة، أو الولاية، لأن من قرأها صار من أولياء الله- أي من أحبائه. .

---

(١) رواه البخاري.

وقد ورد في فضلها حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري ﵁ أنَّ رجلاً سمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالها- أي يعتقد أنها قليلة في العمل- فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن**»(١) وعن أبي الدرداء ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟**»

قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ **تعدل ثلث القرآن**(٢).

وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يومًا: «**احشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن**»(٣).

فحشد من حشد، ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: إني أرى هذا خبر جاءه من السماء، فذاك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله، فقال: «**إني قلت لكم: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن**».

وعن أنس ﵁ أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني أحب هذه السورة.. قال: «**إنَّ حبك إياها، أدخلك الجنة**»(٤).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: أقبلت مع النبي ﷺ فسمع يقرأ ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ فقال رسول الله ﷺ: «**وجبت**»

قلت: وما وجبت؟ قال: «**الجنة**»(٥).

في بعض الروايات يقول سيدنا أبو هريرة ﵁: فأردت أن أبشر الرجل، ثم فرقت أي خفت أن يفوتني الغداء مع رسول الله ﷺ ثم ذهبت- أي بعد الغداء- إلى الرجل، فوجدته قد ذهب..

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي.

(٣) رواه مسلم وأحمد والترمذي.

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي.

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي وصححه الألباني (٢٨٩٧) وفي صحيح سنن النسائي (٩٩٤).

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ: (قل هو الله أحد) عشر مرات، بني الله له بيتًا في الجنة**»(١).

وقد كان النبي ﷺ يقرأ بها في الركعة الثانية من ركعتي الفجر- أي سنة الفجر- كما عند ابن حبان والبيهقي وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**نعم السورتان، هما يقرآن في الركعتين قبل الفجر: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**» وسورة الكافرون تعدل ربع القرآن(٢).. وسورة قل هو الله أحد، ومعها المعوذتين تكفي من شر شيطان الإنس والجن والحسد فعن عبد الله بن خبيب أن رسول الله قال له: «**قل هو الله أحد، والمعوذتين، حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات، تكفيك من كل شيء**»(٣).

وقال لعقبه بن عامر الجهني رضي الله عنه: «**قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ما تعوذ بمثلهن أحد**»(٤).

أحبتي في الله...

وبعد أن عرفنا سويًّا فضل قراءة هذه السورة نتساءل: كيف تعدل سورة قل هو الله أحد ثلث القرآن؟

إنها تعدل ثلث القرآن، لأن القرآن كله من أوله إلى أخره يدعوك إلى التوحيد ولأن القرآن، إما خبر عن أسماء الله تعالى وصفاته، وهذا هو التوحيد العلمي الخبري.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، وهذا هو التوحيد الطلبي الإرادي.

وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته سبحانه، وهذا من حقوق التوحيد ومكملاته وإما

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٢) وفي الصحيحة.
(٢) صحيح الجامع للألباني (٦٧٧٣).
(٣) صحيح الجامع برقم (٤٤٠٦).
(٤) **صحيح**: رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٠).

خبر عن الموحدين وما أكرمهم الله به في الدنيا، وما أعده الله لهم من النعيم العظيم ورضوان من الله أكبر، وهذا خبر عن جزاء الموحدين..

وإما خبر عن الشرك وأهله، وما أحل بهم في الدنيا من النكال، وما أعد لهم في الآخرة من العذاب، وهذا خبر عن جزاء من حاد عن التوحيد، ووقع في الشرك.. فالقرآن كله: إما حديث عن التوحيد وأهله وجزائهم، وإما حديث عن الشرك وأهله ونكالهم، فالقرآن إذن من أوله إلى آخره توحيد.

والتوحيد ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وقد أخلصت سورة الإخلاص لتوحيد الأسماء و الصفات، لذلك كانت تعدل ثلث القرآن.

وقال الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ: مهمات القرآن: معرفة الله، ومعرفة الآخرة، ومعرفة الصراط المستقيم، فهذه المعارف الثلاث هي أهم المعارف في القرآن الكريم فهي أصل، وما سواها تبع لها، وسورة الإخلاص قد أفردت لذكر معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، فلذلك كانت تعدل ثلث القرآن، لأنها اشتملت على ثلث أصول القرآن المهمة، وما سواها تبع لها- كما قال النبي ﷺ عن الحج- «**الحج عرفة**»(١) يعني أن الوقوف بعرفة هو أصل أركان الحج، وما سواه تبع له.

أحبتي في الله...

وبقي الجانب الآخر من الوصية، وهي محبة الله عز وجل لعباده، فقد أخبر رسول الله ﷺ عن الرجل الذي يحب سورة الإخلاص وقال لأصحابه: «**أخبروه أن الله يحبه**».

ونقول: إنَّ حب الله عز وجل لعبد من عبيده أمرٌ لا يستطيع أحد أن يدرك قيمته إلا من عرف الله عز وجل حق معرفته.. إلا من عرفه سبحانه بصفاته كما وصف بها نفسه.. إلا من وجد إيقاع هذه الصفات في حسه ونفسه وشعوره، وكينونته

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده والترمذي وقال: حسن صحيح ورواه أبو داود والنسائي.

كلها.. أجل لا يُقدر حقيقة هذا العطاء إلا الذي يفرق حقيقة المعطى.. الذي يعرف من هو الله؟. من هو صانع هذا الكون الهائل؟ صانع هذا الإنسان..

وحب العبد لربه ومولاه نعمة عظيمة لهذا العبد لا يدركها كذلك إلا من ذاقها.. إنه إنعام هائل عظيم.. وفضل غامر جزيل.. ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [المائدة: ٥٤].

ومحبة الله عز وجل لعباده صفة من صفاته التي يجب إثباتها، والإيمان بها، دون تمثيل ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تكييف، وقوفًا عند قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١].

أحبتي في الله...

والقرآن والسنة مملوآن بذكر من يحبه الله عز وجل من عباده المؤمنين، وذكر ما يحبه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم، ففي القرآن الكريم، يقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٢٢] وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٥] وقال: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وفي السنة المطهرة أمور متعددة تجلب محبة الله عز وجل منها:

١- **الزهد في الدنيا:** قال ﷺ للرجل الذي سأله قائلاً: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبني الناس، فقال ﷺ: «**ازهد في الدنيا، يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس، يحبك الناس**»(١).

إنَّ لله عبادًا فطنًا

طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

ساروا فيها فلما علموا

أنها ليست لحي وطنا

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجة والترمذي والطبراني والحاكم وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٢٢).

جـــــعـلـوهـا لجـــــــة واتـخـــــــذوا

صـــالح الأعـــمـــال فـــيـــهـــا سـفـنًا

٢- ومنها: **نفع الآخرين**، وإدخال السرور عليهم: هذا شيء يحبه الله عز وجل من العبد فقد جاء رجل إلى الحبيب المصطفى، جاء إلى معلم البشرية، ليسأله ويتعلم منه- قائلاً: أي الناس أحب إلى الله عز وجل؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟

فقـال ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعـهم للناس، وأحب الأعـمال إلى الله عـز وجل سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنـه كربه، أو يقضي عنه دينًا، أو يطرد عنه جوعًا..**»(١).

٣- ومنهـا: **الرفق**، فعن عـائشة أم المؤمـنين ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «**يا عائشـة، إن الله رفيق يحب الرفـق، ويعطي على الرفق ما لا يعطى على العـنف وما لا يعطى على ما سواه**»(٢).

٤- ومنها: **بر الوالدين**، قال النبي الأمين ﷺ لما سأله الصحابي الجليل عبد الله ابن مسعود: يا رسول الله، أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟

قال: «**بر الوالدين**»(٣).

٥- ومنهـا: **الحب في الله**، فـعن أبي هريرة ﵁ أن رسـول الله ﷺ قال: «**إنَّ رجلاً زار أخًـا له في قرية أخرى، فـأرصد الله له على مدرجـته ملكًا، فلمـا أتى عليه، قال: أين تريد؟ قـال: أخًا لي في هذه القرية.. قـال هل لك من نعمة تر بهـا؟ قال: لا غيـر أني أحببتـه في الله عز وجل، قال: فـإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك، كـما أحببته فيه**»(٤).

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني في الصحيحة (٩٠٦).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم والنسائي.

(٤) رواه مسلم.

٦- **ومنها: حب الصحابة** - رضوان الله عليهم - قال حبيب القلوب، ونبي علام الغيوب ﷺ: «**لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم، أبغضه الله**»(١).

٧- **ومنها: الكرم والكرماء وأهل الفضل والجود**، قال نبي الملك المعبود ﷺ: «**إنَّ الله كريم يحب الكرماء، جواد يحب الجودة ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها**»(٢).

٨- ومنها: الحياء والستر، قال ﷺ: «**إنَّ الله حييٌّ ستير، يحب الحياء والستر..**»(٣).

والحياء كله خير، وورد: إذا ضاع الحياء، ضاع الخير..

إذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحى بخير
ويبقى العود ما بقي اللحاء

٩- **محبته سبحانه للحلم والأناة:** فقد قال ﷺ لأحد أصحابه الكرام: «**إنَّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**» فقال: يا رسول الله، أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: بل الله جبلك عليها..

قال: الحمد لله الذي جبلني على خُلتين يحبهما الله ورسوله(٤)..

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي.
(٢) **صحيح**: رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٩٦).
(٣) **صحيح**: سنن أبي داود للألباني (٣٣٨٧).
(٤) **صحيح**: صحيح سنن أبي داود للألباني (٤٣٥٣).

١٠- **ومنها أنه سبحانه يحب من يقبل رخصه،** قال ﷺ: «**إنَّ الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه**»[١].

أحبتي الكرام. . .

فهـذه عشرة يحـبها الله عـز وجل، وهي من الأسباب الجـالبة لمحبـة الله تبارك وتعالى وحب الله عز وجل للعبد ليس له تعريف سوى الحب، **لا يصح أن يقال: إنَّ حب الله للعـبد هو إرادة الخـير لـه، أو إرادة رحمـته، أو نحـو ذلك، لأن هذا من تحريف الكلم عن مواضعه ولا يجوز تشبـيه حب الله للعباد بحب العباد، وإنما الحب صفة تليق بجلالة، ولا تشبه صفـات المخلوقين، وكذلك القول في جميع صفات الله عز وجل من الرضى والغضب والاستـواء والنزول، والإتيان والمجيء، وسائر صفات الأفعال. . وكذلك القول في صفـات الذات كاليد والعين، والساق والقدم، نؤمن بها من غير تكيـيف، ولا تحريف، ولا تمثيل ولا تعطيل. . فنثبت ما أثبـته الله عز وجل لنفســه في محكم كتابه، أو فـيما صحت من سنة نـبيه ﷺ ونقطع الطمع في إدراك الكيفية، ونتزه ربنا عز وجل عن مشابهة صفات الخلق. .**

نسـأل الله عز وجل أن يرزقنا حـبه. . اللـهمَّ ارزقنا حبك، وحب من يحـبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك. .

❑ ❑ ❑

---

(١) **صحيح**. رواه ابن حبان وصححه الألباني في الإرواء (٥٦٤).

الوصية رقم (٧٨)

* كيف تنجو من الفتن *

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا، ويمسى كافرًا، ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعرض من الدنيا**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

إنَّ رسولنا وحبيبنا محمدًا ﷺ في هذه الوصية الكريمة المباركة، يشخص للأمة في كل العصور داءها، ولا يترك الأمة بعد ذلك حيرى، وإنما يحدد الدواء بدقة وأمانة.. كيف لا وهو الرحمة المهداة، والنعمة المسداة ﷺ؟

إنه يحثنا هنا على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها، والاشتغال عنها، بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة، كتراكم ظلام الليل المظلم.. ووصف الرسول الأعظم ﷺ نوعًا من تلك الشدائد أو الفتن، وهو أنه يمسى مؤمنًا، ثم يصبح كافرًا، أو عكسه، وهذا العظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب المخيف.. نسأل الله السلامة..

نعم.. يتحول من الإيمان إلى الكفر - والعياذ بالله- في ليلة واحدة.. أو في يوم واحد لماذا؟ قال ﷺ: «**يبيع دينه بعرض من الدنيا**».

يكون معك في صلاة الفجر في بيت من بيوت الله، ثم تبحث عنه في صلاة العشاء فلا تجده.. وفي اليوم التالي غير موجود، أين ذهب؟ لقد باع الدين بعرض من الدنيا حقير، وربما يدخل في المساء موقعًا من المواقع الإباحية فلا يخرج- ولا حول ولا قوة إلا بالله- إلا وقد باع دينه بعرض من الدنيا.. بشهوة محرمة، بلذة فانية، أو منصب حقير تافه..

---

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي وقال: حسن صحيح.

واقع خطير زل فيه كثير من الخلق إلا من رحم ربي عز وجل، تجد الإنسان يفرط في صلاته، أو في حجاب امرأته، أو يأكل الربا والحرام، أو يأكل أموال الناس بالباطل من أجل شهوة رخيصة!

فهل تصورنا بعد هذا كله.. هذا التعبير النبوي البليغ في هذه الوصية الكريمة التي بدأها الرسول ﷺ بقوله: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم..**» إنه تعبير نبوي في غاية البلاغة ممن آتاه الله جوامع الكلم.. وفتنًا- جمع فتنة فليست فتنة واحدة، ولكنها مجموعة من الفتن، فهناك فتن في العقائد، وهناك فتن في المفاهيم والأهواء والأفكار، ومنها فتنة المال والدنيا، ومنها فتنة الفرقة والخلاف، ومنها تسلط أعداء الإسلام على أمة الإسلام..

إذا المسلم معرض لمجموعة كبيرة من تلك الفتن.. فتن الشهوات.. فتن الشبهات ومن الفتن التي فتحت على البشرية الآن، وسائل الاتصال الحديثة، وهي نوع من أنواع الفساد العقائدي والأخلاقي والفكري، حتى صار حال المسلم كما قال القائل:

فإن تنجو منها تنجو من ذي عظيمة

وإلا فإني لا أخالك ناجيًا

وكما قيل: لا تسل عمن هلك، كيف هلك؟ ولكن سل من نجا، كيف نجا؟ ولذلك لكثرة الهالكين والساقطين في الفتن.. والله تعالى يقول: ﴿**الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ [العنكبوت: ١-٣].

ومن الفتن: فتنة الرجل في أهله وولده وجاره، تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

فقال عمر لحذيفة: ليس هذا الذي أريد، إنما أريد التي تموج كموج البحر؟ فقال: مالك ولها يا أمير المؤمنين، إنَّ بينك وبينها بابًا مغلقًا..

قال: أفيكسر الباب أو يفتح؟ قال: لا، بل يكسر..

قال: ذاك أجدر أن لا يغلق(١).

والباب هو قتل عمر، فإنه لما قتل عمر، صار هذا كسرٌ للباب، وهي الفتن والحروب، ثم بعد ذلك قتل عثمان ﷺ فانفتحت أبواب الفتن..

وربنا عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ..﴾ [التغابن: ١٥] أي اختبارًا وامتحانًا حتى يتبين من يستعين بالأموال والأولاد في طاعة الله، ومن يقوم بحق الله، ويتجنب محارم الله، ويقف عند حدود الله، ممن ينحرف عن ذلك، ويتبع هواه.

ومن أعظم الفتن وأكبرها [فتنة الإشراك بالله عز وجل] كما قال مولانا عز وجل ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّه﴾ [الأنفال: ٣٩] حتى لا يكون شركًا..

وأعظم ما ينجى العبد المؤمن من هذه الفتن هو [الإيمان بالله عز وجل] والذي دلنا وأرشدنا على ذلك إنما هو إمامنا وقائدنا، وحبيبنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد ﷺ إنه يصف الداء، ولا يترك الأمة حائرة، وإنما يحدد لها الدواء بدقة وأمانة.. ففي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وكان مع رسول الله ﷺ في سفر، فنادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة، يقول: فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرفق بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه هذه**- أي هذه هي المهلكة حقًا- **فمن أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته مَنيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه**»(٢).

فالأستاذ الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ يحدد الدواء للفتنة في كلمات قليلة في غاية البلاغة والوضوح، ولقد لخص الدواء هنا في أمرين:

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه وصححه الألباني (٣٩٥٥) وصحيح سنن الترمذي (٢٢٥٨) ألباني.
(٢) رواه البخاري ومسلم والنسائي.

الإيمان بالله واليوم الآخر، وليحب للناس ما يحب لنفسه.. نعم الإيمان هو طوق النجاة.. هو سلم النجاة والأمان في بحور هذه الفتن المتلاطمة الهائجة..

الإيمان حصن الأمان من هذه الرياح الهوجاء.. رياح الفتن.. والإيمان يحتاج إلى تجديد بالطاعات، وأعمال البر والخيرات والقربات إلى رب الأرض والسموات..

الإيمان يزيد بالطاعات وفعل الحسنات، وينقص بالمعاصي والسيئات..

والجانب العملي الآخر في النجاة من رياح الفتن الهوجاء، لخصه النبي ﷺ في حديث آخر في الصحيحين من حديث أنس ﵁ قال فيه: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(١) لو عاملت إخوانك بهذا المبدأ المحمدي، فلن يحصل منك إيذاء لأحد منهم.. فكر في أي عمل تود أن تعمله في حق هذا أو ذاك.. فكر في الكلمة التي ستنطق بها في حق امرئ مسلم أتحب أن يخاطبك بها..

أحبتي في الله...

كل يفكر ويتذكر قبل أي قول أو عمل.. تذكر إن كنت قادرًا، فتذكر قدرة الله عز وجل عليك، وإن كنت غنيًا، فتذكر فقرك إلى الله.. فمن عرف ربه، عرف نفسه من عرف ربه بالغنى المطلق، عرف نفسه بالفقر المطلق، ومن عرف ربه بالعز التام، عرف نفسه بالذل التام، ومن عرف ربه بالعلم التام، عرف نفسه بالجهل التام.. إن كنت عالمًا فمن الذي علمك؟ وإن كنت قويًا فمن أعطاك هذه القوة؟ إن كنت غنيًا فمن أغناك.. لا تغتر.. بل تعرف على ربك، لتعرف حقيقة نفسك ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ**﴾ [فاطر: ١٥-١٧].

ولخطورة هذه الفتن وكثرتها، فقد كان النبي ﷺ وهو أفضل هذه الأمة وأخشاها وأتقاها، وأقواها إيمانًا يكثر من سؤال الله الثبات على دينه، كما قالت السيدة عائشة ﵂: كان رسول الله ﷺ يكثر من قول: «**يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

دينك»(١) ومن يأمن الضياع، ومن يأمن ألا يسقط في الفتن، ويخوض في غمارها بعد رسول الله ﷺ.

فمن أسباب النجاة من الفتن التوجه إلى الله بالدعاء أن ينجيه من تلك الفتن، ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتعوذ بالله منها، فقال: «**تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن**»(٢) كما علمنا أن نتعوذ في دبر كل صلاة من الصلوات من عدة أمور: من عذاب جهنم، ومن فتنة القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال.

أحبتي الكرام...

احذروا هذه الفتن.. احذروا فتن الشهوات، وهي كثيرة، قال تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ..**﴾ [آل عمران: ١٤] فهذه صورة من صور فتن الشهوات وقال النبي المصطفى، والرسول المجتبى ﷺ: «**والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم**»(٣) وانظروا إلى فتنة المال، فتنة الغني.. فالله عز وجل يفتن عباده ويختبرهم بإعطائهم الأموال، ومنعه منهم كما قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ..**﴾ [الفجر: ١٥-١٧].

فليس كثرة المال إكرام من الله عز وجل، ولا قلة المال غضب وسخط.. ولكن ذلك كله ابتلاء واختبار منه عز وجل.. كما قال سبحانه: ﴿**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٥] لكن كيف تعرف أن المال الذي أعطاك الله إياه نعمة

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٨٠١).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والبيهقي.

من الله أم نقمة؟ هل هو نعمة أم فتنة؟ أولادك نعمة أم فتنة؟ منصبك الذي وليت فيه.. مركزك الاجتماعي هل هو نعمة أم هو فتنة؟

والجواب أحبتي الكرام...

إن كان مالك من حلال.. جمعته من حلال، دون أن تأكل حقًا هو لغيرك.. ولم تأكل رشوة ولا ربًا، وهذا المال الحلال يقربك إلى ربك ومولاك، فهو نعمة عظيمة ما دمت تؤدي فيه حق الله الواحد الديان..

وكذلك منصبك أو وظيفتك التي حصلت عليها، إن كانت تقربك إلى الله عز وجل فهي نعمة تستوجب الشكر، أما إن أبعدتك عن الله، إن كانت سبيلاً إلى الظلم للفقراء والضعفاء، أو للحصول على الشهوات الحقيرة، والنزوات الزائلة، فهي الفتنة الحقيقية.. وتدبر قول الكبير المتعال.. ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

أما فتن الشبهات فهي أخطر من فتن الشهوات وأعظم.. لأن فتن الشهوات، إن تاب العبد منها إلى مولاه، تاب الله عليه.. إن شرب الخمر.. إن سرق، إن زنا، إن فعل كذا وكذا.. إن تاب وأقلع، وندم واستغفر، وعمل الصالحات، تاب الله عليه، وغفر له.. ﴿ **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ [الفرقان: ٧٠].

فتن الشبهات أخطر، لأن القلب إذا تشرب الشبهة، أصبحت عند صاحبها عقيدة ربما يقتل، أو يُقتل من أجلها، وهو حينئذ يتصور أنه ينصر بذلك الدين..

قال ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة.. والذي نفس محمد بيده، لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار**» قيل: يا رسول الله، ومن هم؟

قال: «**الجماعة**»[١] وفي رواية.. «**ما أنا عليه وأصحابي**».

فالاعتصام بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وسلف الأمة هو الطريق الصحيح للنجاة من الفتن، فقد روى عن عليٍّ مرفوعًا: «**ستكون فتن كقطع الليل المظلم**» قيل: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «**كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم..**»[٢].

فكل الفتن- فتن شهوات.. شبهات.. بدع.. لزوم الكتاب والسنة وطريقة السلف ولزوم الجماعة والتوجه إلى الله عز وجل أن ينجيكم من تلك الفتن التي قال عنها: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا**- أي فتنة فتنة- **فأيّ قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير- أي القلوب- إلى قلبين قلب أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه**»[٣].

ومن أسباب النجاة من هذه الفتن لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، فهذا هو الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كاتم أسراره ﷺ يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني.. الله الله يا حذيفة.. ما أفقهك وما أعلمك، بل ما أعظمك وأنت تريد أن تضع يد الأمة على باب من أخطر الأبواب، لأن الخير معلوم لدى الجميع، لكن هناك فتن تحتاج إلى من يبصرنا بها، ويعلمنا إياها.. فمن يعلمنا إياها.. ومن يوجهنا غير قدوتنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد ﷺ يقول حذيفة رضي الله عنه: يا رسول الله، إنَّا كنَّا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال ﷺ: «**نعم**» قال: فهل بعد ذلك الشر من خير؟

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه وأبو داود وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٤٩٢) وصحيح الجامع (١٠٨٢).

(٢) **ضعيف**: رواه الترمذي والدارمي وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (٢٠٨١).

(٣) رواه مسلم وأحمد وغيرهما وهو في صحيح الجامع (٢٩٦٠).

قال: «**نعم وفيه دخن**» أي أنه ليس خيرًا صافيًا.. خيـر لكن فيه شبهات.. فيه شهوات.. قال: وما دخنه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**» قال: فهل بعد ذلك الخير- أي الـذي فيه دخن- من شر؟ قال ﷺ: «**نعم دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها، قذفوه فيها**».

وما زال حذيفة يستـفسر ويسأل فيقول لأعظم معلم، وخيـر أستاذ: صفهم لنا يا رسول الله؟

قال: «**هم من جلدتنا، ويـتكلمـون بألسنتنا**» إنهم يدعـون إلى الجنة بأقـوالهم، ويدعون إلى النار بأفعالهم..

قال حذيفة: يا رسول الله، فـما تأمرني إن أدركني ذلك؟ ماذا أفعل إذا حلت بي هذه الفتن؟

قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»

قال: يا رسول الله، فإن لم يكن جماعة ولا إمام؟

قال: «**فاعتزل تلك الفرقـة كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[١]..

أحبتي في الله...

والله الذي لا إله إلا هو.. لا نجـاة لنا من الفتن إلا بـاللجـوء إلى ملك الملوك، ومالك الملك.. لا نجـاة لنا إلا بالاستـعانة به، وصدق الرجـوع إليه.. ولا تغـتروا بالطاعات ولا تغـتروا بالعبـادات.. لكن الجأوا إلى خالق الأرض والسمـوات.. فلا منجي ولا ملجأ من الله إلا إليه.. ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [البقرة:١٨٦].

قال ابن الجـوزي رحمـه الله تعالى: سأل شـيخ من أهل العلم تلميـذًا عنده في حلقته، فـقال له: يا بني، ماذا تصنع لو مررت على غنم فنبـحك كلب الغنم؟ قال:

---

(١) رواه البخاري ومسلم ورواه أحمد في مسنده وابن ماجة وغيرهم.

أرد الكلب ما استطعت، قال: فماذا تصنع، لو نبحك الثانية؟ قال: أرد الكلب ما استطعت قال: فماذا تصنع لو نبحك الثالثة؟ قال: أفعل مثل ما فعلت..

فقال: يا بني، ذاك أمر يطول، لكن إذا أردت النجاة والعبور، فاستعن بصاحب الغنم، يكف عنك كلب الغنم، وإن أردت النجاة، فاستعن بالله، يكف عنك كيد الشيطان.

ومن أسباب النجاة من الفتن: تربية النفس على الإيمان بالله، واليوم الآخر، جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**العبادة في الهرج**» وفي رواية «**في الفتنة، كهجرة إليّ**»(١) وعبادة الله عز وجل والإيمان به يغرس في القلوب محبة الله عز وجل وتقديمه على كل ما سواه.. بالإيمان بالله يتعرف المسلم على ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، ويظهر أثرها على الأخلاق والسلوك..

والإيمان باليوم الآخر، يعطى المسلم اليقين الجازم بأن ما أعده الله عز وجل له في الآخرة أفضل وأعظم من شهوات الدنيا.. أعظم وأبقى من تلك المغريات الزائلة ﴿**فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ**﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١].

أسأل الله الكبير المتعال أن يقينا الفتن ما ظهر منها وما بطن.. اللهمَّ قنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.. اللهمَّ إنا نسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد اللهمَّ إن أردت بعبادك فتنة، فاقبضنا إليك غير مفتونين ولا مضلين..

اللهمَّ ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك.. اللهمَّ عافنا من كل مكروه.. اللهمَّ انفعنا بالقرآن، وعلمنا بالقرآن، واجمعنا على الإيمان..

اللهمَّ بارك لنا في أعمارنا وأوقاتنا وأولادنا.. ووسع أرزاقنا، وهب لنا غنى لا يطغى، وصحة لا تلهى.. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة.. إنك أنت الوهاب..

---

(١) رواه مسلم.

الوصية رقم (٧٩)

* من كانت له مظلمة عند أخيه فليتحللها منه *

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه، فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات، أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه**»[(١)] صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

لا يظنن أحد من الناس أن ظلمه لأحد من الناس، سواء كان ذلك بضرب أم بسب أم بشتم، أو أكل مال بباطل، أو بسفك دم، أو غيبة أو نميمة، أو سخرية أو استهزاء، أو جرح كرامة.. لا يظنن أحد أن شيئًا من ذلك الظلم سيضيع عند الله سدى.. كلا.. إن الظلم ظلمات يوم القيامة.. كما قال حبيبنا وإمامنا ﷺ..

ستعلم يا نؤوم إذا التقينا
غدًا عند الإله من الظلوم
أما والله إن الظلم لؤم
وما زال الظلوم هو الملوم
إلى ديان يوم الدين نمضي
وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في الحساب إذا التقينا
غدًا عند الإله من الملوم

قد يستطيع الظالم الآن أن يفلت بطريق أو بآخر، ولكنه لن يفلت يوم القيامة ومحال أن يدخل أحد الجنة، وعنده مظلمة لمسلم.. هذا مستحيل..

---

(١) رواه البخاري وأحمد.

لابد من القصاص حتى في الحيوانات، لدرجة أن الشاة الجلحاء يقتص من الشاة القرناء التي لا قرون لها، ففي البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»(١).

قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه:

هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة، وإعادتها يوم القيامة، كما يعاد أهل التكليف من الآدميين، وكما يعاد الأطفال والمجانين، ومن لم تبلغه دعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ**﴾ وإذا ورد لفظ الشرع، ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع، وجب حمله على ظاهره..

قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة، المجازاة والعقاب والثواب وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف، إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة(٢).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي ذر ـ ﷺ ـ أن رسول الله ﷺ رأى شاتين تنتطحان، فقال: «**يا أبا ذر، هل تدرى فيمَ تنتطحان**؟ قال: لا.. قال: «**لكن الله يدرى وسيقضى بينهما**»(٣).

وأخرج ابن جرير من حديث عبد الله عمرو مرفوعًا قال: إذا كان يوم القيامة، مُدَّ الأديم، وحشر الدواب والبهائم والوحش، ثم يحصل القصاص بين الدواب، يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها، فإذا فرغ من القصاص بين الدواب، قال لها: كوني ترابًا، قال: فعند ذلك يقول الكافر: ﴿**يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا**﴾ [النبأ: ٤٠] فمحال أن يدخل أحد الجنة وعنده مظلمة لمسلم.. مستحيل.. لابد أن يطهر الله أهل الظلم حتى ولو كانوا من أهل التوحيد والإيمان(٤)..

---

(١) رواه البخاري ورواه أحمد ومسلم وغيرهم.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٨/ ٣٨٩).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٨٨).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ١٨٠).

فمن كانت عنده مظلمة في حق أخيه، فليتحللها منه اليوم في الدنيا قبل الموت اذهب إلى أخيك المسلم الذي ظلمته، سواء كان ظلمك إياه بغيبة أو نميمة أو سخرية، أو أكلت ماله بالباطل، أو غششته في بيع أو شراء، أو أي صورة من صورة الظلم.. اذهب إليه، واطلب منه أن يسامحك في الدنيا.. اطلب منه أن يعفو عنك قبل أن يطالبك بهذا يوم الحشر.. يوم العرض على الله عز وجل.. ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٨، ٤٩].

تحلله الآن.. اطلب منه السماح والعفو، لأنه سيطالبك بحقه يوم القيامة سأل رسول الله ﷺ أصحابه الكرام سؤالاً، يعرف أنهم سوف يجيبونه بإجابة معينة، لكنه أراد أن يعلمهم، فقال: «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: هو من لا درهم له، ولا دينار.. فوضح لهم وبين أن الإفلاس الحقيقي ليس من الدراهم والدنانير، ولكن الإفلاس الأقوى والأخطر.. الإفلاس الحقيقي هو: «**من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وحج، يأتي وقد شتم هذا، وسب هذا، وأكل مال هذا فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته، أخذ من سيئات صاحبه، فطرحت عليه، فطرح في النار**»(١).

صلى وصام، وزكى، وحج، وعمل كل الأعمال الصالحات، ومع ذلك يدخل النار لماذا؟ لأنه ما أمسك يده عن الحرام، ما أمسك يده عن البطش، وما أمسك لسانه عن السب والشتم واللعن.. ما أمسكه عن قول الزور والكذب والبهتان والسخرية.. واستغل جاهه ووجاهته وكرسيه ومنصبه في إهانة الخلق تصوروا هذا المشهد الرهيب في أرض المحشر.. تصوروا الظالم وهو واقف في ساحة العرض على الله.. ساحة القيامة.. ساحة العرض على رب السموات والأرض.. يقف شاخص ببصره.. ذليل.. حسير.. والزحام شديد.. والعرق أشد.. والنار تلهب.. النار لها سبعون

---

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي.

ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها.. وهي تزمجر.. وتغضب لغضب ربها..

في هذه اللحظات، قد أحاط بالظالم من ظلمهم في الدنيا.. يتعلق به كل من ظلمه ثم يجرونه إلى الله عز وجل جرًّا.. فهذا يجره من لحيته، وذاك يجره من يده، وهذا يجره من ظهره، وذاك يجره من رجله.. حتى يوقفوه بين يدى الكبير المتعال، فإذا أوقفوه بين يدي الله الواحد الأحد، وأذن الله لدواوين المظالم أن تنصب، وللقصاص أن يبدأ وللصحف أن تنشر، ويأتي هذا إلى الملك.. إلى ملك الملوك.. ويقول له: هذا ضربني،.. وآخر يقول: هذا شتمني وهذا يقول: إنه اغتابني.. وهذا يقول: إنه قد سخر مني.. وهذا يقول: إنه غشني في البيع والشراء.. وهذا يقول: وجدني مظلومًا، وكان قادرًا على دفع الظلم فنافق وجامل الظالم وتركني.. وهذا يقول: إنه جاورني فأساء جيرتي ستري كل من عاملته في الدنيا، سواء تذكرته أو نسيته.. سيتعلق بك بين يدى ملك الملوك.. كلٌّ يطالب بحقه.. كل واحد منهم يشكوك لمولاك، ويطالب بحقه منك.. وأنت واقف يـ مسكين.. ما أشد حسرتك في هذه اللحظات، وأنت واقف على بساط العدل.. أنت مفلس.. لا تملك ساعتها ودرهمًا ولا دينار.. أنت عاجز.. أنت مهين.. لا تستطيع أن ترد حقًّا لأحد، فيقال: خذوا من حسناته.. خذوا من صحيفته الحسنات بدل الدراهم والدنانير.. أعط حسناتك لمن ظلمتهم في الدنيا.. انقلوا حسناته إلى حسنات المظلومين.. وأنت تنظر إلى صحيفتك وقد خلت من الحسنات التي تعبت في تحصيلها طوال عمرك.. طوال حياتك، فتصرخ وتقول: يا رب، أين صلاتي؟ أين قرآني؟ أين صدقتي؟ أين طاعتي؟ أين بري؟ أين حسناتي؟ فيقال: نقلت إلى صحائف خصومك ممن ظلمتهم في الدنيا..

فنيت الحسنات.. وخوت وخلت صحيفتك من الحسنات، وبقى أصحاب الحقوق، وبقى خصومك يطالبون بحقوقهم، فيأمر الملك سبحانه أن يؤخذ من سيئات من ظلمتهم، فتوضع في صحيفتك، فتصرخ وتقول: يا رب، هذه سيئات والله يا رب ما فعلتها.. والله ما قارفتها.. فيقال لك: إنها سيئات من ظلمتهم في الدنيا..

سيئات من اغتبتهم.. سيئات من أكلت حقوقهم.. سيئات من أكلت أموالهم بالباطل.. سيئات من كنت تسخر منهم في الدنيا ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾.

وقال سبحانه: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣] لابد من القصاص.. لابد أن المظلوم يقتص من الظالم يوم القيامة.. والظلم ظلمات يوم القيامة..

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً
فالظلم آخره يأتيك بالندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

إن رسولنا ﷺ لما أرسل معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى بلاد اليمن، أوصاه قائلاً له: «**اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»(١) وفي رواية أخرى «**دعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام يوم القيامة، وتفتح لها أبواب السماء ويقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي، لأنصرنك ولو بعد حين**»(٢).

وفي سنن ابن ماجة، وابن حبان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأصحابه الذين رجعوا من الحبشة، الذين كانوا في هجرة إلى الحبشة، لما أتوا، سألهم: «**ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟**».

قال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رهبانهم على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها،

---

(١) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

(٢) حسن: رواه أحمد في مسنده والترمذي والطبراني وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٢٢٣٠).

ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت- أي قامت- التفتت إليه، فقالت له: سوف تعلم يا غُدر، إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا؟ قال: يقول رسول الله ﷺ: «**صدقت ثم صدقت، كيف يقدس الله قومًا- أي يطهرهم- لا يؤخذ من ضعيفهم لشديدهم**»(١).

أحبتي في الله...

مهما اشتد الظلم وطال، فإن المآل إلى الوقوف بين يدي الكبير المتعال.. لابد من الوقوف بين يدي أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، عند ذلك يدرك أهل الظلم هلاكهم، عندما تحل الخسارة بهم..

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خلص المؤمنون من النار، حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذبوا، أذن لهم بدخول الجنة، فو الذي نفسي بيده، لأحدهم بمسكنه في الجنة، أدلُّ بمنزله كان في الدنيا**»(٢).

قال ابن بطال في شرحه لهذا الحديث:

وهذه المقاصة التي في هذا الحديث هي لقوم دون قوم، وهم من لا يستغرق مظالمهم جميع حسناتهم، لأنه لو استغرقت جميعها لكانوا ممن وجب لهم العذاب، ولما جاز أن يقال فيهم: (خلصوا من النار).

والمقاصة أصلها في كلام العرب (مقاصصة) وهي مفاعلة، ولا تكون المفاعلة أبدًا إلا من اثنين كالمقاتلة والمشاتمة، فكأن كل واحد منهم له على أخيه مظلمة، وعليه له مظلمة ولم يكن في شيء منها ما يستحق عليه النار، فيتقاصون بالحسنات والسيئات، فمن كانت مظلمته أكثر من مظلمة أخيه، أخذ من حسناته، فيدخلون الجنة، ويقتطعون فيها المنازل على قدر ما بقي لكل واحد منهم من الحسنات، فلهذا يتقاصون

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجة وابن حبان.

(٢) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

بالحسنات بعد خلاصهم من النار- أي من المرور على الصراط- والله أعلم- لأن أحدًا لا يدخل الجنة ولأحد عليه تبعة(١).

أحبتي الكرام...

في هذا الموقف العصيب الذي تكون فيه كل أمة جاثية، والعبد يقتص منه كل من كان عليه من حقوق ومظالم للخلق..

فتفكروا من الآن بأي قدم ستقفون في ذلك المقام، أو بأي أذن تسمعون هذا الكلام؟ فما شئتم من قلوب تخلع، وأكباد تصدع، وألسنة تتلجلج، وأحشاء تتموج، وأرواح تريد أن تخرج، فلا تترك أن تخرج، فانظر ما أشأم تلك الأرباح التي ربحتها، وما أخسر تلك المعاملات التي عاملت بها..

انظروا كيف ذهبتم عنكم مسراتها، وبقيت حسراتها..

انظروا كيف تفتدون من ذلك الموقف العصيب، وبكم تتخلصون من ذلك السؤال أتقول لو كانت لنا نصف الدنيا كنتم تعطونه في التخلص من ذلك المقام؟

إي لعمر الله والدنيا وأضعافها مرات. فكيف ولم نحصل في عمرنا كله إلا دريهمات يسيرة، ننفقها في أيام يسيرة، وربما لم ننفقها..

فتأملوا حالكم وقد امتلأت القلوب خوفًا وجزعًا ورعبًا وفزعًا، وارتعدت الفرائض وبلغت القلوب الحناجر، واصطفقت الأحشاء وتقطعت الأمعاء، وطلبوا الفرار فلا فرار.. ثم تفكروا في تلك الحال.. كل واحد يتفكر في تلك الحال.. تفكر إذا وثب عليك خصماؤك.. وهجم عليك طالبوك.. وأحاطوا بك.. ومدوا أيديهم إليك.. فهذا يأخذ بيدك.. وهذا بشعرك.. وهذا بما أمكنه.. فواحد يقول: يا رب، هذا ضربني.. وثان يقول: يا رب، هذا شتمني، وثالث يقول: يا رب هذا اغتابني.. هذا احتقرني.. هذا غصبني.. هذا ظلمني حقي.. هذا قتلني.. هذا عاملني فغشني، ولم ينصحني.. هذا علم أني جائع وكان قادرًا على أن يطعمني فلم

---

(١) شرح ابن بطال (١٢/ ٨٥).

يطعمني.. أين تفر؟ وكيف تتخلص، وقد أدهشك الحال، إذ سمعت نداء المنادي: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوم إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر:١٧] فتدبر كيف يكون حالك وقد أضيفت إلى سيئاتك سيئات أخر، وإلى أوزارك أوزار أخر، فاجتمعت عليك السيئات، وأحاطت بك الخطيئات.. وانكسر ظهرك من ثقلها.. ولم تستطيع النهوض بسببها.. وتستغيث ولا مغيث.. وتستعين ولا معين..

يقول الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينادي منادٍ على رءوس الأولين والآخرين: هذا فلان بن فلان، من كان له الحق، فليأت إلى حقه، فتفرح المرأة أن يكون لها الحق على أبيها، أو أمها، أو أخيها، أو زوجها، ثم قرأ: ﴿فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١] فيغفر الله من حقه ما شاء، ولا يغفر من حقوق العباد شيئًا، فينصب للناس فيقول: ائتوا إلى حقوقكم، فيقول: فنيت الدنيا، فمن أين أوتيهم حقوقهم؟! فيقول: خذوا من أعماله الصالحة، فأعطوا إلى كل ذي حق بقدر مظلمته، فإن كان وليًا لله، ففضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له، حتى يدخله بها الجنة، ثم قرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا..﴾ [النساء: ٤٠].

وإن كان عبدًا شقيًا، قال: يا رب، فنيت حسناته، وبقى طالبون كثير.

قال: خذوا من سيئاتهم، فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صكوا له صكًا من النار[1].

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: يجتمع الناس في صعيد واحد، بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة، لم يعص الله فيها.. يكون أول كلام يتكلم به، أن ينادى مناد: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر:١٦، ١٧].

ثم يكون أول ما يبدأ به من الخصومات في الدنيا، فيؤتي بالقاتل والمقتول، فيقال: لمَ قتلت هذا؟ فإن قال: قتلته لتكون العزة لله، قال: فإنها له.

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور وابن أبي الدنيا في الأهوال (٢٤٩) وابن جرير في تفسيره.

وإن قال: قتلته لتكون العزة لفلان، قال: فإنها ليست له، ويبوء بإثمه، فيقتله، ومن كان قتل بالغين ما بلغوا، ويذوق الموت عدد من ماتوا[(١)].

أحبتي في الله...

هذا هو الحال يوم العرض على الكبير المتعال.. وهكذا يكون القصاص من بين العباد يوم التناد.. فتحللوا المظالم في الدنيا فيما بينكم قبل القصاص في الآخرة.. فإن الأمر عصيب.. والأهوال كبيرة..

روى أبو عبد الله رزين، فقال: انصرف أبو مسلم الخولاني إلى منزله، فإذا جاريته تبكي، فقال لها: يا بنية، ما يبكيك؟

فقالت ضربني سيدي- ابنك- فقال لها: كيف ضربك؟ قالت: لطمني فدعا ابنه، فقال له: اجلس فجلس، فقال لها: الطميه كما لطمك.

فقالت: لا ألطم سيدي، فقال لها: عفوت عنه؟ قالت: نعم..

قال: لا تطلبينه في الدنيا ولا في الآخرة؟ قالت: نعم.. قال: اذهبي حتى تشهدي على ما تقولين.

فدعت رجلاً، فقال له أبو مسلم: إنَّ ابني لطمها لطمة، فدعوتها، لتقتص من ابني، فزعمت أنها قد عفت عنه، لا تطلبه لا في الدنيا، ولا في الآخرة، أليس كذلك؟ قالت: نعم.. قال: أشهدتكم أنها حرة لوجه الله، فأقبل عليه بعض القوم، فقال: أعتقتها من أجل أن لطمها ابنك، وليس لك خادم غيرها؟!

فقال أبو مسلم الخولاني ـ رحمه الله ـ: دعونا عنكم أيها القوم، ليتنا نفلت كفافًا لا لنا، ولا علينا.. قصاص اليوم خير من القصاص غدًا[(٢)].

ونسأل الله العلي العظيم رب العرش الكريم أن يغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا وأن يثبت أقدامنا، وأن ينصرنا على القوم الكافرين..

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال (٢٦١) وابن المبارك في زوائد الزهد (٣٨٨).
(٢) الأهوال لابن عساكر (٢٦٧).

اللهمَّ يا حبيب السائلين.. ويا هادي الحائرين، ويا واصل المنقطعين، افتح لنا فتحًا مبينًا بنورك وإلهامك لأهل محبتك.. يا عالمًا بحالنا، ومطلعًا على سرائرنا ونياتنا.. اكفنا شر ما يكون قبل أن يكون حتى لا يكون.

اللهمَّ يا مفرج الكروب، فرج كربنا، واستر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واجبر كسرنا، ونور قلوبنا، واحفظ جوارحنا.. واغفر ذنوبنا يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٨٠)

* أحبوا أصحاب رسول الله ﷺ *

عن البراء بن عـازب رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «**من أحب الأنصار، أحبه الله، ومن أبغض الأنصار، أبغضه الله**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

ألا تحبون أن يحبكم الله ورسوله؟ إن أردتم أن يحبكم الله ورسوله، فعليكم بحب أصحاب رسول الله ﷺ.

وأما من أبغضهم ولم يحبهم، فـهو منافق، كما قال النبي ﷺ في هذه الوصية الكريمة المباركة.. «**لا يحبـهم إلا مؤمن، ولا يبغضـهم إلا منافق، فمن أحبهم، أحـبه الله، ومن أبغضهم، أبغضه الله عز وجل**»(٢)

وقد جاء قوله ﷺ: «**لا يبغض الأنصار رجل يـؤمن بالله واليوم الآخر**»(٣) وهذا في الأنصار.. فمن هم؟ ولم سموا بذلك؟

إنهم أصحاب النبي ﷺ - الأطهار، الذين آووه ونصروا وعـزروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه..

إنهم الذين آثروا رسول الله ﷺ وأصـحابه المهـاجـرين عن أنفسـهم.. والذي سماهم أنصارًا، إنما هو الله عز وجل..

فعن غـيلان بن جـرير قال: قلت لأنس بن مالـك رضي الله عنه: أرأيت اسم الأنصار، كنتم تسمون به، أم سماكم الله؟

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه وصححه الألباني.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(٣) **صحيح**: رواه البيهقي وصححه الألباني في الصحيحة (٩١٦).

قال: بل سمانا الله.. كنا ندخل على أنس، فيحدث بمناقب الأنصار ومشاهدهم ويقبل على رجل من الأزد، فيقول: فعل قومك كذا وكذا يوم كذا وكذا..

أحبتي الكرام..

إذا كان حب الأنصار من الإيمان، كما قال الحبيب ﷺ: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**»(١) فالمهاجرين من باب أولى، لأنهم أسبق منهم إلى الإسلام، وإلى الإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ قال تعالى في شأن المهاجرين: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ [الحشر:٨] فقد خص الله أهل مكة بالهجرة، فسماهم المهاجرين، وخص أهل المدينة بالنصرة، فسماهم الأنصار..

وقال عن الأنصار: ﴿**وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الحشر: ١٠].

وقال في الآية التي قبلها: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر:٩].

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره:

قال ابن أبي ليلى: الناس على ثلاث منازل: المهاجرين، والذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين جاءوا من بعدهم.. فاجتهد أن لا تخرج من هذه المنازل وقال بعضهم: كن شمسًا، فإن لم تستطع فكن قمرًا، فإن لم تستطع، فكن كوكبًا مضيئًا.. فإن لم تستطع فكن كوكبًا صغيرًا.. ومن جهة النور لا تنقطع..

ومعنى هذا: كن مهاجريًا، فإن قلت: لا أجد، فكن أنصاريًا، فإن لم تجد فاعمل أعمالهم، فإن لم تستطع فأحبهم، واستغفر لهم كما أمرك الله(٢).

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣١).

أحبتي الكرام...

إنَّ فضائل أصحاب رسول الله ﷺ لا تعد ولا تحصى..

فعن سعيد بن أبي بريدة عن أبيه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء، قال: فجلسنا، فخرج علينا، فقال: **«ما زلتم هاهنا؟»**

قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلى معك العشاء، قال: **«أحسنتم - أو أصبتم»**.

قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: **«النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»**(١).

وقال ﷺ: **«خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»**(٢).

وعن واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تزالون بخير مادام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني»**(٣).

أتدرون لم هذه المنزلة الرفيعة؟

لأن الله عز وجل قد اختارهم لصحبة نبيه وحبيبه محمد ﷺ.

يقول سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ: إنَّ الله نظر في قلوب العباد، فوجدت قلب محمد ﷺ خير القلوب، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) **صحيح**: رواه ابن أبي شيبة في مصنفه وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢٨٣).

العباد بعد قلب محمد، فوجدت قلوب أصحابه خير القلوب، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه[١]. .

وأما ما ورد في فضل الأنصار ـ رضوان الله عليهم- فهو كذلك لا تعد ولا تحصى فهم أهل الإيثار، هم الذين آثروا المهاجرين على أنفسهم. . لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، نورها الله ببركته أخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ﵄ حتى قال سعد لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك، فسمها لي، أطلقها، فإذا انقضت عدتها، فتزوجها. .

قال: بارك الله لك في أهلك ومالك: أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو يومًا، حتى جاء يومًا وبه أثر صفرة، فقال له النبي ﷺ: «**مهيم**»

قال عبد الرحمن بن عوف: تزوجت.

قال له الحبيب ﷺ: «**وكم سقت إليها؟**» أي من المهر.

قال: نواة من ذهب- أي وزنها[٢].

أحبتي الكرام...

ومن أعظم الموقف التي سجلها التاريخ بمداد من نور، موقف أبي طلحة ﵁ الذي يرويه لنا البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﵁ أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعث رسول الله إلى أزواجه الطاهرات، فقلن: ما عندنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: «**من يُضيف هذا؟**» فقام رجل من الأنصار- يقال له أبو طلحة- فقال: أنا يا رسول الله فانطلق به إلى امرأته، فقال لها: أكرمي ضيف رسول الله.

فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني. .

---

(١) رواه أحمد في مسنده.

(٢) رواه البخاري.

فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك، إذا أرادوا عشاء، فهيأت الطعام، وأصبحت السراج، ونومت الصبيان، ثم قامت كأنها تصلح سراجها، فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين- أي جائعين- فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال له: «**لقد ضحك الله الليلة**- أو عجب- **من فعلكما**- أو من صنيعكما- فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(١) [الحشر: ٩].

ولم يكن هذا البذل وهذا السخاء والإيثار فرديًا، بل كان جماعيًا من الأنصار للمهاجرين ﷺ أجمعين.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: يا رسول الله، اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل..

قال رسول الله: «**لا، بل تكفونا المئونة، ونشرككم في الثمرة**»

قالوا: سمعنا وأطعنا(٢).

وذكر القشيري عن ابن عمر ﷺ أنه أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال: إنَّ أخي فلانًا وعياله أحوج إلى هذا منا، فبعثه إليهم، فلم يزل يبعث به واحدًا إلى الآخر، حتى تداولها سبعة أبيات، حتى رجعت إلى أولئك.. فنزلت: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ**﴾(٣).

أحبتي الكرام...

فينبغي على كل مسلم أن يحبهم، وأن يتأسى بهم، فهم خير أسوة، وأفضل قدوة بعد الحبيب ﷺ.

قال عبد الله بن عمر ﷺ: من كان مستنًا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب ومسلم في كتاب الأشربة.

(٢) رواه البخاري في كتاب المزارعة.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/ ٢٥).

تؤمن عليه الفتنة، فأولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قد اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم على الهدى المستقيم(١).

كما ينبغي على المسلم ألا يخوض فيما شجر بينهم من خلافات، ويعتقد أن الخلاف الذي حصل بينهم، إنما هو اجتهاد منهم، والمجتهد المصيب له أجران، والمخطئ له أجر واحد، والخطأ مغفور لهم لاجتهادهم.

ولما سئل أحد السلف عن القتال الذي كان بينهم، قال: تلك دماء وأشلاء طهر الله منها أيدينا، فلا نلوث بها ألسنتنا، ثم قرأ: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: ١٣٤].

فيجب أن نعرف فضلهم، وأن نحدث بمناقبهم ومآثرهم، وأن نعترف بسابقتهم قال الإمام القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا..**﴾ [الحشر: ١٠].

هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة رضوان الله عليهم- لأنه جعل لمن بعدهم حظًا في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم، والاستغفار لهم، وأن من سبهم، أو واحدًا منهم، أو اعتقد فيه شرًا، إنه لاحق له في الفيء..

قال الإمام مالك: من كان يبغض أحدًا من أصحاب محمد ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فيء المسلمين(٢).

وقد جاء النهي عن سب أصحاب النبي ﷺ قال الحبيب المصطفى «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا، ما بلغ مُدّ أحدهم، ولا نصيفه**»(٣).

وقال: «**لعن الله من سب أصحابي**»(٤).

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٣٠٥).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣٢).
(٣) رواه البخاري.
(٤) **حسن**: رواه الطبراني وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥١١١).

وقال محذرًا: «**من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»(١).

وقال موصيًا: «**احفظوني في أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»(٢).

وقال: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا**»(٣).

قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ في الكبائر:

إنما يعرف فضائل الصحابة ﷺ من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان والمجاهدة للكفار، ونشر الدين، وإظهار شعائر الإسلام، وإعلاء كلمة الله ورسوله، وتعليم فرائضه وسننه، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة، ولا فرضًا، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا.

فمن طعن فيهم، أو سبهم، فقد خرج من الدين، ومرق من ملة المسلمين لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم.

ولأنهم أرضى الوسائل المأثورة، والوسائط من المنقول، والطعن في الوسائط، طعن في الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، وهذا ظاهر لمن تدبره، وسلم من النفاق والزندقة والإلحاد في عقيدته.

قال أيوب السختياني: من أحب أبا بكر، فقد أقام منار الدين، ومن أحب عمر، فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان، فقد استنار بنور الله ومن أحب عليًا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الخير في أصحاب رسول الله ﷺ بريء من النفاق(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني وصححه الألباني في الصحيحة (٢٣٤٠).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجة وصححه الألباني.

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني وصححه في الصحيحة (٣٤).

(٤) الكبائر للذهبي.

اللهمَّ ارزقنا حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك..

اللهمَّ ارزقنا حب نبينا، وحب أصحابه الكرام، وارزقنا العمل بسنة نبينا وحبيبنا محمد ﷺ.

اللهمَّ احرسنا بعينك التي لا تنام، واكفنا بركنك الذي لا يرام..

اللهمَّ ارحمنا بقدرتك علينا رحمة تشفى بها أمراضنا، وتبيض بها وجوهنا، وتهدى بها عاصينا، وتلم بها شعثنا، وترحمنا بها يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٨١)

* اصبروا على البلاء *

عن أم العلاء ﵂ قالت: عادني رسول الله ﷺ وأنا مريضة، فقال لي: «**أبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه، كما تُذهب النار خبث الذهب والفضة**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام...

هذه الوصية التي بين أيدينا اليوم، يقف الناس ﷺ ناصحًا لهذه المرأة الجليلة «أم العلاء» ولكل أصحاب البلاء، موضحًا لها ولأمثالها من أمته أن المؤمن إنما يبتليه ربه، لكي يمحصه من الخطايا والأوزار.. وهذه واحدة من فوائد الصبر على البلاء..

ولا يخفى على أحد أن هذه الحياة مليئة بالمصائب والبلاء، وأن كل إنسان عرضة لكثير منها: فمرة يبتلى بنفسه، ومرة يبتلى بماله، ومر يبتلى بحبيبه، وهكذا تقلب عليه الأقدار من لدن الحكيم القهار.. وإذا لم يحصل من المؤمن نظرة صحيحة، فسوف يكون زلله أكبر من صوابه..

إننا في هذه الدنيا في امتحان وابتلاء، كأننا في قاعة امتحان كبيرة نمتحن فيها كل يوم.. المال فيها امتحان واختبار.. والزوجة والأولاد امتحان واختبار.. والغنى والفقر امتحان.. والصحة والمرض امتحان، وكلنا ممتحن في كل ما نملك، وفي كل ما يعترينا في هذه الحياة، حتى نلقى الله عز وجل قال تعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ [الأنبياء:٣٥] وقال سبحانه: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ [العنكبوت:٢،٣] فأنت أيها المعافى ممتحن، ولكنك ما شعرت أنك في قاعة

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود والطبراني وصححه الألباني في الصحيحة (٧١٤) وصحيح سنن أبي داود (٣٠٩٢) وصحيح الجامع (٣٧).

امتحان حتى ابتليت، وأنت أيها المريض ممتحن، ولكنك ما شعرت بذلك حتى شفيت.. قال ﷺ: «**أشد الناس بلاء: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل..**»(١) وليس أحد من الناس يستطيع أن يرفض هذا الامتحان، لكن من الناس من يمتحن بالبلاء فينجح بالصبر والإيمان والاحتساب.. وفينا من يمتحن، فيرسب بالجزع والاعتراض على الله..

ورحم الله الفضيل بن عياض حين قال: الناس ما داموا في عافية مستورين، فإذا نوزل بهم بلاء، صاروا إلى حقائقهم، فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه.

أخي الحبيب...

كل شيء عند الله عز وجل مقسوم ومقدر ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..**﴾ [الزخرف:٣٢] فالرزق مقسوم.. والمرض مقسوم.. والعافية مقسومة، فارض بما قسم الله لك ولا تجزع للمرض، ولا تكره القدر، ولا تسب الدهر، فإن الدقائق كلها والأنفاس كلها بيد الله تعالى يقلبها كيف يشاء، فيمرض من يشاء، ويعافى من يشاء، ويبتلى من يشاء ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**﴾ [الأعرف:٥٤] وما دام الأمر كذلك، فسلم أمرك للذي بيده الأمور، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن من يريد أن تكون الحياة على حال واحدة، فكأنما يريد أن يكون قضاء الله عز وجل وفق هواه وما يشتهيه.. وهيهات هيهات.. وأيًا كانت هذه القسمة، وأيًّا كان هذا الامتحان فهو خير للمؤمن، وليس لأحد غيره، ولكن بشرط: أن يكون شاكرًا على النعماء، صابرًا على البلاء ففي الحديث: «**عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له**»(٢).

وما أصدق الشاعر حين قال:

---

(١) رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني في الصحيحة (١١٦٥) وصحيح الجامع (٩٩٢).
(٢) رواه مسلم.

قـــد ينعـم الله بـالبـلوى وإن عـظمـت

ويبـتـلى الله بعض القـوم بالنعم

وأجمل من ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]

لذا فليعلم المسلم أن الذي ابتلاه هو الذي أنعم عليه، والذي أخذ منه هو الذي أغدق عليه، وليس كل ما تكرهه نفسك فهو مكروه على الحقيقة ولا كل من تهواه نفسك فهو نافع محبوب.. فالله يعلم وأنت لا تعلم..

ولئن كـان بعض الصبـر مـرٌّ مـذاقـه

فـقـد يجـتنى من بعـده الثـمـر الحلو

يقول الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]

كـن في أمـورك مـعـرضـا

وكـل الأمـور إلى القـضـا

وأبـشـر بخـيـر عـاجل

تـنسى بـه مـا قـد مـضـا

فـلرب أمـر مـسـخـط

لـك في عـواقـبـه الرضـا

ورحم الله إمامنا الشافعي حين قال:

دع الأيـام تفـعـل مـا تشـاء

وطب نـفـسًـا إذا حكـم القـضـاء

ولا تجـزع لحـادثة اللـيـالي

فـــمــــا لحـــوادث الدنيــــا بقــــاء

وكـن رجـــــــلاً عـلـى الأهـوال جـلـدًا

وشـــيــمـــتك الـســمــاحـــة والوفـــاء

الابتلاء محطة تمحيص وتكفير للذنوب والمعاصي، فالمؤمن يثاب على كل ضربة عرق، وصداع رأس، ووجع ضرس، وعلى الهم والغم والأذى، وعلى النصب والوصب، وحتى الشوكة يشاكها، كما جاء في الحديث الشريف المتفق عليه: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا غم ولا أذى، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياه»(١).

فالأجر ثابت على كل ألم نفسي أو حسي يشعر به المؤمن إذا صبر واحتسب فقد جاء في السنة المطهرة أن النبي ﷺ دخل على أم السائب ﵂ فقال لها: **«مالك تزفزفين؟»**

قالت: الحمى، لا بارك الله فيها.

فقال: **«لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد»**(٢) وقال في حديث آخر: **«ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه، إلا حط الله به سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها»**(٣).

أحبتي الكرام...

وقد يكون للعبد منزلة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى، لكن العبد لم يكن له من العمل ما يؤهله لبلوغها، أو للحصول عليها، فيبتليه الله بالمرض وبما يكره حتى يكون أهلاً لتلك المنزلة، ويصل إليها. قال: **«إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده، ثم صبره على ذلك، حتى يبلغه**

(١) **صحيح**: رواه البخاري وأحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

المنزلة التي سبقت له من الله»[١] هذا الابتلاء يود يوم القيامـة أهل العافية أن لو كانوا من أهل البلاء.. قال صلوات ربي وسلامه عليه: «**يود أهل العافية يـوم القيامة حين يعطى أهل البـلاء الثـواب لو أن جـلودهم كـانت قـرضت بالمقـاريض**»[٢] والبلاء: المصائب حين يبتلي الله عز وجل به عبـاده فليس ذلك دليل على كراهيـته إياهم.. لكنه يحبهم.. يبتليهم بالمصـائب، ليطهرهم من الذنوب والمعائب.. إنه علامة حب الله عز وجل.. وهذه الابتلاءات كالدواء فإنه وإن كان مرًّا، إلا أن في الشفاء.. قال ﷺ: «**إنَّ عظم الجزاء من عظم البلاء، وإنَّ الله عز وجل إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**»[٣].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: إنَّ ابتلاء المؤمن كالدواء له، يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فـيه لأهلكته، أو نقصت ثوابه، وأنزلت درجـته.. فيستـخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعد به إلى تمام الأجر، وعلو المنزلة..

ولا شك أن نزول البلاء خير للمؤمن من أن يدخر له العقاب في الآخرة، وكيف لا، وفيه ترفع درجاته، وتكفر سيئاته، يقول المصطفى ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد الخير، عجَّل له العقوبة فـي الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبـه، حتى يوافيه به يوم القيامة**»[٤].

أيها الأحبة الكرام...

لما فهم سلفنا الصـالح رضوان الله عليهم الحكمة من وراء الابتـلاء، كانوا أفضل منا حالاً، وضربوا لنا أروع المثل في الصبر والعزاء والاحتساب.

---

(١) صـحيـح: رواه أحمـد وأبو داود وصـحـحه الألبـاني في صـحـيح سنن أبي داود (٣٠٩٠) والصحيحة (٢٥٩٩).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي وابن أبي الدنيا وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٣٤٠٤) وصحيح الجامع (٨١٧٧).

(٣) **صحيح**. رواه ابن ماجة والترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١١٠) والمشكاة (١٥٦٦).

(٤) **صحيح**. رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٠٨).

فهذا فاروق هذه الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا وقع في محنة وابتلاء، حمد الله على البلاء، فلما سئل عن ذلك قال: ما أصبت ببلاء إلا كان لله عليّ فيه أربع نعم: أنه لم يكن في ديني، وأنه لم يكن أكبر منه، وأني لم أحرم الرضا والصبر، وأني أرجو ثواب الله تعالى عليه..

وسمع الفضيل بن عياض رحمه الله رجلاً يشكو بلاء نزل به، فقال له: يا هذا تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك..

وقال بعض السلف: من شكا مصيبة نزلت به، فكأنه شكا ربه..

إذا شكوت إلى ابن آدم فكأنما

تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

كان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول: من شكا مصيبة نزلت به إلى غير الله تعالى، لم يجد للعبادة بعد ذلك حلاوة، حتى يتوب إلى الله عز وجل(١).

وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول: أوحى الله تعالى إلى العزير عليه السلام: إذا نزلت بك بلية، فاحذر أن تشكوني إلى خلقي، وعاملني كما أعاملك، فكما لا أشكوك إلى ملائكتي إذا صعد إليَّ منك عمل قبيح كذلك لا ينبغي أن تشكوني إلى خلقي إذا نزل بك بلاء(٢).

وكان محمد ابن الحنفية رضي الله عنه يقول: احذر من الشكوى، فإنها تفرح عدوك، وتحزن صديقك..

أحبتي الكرام...

فينبغي على العبد أن يرضى بقضاء الله عز وجل وقدره، ويستسلم لقضائه ويصبر على بلائه.. فقد كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: أول شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ، إني أنا الله، لا إله إلا أنا، محمد رسولي، من لم يستسلم لقضائي، ولم يصبر على بلائي، ولم يشكر نعمائي، فليتخذ له ربًا سواي..

---

(١)،(٢) تنبيه المغترين ص١٩٠.

ومن استسلم لقضائي، وصبر على بلائي، وشكر نعمائي، كتبته صديقًا وبعثته يوم القيامة مع الصديقين..

وقد أوحى الله إلى داود عليه السلام: يا داود، إن سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد، أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد..

وكان محمد بن شقيق رحمه الله تعالى يقول: اشتريت مرة لأمي بطيخة، فلم تعجبها، فسخطت، ولم ترض، فقلت لها: يا أماه، على من تسخطين؟ على بائعها أم على مشتريها، أم على خالقها؟ فوالله إنّ خالقها لأحسن الخالقين، وإن البائع والمشتري ما أعطياك إلا ما قسم لك خير الرازقين.. فاستغفرت الأم وتابت إلى ربها وأنابت..

فارض بما قدره لك مولاك، واصبر على بلائه.. كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول: الرضا عن الله تعالى، أفضل من الزهد في الدنيا، لأن الراضي عن ربه عز وجل، لا يتمنى فوق منزلته..

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: الرضا عن الله تعالى، والرحمة للخلق من أخلاق المرسلين..

روى أن نبي الله عيسى عليه السلام مرَّ يومًا برجل أعمى، وأبرص، ومقعد، مضروب الجنبين بالجذام والفالج، فدنا منه عيسى عليه السلام فسمعه يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرًا من خلقه..

فقال له عيسى عليه السلام: وأي شيء صرف عنك من البلايا يا هذا؟

فقال له: صرف عني الجهل به، وجعل لي لسانًا يذكره، وقلبًا يوحده..

فقال له: صدقت، فصحبه بعد أن شفاه بقدرة الله الشافي المعافى فصار من أحسن الناس وجها..

اللهمَّ اجعلنا راضين، وعلى بلائك صابرين، ولقضائك وقدرك مستسلمين..

اللهمَّ اشف أمراضنا وأمراض المسلمين.. اللهمَّ عافنا واشفنا من الأمراض ما

ظهر منها وما بطن.. اللهمَّ عافنا من البلايا، واغفر لنا الخطايا، واقبضنا إليك موحدين.. لا ضالين ولا مضلين ولا مفتونين..

اللهمَّ اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، وهون علينا سكرات الموت، ولا تحزنا ولا تفضحنا يوم العرض عليك يا غافر الزلات.. يا قاضي الحاجات.. اغفر زلاتنا واقض حوائجنا.. وسدد ديوننا.. ووفقنا إلى ما تحب وترضى يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٨٢)

* ما يجرى على الميت من الثواب بعد موته *

عن أنس بن مالك ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**سبع يُجرى للعبد أجرهن، وهو في قبره بعد مـوته: من علم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفر بـئرًا، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجدًا، أو ورث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

فإن من عظيم نعمة الله عز وجل على عـباده المؤمنين، أن هيأ لهم أبوابًا من البر والخير، والإحسان مـتعددة، يقوم بها العبد الموفق في هذه الحيـاة ويجرى ثوابها عليه بعد الممات.. فأهل القبور في قبـورهم مرتهنون، وعن الأعمال منقطعون، وعلى ما قدموا في حـياتهم محاسبـون ومجزيون، وبينما هذا الموفق في قبـره، الحسنات عليه متتالية ومتوالية، والأجور والأفضال عليه متتابعة.. ينتقل من دار العمل، ولا ينقطع عنه الثواب تزداد درجـاته، وتتكاثر حسناته، وتتضـاعف أجوره وهو في قبره، فـما أكرمها من حال، وما أجمله وأطيبه من مآل..

وقد ذكر أستاذ البـشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ أمورًا سبعة في هذه الوصية التي سوف نعـيش معهـا.. ووردت هذه السبعـة في رواية أخرى عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ مما يلحق المؤمن من عـمل وحسناته بعـد موته، علمًـا عمله ونشره، وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا ورثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، يلحقه بعد موته**»(٢).

وهذه سبعة اختلفت عن مضمون السبعة الأولى في قوله (**أو صدقة يخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه بعد موته**).

---

(١) **حسن**: رواه البزار وأبو نعيم في الحلية والبيهقي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٠٢).
(٢) **حسن**: رواه ابن ماجة وابن خزيمة والبيهقي وحسنه في صحيح الجامع (٢٢٣١).

وقد جاءت أربعة كما في حديث أبي أمامة، أن رسول الله ﷺ قال: «**أربعة تجرى عليهم أجورهم بعد الموت: من مات مرابطًا في سبيل الله، ومن علم علمًا أجرى له عمله ما عمل به، ومن تصدق بصدقة فأجرها يجرى له ما وجدت، ورجل ترك ولدًا صالحًا يدعو له**»(١).

وقد نظم الإمام السيوطي ما ينفع الإنسان بعد موته من عمله، فقال:

إذا مات ابن آدم فليس يجرى
عليه من فعال غير عشر
علوم بثها ودعاء نجل
وغرس النخل والصدقات تجرى
وراثة مصحف ورباط ثغر
وحفر البئر أو إجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوي
إليه أو بناء محل ذكر
وتعليم لقرآن كريم
فخذها من أحاديث بحصر

أحبتي الكرام...

احرصوا على أن يكون لكم من هذه الأعمال حظ ونصيب ما دمت في دار الإمهال، وبادر إليها أشد المبادرة قبل أن تنقضي الأعمار، وتنصرم الآجال..

وإليكم إيضاحًا لهذه الأعمال:

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط وصحيح الألباني في صحيح الترغيب (١١٤) وصحيح الجامع (٨٧٧).

أولاً: تعليم العلم: والمراد به هنا، العلم النافع، الذي يبصر الناس بدينهم، ويعرفهم بربهم، ويهديهم إلى صراط مستقيم..

العلم الذي يعرف به الهدى من الضلال.. والحق من الباطل.. والحلال من الحرام.. وهنا يظهر فضل العلماء الناصحين، والدعاة المخلصين الذي هم في الحقيقة سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة.. حياتهم غنيمة، وموتهم مصيبة..

إنهم أولئك الأبرار، الذين يعلمون الجاهل.. ويذكرون من غفل، ويرشدون من ضل.. عندما يموت أحدهم، تبقى علومه بين الناس موروثة، ومؤلفاتهم متداولة.. وأقوالهم مستفاد بها..

هم في قبورهم.. وتتوالى عليهم من الله أجورهم، ويتتابع عليهم ثوابهم من أقوالهم وحكمتهم يستفيدون.. وبآرائهم يعملون..

وقديمًا كانوا يقولون: يموت العالم، ويبقى كتابه، يبقى صوته مسجلاً في الأشرطة، المشتملة على دروسه العلمية، ومحاضراته النافعة، ونشر مؤلفاته المفيدة.. كل هذا يدر عليه الحسنات، وتجرى عليه الخيرات بعد الممات..

ثانيًا: حفر الأنهار، وشق جداول الماء من العيون والأنهار، لكي تصل المياه إلى أماكن الناس ومزارعهم، فيشرب الناس، ويروون زروعهم، ويسقون ماشيتهم، وكم في مثل هذا العمل الجليل، وهذا التصرف النبيل من الإحسان إلى الناس، والتنفيس عنهم بتيسير حصول الماء، الذي جعل الله تعالى به الحياة، قال سبحانه: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ بل إن الماء هو أهم مقومات الحياة، ويلحق بذلك وضع برادات الماء في الطريق، ومواضع احتياج الناس..

ثالثًا: حفر الآبار والعيون، أو إقامة آلات لرفع مياه الشرب من جوف الأرض، ليشرب منها الآدميون وغيرهم.. ونظير ذلك أيضًا ما نسميه عندنا في الريف بـ [الطلمبات] التي تضخ الماء، فيشرب الناس والأنعام والطيور، وغير ذلك..

ألم يخبرنا أستاذنا وحبيبنا ونبينا محمد ﷺ فقال: «**بينما رجل في طريق، فاشتد عليه العطش، فوجد بئرًا، فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني، فنزل البئر، فملأ خفه ماء، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له**..

قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجرًا؟ فقال ﷺ: «**في كل ذات كبد رطبة أجرًا**»[1].

فكيف إذا بمن حفر البئر، أو تسبب في وجود أي ماء، لينتفع به الناس وغيرهم..

وعن الحسن عن سعد بن عبادة رضي الله عنه أن أمه ماتت، فقال: يا رسول الله، إنَّ أمي ماتت، أفأتصدق عنها؟ قال: «**نعم**» قلت: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «**سقى الماء**»[2].

قال الحسن: فتلك سقاية آل سعد بالمدينة..

ولكن هذا الباب، وهو سقى الماء، لا يتم خيره وثوابه، إلا بأمرين:

الأول: أن يكون في مكان مناسب، لا ماء فيه، ليتأتى النفع منه، وإلا فما فائدة وجود الماء في مكان به ماء.

الثاني: أن يكون هذا ابتغاء لوجه الله تعالى، لا لأمر من أمور الدنيا ولا لأجر ينتظره صانعه..

رابعًا: غرس النخل، ومعروف أن النخل سيد الأشجار، وأفضلها وأنفعها، وأكثرها فائدة للناس.. فقد قال النبي ﷺ لأصحابه يومًا عنها: «**إنّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني، ما هي**؟ يقول ابن عمر رضي الله عنهما: فوقع الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، **ثم قالوا**: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «**إنها النخلة**»[3].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وابن حبان.

(٢) **حسن**: رواه أحمد والنسائي كما رواه ابن ماجة وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٩٦٢) وصحيح الجامع (١١١٣).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

فمن غرس نخلاً، وجعل ثمره سبيلاً للمسلمين، فإن أجره مستمر، كلما طعم من ثمره طاعم، وكلما انتفع بنخله منتفع من إنسان أو حيوان، وهكذا الشأن في غرس أي شجرة ينتفع بظلها أو بثمرها، وإنما خص النخل بالذكر لفضله وتميزه.. ولقد قال ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم: «**ما من مسلم يزرع زرعًا، أو يغرس غرسًا، فيأكل منه إنسان أو حيوان أو بهيمة، أو طير، إلا كان له به صدقة**»[١].

ومن هذا الباب ما يصنعه بعض الناس من صنع التندات، أو **المظلات** في الأماكن المناسبة، لتقي الناس حر الصيف، ومطر الشتاء، على أن يكون العمل خالصًا لوجه الله..

خامسًا: بناء المساجد: التي هي أحب البقاع إلى الله عز وجل، والتي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.. تبنى خالصة لوجه الله تعالى لا رياء، ولا سمعة، لا مباهاة، ولا مفاخرة، لا هروبًا من الضرائب ولا فرارًا من العوائد، وساعتها ينطبق عليه قول النبي الأعظم والرسول الأكرم ﷺ: «**من بنى لله مسجدًا، بنى الله له بيتًا في الجنة**»[٢] وقال: «**من بنى لله مسجدًا، ولو كمفحص قطاة، أو أصغر، بنى الله له بيتًا في الجنة**»[٣].

قال ابن حجر في الفتح: [ولو كمفحص قطاة] حمل أكثر العلماء ذلك على المبالغة، لأن المكان الذي تفحص القطاة عنه، لتضع فيه بيضها، وترقد عليه، لا يكفي مقداره للصلاة فيه..

وقيل: بل هو ظاهره، والمعنى: أن يزيد في مسجد قدرًا يحتاج إليه تكون تلك الزيادة هذا القدر، أو يشترك جماعة في بناء مسجد، فتقع حصة كل واحد منهم ذلك القدر، وهذا كله بناء على أن المسجد ما يتبادر إلى الذهن، وهو المكان الذي يتخذ للصلاة فيه، فإن كان المراد بالمسجد موضع السجود، وهو ما يسع الجبهة، فلا يحتاج إلى شيء مما ذكر[٤].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٠٣).

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٠٤).

(٤) فتح الباري (١/ ٦٤٩) لابن حجر.

يا هذا.. بيوت الدنيا من طين وحجر وتراب، ومدر وحديد، وخشب، وجريد وقصب.. إن لم يكنس كثرت فيه القمامة.. وإن لم يسرج فما أشد ظلامه.. وإن لم يتعاهد بالبناء فما أسرع انهدامه.. وإن تعاهدته، فمآله إلى الخراب.. وعما قريب يصير كالتراب.. يتفرق عنه السكان، يعفو أثره.. ويندرس خبره، ويمحى رسمه، وينسى اسمه فأين أنت.. من دار باقية، قصورها عالية، أنهارية جارية، قطوفها دانية، أفراحها متوالية.. لبنة من فضة.. ولبنة من ذهب.. لا تعب فيها.. ولا نصب..

فمن بنى لله بيتًا.. بنى الله له بيتًا في الجنة.. والجزاء من جنس العمل..

قال تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً**﴾ [الفرقان: ٧٥].

سادسًا: توريث المصحف، بأن يشترى الإنسان مصحفًا، ويدفع به إلى بعض المساجد، التي يتوسم في روادها قراءة القرآن فيه، أو يدفع به إلى بعض المكاتب التي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم، أو يعطيه لبعض طلاب العلم، الذين ينشغلون بكتاب الله، فمن فعل ذلك كان له بكل حرف يقرأ في هذا المصحف أجر، وبكل آية أجر، وبكل سورة أجر، من غير أن ينقص ذلك من أجر القارئ شيئًا فضلاً من الله، ويحمل على المصاحف في ذلك الباب كتب العلم والدين، مثل كتب الفقه والحديث والعقيدة، أو التفسير..

سابعًا: بناء بيت لابن السبيل: أي الغريب يأوي إليه، وكذا المجاهد واليتيم ومن لا مأوى لهم.. ومن ذلك ملاجئ الأيتام، ودور المسنين ونحوها.

ثامنًا: تربية الأبناء، وحسن تأديبهم، والحرص على تنشئتهم على التقوى والصلاح، حتى يكونوا أبناء بررة، وأولاد صالحين، فيدعون لأبويهم بالخير، فيقول كما علمنا القرآن الكريم: ﴿**وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾ [الإسراء: ٢٤] ولذلك قال النبي ﷺ: «**إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١) لم يقل: ولد يدعو له، وإنما وصف الولد

(١) رواه مسلم وغيره.

بالصلاح لأنه بصلاحه وبره، سيدعو له، ولو لم يدعو له، فكل طاعة يفعلها الولد الصالح، وكل خير يقوم به يكون لوالديه، ولمن علمه ورباه، من غير أن ينقص من أجر الولد شيئًا..

ولدك الذي ربيته على الطاعة.. وعلمته العبادة.. وأدبته على كتاب الله.. استمع إلى الحبيب المصطفى ﷺ: «**من قرأ القرآن وتعلم، وعمل به، ألبس والداه يوم القيامة تاجًا من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويكسي والداه حلتين لا يقوم لهما الدنيا، فيقولان:بم كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن**»[(١)].

تاسعًا: الدعاء والاستغفار: وهذا مجمع عليه، لقول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾.

وقول النبي ﷺ: «**إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء**»[(٢)].

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتوجه بالدعاء والتضرع إلى الله عز وجل أن يرحم أمواتنا وأموات المسلمين، وأن يحشرنا وإياهم مع النبي والآل والأصحاب اللهمَّ ارحمنا إذا ما صرنا إلى ما صاروا إليه.. اللهمَّ ارحمنا فإنك بنا راحم ولا تعذبنا فأنت علينا قادر، والطف بنا يا مولانا فيما جرت به المقادير يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

(١) **حسن**: السلسلة الصحيحة للألباني وصحيح الترغيب (١٤٣٤) وقال المنذرى رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود وابن ماجة وصححه الألباني في المشكاة (١٦٧٤).

الوصية رقم (٨٣)

* إذا أخذت مضجعك فاذكر الله *

قال علي ﷺ إنَّ فاطمة ﷺ شكت ما تلقى من أثر الرحى، فأتى النبي ﷺ سبيٌ، فانطلقت فلم تجده، فوجدت عائشة، فأخبرتها فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة، فجاء النبي إلينا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت لأقوم، فقال: «**على مكانكما**» فقعد بيننا، حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: «**ألا أعلمكما خير مما سألتماني؟! إذا أخذتما مضاجعكما، تكبرا أربعًا وثلاثين، وتسبحا ثلاثًا وثلاثين، وتحمدا ثلاثًا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام...

أتدرون لمن كانت هذه الوصية؟ لقد كانت بنت النبي ﷺ كانت أحب الناس إليه، وكان زوجها عليٌّ أعز الخلق عليه، وجعل الله ريحانته من الدنيا ولديه.. فعن بريدة قال: كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ فاطمة، ومن الرجال عليٌّ.. قال ﷺ: «**فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها**»(٢) بل إنها من أعظم نساء أهل الجنة، قال ﷺ: «**أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم وآسية**»(٣).

ولداها: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة..

وزوجها عليٌّ بن أبي طالب، الذي يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.. الذي قال له يومًا: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبي**

---

(١) رواه البخاري في فضائل الصحابة (٧/ ٧١) فتح ومسلم (٢٧٢٧) في الذكر والدعاء.

(٢) رواه مسلم في الفضائل والبخاري.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده وصححه الحاكم (٢/ ٥٩٤) ووافقه الذهبي.

بعدي»[١] وقال يوم خيبر: «**سأعطى الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**»[٢] فليس هناك أحب إلى رسول الله ﷺ من فاطمة ابنته..

وزوجها علي وولداها.. ومن مثل علي؟ ومن مثل فاطمة الزهراء؟

وقد وردت هذه الوصية برواية أخرى في الصحيحين..

فعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما زوج فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة آدم، حشوها ليف، ورحاءين، وسقاءين، فقال علي لفاطمة يوما: لقد سنوت حتى اشتكيت صدري- أي سقيت الماء بالدلو من البئر- وقد جاء الله بسبي، فاذهبي، فاستخدمي- أي اطلبي من أبيك خادمًا.. فقالت: وأنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي- أي ثخن جلدها- فأتت النبي ﷺ فقال: «**ما جاء بك يا بنيه؟**»

فقالت: جئت لأسلم عليك.. واستحيت أن تسأله، ورجعت، فأتياه جميعًا، فذكر عليٌّ حالهما..

فماذا حدث؟ هل بادر النبي سريعًا فوهب لهما- وهما أحب الناس إليه- خادمًا أو أكثر؟! لا.. ولكنه قال: «**لا والله لا أعطيكما، وأدع أهل الصُّفة تتلوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيع وأنفق عليهم أثمانهم**» فرجعا إلى بيتهما، فأتاهما وقد دخلا قطيفتهما، إذا غطيا رءوسهما بدت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما، انكشفت رءوسهما فثارا- أي استعدا للقيام- فقال ﷺ: «**مكانكما، ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟**» فقالا: بلى..

فقال: «**كلمات علمنيهن جبريل: تسبحان في دبر كل صلاة عشرًا، وتحمدان عشرًا، وتكبران عشرًا، وإذا أويتما إلى فراشكما، فسبحا ثلاثًا وثلاثين واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبرا أربعًا وثلاثين**».

فقال عليٌّ: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ فقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفين؟

---

(١) رواه البخاري (٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤).

(٢) رواه البخاري.

فقال علي: ولا ليلة صفين.

أحبتي في الله...

هذه وصية النبي ﷺ لابنته، وأعز الخلق وأحبهن إليه، وهي وصية لكل مسلم ومسلمة، ووصية لمن يشق عليه أي عمل من الأعمال أن يجتهد في الدعاء ويذكر الله عز وجل بهذا الذكر..

إن السيدة فاطمة ؓ تعبت من كثرة ما كانت تقوم به من أعمال بيتها، وعلى الخصوص من شدة أثر الرحى، فذهبت شاكية لطبيب القلوب، وحبيب الأفئدة، ونور العيون.. رسول الله ﷺ لكي تسأله عن جارية تخدمها، أو خادم يقوم بالأعمال التي تشق عليها لكنه رفض أن يعطيها ذلك الخادم، وهو عمل بسيط، لكنه إمام الأمة وقائدها، ومشرع أحكامها.. لكنه بدلاً من أن يعطيها الخادم أو الجارية، دلها على نوع من أنواع الذكر..

لكن قد يسأل سائل: ما علاقة الذكر بالخادم؟ ما علاقة طلب السيدة فاطمة جارية لتخدمها، وبين الذكر؟

والجواب: أن العلاقة واضحة لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.. لأن الذكر يعطى الذاكر قوة روحية، وقوة بدنية، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه..

إن الإنسان مكون من شقين أساسيين هما: الروح والجسد.. فالجسد مبدؤه من الطين.. من الأرض.. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] وغذاؤه من الأرض: الشراب، والطعام، واللباس، والمسكن من الأرض، ومنتهاه إلى الأرض.. قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥] والإنسان حين يموت يتحلل الجسد إلى التراب لكن الروح مبدؤها من السماء ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢] وغذاؤها من السماء: الصلاة، الصيام، الحج، الصدقة، الذكر، كلها تتعلق بالسماء ومنتهاها إلى السماء: فإذا مات العبد الصالح،

صعدت روحـه إلى بارئها. فإذا طغى غـذاء الروح على غذاء الجسد، كـانت القوة البدنية والروحية، كانت الراحة النفسية والعقلية..

لكن والعياذ بالله- إذا طغت المادة- وهي غذاء الجسد- على غذاء الروح كما هو حادث عند كثير من الناس في هذا الزمان، شعـر الإنسان بالضيق وشعر بالقلق وعدم الاستقرار، فيضعف بدنه، وتضعف قواه..

الذكر.. يزيل الهـموم والغمـوم عن القلوب.. ويجلب لها الفـرح والسرور أنه يكسـو الذاكر مـهـابة ونضرة.. إنه يورث جـلاء القلب من صـدأه.. وكل شيء له صدأ، وصدأ القلوب الغفلة عن ذكر علام الغيوب..

وجـلاء القلوب ذكـر الله، وتلاوة القـرآن.. الذكـر حـيـاة القلوب، وغـذاء الأرواح.. قال من دلك على الخير والفلاح: «**مثل الذي يذكـر ربه، والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت**»(١).

الذكر فرصـة للسبـاق.. وميـدان للتسابق والتنافس، قال ﷺ: «**سبق المفردون**» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**»(٢).

الذكر يحفظ العـبد من الشيطان كما فـي حديث يحيى بن زكريا عليهـما السلام: «**وآمركم بذكر الله كثيرًا، فمثل ذلك كـمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره، حتى أتى حصنًا حصينًا، فأحرز نفسه منه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله**»(٣)

أحبتي الكرام...

تهلل وجه الحـسن البصري ـ رحمـه الله ـ مبتـسمًا بهذه الكلمـات: إذا كان يوم القيامة نادي منادٍ: سيعلم الجـمع من أولى بالكرم؟! أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا..

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح: رواه الترمذي وقـال: حسن صحيح والحـاكم وقال: صحيح على شـرط البخاري ومسلم وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٤٩٨).

قال: فيقومون، فيتخطون رقاب الناس.. قال: ثم ينادي منادٍ، سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم؟ أين الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فيقومون، فيتخطون رقاب الناس، ثم ينادي مناد: وسيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، أين الحّمادون الله على كل حال؟

قال: فيقومون وهم كثير، ثم يكون التنعيم والحساب فيمن يبقى..

فإياكم أن يسحب بساط هذه الكرامات من تحت أيديكم وأرجلكم..

خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه الكرام، فسألهم: «**ما يجلسكم؟**» قالوا: جلسنا نذكر الله على ما هدانا للإسلام ومنَّ علينا به، فقال: «**آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟**»

فقالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذاك..

قال: «**أما أني لم أستحلفكم تهمة لكم، إنه أتاني جبريل عليه السلام، وأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة**»(١)

سبحان الله! حلقة تراءت للملائكة، وسطع نورها في السماء، وجاء النبي ﷺ ليزيده، ومن بعده جبريل، ليكمل النور، ويخبرهم أن الله يباهي بهم.. فكما جلسوا يخبروا عن حبيبهم، فبعث حبيبهم بالبشرى عن طريق ساعي البريد الرباني جبريل عليه السلام، فتلقاها النبي ﷺ ولم يستطع إخفاءها..

مجالس الذكر هي رياض الجنة.. «**إذا مررتم برياض الجنة، فارتعوا**»

قيل: وما رياض الجنة؟

قال: «**حلق الذكر**»(٢).

أحبتي الكرام...

يقول عبيد بن عمير: إن بخلتم بالمال أن تنفقوه، وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه،

---

(١) رواه مسلم والترمذي والنسائي.

(٢) حسن: رواه أحمد والترمذي وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١٥١١) والصحيحة (٢٥٦٢).

وأعظمكم الليل أن تسهروه، فاستكثروا من قول: سبحان الله وبحمده، فوالذي نفسي بيده، هذه أوجه عند الله من جبلي ذهب وفضة.. ألم يقل النبي المصطفى ﷺ والرسول المجتبى: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(١).

لله قوم بذكره اشتغلوا
وفي حيّ قربه قد نزلوا
ليس لهم غير ذكره فرح
فهم حقيقة عليه قد حصلوا
قاموا يناجونه وقد علموا
بأنهم للمعاد قد عملوا
فاستعذبوا الصعب في هواه
وقد لذَّ لهم في رضاه ما حملوا

ذاكر الله في الغافلين مثل شجرة خضراء في وسط شجر يابس..

ذاكر الله في الغافلين ينظر الله إليه نظرة لا يعذبه الله بعدها أبداً..

ذاكر الله في الغافلين مثل مصباح في بيت مظلم..

ذاكر الله في الغافلين كمثل الفئة المنهزمة يحميها الرجل، لولا ذلك الرجل لهزمت الفئة، ولولا من يذكر الله في غفلة الناس، هلك الناس إن شمس الذكر إذا أشرقت بقلبك بددت ظلمات الغفلة..

ذات يوم فاجأ أحد الصالحين جلساءه.. إني أعلم أن الله يحبني؟ ففزعوا واندهشوا من قوله، فقالوا له: كيف ذلك؟

---

(١) رواه البخاري وأحمد وغيرهم.

فرد في بساطة، وارتسمت على شفتيه الابتسامة قائلاً لهم: أقول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.. ألم تعلموا أنهما: «كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن..» فطالما أطلق لساني بهم فهو إذن يحبني!

ومثله وعلى حاله ثابت البناني ـ رحمه الله ـ يقول لأحبابه: إني أعلم متى يذكرني الله عز وجل، ففزعوا منه، وقالوا: كيف تعلم ذلك؟ قال: أذكره فيذكرني ألم تقرءوا قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]

«من ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه..»[1]

فيا رب.. ذكرك لي مؤانس يعارضني
يعدني عنك منك بالظفر
وكيف أنساك يا مدى هممي
وأنت مني بموضع النظر

أحبتي الكرام...

حسرة أهل الجنة ليست على صيام ولا قيام ولا صلاة، ولكن بغفوة عنه فليست ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العباد يوم القيامة يومًا فيوم، وساعة فساعة، فلا تمر ساعة لم يذكر الله عز وجل فيها إلا تقطعت نفسه عليها حسرات.. فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ويوم مع يوم، وليلة مع ليلة؟!

فيا من تكاثفت سحب همومه، اذكر الله لتسعد..

يا من أحاط به حزنه، وأقلقه همه.. اذكر الله لتأنس.

يا من طوقه كربه، وزلزله خطبه، اذكر الله، لتهدأ.

يا صاحب اللسان.. بالله عليك.. إن لم تشغله بالذكر في حياتك فمتى تشغله؟!

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده.

أخشى والله أن يظل لسـانك متثاقـلاً. . فما طابت الدنيا إلا بذكـره. . ولا الآخرة إلا بعفوه. . ولا الجنة إلا برؤيته. .

يا أخي الحبيـب. . احضر ساقيـة «فاذكروني» في بحر «أذكـركم» يفيض عليكم الرحمن «أنا جليس من ذكرني». .

اللهمَّ اكتـبنا من الذاكرين الله كثـيرًا والذاكرات. . اللهمَّ يـا من لا يخفى عليك شيء في الأرض ولا في السمـاء أحسن عاقبـتنا في الأمور كلها، وأجـرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة، وتوفنا مسلمين موحدين. .

اللهمَّ اغفر ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين يا رب العالمين. .

الوصية رقم (٨٤)

* لا ضرر ولا ضرار *

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ضرر ولا ضرار**»[١] صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

لقد امتازت قواعد الشريعة الإسلامية بشمولها، واتساع معناها، بحيث يستطيع المرء أن يعرف من خلالها الحكم الشرعي لكثير من المسائل التي تندرج تحتها، وهذا الحديث أو تلك الوصية التي بين أيدينا، وهي تنفي الضرر والضرار في الإسلام.. وهي على صغر حجمها، وقلة ألفاظها، تعتبر قاعدة جليلة من أعظم قواعد الدين..

وقد جعل بعض العلماء قواعد الدين ترجع إلى أربعة قواعد، وهي:

١- اليقين لا يزال بالشك، وأصلها قول النبي ﷺ: «**إنَّ الشيطان ليأتي أحدكم وهو في صلاته، فيقول له: أحدثت، فلا ينصرف حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا**».

٢- المشقة تجلب التيسير: وأصلها قول الله عز وجل ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ وقال ﷺ: «**بعثت بالحنيفية السمحة**».

٣- الضرر يزال، وأصلها الحديث الذي معنا: «**لا ضرر ولا ضرار**».

٤- العادة محكمة، لقوله ﷺ: «**ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن**».

أحبتي الكرام...

وإذا أردنا أن نتأمل في ألفاظ هذه الوصية نجد أن معلم البشرية ﷺ قد نفى

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده والبيهقي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧١٧) والصحيحة (٢٥٠).

الضـرر أولاً، ثم نفى الضرار ثـانيًا، وهذا يدل على أنه قـد يوجـد فرق بين مـعنى الضرر، ومعنى الضـرار، وقد ذكر العلماء كلامًـا مطولاً في ذلك وأقرب المعاني، أن نفي الضرر إنما قصد به عدم وجود الضرر فيـما شرعه الله عز وجل لعباده، وأما نفي الضرار، فيراد به نهي المؤمنين عن إحداث الضرر أو فعله..

ومن هنا، فإن نفي الضرر يؤكـد للبشرية كلها أن الدين الإسـلامي يرسخ معاني الرحمة والتيسير، وعدم تكليف الإنسان مالا يطيق، ولم يكلفهم بشيء يضرهم، فإن عين ما يأمرهم به هو عين صلاح دينهم ودنياهم، وما نهاهم عنه هو عين فساد دينهم ودنياهم..

فنجده قد أسـقط الصيام عن المريض والمسافر والشـيخ المسن، وقال بعده ﴿**يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ**..﴾ [البقرة: ١٨٥].

وفي الصحيحين من حديث عائشة ﵂ أنها قالت: «ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين، إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثمًا».

ورخص للمريض أن يتـيمم عند مشقـة استعمال الماء، ورخص لـه أن يقعد في الصلاة، قال ﷺ: «**صلِّ قائمًـا، فإن لم تستطع فصلِّ قاعـدًا، فإن لم تسـتطع فعلى جنب**»(١).

وأباح جمع الصلاة في المطر، وترك الجمعة بالعذر، وأسقط الصلاة عن الحائض والنفساء، وعفى عن لبس الحرير للرجال عند الحكة والمرض..

وعفا عما لا يدركه الطرف، وما لا نفس له سائلة، مثل ريق النائم، وفم الهرة، ونحو ذلك..

وأسـقط تكليف الصـبي والمجنون، وعدم تكلـيف النساء بكثـيـر مما يجب على الرجال كالجماعة، والجمعة، والجهاد، وإباحة الحرير وحلى الذهب لهن..

---

(١) رواه البخاري وأحمد.

وأمر الله عز وجل بعدم مطالبة المعسر بدين، وينظر إلى حال يسره، قال تعالى: ﴿**وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ**﴾ [البقرة: ٢٨٠].

ولم يكلف المدين ببيع مسكنه، أو ملبسه، أو خادمه، لتسديد دينه، وكذلك ما يحتاجه إليه للتجارة والزراعة والصناعة، لنفقته ونفقة من يعولهم.

أحبتي الكرام...

وقد دلت الوصية على تحريم الضرر وإيصاله إلى الناس بغير حق في أبدانهم، أو أعراضهم، أو أولادهم، أو أموالهم، ففي الحديث: «**من ضار ضار الله به، ومن شاق، شاق الله عليه**»(١).

والجزاء من جنس العمل.. قال المناوي- في فيض القدير:

(شق عليه) أي أدخل عليه ما يشق عليه مجازاة له على فعله بمثله، وأطلق ذلك ليشمل المشقة على نفسه، وعلى الغير، بأن يكلف نفسه أو غيره بما هو فوق طاقته(٢).

وقد ورد في القرآن الكريم النهي عن المضارة في مواضع منها:

١- المضارة في الوصية، قال تعالى: ﴿**مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ..**﴾ [النساء: ١٢].

وفي الحديث عن أبي هريرة- مرفوعًا: «**إنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة، فإذا أوصى حاف، فيختم له بشر عمله، فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة، فيعدل في وصيته، فيختم له بخير عمله، فيدخل الجنة**»(٣) ثم يقول أبو هريرة ﷺ واقرءوا إن شئتم: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ**

(١) **حسن**: رواه أحمد في مسنده وابن ماجة والترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٧٢).

(٢) فيض القدير للمناوي (٦/ ١٧٣).

(٣) **ضعيف**: رواه أحمد في مسنده (٧٧٢٨) وأبو داود (٢٨٦٧) والترمذي (٢١١٧) وضعفه الألباني والأرناؤوط.

جنَّات تجْري من تَحْتها الأنهارُ خالدين فيها وذَلكَ الفَوْزُ العظيم ﴿١٣﴾ ومن يعْص الله ورسُولهُ ويتعدَّ حُدودهُ يدْخلْهُ نارًا خالدًا فيها ولهُ عذابٌ مُّهينٌ﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الإضرار في الوصية من الكبائر، ثم تلا الآية.. وذلك لأن الله عز وجل توعده، أن يدخل النار، خالدًا فيها، وذلك لا يكون إلا على كبيرة(١)..

قال أهل العلم: والإضرار في الوصية على نوعين:

الأول: أن يوصى لبعض الورثة بزيادة على فرضه، الذي فرضه الله له، فيتضرر بقية الورثة، ولهذا قال المصطفى ﷺ في خطبة الوداع، كما روى عنه أبو أمامه رضي الله عنه: «**إنَّ الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث**»(٢).

الثاني: أن يوصى بزيادة على الثلث لغير وارث، فينقص حقوق الورثة، والنبي ﷺ لما رخص في الوصية، رخص بالثلث فأقل، كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاءنا رسول الله ﷺ يعودني من وجع اشتد بي، زمن حجة الوداع، فقلت: بلغ بي ما ترى، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي، أفتصدق بثلثي مالي؟

قال: لا.. قلت: بالشطر؟ قال: لا.. قلت: بالثلث قال: «**الثلث، والثلث كثير، إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**»(٣)..

أحبتي في الله...

ومن المضارة المنهى عنها: المضارة في العشرة الزوجية، فيؤذى الزوج زوجته لكي تفتدى منه، وترد إليه ما أعطاها من مهر، وقد قال ﷺ: «**إنَّ أعظم الذنوب عند الله رجل تزوج امرأة، فلما قضى حاجته منها، طلقها وذهب بمهرها، ورجل استعمل رجلاً، فذهب بأجرته، وآخر يقتل دابة عبثًا**»(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٢).
(٢) **صحيح**: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٢٠).
(٣) رواه البخاري وأحمد.
(٤) **حسن**: رواه البيهقي والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٥٦٧).

ومن المضارة مراجعة الزوجة المطلقة، إذا طلقها الزوج ثم راجعها من غير أن يكون له رغبة فيها، وإنما قصده حبسها حتى تصبح لا هي ذات زوج ولا هي مطلقة..

وفي الجاهلية، كان الرجل يطلق المرأة، فإذا قاربت نهاية العدة راجعها، إضراراً لئلا تذهب إلى غيره، ثم يطلقها.. قال تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ..﴾ [البقرة: ٢٣١].

فدل ذلك على أن من كان قصده بالرجعة المضارة بالزوجة، فإنه آثم بذلك ومن أنواع المضارة في العشرة الزوجية: المضارة بالإيلاء، وهو أن يحلف الزوج على زوجته أن لا يطأها.. وهذا فيه إضرار بها.. وقد جعل له الشارع مدة أربعة أشهر، وبعدها إما أن يكفر عن يمينه ويرجع إلى امرأته، لإزالة الضرر وإما أن يطلقها، لتتزوج غيره بعد العدة، ليزول عنها الضرر أيضًا، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦-٢٢٧]

ومن المضارة في العشرة الزوجية: أن يطيل الزوج السفر من غير ضرورة، ولا عذر، وتطلب امرأته قدومه، فيرفض، وحكم هذا الزوج، أن يمهل ستة أشهر، فإن أبى القدوم وامتنع، فرق القاضي بينهما، دفعا لتضررها ومن أنواع المضارة الممنوعة في القرآن، ما جاء في قوله تعالى: ﴿لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ..﴾ [البقرة: ٢٣٣] أي لا يحل أن تضار الوالدة بسبب ولدها، إما أن تمنع من إرضاعه، أو لا تعطى ما يجب لها من النفقة، والكسوة والأجرة.. (ولا مولود له بولده) بأن تمتنع من إرضاعه على وجه المضارة له، أو تطلب زيادة عن الواجب، ونحو ذلك من أنواع الضرر.

وهناك ضرر في المعاملات، ومنها: بيع المضطر، كأن يضطر رجل فقير إلى شراء سلعة، فلا يجد من يبيع عليه إلا بغبن فاحش، أو يضطر إلى بيع سلعة فلا يجد من يشتريها منه إلا برخص كبير..

ومن الإضرار الممنوع مضارة الناس في طرقاتهم، بوضع الحجارة، أو وضع ما

يمنع المرور، أو بسبب الحوادث، أو مخالفة أنظمة المرور مما يعرض الناس للخطر والأذى . .

كما منعت الشريعة منع الماء والملح والنار والكلأ، قال ﷺ: «**لا تمنعوا فضل الماء، لتمنعوا به فضل الكلأ**»(١).

ويوجد في حياتنا المعاصرة صور من الضرر، كتعاقد بعض الناس مع العمال أو الموظفين، أو المعلمين، برواتب قليلة لا تكفي أسرتهم، ولا تكفي نفقاتهم، في حين أن صاحب العمل يصرف على أسرته الملايين، وعندما تقول له: إن في هذا ظلم، يقول لك: العقد شريعة المتعاقدين . . وهو قد رضي ووافق على ذلك . .

ونحن نقول لأمثال هذا الرجل: أين تطبيقك لوصية الحبيب الذي يقول فيها: «**لا ضرر ولا ضرار**».

نقول للبائع الذي يستغل جهل المشترى بثمن السلعة أو بنوعها، ويبيعه بثمن مرتفع غال، وعندما يقال له: لم ذلك؟ يقول: هذا بيع وشراء، وهذه تجارة، والتجارة شطارة: أين وصية النبي ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**» المقرض الذي يستغل حاجة المقترض، ويرفع عليه السعر، إن كان القرض على هيئة سلعة، نقول له: اتق الله، وطبق قول رسولك ﷺ «**لا ضرر ولا ضرار**».

الجار الذي يستغل ضعف جاره، أو فقره، ثم يؤذيه بأي نوع من أنواع الإيذاء سواء كان في بيته أم في محله، نقول له: اتق الله وتذكر وصية الحبيب . . الذي ينهى فيها عن الضرر والضرار . . «**لا ضرر ولا ضرار**».

نقول لهذا الذي يحسد أخيه المسلم، لا تحسده، لا تؤذه بعينيك، فهذا يضره، قال ﷺ: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا- ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم.. كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه**»(٢).

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

(٢) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

ففي هذا الحديث الشريف حرص نبي الرحمة ﷺ على أن تكون أمته متحدة تشيع المودة بين أفرادها، حتى تكون كالجسد الواحد، ولذلك نهى ﷺ عن كل ما يضر المسلمين، وكل ما يؤذيهم، أو يحول العلاقة التي بينهم، فنهاهم عن الحسد، لأن الحاسد غير راض بقضاء الله عز وجل وقدره..

وكذلك حذرنا من التناجش في البيع والشراء، وهو أن يزيد في ثمن سلعة لا يريد شراءها، لقصد إضرار المشترى، أو نفع البائع..

ونهانا عن التدابر، وهو أن يولى كل من المسلمين ظهره تجاه الآخر غير مبال به ولا مكترث لشأنه، لأن في ذلك مقاطعته، وفيها إضرار له، وإيذاء..

وحذر من أن يبيع المسلم على بيع أخيه، لما في ذلك من الإضرار به، فقال: «**لا يبع بعضكم على بيع بعض**»(١) ومثله في التحريم والإيذاء الخطبة على خطبة أخيه.. ولكن ينبغي أن يكونوا جميعًا إخوانًا متحابين، لأنهم ينبغي أن يكونوا جميعًا كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر..

أحبتي الكرام...

من هذا كله نفهم أن قول الرسول الأعظم ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**» قاعدة جليلة، رغم قلة ألفاظها، هذه القاعدة الكبرى أغلق بها ﷺ منافذ الضرر والفساد أمام المسلمين، فلم يبق في تشريع الإسلام إلا كل ما فيه صلاح دنياهم وأخراهم..

نسأل الله عز وجل أن يوحد صفوف أمتنا، وأن يوحد كلمة المسلمين، وأن يرفع رايتهم، اللهمَّ ارفع راية الإسلام عالية خفاقة، وانصرنا على من عادانا..

اللهمَّ اغفر لنا ذنوبنا، وآمن روعاتنا، واستر عوراتنا، واحفظ بناتنا ونساءنا، ورضنا وارض عنا، وانزع الغل والحسد والبغضاء من قلوبنا اللهمَّ اهد شبابنا وشباب المسلمين، وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

---

(١) رواه البخاري وأحمد.

الوصية رقم (٨٥)

* الحث على صيام ست من شوال *

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من صام ستة أيام بعد الفطر، كان تمام السنة**» ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا..﴾ [الأنعام: ١٦٠] وعند النسائي: «**جعل الله الحسنة بعشر أمثالها، فشهر بعشرة أشهر، وصام ستة أيام بعد الفطر تمام السنة**»[١] صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام...

الناس بعد رمضان فريقان: فريق فائز، وفريق خاسر، فياليت شعري من هذا الفائز منا فنهنيه، ومن هذا الخاسر فنعزيه؟ ورحيل شهر رمضان مرٌّ على الفريقين، على الفائزين، وعلى الخاسرين رحيله مرٌّ على الفائزين، لأنهم فقدوا أيامًا ممتعة.. وليالٍ جميلة نهارها صيام وصدقات، وليلها قراءة قرآن وقيام.. نسيمها الذكر والدعاء.. وطيبها الدموع والبكاء.. إنهم شعروا بمرارة الفراق، فأرسلوا العبرات والآهات.. وكيف لا وهو شهر الرحمات، وتكفير السيئات، وإقالة العثرات.. كيف لا والدعاء فيه مسموع، والضرر فيه مدفوع، والخير مجموع؟!

كيف لا نبكي على رحيل رمضان ونحن لا نعلم أمن المقبولين نحن أم من المطرودين؟!

كيف لا نبكي على رحيله أيها الأحبة، ونحن لا ندري أيعود علينا ونحن في الوجود أم في اللحود؟

دع البكاء على الأطلال والدار

واذكر لمن بان خل ومن جار

---

(١) صحيح: رواه النسائي وابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٠٠٧) وصحيح الجامع برقم (٦٣٢٨) وصحيح سنن ابن ماجة رقم (١٧١٥).

ذرِّ الدمــوع نـحـيــبـًـا وابك مـن أسف
عـلـى فـــراق لـيـــال ذات أنـوار
على لـيــالٍ لشــهـر الصـوم مــا جُـعلت
إلا لـتــمـحـيص آثـام وأوزار
يـالائمـى فـي الـبكـاء زدنـي به كـلـفـًـا
واســمع غــريـب أحــاديث وأخــبــار
مــا كــان أحــسننـا والشــمل مـجـتـمع
مـنَّا المـصلـى ومنـا القــانت الـقــاري

أحبتي الكرام...

ذكر ابن قدامة في (التوابين) عن عبد الواحد بن زيد قال:

كنت في مركب، فطرحتنا الريح إلى جزيرة، وإذا فيها رجل يعبد صنمًا فقلنا له: يا رجل، من تعبد؟ فأومأ إلى الصنم.

فقلنا: إنّ معنا في المركب من يصنع مثل هذا، وليس هذا إله يعبد.

قال: فأنتم من تعبدون؟ قلنا: الله.. قال: وما الله؟

قلنا: الذي في السماء عرشه.. وفي الأرض سلطانه.. وفي الأحياء والأموات قضاؤه.. فقال: كيف علمتم به؟

قلنا: وجه إلينا هذا الملك رسولاً كريمًا، فأخبر بذلك.

قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: أدى الرسالة، ثم قبضه الله.

قال: فما ترك عندكم علامة؟ قلنا: بلى.. ترك عندنا كتاب الملك.

قال: أروني كتاب الملك، فينبغي أن تكون كتب الملوك حسانًا.

فأتيناه بالمصحف.. فقال: ما أعرف هذا..

فقرأنا عليه سورة من القرآن.. فلم نزل نقرأ ويبكي.. حتى ختمنا السورة.. فقال: ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يعصى.. ثم أسلم، وحملناه معنا.. وعلمناه شرائع الإسلام.. وسوراً من القرآن، وأخذناه معنا في السفينة.. فلما سرنا وأظلم علينا الليل.. أخذنا مضجعنا.

فقال لنا: يا قوم.. هذا الإله الذي دللتموني عليه، إذا أظلم الليل، هل ينام؟

قلنا: لا يا عبد الله.. هو عظيم قيوم لا ينام.

فقال: بئس العبيد أنتم، تنامون ومولاكم لا ينام.. ثم أخذ في التعبد لله عز وجل وتركنا.

فلما وصلنا بلدنا، قلت لأصحابي: هذا قريب عهد بالإسلام.. وغريب في البلد، فجمعنا له دراهم، وأعطيناه.

فقال: ما هذا؟ قلنا: تنفقها في حوائجك.

فقال: لا إله إلا الله.. أنا كنت في جزائر البحر، أعبد صنمًا من دونه، ولم يضيعني.. أفيضيعني وأنا أعرفه.. وقضى يتكسب لنفسه.. فكان بعدها من كبار الصالحين..

ووالله ما أقلت الغبراء.. ولا أظلت الخضراء.. أكرم خلقًا، ولا أزكى نفسًا.. ولا أحرص على هداية الناس، من أبي القاسم رسول الله ﷺ لقد دعا إلى الله عز وجل في كل مكان، وحال، وزمان.. دعا من أحبوه، ومن أبغضوه.. ومن أحسنوا معه.. وآذوه..

لقد دعانا في هذه الوصية الكريمة المباركة، إن كان رمضان قد رحل، فما زال الباب مفتوحًا، والخير مسفوحًا.. فإن أمامكم صيام ستة أيام من شهر شوال.. وهي كصيام الدهر كله.. مضافة لشهر رمضان.. «**من صام ستة أيام بعد الفطر، كان تمام السنة، ومن جاء بالحسنة، فله عشر أمثالها**»[(١)].

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجة والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٢٨) وصحيح الترغيب (١٠٠٧).

فقد صمت رمضان ثلاثين يومًا، وتصوم ستًا من شوال فيكون المجموع ستًا وثلاثين في عشرة، يكون المجموع ثلاثمائة وستين عدد أيام السنة الهجرية، فكأنك صمت السنة بالتمام والكمال.. ورسول الله ﷺ يقول لك ولأمثالك من المؤمنين الصادقين: «**من صام رمضان وأتبعه بست من شوال كان كمن صام الدهر كله**»(١).

وهناك فوائد أخرى لصيام الست التي هي من شوال، ومنها:

أن معاودة الصيام بعد شهر رمضان، شكر لنعمة الله بالمغفرة في شهر رمضان.. لأن شهر رمضان نعمة، وإدراك الصيام فيه وقراءة القرآن، والذكر والصدقات نعمة عظيمة.. وشكر هذه النعمة يكون بالمداومة على حفظ هذه النعمة بعد رمضان.. ومن حفظ هذه النعمة وشكرها، صيام ست من شوال.

وهناك فائدة أخرى لصيام ست من شوال وهي: أن معاودة الصيام بعد رمضان علامة من علامات القبول، فإن من علامة التوفيق، الحسنة بعد الحسنة، وعلامة عدم القبول: الوقوع في السيئة بعد السيئة.

ومن فوائد الصيام في شوال: أنها تجعلك ممن يحبه الله، لأنها من نوافل الصيام القريبة من الفرض، كنوافل الصلاة.

فمثلاً صلاة الظهر لها سنة قبلية أربع ركعات، وسنة بعدية ركعتان أو أربع، كذلك رمضان له سنة قبلية، وهو صيام شعبان، وسنة بعدية وهو صيام الست من شوال، والله عز وجل يبشر من صام الفرض، وأتبعه بالنفل أنه يحبه.. قال تعالى في الحديث القدسي الجليل: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه..**»(٢).

ومن فوائد ذلك: أن صيام الستة بعد رمضان من شهر شوال دليل على أنك لم

---

(١) **صحيح**: صحيح سنن أبي داود للألباني (٢٤٣٣) وصحيح سنن ابن ماجة (١٧١٦).

(٢) رواه البخاري وغيره وقد تخرج في موضع آخر.

تمل، ولم تستثقل، ولم تكره رمضان، لأن الذي يستثقل رمضان ويكرهه لا يعاود الصيام بعده، أما الذي يحبه، ويستبشر به، يستمر في العمل بعد الطاعة..

ومن فوائد صيام ست من شوال: أن صيام الستة دليل على أنك تحب الله عز وجل، وهو يحبك، فقد سأل رجل رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال: «**الحال، المرتحل**»(١).

وقد فسرت الحال المرتحل بأن الرجل يقرأ القرآن من أوله إلى آخره، ومن آخره إلى أوله، يقرأ من الفاتحة إلى الناس، ثم من الناس إلى الفاتحة..

أحبتي الكرام...

وليست ست شوال فقط، ولكن الرسول ﷺ كان يوصينا بالأيام البيض وهي الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من كل شهر عربي فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: «**أوصاني خليلي بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام**»(٢).

وعن ملحان القيسي قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نصوم البيض، ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة، قال: «**هن كهيئة الدهر**»(٣).

أحبتي في الله...

والذي أود أن أذكر نفسي وإياكم به أن تعلموا أن المداومة على الأعمال الصالحة من شعار المؤمنين الصادقين.. فرب رمضان.. هو رب بقية الشهور هو الإله الواحد الأحد.. الذي لا ند له.. ولا ضد له.. ولا والد له.. ولا ولد له.. قل هو الله أحد.. أحد في أسمائه.. أحد في صفاته.. أحد في أفعاله..

فيا من صليت في رمضان، لا تضيع الصلاة في غير رمضان.. ويا من صمت

---

(١) **ضعيف**: رواه الترمذي وضعفه الألباني في صحيح الجامع (١٦٣).

(٢) رواه البخاري.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٢٤٤٩).

رمضان.. صم بعد رمضان.. ويا من تصدقت في رمضان، وتعودت الجود والعطاء والسخاء، تعود الجود والكرم والسخاء في غير رمضان.

فهاأنذا أقدم لك أعظم أنموذج للمداومة على الأعمال الصالحات.. **إنه صديق** الأمة الأكبر أبو بكر الصديق ﷺ فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يومًا: «**من منكم أصبح اليوم صائمًا؟**».

قال أبو بكر: أنا يا رسول الله..

قال: «**فمن أطعم اليوم مسكينًا؟**» قال أبو بكر: أنا يا رسول الله..

قال: «**فمن منكم تبع اليوم جنازة؟**» قال أبو بكر: أنا يا رسول الله..

قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟**» قال أبو بكر: أنا يا رسول الله..

فقال ﷺ: «**ما اجتمعت في رجل إلا ودخل الجنة**»(١).

وهذا بلال بن رباح ﷺ أعظم مؤذن عرفه التاريخ، لخير إنسان في الوجود ﷺ قال له الرسول يومًا، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ: «**يا بلال، حدثني بأرجي عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة؟**»(٢)

فقال: يا رسول الله، ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهورًا في ساعة من ليل أو نهار، إلا صليت بذلك الطهور، ما كتب لي أن أصلي(٣).

إنها المداومة على الأعمال الصالحات التي ترضى رب الأرض والسموات..

قال ﷺ كما في الترمذي ومسند الإمام أحمد من حديث أنس: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله**»، قيل: كيف يستعمله؟

قال: «**يوفقه لعمل صالح، ثم يقبضه عليه**»(٤).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٤٣) وقال: حديث صحيح.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده والترمذي والحاكم وقال: صحيح على شرطهما وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٣٥٧) وصحيح الجامع (٣٠٤).

وأنت هل تعلم أخي الحبيب متى يقبضك الله عز وجل؟ هل تعلم أنك سوف يأتي عليك شهر رمضان أم تكون مع الأموات؟

فما أدرى إذا ما الحول ولى
وعدت بقابل في خير حال
أتلقاني مع الأحياء حيًّا
أم أنك ستلقاني في اللحد بالى
فهذى سنة الدنيا دوامًا
تفرق بعد جمع واكتمال
وتلك طبيعة الأيام فينا
تبدد نورها بعد الظلام

إن الموت هو أقرب غائب ينتظر، فذكر نفسك بهذا الغائب القريب وقل لنفسك:

يا نفس قد أزفَ الرحيل
وأظلك الخطب الجليل
فتأهبي يا نفس لا
يلعبن بك الأمل الطويل
فلتنزلن بمنزل ينسى
الخليل فيه الخليل
وليركبن عليه من الثرى ثقل ثقيل
قرن الفناء بنا جميعًا
فلا يبقى العزيز ولا الذليل

اللهمَّ ارحم ضعفنا، وتول أمرنا، وأحسن عاقبتنا، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.. لا حول ولا قوة لنا إلا بك، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين..

اللهمَّ أعز الإسلام والمسلمين.. وأذل الشرك والمشركين.. ودمر يا ربنا أعداءك، أعداء الدين..

اللهمَّ يا كاشف كل ضر و بلية.. ويا عالم كل سر وخفية، نسألك فرجًا قريبًا للإسلام والمسلمين.. وصبرًا جميلاً للمستضعفين.. اللهمَّ ارحم المستضعفين المسلمين في كل مكان.. يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٨٦)

* تعظيم الرسول ﷺ وتوقيره *

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

إنَّ محبة النبي ﷺ أصل عظيم من أصول الإيمان، وواجب من الواجبات الشرعية التي تتحتم على كل مسلم..

وفي هذه الوصية المباركة يوجهنا رسول الله ﷺ إلى محبته دون غلو فيها، كما فعلت النصارى بعيسى ابن مريم عليه السلام..

وحقيقة المحبة النبوية: أن يميل قلب المسلم إلى رسول الله ﷺ ميلاً يتجلى فيه إيثاره ﷺ على كل محبوب، من نفس ووالد، وولد والناس أجمعين.. وذلك لما خصه الله تعالى من كريم الخصال، وعظم الشمائل فقد شرح الله صدره.. ورفع له ذكره.. ووضع عنه وزره.. وأعلى قدره.. وزكاه في كل شيء..

زكاه في عقله فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢].

وزكاه في لسانه فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ٣].

وزكاه في بصره، فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧].

وزكاه في فؤاده، فقال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١].

وزكاه في صدره، فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

وزكاه في طهره، فقال: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ٢].

---

(١) صحيح: متفق عليه وذكره الألباني في الصحيحة برقم (٤٨٩٧) وصحيح الجامع (٧٣٦٣).

وزكاه في حلمه، فقال: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨].

وزكاه في علمه، فقال: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [النجم:٥].

وزكاه في خلقه، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤].

ثم أقسم بحياته، فقال: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر:٧٢]

ثم أخبر عن منزلته في الملأ الأعلى عند رب العزة والجلال، وعند الملائكة الكرام فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ.. ﴾ [الأحزاب:٥٦]

ثم أمر أهل الأرض من المؤمنين الصادقين بأن يكثروا من الصلاة والسلام عليه ﷺ ليجتمع له الثناء في الأرض، كما اجتمع له من أهل الملأ العلوي، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.. ﴾ [الأحزاب:٥٦]

ومن أدلة فضله وشرفه أن الله عز وجل اصطفاه من سلالة آباء كرام ليس فيهم ما يشينهم، أو يعيبهم، بل كانوا سادات قومهم في النسب والشرف والمكانة، قال ﷺ: «**إنَّ الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»(١).

ومن أدلة فضله وشرفه أنه ساد الكل، كما في حديث عبد الله بن سلام قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع، بيدي لواء الحمد، تحته آدم فما دونه**»(٢) ولما كان ذكر مناقب النفس إنما تذكر افتخارًا في الغالب أراد أن يقطع وهم من توهم من الجهلة أنه يذكر ذلك افتخارًا، فقال: «**ولا فخر**» ومن فضله وشرفه أن الله عز وجل أتم به البنيان، أليس هو القائل كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانًا، فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري ومسلم.

من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلاّ وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»(١) صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله..

وهو القائل عن نفسه كما في الصحيحين أيضًا: «**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**»(٢) هذا لفظ مسلم.

ولفظ البخاري: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة، فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحلّ لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**»(٣) صلوات ربي وسلامه عليك يا رسول الله..

ومن كرمه وشرفه وعظيم مكانته أنه لا يدخل الجنة أحد قبله، قال ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أنس ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك**»(٤).

ومنها أن الله عز وجل ناداه بنداء الكرامة، ونادى غيره من إخوانه من الأنبياء بنداء العلامة.. ناداه بأحب أسمائه، وأسنى أوصافه، فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ**﴾ ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ**﴾ لكنه نادى على إخوانه من لدن آدم إلى عيسى عليهم السلام فقال: ﴿**يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنت وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ..**﴾ [البقرة:٣٥]

وعلى نوح: ﴿**يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ..**﴾ [هود:٤٨]

وعلى زكريا: ﴿**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى..**﴾ [مريم:٧]

وعلى يحيى: ﴿**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ..**﴾ [مريم:١٢]

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري ومسلم.
(٢) **صحيح**: رواه مسلم.
(٣) **صحيح**: رواه البخاري.
(٤) **صحيح**: رواه مسلم.

وعلى الخليل إبراهيم. . ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا..﴾ [الصافات: ١٠٤، ١٠٥].

وعلى عيسى فقال: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ..﴾ [آل عمران: ٥٥]

وغيرهم. . لكن حبيبه ومصطفاه يخاطبه بيا أيها النبي، ويا أيها الرسول. . ولا يخفى على أحد أن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعز عليه، وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم مجردًا. .

وقد أمر الله عز وجل الأمة بتوقيره واحترامه، والأدب معه، فقال سبحانه: ﴿**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً..**﴾ [النور: ٦٣]

قال ابن عباس: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله عنه ذلك، إعظامًا لنبيه قال: قولوا: يا نبي الله، يا رسول الله. .

ونهى الله عز وجل الأمة المحمدية عن رفع أصواتهم فوق صوته، إعظامًا وإجلالاً لقدره ومكانته، فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾ [الحجرات: ٢٠]

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في هذه الآية: حذر الله المؤمنين من هبوط أعمالهم بالجهر للرسول ﷺ كما يجهر بعضهم لبعض، وليس هذا بردة، بل معصية تحبط العمل، وصاحبها لا يشعر بها. .

فإذا كان هذا جزاء من يرفع صوته، فما الظن بمن قدّم على الرسول وهديه وطريقه قول غيره، وهديه وطريقه؟!

ومن إكرام الله له أن الله عز وجل أعطاه نهر الكوثر، وهو نهر في الجنة، ويصب في الحوض الذي في الموقف يوم القيامة، فقد روى مسلم وأحمد وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسمًا، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «**لقد أنزلت عليَّ آنفًا سورة، فقرأ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ**

هُوَ الأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١-٣] ثم قال: «**أتدرون ما الكوثر؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: «**نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء، فيختلج العبد منهم، فأقول: يا رب، إنه من أمتي، فيقول: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك**»(١)

وهذه المآثر، وتلك الفضائل التي وهبها الله لنبيه وحبيبه محمد ﷺ كثيرة، أقتصر على ما ذكرته خشية الإطالة، ومع هذا لو لم يكن له من نعمة الله وفضله عليه إلا أخلاقه العظيمة، لكفته فخرًا، لأن المطالع في سيرته ومواقفه المتعددة يجد أن رسول الله ﷺ قد حاز من كل خلق أرفعه، وارتقى ذرى الأخلاق، حتى سما بها، فكان كما قال عنه ربه: ﴿**وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم**﴾ [القلم: ٥] وكما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في وصفه:

وأحسن منك لم تر قط عين
وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب
كأنك خلقت كما تشاء

فهو سيد ولد آدم، وهو أفضل الأولين والآخرين، فمهما كتب الكاتبون ونظم الشعراء المادحون، فلن يستطيعوا أن يجمعوا كل صفاته وفضائله فصلوات الله عليه في الأولين والآخرين، وفي الملأ الأعلى يوم الدين..

فقد كان أكرم الناس خلقًا.. وأوسعهم صدرًا، وأصدقهم لهجة، وأكرمهم عشيرة، وأوفاهم عهدًا.. وأوصلهم للرحم.. قريبًا من كل بر.. بعيدًا عن كل إثم.. لا يقول إلا حقاً.. ولا يعد إلا صدقًا.. جواد بماله.. فما قال لا لأحد قط، إلا في تشهده.. يعطى عطاء من لا يخشى الفقر.. شجاعًا يتقى به أصحابه عند شدة

(١) **صحيح**: رواه مسلم وأحمد.

البأس.. صابراً محتسبًا.. يسبق حلمه غضبه.. ويعفو عند المقدرة.. رحيم القلب.. طيب النفس.. آتاه الله الكمال في الخلق والخُلق.. والقول والعمل.. وجمّله بالسكينة والوقار.. وكساه حسن القبول..

أحبتي في الله...

فعلى كل من عرف صفاته، ينبغي عليه أن يحبه، وحبه هو أن يتأسى به، ويتبع هديه، ويلزم نهجه.. وحبه ينبغي أن يكون أغلى من كل شيء.. لأنه أولى من كل شيء.. قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ..﴾ [الأحزاب: ٦] يبين الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أنَّ هذه الأولوية تتضمن أمرين: «أن يكون- أي الرسول ﷺ أحب إلى العبد من نفسه، لأن الأولوية أصلها الحب، ونفس العبد أحب إليه من غيره، ومع هذا يجب أن يكون الرسول ﷺ أولى منها، وأحب إليه منها فبذلك يحصل له اسم الإيمان ويلزم من هذه الأولوية والمحبة، كمال الانقياد والطاعة، والرضا والتسليم، وسائر لوازم المحبة، من الرضا بحكمه، والتسليم لأمره، وإيثاره على ما سواه.. ومنها: أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً، بل الحكم على نفسه لرسول الله ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده، أو الوالد على ولده، فليس في نفسه تصرف قط، إلا ما تصرف فيه الرسول ﷺ الذي هو أولى به منها»(١)

أحبتي في الله...

فينبغي على المسلم المحب لرسول الله ﷺ أن يكون مطيعًا له بلا تردد وبلا جدال.. ولا تسويف.. ولا انحراف، ولذلك أقسم مولانا سبحانه بذاته العلية أنه لا يثبت لهم الإيمان، ولا يكونوا من أهله إلا إذا جعلوا رسول الله ﷺ حكما وحاكما

---

(١) الرسالة التبوكية ص٢١، ٢٢ ط / المكتبة السلفية.

على نفوسهم، وكل تصرفاتهم.. ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥] بل جعل سبحانه طاعة الرسول واتباعه عنوان محبته.. فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

فهذه يجب أن تكون مكانة هذا النبي المصطفى ﷺ في قلوب أهل الإيمان.. المحبة التي تقتضي عدم الغلو.. والغلو هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك(١)..

ولذا قال الحبيب المصطفى في وصيتنا المباركة (**لا تطروني..**) أي لا تغالوا في مدحي، ولا تغالوا في محبتي حتى تجعلوني مثل الإله، كما جعلت النصارى المسيح ابن مريم عليه السلام أنه ابن الله، أو أنه الله.. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً..

ومن الغلو في المدح أو المحبة كمن جعل رسول الله ﷺ وحده ملاذه وملجأه إذا نزلت به الشدائد والمصائب.. ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾

وليس من الحب الشرعي أن تغالي في رسول الله، فنجعل الدنيا والآخرة من جوده وكرمه، بل ويصف علمه بالإحاطة والشمول، حتى يقول بأن اللوح المحفوظ، والقلم وما سطره، إنما هو من بعض علم رسول الله ﷺ فقد قال البوصيري مخاطبًا رسول الله:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به
سواك عند حدوث الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي
إذا الكريم تجلى باسم منتقم

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية.

فـــإن من جـــودك الدنيـــا وضـــرتهـــا

ومـن عـلـومـك عـلـم الـلـــوح والـقـلـم(١)

ويقول آخر: فشـأن محمد ﷺ في جميع تصرفـاته هو شأن الله تعالى، فليس لمحـمـد من محـمـد شيء، لذلك كـان نورًا ذاتيًـا من عين ذات الله(٢) ومـثل هذه الشطحات كثـيرة جدًا ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيـم.. ولكن اسمع إلى القرآن الكريم الذي يقول الله فيه: ﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٨].

أحبتي في الله...

أتدرون لماذا ذكر ربنا عـز وجل العبودية في الإسراء والمعـراج وسمى رسول الله ﷺ عبده؟ فـقال في الإسراء: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ..**﴾ [الإسراء: ١].

وفي المعراج قال: ﴿**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾ [النجم: ١٠]؟

لأن القرآن الكريم، ورب العـزة والجلال يريد أن يؤكـد، ويوضح معنى التوحـيد الحقيقي، ويريد أن يفصل بين مقام العبودية، ومقام الربوبـية، فرسول الله ﷺ أسرى به، بل وعرج به إلى ما فوق سدرة المنتـهى، التي ما وصل إليها أي نبي، ولا رسول، ولا ملك.. ومع هذه المكانة العـالية الـرفيـعة، ومع هذا المقـام الأسنى، لم يتجـاوز العبودية إلى الربوبية فهو مع الإسراء عبد الله، ومع المعراج عبد الله، ولا إله إلا الله..

لذلك قال الرسول الأمين، بمنطق الحق المبين: «**لا تطروني كمـا أطرت النصارى المسيح ابن مريم، فإنما أنا عبد الله ورسوله..**»

---

(١) ديوان الإمام البوصيرى ص٢٠٠ طبعة الحلبي.

(٢) النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمـدية الإدريسية محمد بهاء الدين البيطار ط. دار الجيل بيروت ص٩.

فيا رب العزة والجلال كفاني فخرًا أن أكون لك عبدًا وكفاني عزًّا أن تكون لي ربًّا اللهمَّ احشرنا مع حبيبنا ونبينا محمد ﷺ وأصحابه..

اللهمَّ ارزقنا حبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك، وارزقنا حب الحبيب المصطفى ﷺ وأصحابه، اللهمَّ حببه في قلوبنا حبًّا يفوق أنفسنا وأبناءنا وأزواجنا.. اللهمَّ اغفر لنا الذنوب والآثام.. ووفقنا لما تحبه وترضاه يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٨٧)

* إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه *

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه، فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام...

الحياة الهادئة ضرورة هادئة من ضرورات الحياة، ليحصل الاستقرار في المجتمع، وفي الزواج طمأنينة النفس، وراحة الضمير، وحصول الولد، وعمارة الكون فيه المودة والرحمة، وتمام النعمة، فيه غض البصر، وحفظ الفرج، وحرث النسل، ومتاع للحياة، وإحصان للجوارح، وفيه الخير كل الخير لمن وفقه الله عز وجل، ولهذه المنافع الجمة، والحكم العظيمة، المحببة للنفوس البشرية، ولما ركبه المولى عز وجل في الإنسان من الغريزة والشهوة، كان لابد للرجل والمرأة من الزواج، سكنًا ولباسًا ومودة ورحمة..

وقد امتن الله سبحانه وتعالى على خلقه بهذه النعمة، وجعلها آية من آياته، توجب التفكر والشكر، قال سبحانه: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم: ٢١] نعم ﴿**أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا**﴾ لم يقل: لتسكنوا معها وإنما قال: لتسكنوا إليها، فهو دليل على أن الزواج سكن واستقرار، وراحة بال.. ومن هنا جاءت أهمية الزواج في الإسلام، والعناية بالأسرة فرغب الشرع في الزواج، وحث على تيسيره، وتسهيل طرقه، ونهى عن كل ما يقف في سبيله، أو يعوق تمامه، ويعكر صفوه، فأمر به في قوله عز وجل: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ..**﴾ [النساء: ٣] وقال سبحانه: ﴿**وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ**

(١) حسن: رواه الحاكم والترمذي والبيهقي وابن ماجة وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٢٢) وصحيح الجامع برقم (٢٧٠).

وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور:٣٢] وقد كان الزواج من سنن المرسلين، وهدى الصالحين، قال رب العالمين: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً..﴾** [الرعد:٣٨] .

وسنة الحبيب المصطفى ﷺ تحث على ذلك، وترغب فيه، ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**»[(١)] وقد قال ﷺ لأولئك الرهط الذين جاءوا ليسألوا عن عبادة الحبيب المصطفى ﷺ فلما أخبروا عنها كأنهم تقالوها، فقال أحدهم: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: وأنا أقوم الليل ولا أرقد، وقال الثالث: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر.. قال: «**لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[(٢)] وفي صحيح مسلم: «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»[(٣)].

أحبتي الكرام...

ولقد كان الزواج سنة سلف هذه الأمة ﷺ قال الصديق ﷺ: «**أطيعوا الله فيما** أمركم من النكاح، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى».

وقال ابن مسعود ﷺ: «التمسوا الغنى في النكاح، وقرأ قوله تعالى: **﴿وَأَنكِحُوا** إلا عشرة أيام، وأعلم أني أموت في آخرها، ولي طول على النكاح فيهن، لتزوجت مخافة الفتنة.

وقال إبراهيم بن ميسرة: قال لي طاوس: لتنكحن أو لأقولن لك ما قال عمر لأبي الزوائد: (ما يمنعك عن النكاح إلا عجز أو فجور).

وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: ليست العزوبة من أمر الإسلام في شيء، ومن دعاك إلى غير التزوج، دعاك إلى غير الإسلام.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.

وفي الاختيارات لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: والإعراض عن الأهل والأولاد ليس مما يحبه الله ورسوله، ولا هو دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

أحبتي الكرام الأفاضل...

لكن من الذي نزوجه؟ ومن التي ينبغي أن يقبل الشباب على زواجها؟

جاءتنا هذه الوصية المباركة التي نعيش في ظلالها بمواصفات الزوج التي ينبغي لولى الأمر أن يحرص عليها في الإنسان الذي يُزوجه ابنته..

فقال ﷺ: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**»[1].

فلابد أن يكون الزوج متدينًا.. وكثير من الناس يفهمون التدين فهمًا خاطئًا سواء كان في الرجال أم في النساء.. ليس التدين هو الدروشة.. وليس التدين في المرأة أن تغطى وجهها بنقاب، وليس التدين في الرجل أن يكون طويل اللحية، أو قصير الثوب، ليس هذا هو التدين فحسب.. وليس هذا هو الصلاح فقد يكون الرجل كذلك أو المرأة كذلك، ولكنه سيئ الخلق، رديء الطباع، سليط اللسان، لا يعاشر.. ابحثوا عن الدين والخلق..

ابحثوا عن دينه.. هل يصلى؟ هل يؤدي الصلوات الخمس في جماعة؟ هل يعرف المسجد؟ هل يتلو كتاب الله؟ هل هو رجل يخشى الله عز وجل؟ هل يؤدي الفرائض ويجتنب المحرمات، ويتقى الشبهات؟

ثم لابد أن يكون مع هذا كله حسن الأخلاق، فلا يكفى أن يكون مصليًا صائمًا ذاكرًا مسبحًا، ولكنه إنسان سيئ الخلق، غليظ الطباع.. هذا إنسان لا خير فيه، وإن صلى وصام.. لا يصلح أن يكون زوجًا صالحًا، جماع الزوج الصالح أن يكون ذا دين قويم، ذا خلق كريم، وهذا يتمثل في رعايته لحقوق الله تعالى، وحقوق الآخرين..

---

(١) سبق تخريجه.

لا تغرنكم المظاهر الجوفاء.. ففي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: مرَّ رجل على النبي ﷺ فقال لرجل عنده جالس: ما رأيك في هذا؟ قال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حريٌّ إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع.. فسكت رسول الله ﷺ ثم مرَّ رجل فقال رسول الله ﷺ: **«ما رأيك في هذا؟»**

فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريٌّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: **«هذا خير من ملء الأرض من هذا»**(١)

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه حديث الثلاثة الذين تكلموا في المهد: «.. **وبينما صبي يرضع من أمه، فمرَّ رجل راكب على دابة فارهة، وشارة حسنة، فقالت أمه: اللهمَّ اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي، وأقبل إليه، فنظر إليه، فقال: اللهمَّ لا تجعلني مثله..**»(٢)

وما ذاك إلا لأنه رجل سيئ الخلق جبار..

أحبتي الكرام...

فالدين والتقوى هما أساسا اختيار الزوج أو الزوجة.. جاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى وقال له: إنّ لي بنتًا فمن ترى أزوجها؟ فقال له الحسن: زوجها بمن يتقى الله عز وجل، إن أحبها، أكرمها، وإن كرهها، لم يظلمها.. وما دام الأمر كذلك، فلماذا يُغالون في المهور؟ ينبغي أن يعلم أنه عند توافر الدين تتلاشى الماديات، وتذوب ألوان التفاخر والمباهاة؟! أجهل هؤلاء الحمقى الذين يغالون في المهور أنّ صفوة الخلق، وقدوة العالم ﷺ زوج رجلاً بما معه من القرآن، بعدما قال له: **«التمس ولو خاتمًا من حديد»** فلم يجد، فسأله عما يحفظ من القرآن، فقال له: يا رسول الله، أحفظ سورة كذا وكذا، فقال له: **«زوجتكها بما**

---

(١) رواه البخاري ومسلم وابن ماجة.

(٢) رواه مسلم وأحمد في مسنده.

تحفظ من القرآن»[١] ولم يذكر عن أحـد من سلف هذه الأمة أنه غالى في مـهر، أو أسرف في نفقة، أو باهى بشيء مما عليه الناس اليوم. .

أنسي هؤلاء الجهال أن من تزوج فقد استكمل نصف دينه، كما قال معلم البشرية ﷺ: «**من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان، فليتق الله في النصف الباقي**»[٢].

أنسي هؤلاء أن الذي يتـزوج ليـعف نفـسه عن الحـرام مـعانٌ مـن قبل الله عـز وجل. . قال سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ كما في المسند للإمام أحمد وسنن النسائي وصحيح ابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**ثلاثة حق على الله عونهم: المكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله**»[٣].

إن فاروق هذه الأمة عـمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى عن المغالاة في المهـور، فقال: «ألا لا تغلوا صُدُق النساء، فإنه لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله عز وجل كان أولاكم به النبي ﷺ ما أصدق رسول الله امرأة من نسائه، ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية وإن الرجل ليغلي بصدقة امرأته، حتى يكون لها عداوة في نفسه. .»[٤].

إذا فلماذا يُصر كثير من سفهاء الأحلام، وضعاف البصيرة في الانسياق وراء هذه المظاهر الخادعة، والشكليات التافهة؟!

إنهم بصنيعهم هذا يُعرِّضون الأمة بأسرها للفساد والانحلال. .

أحبتي الكرام. . .

أتدرون مـاذا يجره الواقع المؤلم من تـعقـيد أمـر الزواج، ورد الأكفـاء، ووضع العقبات والعراقيل في طرق زواجهم؟

---

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) **حسن**: رواه الطبـراني في الأوسط والحاكـم، وقال: صـحيح الإسنـاد وحسنه الألبـاني في الترغيب (١٩١٦) وصحيح الجامع (٦١٤٨).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والنسائي في سننه.

(٤) **صحيح**: رواه النسائي وصححه الألباني (٣٣٤٩) وصحيح سنن ابن ماجة (١٨٨٧) للألباني.

إنه فتح الباب على مصـرعيه للفساد الخُلقي والانحلال، والإباحـية، إنها دعوى مبطنة للزنا واللواط، والاستـمناء، ووضع الشهوة في غير الطريق المشـروع واستشراء الجـرائم الخلقيـة المدمـرة.. بماذا نفـسر ظواهر الزنا والزواج الـعرفي، والاخـتطاف والمعاكسات والمغازلات..

إن الغريزة الجنسية إذا أثيـرت لا تعرف التوسط والاعتدال، إنها تقذف بصـاحبها في وادٍ من الرذيلة سحيق.. ولا حول ولا قـوة إلا بالله.. وخاصة ونحن في عصر ضعف فيه الإيمان، وقست فيه القلوب، وعميت فـيه البصائر وفسدت فيه الهمم، إلا من عصم الله عز وجل.

لقد كثر الفساد وعمت وسـائل الباطل، وقادت موجات الفسق التي تضرب على وتر الجنس والأغاني، هذه الصور الخليعة، وهذه الأفلام الماجنة، وهذه المظاهر السيئة التي تؤدي بالإنسان، إن لم يحـصن نفسه بالزواج إلى هاوية الفسـاد، وبالمجتمع إلى أقصى مراتب الانحدار..

قال الشيخ محمد بن صالح المنجد ـ حفظه الله ـ:

ومن خطوات الشيطان في أمور النكاح: المغالاة في المهور، والمفاخرة فيها والزيادة في إدخال أشياء جديدة في المهر من أمور الشبكات والصالات تزيد الأمر كلفة وصعوبة حتى صار المهر في الوقت الحـاضر مما يتعسر أو يتعذر على كثـير من الناس.. وقد قال ﷺ: «**إنَّ من يمن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها وتيسير رحمها**»[١].

أحبتي الكرام...

بعض الناس يعتقد أن المغالاة في المهر ضـمان لمستقبل البنت، لكنهم ينسون أنهم بمغالاتهم هذه يثيرون الحقد والغضب في نفس الخـاطب، فما قيمة المال إذن ولو كان لضمان مستقـبل البنت، إذا كان سيصبح سببًا في إثارة الحقد في الحـياة العائلية، قال النبي ﷺ: «**خير النكاح أيسره**»[٢]

(١) **حسن**: رواه أحمد والحاكم والبيهقي وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٢٣٥).
(٢) **صحيح**: رواه أبو داود والبيهقي وغيرهما وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١١٧).

فالعاقل هو الذي يسعى إلى الحصول على البركة في نكاح ابنته باليسر، وليس بالتشدد. .

وبعض الناس يغالون في المهور للافتخار والمباهاة، وهذا غير صحيح، لأن الفخر والاعتزاز والشرف يكون في البذل والعطاء والمسامحة، والتيسير على الآخرين. .

أحبتي الكرام...

وكما أنه ينبغي أن تختار المرأة الصالح التقى من قومها، المتدين الذي يخشى ربه ويحافظ على مروءته وأخلاقه. . فكذلك ينبغي للزوج أن يختار صاحبة الدين والأخلاق. . المؤمنة الطاهرة العفيفة. .

قال أفضل الخلق ﷺ: **«تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»**(٢)

تربت يداك: دعاء عليه بالفقر إن لم يظفر بذات الدين. . وقيل: معناه: اظفر بذات الدين، ولا تلتفت إلى المال، أكثر الله مالك.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«إنما الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»**(٣)

وفي رواية عند ابن ماجة **«إنما الدنيا متاع، وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة»**(٤)

وقال ﷺ: **«أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق»**(٤)

---

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٣) رواه مسلم والنسائي.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٤٩) وصحيح سنن ابن ماجة ([illegible]).

(٤) صحيح: رواه ابن حبان وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٢) وصحيح الجامع (٨٨٧).

وعند أحمد والطبراني والبزار والحاكم: «**من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة.. من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقاوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء**»(١)

وعند الحاكم من حديث سعد بن أبي وقاص أن رسول الله قال: «**ثلاثة من السعادة المرأة الصالحة، تراها تعجبك، وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك..**»(٢)

قال الله عز وجل: ﴿**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ..**﴾ [النساء: ٣٤]

وقال بعض الحكماء لأولاده: لقد أحسنت إليكم صغارًا وكبارًا، وقبل أن تولدوا فقالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ فقال: لأني قد اخترت لكم الأم العفيفة العاقلة الرشيدة، ذات الحسب الطيب، والمعدن الكريم..

اللهمَّ وفق شبابنا وشباب المسلمين.. اللهمَّ حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان.. واجعلنا من الراشدين..

اللهمَّ ارفع راية الإسلام عالية خفاقة على ربوع البلاد والعباد يا رب العالمين..

اللهمَّ ألف بين قلوب المسلمين.. اللهمَّ انصرهم على أعدائهم.. أعداءك أعداء الدين، يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

(١) **صحيح**. صححه الألباني في الترغيب (١٩١٤) وقال: رواه أحمد بإسناد صحيح والطبراني والبزار والحاكم.

(٢) **حسن**: صحيح الترغيب (١٩١٥) للألباني.

وتبرءوا منه. .

أحبتي الكرام...

والقلب ما سمى قلبًا إلا لكثرة تقلبه، فهو كثير التقلب بالخواطر، والواردات والأفكار والعقائد، ويتقلب كثيراً على صاحبه في النيات والإرادات، كما أنه كثير التقلب من حال إلى حال. . ويتقلب من الهدى إلى الضلال. .

يتقلب من الإيمان إلى الكفر. . ومن الإخلاص إلى الرياء، ولأجل هذا كان أفضل الخلق ﷺ يكثر من أن يقول: «**اللهمَّ يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك**»(١)

ويقال للقلب: الفؤاد. . وذلك لكثرة تفـؤده، أي كثرة توقده بالخواطر والإرادات والأفكار. .

والإنسان قد يستطيع أن يصم أذنه فلا يسمع، وقد يستطيع أن يغمض عينيه فلا يبصر، ولكنه لا يستطيع أن يمنع قلبه من الفكر والنظر في الواردات والخواطر فهي تعرض له، شاء صاحبها أم أبى، ولهذا قيل له: فؤاد ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء:٣٦]

وعن المقداد بن الأسود ﷺ قال: لا أقول في رجل خيرًا ولا شرًا حتى أنظر ما يختم له- يعنى بعد شيء سمعته من النبي ﷺ فقيل: وما سمعته؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لقلب ابن آدم أشد انقلابًا من القدر، إذا اجتمعت غليانًا**»(٢) ومعلوم سرعة حركة القدر. .

قال القائل:

مـــا ســمى القلب إلا من تقلبه

فـاحذر على القلب من قلب وتحويل

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مثل القلب كريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهرًا لبطن**»(١)

فهنا يصور الرسول ﷺ لنا القلب، وكأنه ريشة، لخفته، ولتأثير الفتن عليه، صغيرها، وكبيرها تمامًا مثل الريشة التي تؤثر فيها أقل النسمات، فتغير اتجاهها، ولأن الرسول الأعظم ﷺ كان متيقنًا من هذه الحقيقة، كان يحلف، ويقول: «**لا، ومقلب القلوب**»(٢)

فأدنى شيء يخدشه ويدنسه، ويؤثر فيه، فهو كأبيض ثوب يكون، يؤثر فيه أدنى أثر، وكالمرآة الصافية جدًا، أدنى شيء يؤثر فيها، ولهذا تشوشه اللحظة واللفظة والشهوة الخفية..

أحبتي في الله...

لأجل هذا قال أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ: «**تعرض الفتن على القلوب عودًا عودًا، فأى قلب أشربها، نكتت فيه نكتة سواء وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير القلوب على قلبين: قلب أسود مرباد كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، إلا ما أشرب من هواه، وقلب أبيض مثل الصفا، لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض**»(٣)

فشبه عرض الفتن على القلوب شيئًا فشيئًا، كعرض عيدان الحصير شيئًا فشيئًا وقسم القلوب عند عرضها عليها إلى قسمين:

قلب إذا عرضت عليه فتنة أشربها، كما يشرب الإسفنج الماء، فتنكت فيه نكتة سوداء.. ورحم الله القائل:

إذا ما القلب أشرب حب شيء

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي وابن مـجة وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٢) وصحيح سنن الترمذي (٢١٤٠).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده والحاكم وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٧٢) وصحيح الجامع (٩٢٧٨).

فـــــلا تـأمـل له عـنـه انصـــــــرافًــــا

فلا يزال يُشرب كل فتنة تعرض عليه، حتى يسود وينتكس، وهو معنى قوله: [كالكوز مجخيًا] أي مكبوبًا منكوسًا، فإذا اسود وانتكس، عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطيران، يخطوان به إلى الهلاك والدمار..

الأولى: اشتباه المعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرًا، وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد أن المعروف منكر، والمنكر معروفًا، والسنة بدعة، والبدعة سنة، والحق باطلاً، والباطل حقًا.

الثاني: تحكيمه هواه على عكس ما جاء به الرسول الأكرم ﷺ وانقياده واتباعه له..

والنوع الثاني من القلوب: قلب أبيض، وقد أشرق فيه نور الإيمان، وأزهر فيه مصباحه، وصفته: أنه إذا عرضت عليه الفتنة، أنكرها وردها، فازداد نوره، وإشراقه وضياؤه..

وهذا النوع هو ما عناه النبي بقوله: «**إنَّ لله آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم: قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها وأرقها**»(١)

أحبتي الكرام...

كلكم يعلم أن القلب ملك الجوارح، وهو كما يقول العز بن عبد السلام: مبدأ التكاليف كلها، وهو مصدرها، وصلاح الأجساد موقوف على صلاحه وفساد الأجساد موقوف على فساده.

والأعضاء كلها تبع للقلب، فإذا صلح المتبوع، صلح التبع، وإذا استقام الملك، استقامت الرعية، قال ﷺ: «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه**

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٠٣).
(٢) رواه البخاري وأحمد والترمذي والنسائي.
(٣) رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

حتى يستقيم لسانه»

بالقلب يقطع سفر الآخرة، فإن السير إلى الله تعالى سير القلوب، لا سير الأبدان.. قطع المسافة بالقلوب إليه، لا بالسير فوق مقاعد الركبان..

قال ابن رجب رحمه الله: فأفضل الناس من سلك طريق النبي ﷺ وخواص أصحابه في الاجتهاد في الأحوال القلبية، **فإن سفر الآخرة يقطع بسير القلوب، لا** بسير الأبدان..

وقد قسم العلماء القلوب إلى أقسام:

أولها: القلب السليم:

وقد قال الله عز وجل عنه: ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾ لكن ما هي علامات القلب السليم؟

العلامة الأولى: أن يرتحل عن الدنيا حتى ينزل بالآخرة، ويحل فيها، حتى يبقى كأنه من أهلها وأبنائها، ويشعر صاحبه بأنه قد جاء إلى هذه الدار غريبًا، يأخذ منها حاجته، ثم يعود إلى وطنه، كما قال الأستاذ الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ لعبد الله ابن عمر: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**».

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: إنَّ الدنيا قد ارتحلت مدبرة، **وإن الآخرة قد** ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة **ولا تكونوا من أبناء** الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل.

فحي على جنات عدن فإنها
منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى
نعود إلى أوطاننا ونسلم

---

(١) حسن: رواه الطبراني وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢١٦٣).

وكلما صح القلب من مرضه، ترحل إلى الآخرة، وقـرب منها، حتى يصير من أهلها، وكلما مرض القلب واعتل، آثر الدنيا واستوطنها، حتى يصير من أهلها..

العلامة الثانية: أن يكون هذا القلب منيبًا إلى ربه ومولاه مخبتًا إليه، فلا فلاح، ولا نعيم، ولا سرور إلا برضاه وقربه، والأنس بـه، فبـه يطمئن، وإليه يسكن، وإليه يأوي، وبه يفرح، وعليه يتوكل، وبه يثق وإياه يرجو، وله يخاف.

فذكره غـذاؤه وحياته، ونعيمـه ولذته، وفرحه وسروره، والالتفـات إلى غيره، والتعلق بسواه داؤه، والرجوع إليه دواؤه.

قال أبو الحسين الورّاق: حياة القلب في ذكر الحي الذي لا يموت، والعيش الهنئ الحياة مع الله تعالى، لا غير.

العلامة الثالثة: أن يكون همه واحدًا، فينطبق عليـه قول الصادق المصدوق ﷺ: «**من جعل الهموم همًّا واحدًا، همَّ المعاد، كـفاه الله هم دنياه، ومن تشعـبت به الهموم في أحوال الدنيا، لـم يبال الله في أي أوديته هلك**»[٢]

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ تعالى: إذا أصـبح العبد وأمسى، وليس همه إلا الله وحده، تحمل الله عز وجـل عنه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمـه، وفرّغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته..

وإن أصبح وأمسى، والدنيا همه، حمله الله همـومها وغمومها، وأنكادها، ووكله إلى نفسه، فشغل قـلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانـه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم، فهو يكدح كدح الوحوش في خدمة غيره[٢].

قال ﷺ: «**من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولـم يأته من الدنيا إلا ما قدر له**»[٣].

العلامـة الرابعة: أنه إذا دخل في الصلاة، ذهب عنه همـه وغمه بالدنيـا، فوجد فيها راحته ونعيمه، وقرة عينه، كما قال عنها أفضل الخلق ﷺ: «**وجعلت قرة عيني**

في الصلاة»(٤).

وكان النبي المصطفى ﷺ إذا حزبه أمر فزع وهرع إلى الصلاة وقال لبلال رضي الله عنه: «**أرحنا بها يا بلال**»(١).

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة: في الصلاة، وفي قراءة القرآن، وفي ذكر الله، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

فصاحب القلب السليم راحته، وقرة عينه في الصلاة.

العلامة الخامسة: أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعًا، كأشد الناس شحًّا بماله، لأنه يرى أن وقته هو عمره ورأس ماله، فيبخل به أن يضيعه فيما لا يقربه إلى ربه، ويرى في إضاعته الحسرة والندامة، وفي حفظه وعمارته الربح والسعادة..

العلامة السادسة: أن يشتاق إلى طاعة ربه ومولاه، كما يشتاق الجائع إلى الطعام والشراب.

العلامة السابعة: سلامته من الشرك الجلي والخفي، ومن الأهواء و البدع، ومن الفسوق والمعاصي، كبائرها وصغائرها، الظاهرة والباطنة كالرياء والعجب، والغل والغش، والحقد والحسد، وغير ذلك..

قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟

قال: «**كل مخموم القلب، صدوق اللسان**»

قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟

---

(١) **صحيح:** رواه ابن ماجة وغيره وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣١٧١) والمشكاة (٢٦٣).

(٢) الفوائد لابن القيم.

(٣) **صحيح:** رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٥١٠).

(٤) تخرج قبل ذلك.

قال: «**هو التقى النقي، لا إثم فيه ولا بغى، ولا غل ولا حسد**»

العلامة الثامنة: اتباع هدى المصطفى ﷺ والسير على منهجه وسنته فعن أبي أمامة ﷺ قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال لي: «**يا أبا أمامه، إنَّ من المؤمنين من يلين لي قلبه**».

ومعنى يلين لي قلبه، أي يسكن ويميل إليَّ بالمودة والمحبة، وليس ذلك إلا بالإخلاص، ولأن الله عز وجل جعل ذلك وحده دنيلاً على حبه عز وجل قال سبحانه: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ أفلم يأن للذين يزعمون حبه ﷺ في أحاديثهم وأناشيدهم أن يرجعوا إلى التمسك بهذا الحب الصادق، الموصل إلى حب الله تعالى، ولا يكونوا كالذي قال عنه الشاعر:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقًا لأطعته
إنَّ المحب لمن يحب مطيع

وبالجملة، فالقلب الصحيح هو الذي همه كله في الله، وحبه كله لله، وقصده له، وبدنه له، وأعماله له، ونومه له، ويقظته له، فكنه بالله، ولله ومع الله..

النوع الثاني: قلب ميت:

وهو القلب الذي لا حياة فيه.. هو القلب الذي إذا أحب، أحب لهواه، وإن أبغض، أبغض لهواه.. وإن أعطى، أعطى لهواه، وإن منع، منع لهواه هو القلب الذي يسعى لتحصيل شهواته المحرمة.. هو القلب الذي يعبد هواه ولا يرضى مولاه..

فالشهوة قائدة.. والجهل سائقه.. والغفلة مركبه.. والهوى معبوده ﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ**

---

(١) سبق تخريجه.

اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ [الفرقان: ٤٣]

هذا القلب، الدنيا تسخطه وترضيه، والهوى يصمه ويعميه..

هذا القلب، إذا ذكر الله يشمئز.. وإذا بشر بالدنيا والشهوات استبشر قال ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت**» الذي يذكر ربه حي القلب.. حي الضمير..

والذي لا يذكر ربه ميت القلب.. ميت الضمير..

فمخالطة صاحب هذا القلب سقم، ومعاشرته ضرر، ومجالسته هلاك.

النوع الثالث: قلب سقيم:

أي قلب مريض.. وهو قلب له حياة، وبه علة..

له حياة: من محبة الله، والإيمان به، والإخلاص له، والعمل على مرضاته.

وبه علة: من محبة الشهوات، وتحصيل الملذات.. ونحو ذلك..

فهذا القلب ممتحن بين داعيين:

داع يدعوه إلى الله ورسوله، والدار الآخرة..

وداع يدعوه إلى الدنيا وملذاتها الفانية..

ولمرض القلب علامات منها:

١- أنه يؤثر شهواته وملذاته على طاعة الله عز وجل ومرضاته، فكلما هوى شيئًا فعله..

٢- ومنها: أن صاحبه لا تؤلمه جراحات المعاصي، ولا يتأثر بالمعصية فتتراكم ذنوبه بعضها فوق بعض، حتى إذا أخرج يده، لم يكد يراها..

فيسود هذا القلب ﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾.

أما القلب الصحيح، فيتألم بالمعصية، فينيب ويرجع إلى مولاه تائبًا ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا**

فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ذكروا الله.. ذكروا عظمة الله وجلاله وهيبته فخافوا أليم عقابه، فأنابوا وتابوا..

وإذا مـــا خلوت بريبـــة في ظلمـــة
والنفس داعـيـــة إلى العـصـيـان
فـاســتـحـى من نظر الإله وقل لـهـا
إن الـــذي خـلـق الـظـلام يـرانـي

٣- ومن علامات مرض القلب: أنه يرضى بالدنيا، ويطمئن إليها، ولا يشعر فيها بغربة، ولا يرجو الآخرة، ولا يسعى لها ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً﴾ [الإسراء: ١٨] لكن صاحب القلب السليم لا يرضى بالآخرة بديلاً، لأنه طلق الدنيا..

إن لله عـــــبـــــاداً فـطـنًا
طلقـوا الـدنيـا وخـافـوا الـفـتـنا
نظـروا فـيـهـا فلمـا علمـوا
أنـهـا لـيـسـت لحي وطنًا
جـعـلـوهـا لجـة واتـخـذوا
صـالح الأعـمـال فـيـهـا سـفنًا

٤- ومنها: أن صاحبه يستبدل بالأغذية النافعة، أغذية ضارة مؤذيه فيستبدل سماع القرآن الذي يشفى القلوب والصدور.. بالغناء الذي يمرض القلوب، وينبت فيها النفاق، ويغضب رب العالمين..

يستبدل كلامه بدل ذكر الله عز وجل، بذكر الناس.. وذكر الناس داء، وذكر الله دواء.. وشتان بين الداء والدواء..

يستبدل النظر في خلق السموات والأرض، والتفكر في عظمة الخالق جل في علاه، بالنظر إلى المسلسلات، والنساء الأجنبيات.. وشتان بين من يضعف الإيمان، وبين من يقويه..

أحبتي الكرام...

والكلام عن القلوب لا ينقطع، وفيها كلام يطول لكننا نكتفي بهذا القدر سائلين الله عز وجل أن يثبت قلوبنا على الإيمان..

اللهمَّ ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك.. اللهمَّ ثبت قلوبنا على التوحيد وارفع راية الإسلام والموحدين، وانصرنا على أعدائنا يا رب العالمين..

الوصية رقم (٨٩)

* تجملوا فإن الله جميل يحب الجمال *

عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»

فقال رجل: إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة قال: «**إنَّ الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

هذا القبس النبوي الشريف، الذي خرج من فم أعظم الفصحاء، وأبلغ البلغاء الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، يحمل بين كلماته المباركة..

أمرين:

الأول: نهى عن الكبر، وتحذير منه، ووعيد بأنه في النار، ولو كان هذا الكبر قليلاً، قدره مثقال ذرة.

والثاني: دعوة إلى التجمل وحسن المظهر، وأعظم شيء أنه وصف الله عز وجل

بأنه جميل، ويحب الجمال..

إن الإسلام دين الواقع والحياة، لأنه الدين الذي جمع بين مطالب الروح وحاجات الجسد على حد سواء، وجعل من كلٍّ ما ينسجم مع الفطرة السليمة مباحًا حلالاً، وحرم ما يتناقض معها، ويسيء إليها..

ولما كان التجمل والتزين رغبة فطرية في الإنسان، جعله الإسلام أمرًا مباحًا حلالاً في كل حين، بل وجعله مندوبًا وواجبًا في الأعياد والصلوات التي تجمع كثيرًا من الناس في مكان واحد، وذلك لأنه يكون قريبًا من إخوانه في هذه اللقاءات، فينبغي أن يكون بعيدًا عن كل ما ينفرهم ويؤذي مشاعرهم.. قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]

والله عز وجل قد خلق هذا الإنسان وكرمه على جميع مخلوقاته بالعقل والإرادة وميزه عنها بأشياء كثيرة وعديدة، من أهمها: اتخاذ الملابس والزينة، وقد امتن الله عليهم بأن خلق لهم المادة التي يصنعون منها الثياب، وجعلها في متناول أيديهم كالصوف، والقطن والوبر، والحرير.. قال سبحانه: ﴿يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً..﴾ [الأعراف: ٢٦]

وقال: ﴿وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]

وألهمهم طرق تصنيعه تحقيقًا لغايتين، هما: الستر لعوراتهم، فتسمى لباسًا وزينة لمظهرهم، فتسمى ريشًا.

فاللباس من الضروريات، والريش يعنى الزينة من التحسينات والكماليات المباحة التي فُطر الإنسان على الرغبة فيها..

(١) رواه مسلم والترمذي.

والمسلم الحقيقي حسن المظهر دائمًا، حلو الكلام، عذب اللسان، يألف ويؤلف وقد أحل الله له الاستمتاع بالطيبات ملتزمًا حدود الاعتدال، فلا إسراف ولا تبذير ولا إفراط ولا تفريط، وليس من الدين في شيء إهمال النظافة بالنسبة للجسد أو ارتداء البالي من الثياب، بحجة الزهد والتقشف، فقد أخرج أبو داود عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ في ثوب دون فقال: «**ألك مال؟**» قلت: نعم. قال: «**من أي المال؟**» قلت: قد أتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق.

قال: «**فإذا أتاك الله، فليُر أثر نعمة الله عليك وكرامته**»[١]

ويشترط في التزين ألا يصل إلى حد أن يفتتن به غيره، أو يفتتن هو بنفسه ويغتر بها، ويتكبر على الآخرين.. كما جاء في وصية النبي الأمين ﷺ «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر..**»

وقال ﷺ: «**من جر ثوبه خيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»[١]

وقال: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المنان، والمسبل إزاره..**»[٢]

ويشترط في الزينة والتجمل أن لا يكون بشيء محرم كلبس الحرير والذهب ونحوه فقد قال ﷺ: «**حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي، وأحل لنسائهم**»[٣] وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل، فنزعه، فطرحه، وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار جهنم، فيجعلها في يده**» فقيل للرجل بعد أن ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به، فقال: لا والله لا آخذه أبدًا، وقد طرحه رسول الله ﷺ[٤] ونرى بعض الشباب أو الرجال ممن لا خلاق لهم يلبسون خواتم الذهب تمشيًا مع العادات السيئة، والتقاليد الفاسدة من غير مبالاة بالوعيد، مع أنهم يسمعون ويقرءون الأحاديث التي تنهى عن ذلك، ويعلمون أنهم يحملون في أيديهم جمرًا من جهنم.. فعن أبي سعيد

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده والنسائي في سننه وأبو داود وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٠٦٣).

ﷺ أن رجلاً قدم من نجران إلى رسول الله ﷺ وعليه خاتم من ذهب، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال له: «**إنك جئتني وفي يدك جمرة من نار**»[٥]

لكنهم لا يبالون، لأن الشيطان زين لهم ذلك، كما زين الشيطان لكثير من النساء لبس الثياب القصيرة، أو الثياب الضيقة، أو الثياب الشفافة، التي لا تستر أجسادهن، أو تبدى مقاطع الأعضاء، وأخريات يكشفن عن نحورهن وأيديهن وسيقانهن أمام الرجال الأجانب في الشوارع والأسواق.. وقد قال ﷺ: «**صنفان من أهل النار، لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[١].

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله في معنى (كاسيات عاريات) بأن تكتسي مالا يسترها فهي كاسية، وهي في الحقيقة عارية، مثل من تكتسى الثوب الرقيق، الذي يصف بشرتها، أو الثوب الضيق، الذي يبدى تقاطيع خلقها، مثل عجيزتها، وساعدها، ونحو ذلك[٢]. وهذا حال كثير من نساء اليوم..

فالزينة والتجمل، وحسن المظهر مباح «**إنَّ الله تعالى جميل يحب الجمال، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها**»[٣] بشروطها.. والشكر عليها واجب لله الذي خلقها، وأنعم بها على عباده، وذلك ليقترن نعيم الدنيا برضوان الله عز وجل، ولتنقلب العادات إلى عبادات، وترتفع الأعمال من الأرض، وتكتب مقبولة عند خالق الأرض والسموات.

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا، سماه

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذي والنسائي.

(٣) **حسن صحيح**: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح ورواه ابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣١٣٧).

(٤) رواه مسلم.

(٥) **صحيح**: رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٠٦١).

باسمه، عمامة أو قميصًا، أو رداء، ثم يقول: «**اللهمَّ لك الحمد كما كسوتنيه، أسألك خيره، وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره، وشر ما صنع له**»(٤).

واتخاذ الزينة، وارتداء الثياب النظيفة، والجميلة والأنيقة مستحب ومستحسن كل وقت، ولكنه أكثر استحبابًا عند أداء العبادة، لاسيما في أماكنها الخاصة بها، لقوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ..**﴾.

قال أهل العلم: أي عند كل صلاة، وعملاً بقول الرسول الخاتم ﷺ: «**إذا صلى أحدكم، فليلبس ثوبيه، فإن الله تعالى أحق من تزين له**»(١).

واقتداء بعمله ﷺ واستحبابه لبس الجميل من الثياب، فعن جندب بن مكيث رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا قدم عليه وفدٌ لبس أحسن ثيابه، وأمر أصحابه بذلك، فرأيته وفد عليه وفد كندة، وعليه حلة يمانية، وعلى أبي بكر وعمر مثل ذلك»(٢).

وعن أبي جحيفة عن أبيه قال: رأيت النبي ﷺ وعليه حلة حمراء(٣).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ما رأيت أحدًا من الناس أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ(٤).

أما عن الزينة يوم الجمعة فهي سنة مستحبة، يثاب عليها صاحبها، ويؤجر لقوله ﷺ: «**من اغتسل يوم الجمعة، ولبس أحسن ثيابه، ومس من طيب إن كان عنده ثم أتى المسجد، ولم يتخط رقاب الناس، ثم ركع ما شاء الله أن يركع ثم أنصت إذا خرج الإمام، فلم يتكلم حتى يفرغ من صلاته، كانت كفارة لما بينهما وبين الجمعة الأخرى**»(٥).

ويستثنى من هذا الحكم، خروج المرأة إلى المساجد، أو الطرقات، وعليها أثر

---

(١) رواه مسلم وأحمد في مسنده.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/١٤٦) لابن تيمية.

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٤٣).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٦٤).

الزينة فقد قال ﷺ: «**إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبًا**»[٦].

فزينة المرأة في بيتها ولزوجها أحق من تتزين له، فإذا خرجت من بيتها فهي مأمورة بالاحتشام، وعدم إبداء الزينة أو شيء منها أمام الأجانب والغرباء عنها، حفاظًا على نفسها من أن ينالها انحراف أو فساد.

أحبتي الكرام...

ومما يدل كذلك على أن الإسلام دين النظافة والجمال والزينة، وحث أتباعه عليها حديث الصحيحين من حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**خمس من الفطرة: الاستحداد والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر**»[١] فقد أخبرنا ﷺ أن هذه الأشياء من الفطرة أي من السنة القديمة التي اختارها الأنبياء، واتفقت عليها الشرائع، لأن في ترك هذه الأشياء تشويهًا للجسم وتشبيهًا بالحيوانات والسباع والكفار، وبقاؤها يسبب تجمع الأوساخ، ووجود الروائح الكريهة..

فالاستحداد معناه: حلق شعر العانة، والختان معناه: قطع جميع الجلدة التي تغطي الحشفة، لأن بقاء القلفة يسبب بقاء النجاسة المحتقنة فيها، وذلك يخل بالعبادة ويسبب أضرارًا صحية.

وقص الشارب معناه: جزه وإنهاكه.

ونتف الإبط: يراد به إزالة الشعر النابت فيه، بنتف أو حلق أو نحوه.

وتقليم الأظافر: قصها لئلا تطول.

---

(١) صحيح: ذكره الألباني في الصحيحة (١٣٦٩) وصحيح الجامع (٦٥٢).
(٢) رواه أبو نعيم والواقدي.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي.
(٥) صحيح: رواه أحمد في مسنده والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٦٦).
(٦) رواه مسلم.

فهذه الأشياء التي يشرع إزالتها، ويحصل التجمل بإزالتها، ولا يشرع تركها لأنها تشوه الجسم، وتجمع الأوساخ.

وأما ما يشرع إبقاؤه، فهو شعر اللحية، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**خالفوا المشركين، وفروا اللحى**»(٢) وفي رواية: «**أعفوا اللحى**»(٣) وفي رواية: «**أوفوا اللحى**»(٤) وفي لفظ «**وأرخوا اللحى**»(٥) كل هذه الروايات تدل على وجوب توفير اللحية وإبقائها، وتحريم حلقها، ولكن الشيطان زين الكثير من الناس مخالفة سنة النبي ﷺ في ذلك وتقليد الكفار، فصاروا يحلقون لحاهم، ويوفرون شواربهم ويطيلونها.

كما زين الشيطان لبعض النساء فعل ما حرم الشرع عليها، ولا يحل لها فعل شيء منها، ومن ذلك ما تفعله بعض النساء من نتف شعر حواجبهن، وهو ما يسمى بالنمص، الذي لعن النبي ﷺ من فعلته بنفسها أو بغيرها.

والنمص: أخذ شعر الحاجب وترفيعه، وبرغم أنه من التجمل، وهو في الواقع تغيير لخلق الله، وهو مما يأمر به الشيطان، كما قال الله تعالى: ﴿**وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ**..﴾ [النساء:١١٩] كذلك مما نهيت النساء عنه، وحرم الشرع عليها فعله (الوشم)، و (الفلج) والوشم: هو غرز الإبرة ونحوها في الجلد، حتى يسيل الدم ثم تحشوه بالكحل أو غيره، فيخضر..

وأما الفلج، فهو جعل فرجة بين الثنايا والرباعيات بمبرد ونحوه، بقصد التزين.

أيها الأحبة الكرام...

---

(١) حسن صحيح: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح ورواه ابن ماجة والنسائي وغيرهم وصححه الألباني.
(٢) رواه البخاري.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه مسلم.

وإذا كان الوشم محرمًا، والتفلج كذلك محرم في حق النساء، وهن أحوج ما يكن للتجمل والتزين والحسن، فكيف به في حق بعض شباب الأمة، الذين راحوا ينافسون النساء في زينتهن وأشكالهن، كيف به في حق أناس رضوا بأن يكونوا أشباه رجال ولا رجال.. ولا حول ولا قوة إلا بالله..

كذلك زين الشيطان لبعض النساء وصل شعورهن، حتى تظهر بأنها ذات شعر جميل، أو كثير، وهذه الأفعال محرمة، فقد قال النبي ﷺ: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله**»(١).

وقال ﷺ: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**»(٢).

كما زين الشيطان لبعض النساء، وبعض الشباب، إطالة أظافرهم مخالفة لسنة الحبيب ﷺ حيث أمرهم بتقليم الأظافر، فصاروا يطيلونها تشبيها بالكفار وكل هذه الأمور، من حلق اللحى، والصبغ بالسواد، وإطالة الشوارب والأظافر، وإزالة الحواجب أو ترفيعها وغيرها يظنون أنها من التجمل، وهي في الواقع تشويه وتقبيح للصورة الآدمية، ومخالفة للفطرة الإنسانية، لكن الشيطان زينها لهم، فاستحسنوها، كما قال الله عز وجل: ﴿**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً**..﴾ [فاطر:٨].

اللهمَّ وفقنا لفعل الطاعات، وترك المنكرات، ووفقنا لصالح البر والحسنات يا خالق الأرض والسموات.. يا من أحصى خلقه عددًا.. يا من يعلم مثاقيل الجبال، ويعلم عدد ذرات الرمال، وحبات الأمطار، ومكاييل البحار رضًنا بقضائك وقدرك، واغفر لنا ذنوبنا يا غفار يا قهار.. يا رب العالمين..

❏ ❏ ❏

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما (متفق عليه).

(٢) متفق عليه.

الوصية رقم (٩٠)

❊ اجتهدوا في العبادة ❊

عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: كان النبي ﷺ يصلى حتى ترم- أو تنتفخ- قدماه، فقيل له: يا رسول الله، أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

فقال ﷺ: «**أفلا أكون عبداً شكوراً؟!**»(١)

صلوات ربي وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله.. تفعل ذلك وأنت المغفور لك، وأنت أحب خلق الله إلى الله عز وجل، فماذا نفعل نحن؟

ماذا نفعل ونحن العاصون؟!

ماذا نفعل ونحن المقصرون؟!

ماذا نفعل ونحن المذنبون؟!

إذا كان ﷺ وهو المغفور له، يفعل ذلك، ويأخذ نفسه بالشدة في العبادة والاجتهاد إلى الله عز وجل، فماذا نحن فاعلون، ونحن المذنبون؟ إن لنا فيه أسوة حسنة، كما قال مولانا سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً..﴾ [الأحزاب: ٢١]

قال ابن بطال في شرح هذا الحديث:

في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة، وإن أضر ذلك ببدنه، لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له، فكيف بمن لم يعلم بذلك؟ فضلاً عمن لم يأمن أنه استحق النار اهـ.

ومحل ذلك إذا لم يُفض إلى الملل، لأن النبي ﷺ كانت أكمل الأحوال فكان لا يمل من عبادة ربه، وإن أضر ذلك ببدنه، بل صح أنه قال: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»(١).

فأما غيره ﷺ فإذا خشي الملل، لا ينبغي له أن يكره نفسه وعليه يحمل قوله ﷺ: «**خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا**»(٢).

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ: من سأله عن سبب تحمله المشقة في العبادة، أنه إنما يعبد الله خوفًا من الذنوب، وطلبًا للمغفرة والرحمة، فمن تحقق أنه غفر له، لا يحتاج إلى ذلك، فأفادهم أن هناك طريقًا آخر للعبادة، وهو الشكر على المغفرة، وإيصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئًا، فيتعين كثرة الشكر على ذلك..

قال العلماء: إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعم الله تعالى عليهم، وأنه سبحانه ابتدأهم بها قبل استحقاقها، فبذلوا مجهودهم في عبادته، ليؤدوا بعض شكره، مع أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد(٣).

هكذا كان رسول الله ﷺ يعلم الأمة أن يجتهدوا في عبادة ربهم..

---

(١) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

فهذا عبد الله بن مسعود ﷺ يقول: صليت مع النبي ﷺ فلم يزل قائمًا حتى هممت بأمر سوء. فقال له أصحابه: وما هممت؟

قال: هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ..

وهذا واحد آخر، وهو حذيفة بن اليمان ﷺ ـ كاتم سره- يقول: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلى بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح، سبح، وإذا مرَّ بسؤال، سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ، ثم ركع، فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحوًا من قيامه ثم قال: سمع الله لمن حمده، ثم قام طويلاً قريبًا مما ركع، ثم سجد، فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريبًا من قيامه.

وهكذا كان حال رسول الله ﷺ وصدق ابن رواحة حين قال:

وفينا رسول الله يتلو كتابه
إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه
إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

أحبتي الكرام...

لماذا وجدت؟ وما مهمتي في هذا الوجود؟ وما رسالتي في هذه الحياة؟ سؤال

---

(١) صحيح: تخرج قبل ذلك.

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣١٧٤).

(٣) فتح الباري (٤/ ١١٠) لابن حجر العسقلاني.

واجب على الإنسان- كل إنسان- أن يسأله لنفسه، وأن يفكر مليًّا في جوابه..

فإن كل جهل- مهما عظمت نتائجه- قد يغتفر، إلا أن يجهل الإنسان سر وجوده وغاية حياته، ورسالته التي من أجلها خلق في هذه الدنيا؟

وأكبر العار على هذا الكائن، الذي أوتى العقل والإرادة أن يعيش غافلاً، يأكل ويتمتع، كما تأكل الأنعام، ولا يفكر في مصيره، ولا يدرى شيئًا عن حقيقة نفسه، وطبيعة دوره في هذه الحياة، حتى يوافيه الموت بغته، ساعتها يندم، حيث لا ينفع الندم..

وأول شيء يجب أن يعرفه الإنسان هو معرفة ربه ومولاه، وأن يعبده حق عبادته، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ [الطلاق: ١٢].

ففي هذه الآية جعلت معرفة الله عز وجل هي الغاية من خلق السموات والأرض ويقول سبحانه مبينًا مهمة الإنسان، والغاية من خلقه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وفي بعض الآثار القدسية:

«عبادي، إني ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة، ولا لأستكثر بكم من قلة، ولا لأستعين بكم من وحدة على أمر عجزت عنه، ولا لجلب منفعة، ولا لدفع مضرة، وإنما خلقتكم لتعبدوني طويلاً، وتذكروني كثيرًا، وتسبحوني بكرة وأصيلاً».

فما من إنسي ولا جني، ولا ملك مقرب، خلق منذ بدأ الله الخلق، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، إلا لهدف واحد، وغاية واحدة، ألا وهي عبادة الله عز وجل، وما من نبي ولا رسول، إلا دعا قومه للعبادة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ.. ﴾ [النحل: ٣٦] ولا يستنكف عن عبادته ويستكبر إلا جاهل غبي محروم، وفي الآخرة شقي معذب في نار تدوم، قال سبحانه: ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلاَ الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ

عَنْ عبادَته ويَسْتَكْبِرْ فَسيحْشرهمْ إِلَيْه جميعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذين آمَنوا وعَملُوا الصَّالحَات فيُوفِّيهمْ أُجُورهمْ ويزيدُهُم من فضْله وأَما الَّذين استنكفُوا واسْتكْبروا فيُعذِّبُهمْ عذَابًا أَليمًا ولا يَجدُون لَهُم من دُون اللَّه وليًّا ولا نَصيرًا﴾ [النساء: ١٧٢، ١٧٣].

والعبودية لله عز وجل هي أشرف المقامات، وصف بها خير الكائنات في مقام الإسراء والمعراج في السموات: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِه لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ..﴾ [الإسراء: ١].

ووصفه بها حال الوحي، فقال: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى..﴾ [النجم: ١٠]

وممـا زادني شـــرفًـــا وتيـــهًـــا
وكـــدت بأخـــمـــصي أن أطـأ الثـــريا
دخـــولي تحت قـــولك يـا عـــبـــادي
وأن صـــيَّـــرت أحـــمـــد لي نبـــيـــا

نقول لهؤلاء الذين طغت عليهم الدنيا، فصاروا عبيدًا لها.. نعم عبيد لها كما قال النبي ﷺ: «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة..»(١).

نقول لهم: عن أي شيء تبحثون عن الوجاهات.. عن الدرجات.. هنا الرفعة هنا العزة، هنا المتعة.. هـنا في عبوديتك لله عز وجل ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦].

يوم أن عرفت العبودية طريقها إلى قلب بلال بن رباح، وكان عبدًا حبشيًا ما استطاع صناديد قريش أن يغيروه عنها، وبلغ من العزة أن اعتلى بقدميه السوداوين أطهر مكان على وجه الأرض.. الكعبة المشرفة، ليعلن عبوديته لله.. ليعلن ثمرة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وصناديد قريش مطأطئين رءوسهم تحت قدميه..

والعبودية كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: هي كمال الحب مع كمال الذل، فقد يحب المرء ابنه، ولكن لا يذل له، وقد يذل المرء للحاكم، ولكنه لا يحبه، فلا ينبغي أن يجتمع كمال الذل، وكمال المحبة إلا لله رب العالمين. .

والنفوس مجبولة على العبودية، فمن لم يُعبِّدها لله، عُبِّدها لغير الله، ألم تر أن من البشر من عبدوا الجن والشجر، ومنهم من عبد البقر والحجر، ومنهم من كان عبدًا لشهواته، ومنهم من كان عبدًا لأمواله وعماراته وسياراته، ومنهم من كان عبدًا لمناصبه، فاحمدوا الله عز وجل أن اجتباكم، ووفقكم لعبوديته سبحانه. . ويترتب على عبودية القلب لله عز وجل، عبودية الجوارح. .

فللبصر عبودية، وعبوديته أن لا ينظر إلى ما حرمه الله عز وجل، وعبودية الرجل أن لا تمشي إلى ما حرمه الله تعالى، وعبودية الأذن، وهي ألا تسمع لها حرمة الله وهكذا إذا عُبِّد القلب، عُبِّدت الجوارح. .

وإذا عُبِّدت الجوارح لله رب العالمين شعرت بلذة العبودية، وحلاوة الإيمان لذلك في هذا القبس الذي نعيش في ظلاله «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟**» ولقد عرف السلف الصالح ومن بعدهم لذة العبادة لله عز وجل، كما أراد أن يصورها لهم أستاذهم ومعلمهم ﷺ.

فهذا عامر بن عبد قيس، كان من أفضل العُبَّاد، فرض على نفسه كل يوم ألف ركعة كان يقوم بعد طلوع الشمس فلا يزال قائمًا إلى العصر، ثم ينصرف وقد انتفخت ساقاه وقدماه، فيقول: يا نفس، إنما خلقت للعبادة. . يا أمارة بالسوء فوالله لأعملن بك عملاً، حتى لا يأخذ الفراش منك نصيبًا. .

قال: وهبط واديًا يقال له: وادي السباع، وكان في الوادي عابد وحشي، يقال له: حممة، فانفرد عامر في ناحية، وحممة في ناحية يصليان، لا هذا ينصرف إلى هذا، ولا هذا ينصرف إلى هذا، أربعين يومًا وليلة، إذا جاء وقت الفريضة ذهبا

---

(١) رواه البخاري وأحمد.

فصليا، ثم أقبلا يتطوعان، ثم انصرف عامر بعد أربعين يومًا، فجاء إلى حممة، فقال له: من أنت يرحمك الله؟ قال دعني وهمي. .

قال: أقسمت عليك. . قال: أنا حممة. . قال عامر: لئن كنت حممة الذي ذكر لي لأنت أعبد من في الأرض، أخبرني عن أفضل خصلة؟ قال: إني لمقصر ولولا مواقيت الصلاة تقطع عليَّ القيام والسجود لأحببت أن أجعل عمري راكعًا ووجهي مفترشًا حتى ألقاه، ولكن الفرائض لا تدعني أفعل ذلك، فمن أنت يرحمك الله؟

قال: أنا عامر بن قيس. . قال: إن كنت عامر الذي ذكر لي، فأنت أعبد الناس فأخبرني بأفضل خصلة؟

قال: إني لمقصر، ولكن واحدة عظمت هيبة الله في صدري، حتى ما أهاب شيئًا غيره، فاكتنفته السباع، فأتاه سبع، فوثب عليه من خلفه، فوضع يده على منكبه، وعامر يتلو هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ فلما رأى السبع أنه لا يكترث به، ذهب. .

قال حممة: لولا أن الله عز وجل ابتلانا بالبطن، فإذا أكلنا لابد لنا من الحدث ما رآني ربي إلا راكعًا أو ساجدًا. . وكان يصلي في اليوم ثمانمائة ركعة. .

وكان يقول: إني لمقصر في العبادة، وكان يعاتب نفسه[1]. .

تلك هي لذة العبادة. . وتلكم هي العبودية لله عز وجل. .

وهذا قيس بن مسلم يصلي حتى السحر، ثم يجلس، فيهيج البكاء فيبكي ساعة بعد ساعة، ويقول: لأمرٍ ما خلقنا. . لأمرٍ ما خلقنا، وإن لم نأت الآخرة بخير لنهلكن[2]. .

وزاد قيس بن مسلم هذا محمدٌ بن جحادة ذات ليلة، فأتاه في المسجد بعد صلاة العشاء ومحمد بن جحادة قائم يصلي، فقام قيس في الناحية الأخرى يصلي فلم يزالا على ذلك حتى طلع الفجر، وكان قيس بن مسلم إمام مسجده، فرجع إلى

الحي فأمهم ولم يلتقيا، ولم يعلم محمد مكانه..

فقال له بعض أهل المسجد، زارك أخوك قيس بن مسلم البارحة، فلم تنفتل إليه فقال: ما علمت بمكانه[٣]..

إنها لذة العبادة لله عز وجل جعلته لا يشعر بأحد.. لأنه يكون مع الله عز وجل لا مع الناس.. إنها لذة الطاعة.. وحلاوة المناجاة..

وفي السير أن عبد العزيز بن أبي راود ـ رحمه الله تعالى ـ كان يوضع له الفراش، لينام، فيضع عليه يده، ويقول: ما ألينك، ولكن فراش الجنة ألين منك.. ثم يقوم فيصلي.

وكان صلة بن أشيم يقوم الليل حتى يفتر، فما يجيء إلى فراشه إلا حبواً.

إن هذا كله يدل على أن هناك شيئًا يحمل المتعبدين على الإقبال على عبادتهم من غير ملل، والوقوف فيها من غير نظر إلى تعب أو كلل.. وهذا شيء لا شك أنه ينسى النفس همومها، ويورث القلب تعلقًا يشغله به عن الإحساس بالتعب، أو حتى الالتفات إلى تورم القدم، ثم تفطرها وتشققها من طول الوقوف..

إنها لذة الطاعة.. وحلاوة المناجاة.. وأنس الخلوة بالله عز وجل.. وسعادة العيش في مرضاة الله عز وجل.. حيث يجد العبد في نفسه سكينة، وفي قلبه طمأنينة، وفي روحه خفة وسعادة، مما يورثه لذة لا يساومها شيء من لذائذ شغاف القلب، فلا يرى العبد قرة عينه، وراحة نفسه وقلبه إلا فيها، كما قال إمام العابدين، وخاتم النبيين، ورحمة الله للعالمين ﷺ: **«وجعلت قرة عيني في الصلاة»** أي منتهى سعادته ﷺ وغاية لذته في تلك العبادة التي يجد فيها راحة النفس، واطمئنان القلب، فيفزع إليها إذا حزبه أمر، أو أصابه ضيق، أو أرهقه عمل، فينادي على بلال

(١) الحلية لأبي نعيم (١/ ٢٤٣) وصفة الصفوة (١/ ٣٥٠).
(٢) صفة الصفوة (١/ ٣٣).
(٣) المرجع السابق.

ليقول له: «**أرحنا بها يا بلال**».

أحبتي في الله...

وهذا النوع من لذائذ القلوب والنفوس، ذاقه السالكون درب نبيهم، والسائرون على هديه وسنته، فجاهدوا أنفسهم وثابروا معها وصابروها في ميدان الطاعة حتى ذاقوا حلاوتها، فلما ذاقوها، طلبوا المزيد منها بزيادة الطاعة، فكلما ازدادت عبادتهم، زادت لذتهم، فاجتهدوا في العبادة، ليزدادوا لذة إلى لذتهم.. فمن سلك سبيلهم ذاق، ومن ذاق عرف.

قال بعض السلف: إني لأفرح بالليل حتى يقبل، لما يلتذ به عيشي، وتقر عيني من مناجاة من أحب، وخلوتي بخدمته، والتذلل بين يديه، واغتنم الفجر لما انشغل به.

وكان ثابت البناني ـ رحمه الله ـ يدعو ربه قائلاً: اللهمَّ إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره، فأعطني الصلاة في قبري.. سبحان الله! لا يريد أن ينقطع عن اللذة حتى بعد موته.. وسفيان الثوري رحمه الله كان يقول: إني لأفرح بالليل إذا جاء، فإذا جاء النهار حزنت[1]..

ولقد بلغت لذة العبادة وحلاوتها ببعض ذائقيها أن قال من شدة سروره، وما يجد من لذة ومتعة: لو علم الملوك، وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور، لجالدونا عليه بالسيوف أيام الحياة[1].

وقال آخر مبديًا حزنه وتأسفه على الذين لم يشاهدوا هذا المشهد: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها..

قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله عز وجل ومعرفته وذكره.

وكان ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: إنَّ في الدنيا جنة، من لم يدخلها، لم يدخل جنة الآخرة..

---

(١) الحلية (١/ ٣٥٥) وصفة الصفوة (١/ ٣٦٦).

إنها الجنة التي لما دخلها أبو سليمان الداراني ـ رحمه الله ـ قال: لأهل الطاعة في ليلهم ألذ من أهل اللهو بلهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.

وكان يقول: لو لم يبك العاقل فيما بقى من عمره إلا على لذة ما فاته من الطاعة فيما مضى، كان ينبغي له أن يبكيه حتى يموت(٢).

إنها الجنة التي تنسى صاحبها هموم الحياة ومشاقها، بل تنسيه تعب العبادة ونصبها، وكلال الأبدان وملالها، بل وتنسيه الجوع والظمأ، فتغنيه عن الطعام، وتعوضه عن الشراب، فهو بها شبعان ريان، كما في حديث: نهى النبي ﷺ عن الوصال، فقيل له: إنك تواصل.. قال: «**إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**»(٣) يطعمه اللذة والأنس والبهجة..

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: المراد ما يغذيه الله من معارفه، وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته، وقرة عينه بقربه، وتنعمه بحبه، وقرة عينه بقربه، والشوق إليه، وتوابع ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلوب، ونعيم الأرواح، وقرة العين، وبهجة النفوس والروح والقلب، بما هو أعظم غذاء وأجوده وأنفعه وقد يقوى هذا الغذاء حتى يغنى عن غذاء الأجسام مدة من الزمان، كما قيل:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها
عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به
ومن حديثك في أعقابها حادي
إذا شكت من كلال السير أوعدها

---

(١) المرجعان السابقان.

(٢) الحلية (٤/ ١٨١) وصفة الصفوة (١/ ٤٦٩).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

روح القـدوم فـتـحـيـا عند مـيـعـادِ

قال عبـد الله بن وهب ـ رحمه الله ـ: كل ملذوذ إنما له لذة واحـدة إلا العبادة، فإن لها ثلاث لذائذ: إذا كنت فيها، وإذا تذكرتها، وإذا أعطيت أجرها.

أحبتي الكرام...

وليست الصلاة وحدها هي التي كان يتـلذذ بها العابدون، ولكن كل العبادات.. فكانوا يتلذذون بالصـيام هو الآخـر، فرسـول الله ﷺ وهو قائـدهم ومعلمـهم كان يواصل، ونهاهم عن الوصال، خوفًا عليهم من المشقة والتعب..

لما احتضر عامر بن عبد الله ـ رحمه الله ـ بكى، فقيل له: أتجزع من الموت وتبكى؟

فقال: مالي لا أبكى، ومن أحق بذلك منى؟.

والله ما أبكى جزعًا من الموت، ولا حـرصًا على دنياكم، ولكني أبكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء[١].

وعبد الرحمن بن الأسـود ـ رحمه الله ـ لما احتضر بكى، فـقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أبكي أسفًا على الصلاة والصيام[٢].

وكـذلك لذة حج بيت الله الحـرام وزيارته، والطـوف به، فكم يدفع الحـاج من الأموال، وكم يكابد المشاق والتعب في الحل والترحال، حتى يصل إلى هناك، فينسى متاعبه وآلامه، بنظرة واحدة إلى البيت.. ولله در هذا المشتاق:

فـفي ربعـهم لله بيت مـبـارك
إليـه قلـوب الخلق تـهـوى وتـهـواه
يطـوف به الجـاني فـيـغـفـر ذنبـه
ويـسـقط عـنه جـرمـه وخـطايـاه

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٣٤٩) لابن الجوزي.
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٢) للذهبي.

فكم لذة كم فرحة لطوافه
فالله ما أحلى الطواف وأهناه
نطوف كأنا في الجنان نطوفها
ولا هم ولا غم فذاك نفيناه
فمن لم يذقه لم يذق قط لذة
فذقه تذق يا صاحي ما قد ذقناه

وهناك لذة للذكر، ولذة للجهاد في سبيل الله، ولذة في الإنفاق في سبيل الله، ولذة لتعلم العلم النافع.. ولو وقفنا مع كل واحدة لطال بنا المقام.. لكن في عاجلة نقول ما هي أسباب تحصيل اللذة الأخروية؟ وكيف لنا أن نشعر بما كان يشعر به سلف هذه الأمة؟ إن هذا الباب يحتاج إلى بذل أسباب بذلوها، وسلوك سبيل سلكوها ومنها:

١- **مجاهدة النفس**: وتعويدها العبادة، والتدرج فيها، ولابد من الصبر في البداية على تعب العبادات، وحمل النفس عليها تارة، وتشويقها إليها تارة أخرى، حتى تذوق حلاوتها.. فالتعب إنما يكون في البداية، ثم تأتي اللذة بعد..

يقول ابن القيم رحمه الله: السالك في أول الأمر، يجد تعب التكاليف، ومشقة العمل، لعدم أنس قلبه بمعبوده، فإذا حصل للقلب روح الأنس، زالت عنه تلك التكاليف، والمشاق، فصارت قرة عين له، وقوة ولذة.

وقال ثابت البناني ـ رحمه الله ـ: كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة(١).

وقال محمد بن المنكدر ـ رحمه الله ـ: كابدت نفسي أربعين سنة، حتى استقامت(٢).

قال عتبة الغلام: كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة.

وقال بعضهم: سقت نفسي إلى الله عز وجل وهي تبكي، فمازلت أسوقها حتى

انساقت إليه وهي تضحك(٣).

٢- **الإكثار من النوافل بكل أنواعها**، وعلى اختلاف صفاتها وأحوالها، والتنويع فيها حتى لا تمل النفس، وحتى تقبل ولا تدبر، فتارة نوافل الصلاة، وتارة نوافل الصوم، وتارة بر الوالدين وصلة الرحم، وغير ذلك، فقد قال الله في حديثه القدسي الجليل: «**ومازال عبدى يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعادني لأعيذنه..**».

٣- **صحبة المجتهدين وترك البطالين**: فمن بركة صحبة أهل الصلاح: الاقتداء بهم، والتأسي بحالهم، وللانتفاع بكلامهم، والنظر إليهم..

قال جعفر بن سليمان: كنت إذا وجدت من قلبي قسوة؛ غدوت فنظرت إلى وجه محمد بن واسع، كأنه وجه ثكلى(٤).

وكان ابن المبارك يقول: كنت إذا نظرت إلى وجه الفضيل بن عياض، احتقرت نفسي.. وقالوا قديمًا: من لم ينفعك لحظه، لم ينفعك لفظه.

٤- الإكثار من الخلوة بالله عز وجل: قيل لأحد الصالحين لما أكثر الخلوة: ألا تستوحش؟ قال: وهل يستوحش مع الله أحد؟!

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر
وبيني وبين العالمين خراب

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٤) للذهبي وصفة الصفوة (١/ ٣٦٥) والحلية (١/ ٣٥٥).
(٢) الحلية (١/ ٣٨٥) وصفة الصفوة (١/ ٢٠٧) وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٥).
(٣) صفة الصفوة (١/ ٣٩٥) والحلية (٤/ ٢٤٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ١٢٠) للذهبي وصفة الصفوة (١/ ٣٦٧) والحلية ١/ ٣٦٨).

إذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذي فوق التراب تراب

٥- **ترك المعاصي والذنوب**: فكم من شهوة ساعة أورثت ذلاً طويلاً؟! وكم من ذنب حرم قيام الليل سنين؟! وكم من نظرة حرمت صاحبها نور البصيرة؟! ويكفى هنا قول وهيب بن الورد حين سئل: أيجد لذة الطاعة من يعصى؟

قال: ولا من هم.. أي حتى ولا من هم بالمعصية..

فأعظم عقوبات المعاصي حرمان لذة الطاعات، وإن غفل عنها المرء لقلة بصيرته وضعف إيمانه، أو لفساد قلبه..

قال ابن الجوزى - رحمه الله -: قال بعض أحبار بني إسرائيل: يا رب، كم أعصيك ولا تعاقبني؟ فقيل له: وكم أعاقبك وأنت لا تدرى! أليس قد حرمتك حلاوة مناجاتي؟!

اللهمَّ أذقنا حلاوة مناجاتك، وأذقنا برد عفوك، اللهمَّ أصلح فساد قلوبنا وأصلح أحوالنا، وأحسن خاتمتنا..

اللهمَّ أعز الإسلام وانصر المسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ووحد صفوف المسلمين.. يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٩١)

زوجك هو جنتك ونارك

عن حصين بن محصن ﷺ قال: حدثتني عمتي، قالت: أتيت رسول الله ﷺ في بعض الحاجة، فقال: «**أي هذه! أذات بعل؟**» أي زوج قلت: نعم. قال: «**كيف أنت له**»؟

قالت: ما آلوه- أي لا أقصر في خدمته ولا طاعته- إلا ما عجزت عنه..

قال: «**فانظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام الأفاضل...

في الوصية السابقة تحدثنا عن تكريم الإسلام لحقوق المرأة وإنصافه إياها وما دامت المرأة أو الزوجة لها حقوق وواجبات، فعليها هي الأخرى حقوق وواجبات.. قال تعالى: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**..﴾ [البقرة:٢٢٨] قال الجصاص: أخبر الله تعالى في هذه الآية أن لكل واحد من الزوجين على صاحبه حقًا، وأن الزوج مختص بحق له عليها، ليس لها عليه..

قال ابن العربي: هذا نص في أنه مفضل عليها، مقدم في حقوق النكاح فوقها وفي هذه الوصية الكريمة يوجه الرسول الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ النساء في شخص هذه المرأة الصالحة، أن طاعة الأزواج واجبة على الزوجات وهو بهذا الحق جنتها ونارها.. كيف ذلك؟

يفسره حديث آخر يقول فيه خير الخلق ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبوابها شئت**»(٢) والمفهوم المخالف لذلك أنها لو لم تفعل هذه الخصال لكانت في النار- والعياذ بالله..

وعن أم سلمة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها، دخلت الجنة**»(١).

والطاعة شيء يدخل تحت حسن العشرة، لأن المرأة قد تطيع زوجها وهي لا تحسن عشرته..

وحسن العشرة ذوق وفن وتربية اجتماعية عالية، به تدوم المحبة والألفة والرحمة.. وكثيرًا من المشكلات المستعصية تحل بالبسمة الحانية.. والنظرة الودود..

---

(١) حسن: رواه أحمد في مسنده (١٨٥٢٤) والطبراني في الكبير وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٥٠٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد في مسنده (١٦٦٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠).

والمجاملة الرقيقة.. والأسلوب المهذب.. والخضوع اللين.. والمرأة المطيعة لزوجها، المحسنة لعشرته، تكسب ثقته واحترامه، ودوام محبته إياها، حتى ينقلب الأمر، فيصير الزوج هو الذي يطيع زوجته.. وكلما رقت المرأة.. وحسنت عشرتها.. وأسبغت من عواطفها وحنانها ورقتها على زوجها.. ملكت عليه قلبه وحياته..

وإذا تصفحنا سنة الحبيب المصطفى ﷺ وجدنا فيها كنوزًا وورودًا من بستان أقواله وأفعاله.. من ذلك.. ما رواه معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو تعلم المرأة حق الزوج، لم تقعد ما حضر غذاؤه وعشاؤه، حتى يفرغ»**(٢).

فأين نساء أمة الحبيب محمد ﷺ في عصرنا هذا؟ والتي ربما لو طلب منها زوجها وهو على طعامه كوب ماء ما لبت مطلبه..

أين هؤلاء اللاتي لا يعرفن حقوق أزواجهن من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أتى رجل بابنته إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هذه ابنتي أبت أن تتزوج، فقال لها رسول الله ﷺ: **«أطيعي أباك»** فقالت: والذي بعثك بالحق، لا أتزوج حتى تخبرني ما حق الزوج على زوجته؟ قال: **«حق الزوج على زوجته، أن لو كانت به قرحة، فلحستها، أو انتثر منخراه صديدًا ودمًا، ثم ابتلعته، ما أدت حقه»**(٣).

قالت: والذي بعثك بالحق.. لا أتزوج أبدًا..

ومما يؤسف له أن كثيرًا من الزوجات يقمن بالصلاة والصيام، وغير ذلك من أعمال البر والخير، لكنهم يهملن طاعة الزوج..

اسمعوا إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي رواه الإمام الحاكم في مستدركه: **«اثنان لا تجاوز صلاتهم رءوسهما: عبدٌ أبق- أي هرب- من مواليه، حتى يرجع إليهم،**

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك رقم (٧٤٣٦) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ورواه ابن ماجه والترمذي وضعفه الألباني.

(٢) صحيح: رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٥٩).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان في صحيحة (٩/ ٤٧٢) والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٠٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٤٨).

وامرأة عصت زوجها، حتى ترجع»[١].

فلتحـذر الزوجة من أن تكون من أولئك المولعات بمخـالفة أزواجهن، فـلا تؤمر الواحدة منهن بشيء إلا سـارعت إلى مخالفتـه، حتى ولو كان في مصلحـتها.. إن هؤلاء يعرضن أنفسهن لسخط الله عز وجل..

جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسـول الله، أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله عز وجل على الرجال، فإن أصيبوا، أجروا وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم فما لنا من ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ لها: «**أبلغي من لقيت من الـنساء، أن طاعة الزوج، واعتـرافًا بحقـه يعدل ذلك، وقليل منكن من تفعله**»[٢].

الله أكبر.. طاعة المرأة لزوجها أعظم من الجهاد في سبيل الله؟! نعم..

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله معلقًا على هذا الحديث:

إن المرأة إذا أحسنت معاشرة بعلها، كان ذلك مـوجبًا لرضاء الله وإكرامه لها من غير أن تعمل ما يختص بالرجال..[٣]. ولتعلم المرأة أن حق زوجها عليها أعظم من حق والديهـا، أليس إذا مات الأب أو الأم تحـد المرأة عليـهمـا ثلاثة أيام، لكن على الزوج أربعة أشهر وعشرا..؟

قال ﷺ: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليـوم الآخر أن تحد على مـيت فوق ثلاث ليال إلا على زوج، فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا**»[١].

وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً..**﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث زينب ابنة أبي سلمة أنها سمعت

---

(١) **صحيح**: رواه الحاكم في المستدرك وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٦).

(٢) **ضعيف**: رواه البزار والطبراني وضعفه الألباني.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٢/ ٢٧٥).

أم سلمة ﵂ تقول: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله، إنَّ ابنتي توفي عنها زوجها، وقد اشتكت عينها، أفنكحلها، فقال رسول الله ﷺ: «**لا**».. مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: «لا» ثم قال رسول الله ﷺ: «**إنما أربعة أشهر وعشرا**»(٢).

ويروى عن عائشة ﵂ قالت: سألت رسول الله ﷺ: أي الناس أعظم حقًا على المرأة؟ قال: «**زوجها**» قلت: أي الناس أعظم حقًا على الرجل؟ قال: «**أمه**»(٣).

أحبتي الكرام...

ورغم هذا كله، لو أن الزوج أمر زوجته بمعصية الله عز وجل، في هذه الحالة يجب أن تعصيه.. لماذا؟ لأنه كما قال معلم البشرية ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»(٤) فإن أمرها بترك صلاة، أو نزع حجاب، أو سماع غناء، أو أن تخرج متبرجة، أو تشرب خمرًا، أو تسهر مع رجال أجانب، فلا تطعه، ولا تسمع لأمره، بل تقف منه موقف نبي الله يوسف عليه السلام، وتقول كما قال: معاذ الله..

قال الحافظ بن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح: ولو دعاها إلى معصية، فعليها أن تمتنع، فإن أدبها على ذلك، كان الإثم عليه(٥).

فلتكن الأخت المسلمة كما قالت المرأة الأعرابية موصية ابنتها، وفلذة كبدها كوني له أرضًا، يكن لك سماءً، وكوني له أمة يكن لك عبدًا..

وما أبلغ ما قاله سيد الفصحاء، وإمام البلغاء ﷺ يصور ويعبر عن مدى حق الزوج على زوجته: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد**

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه مسلم (١٤٨٩).

(٣) **حسن**: رواه البزار بإسناد حسن ورواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه (٤/ ١٧٥).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥٢٠).

(٥) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٣٠٤).

لزوجها، والذي نفسي بيده، لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه»[١]

وهذا حق من حقوق الزوج على زوجته، وهو أن تسلم له نفسها متى طلبها ليستمتع بها، ولا تمتنع منه..

قال ﷺ كما رواه مسلم من حديث أبي هريرة: **«والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها، فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها، حتى يرضى عنها»**[٢].

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: هذا دليل على تحريم امتناعها من فراشه لغير عذر شرعي، وليس الحيض بعذر في الامتناع، لأن له حقًّا في الاستمتاع بها فوق الإزار.

ومعنى الحديث: أن اللعنة تستمر عليها حتى تزول المعصية بطلوع الفجر، والاستغناء عنها، أو بتوبتها، ورجوعها إلى الفراش[٣].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا دعا الرجل امرأته، إلى فراشه، فلم تأته، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»**[٤].

ولذلك ينبغي على الزوج هو الآخر أن يكون مراعيًا لأحوال الزوجة وظروفها حتى لا يضطرها إلى مخالفته، فتقع في المعصية، أو في **سخط الله وغضبه.. ومن** حقه عليها: أن تحفظه في دينه وعرضه:

قال ﷺ: **«أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها، فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل»**[١].

وقال ﷺ: **«أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيتها، خرق الله عز وجل عنها**

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٩٥).

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٩/١٠).

(٤) رواه البخاري ومسلم.

ستره»[٢].

ومن حقه عليها: أن لا تصوم تطوعًا إلا بإذنه:

قال صلوات ربي وسلامه عليه: **«لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه»**[٣].

قال ابن حجر رحمه الله: وفي الحديث أن حق الزوج أكد على المرأة من التطوع بالخير، لأن حقه واجب، والقيام بالواجب مقدم على القيام بالتطوع[٤].

وقد سئل شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن رجل له زوجة تصوم النهار وتقوم الليل، وكلما دعاها الرجل إلى فراشه تأبى عليه، وتقدم صلاة الليل، وصيام النهار على طاعة الزوج، فهل يجوز ذلك؟

فأجاب بقوله: لا يحل لها ذلك باتفاق المسلمين، بل يجب عليها أن تطيعه، إذا طلبها إلى الفراش، وذلك فرض واجب عليها، وأما قيام الليل، وصيام النهار، فتطوع، فكيف تقدم مؤمنة النافلة على الفريضة؟![٥]

أحبتي الكرام الأفاضل...

ومما ينبغي على المرأة لزوجها كذلك: أن توقره ولا تؤذيه: فلتحذر المرأة أن تكون من أولئك اللائي يعرضن أنفسهن للهلاك وغضب الله الجبار..

قال سيد الأبرار ﷺ: **«لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه، قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل، يوشك أن يفارقك إلينا»**[١].

---

(١) حسن: رواه الترمذي وقال: حديث حسن ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري ورواه الترمذي وغيرهما.

(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٤) فتح الباري (٩/ ٢٩٦).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٧٤).

ففي هذا الحديث إنذار شديد، ووعيد لمن تقوم بإيذاء زوجها..

والمرأة المتدينة العاقلة هي التي ترضى زوجها، وإذا كانت كذلك، كانت من أهل الجنة. قال ﷺ: «**ألا أخبركم بنسائكم في الجنة**» قالوا: بلى يا رسول الله.. قال: «**ودود ولود**» الودود هي التي تتودد إلى زوجها والولود، التي ليست بعقيم، بل هي كثيرة الولادة.. (**ودود ولود، إذا غضبت أو أسيء إليها، أو غضب زوجها، قالت: هذه يدي في يدك، لا أكتحل بغمض**- أي لا أنام- **حتى ترضى**»[٢].

ومن حق الزوج على زوجته كذلك: أن لا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه.. لحديث أبي هريرة السابق.. «**لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه**»[٣] حتى ولو كان أقرب الناس إليها، رجلاً كان أو امرأة، محرم لها أو غير محرم..

قال ﷺ: «**فحقكم عليهن: أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون**»[٤].

وعن تميم بن سلمة قال: أقبل عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بيت عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه في حاجة، فلم يجد علياً، فرجع ثم عاد فلم يجده مرتين أو ثلاثًا فجاء عليٌّ، فقال له: أما استطعت إذ كانت حاجتك إليها أن تدخل؟

قال: «نهينا أن ندخل عليهن إلا بإذن أزواجهن»[٥].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١٩٢).

(٢) **حسن**: رواه الطبراني وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٠٤).

(٣) تخرج قبل ذلك.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم ورواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح ورواه ابن ماجة ورواه النسائي.

(٥) مكارم الأخلاق للخرائطي والطبراني في الكبير والصحيحة (٦٥٢).

يا لها من امرأة عـاقلة.. زوجة مؤمنة.. إنها زوجـة شريح القاضي.. روى أن شريحًا تقابل مع الإمـام الشعبي يومًا.. فسأله الشعبي عن حالـه في بيته، فقال له: من عشرين عامًا، لم أر ما يغـضبني من أهلي، قال له: كيف ذلك؟ قال شريح: من أول ليلة دخلت على امـرأتي، رأيت فيـها حـسنًا فاتنًا، وجـمالاً نادرًا، فـقلت في نفسي: فلأتطهـرن وأصلين ركعتين شكرًا لله.. فلما سلمـت وجدت زوجتي تصلي بصلاتي، وتسلـم بسلامي.. فلما خـلا البيت من الأصـحاب والأصدقـاء.. قمت إليها، فمددت يدي نحوها.. فقالت: على رسلك يا أبا أمية، كما أنت، ثم قالت:

الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأصلي على محمد وآله وبعد: فإني امرأة غريبة، لا علم لي بأخلاقك، فبين لي ما تحب فآتيـه، وما تكره فأتركه، وقالت: إنه كان في قومك من هو كفء لك، وفي قومي من الـرجال من هو كفء لي، ولكن إذا قضى الله أمرًا، كـان مفعـولاً، وقد ملكت فاصنع مـا أمرك الله به، إمسـاك بمعروف، أو تسريح بإحسان.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك..

قال شريح: فأحـوجتني- والله يا شعبي- إلى خطبة مثلهـا، فقلت: الحمد لله، أحمده واستعينه، وأصلي على النبي وآله وأسلم وبعد:

فإنك قلت كلامًـا إن ثبت عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يـكن حجة عليك أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما رأيت من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها..

فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلي؟ قلت: ما أحب أن يملني أصهاري..

فقالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له، ومن تكره فأكره؟

قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء..

قال شريح: فبت معها بأنعم ليلة، وعشت معها حولاً، لا أرى إلا ما أحب فلما كانت رأس الحول جئت من مجلس القـضاء، فإذا بفلانة في البيت، قلت: من هي؟ قالوا: خَتَنُك- أي أم زوجتك- فالتـفتت إليَّ وسألتني، كيف رأيت زوجتك؟ قلت: خير زوجة..

قالت: يا أبا أمية، إنَّ المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالين: إذا ولدت غلامًا، أو حظيت عند زوجها، فأدب ما شئت أن تؤدب، وهذب ما شئت أن تهذب.. فمكثت معي عشرين عامًا، لم أعتب عليها في شيء إلا مرة واحدة، وكنت لها ظالمًا[1]..

اللهمَّ هب لنا من أزوجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا.. اللهمَّ أصلح أحوالنا.. وأصلح حال نسائنا.. وأصلح حال بناتنا وأبنائنا..

اللهمَّ إنا نعوذ بك من أيام السوء وليالي السوء، وساعات السوء، وأصحاب السوء يا عزيز يا غفور..

اللهمَّ إنا نسألك الأمن يوم الوعيد، والخلود في جنات النعيم مع المصلين والركوع السجود، الموفين بالعهود والوعود.

اللهمَّ ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.. اللهمَّ يسر أمورنا.. واشرح صدورنا وسدد على طريق الخير خطانا.. وهب لنا من لدنك رحمة ونوراً نستضيء به في ظلمات الحياة، وهيئ لأمة محمد ﷺ أمر رشد، يعز فيه أهل طاعتك..

اللهمَّ أصلح ولاة أمور المسلمين في سائر البلاد يا رب العالمين..

---

(١) ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء وابن العربي في أحكام القرآن (١/ ٤١٧).

الوصية رقم (٩٢)

* تابعوا بين الحج والعمرة *

عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

هذه الوصية الجليلة يوصى فيها الحبيب المصطفى ﷺ أتباعه المستطيعين أن يتابعوا بين الحج والعمرة.. والمتابعة بين الحج والعمرة معناها: أنكم إذا حججتم فاعتمروا، وإذا اعتمرتم فحجوا، ولعل الرسول ﷺ نظمهما في سلك واحد، ليفيد أن العمرة واجبة كالحج، كما رأى بعض أهل العلم، لقوله تعالى: ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ**﴾ [البقرة:١٩٦] وعلل لذلك بأنهما ينفيان عن صاحبهما الفقر ويزيلانه عنه، ولعل الرسول الأعظم ﷺ أراد أن يشير إلى ما يحصل للحاج والمعتمر من الغنى الحقيقي، وهو الغنى بطاعة الله عز وجل، فلا عطاء أعظم من مباهاة الله عز وجل بالحاج ملائكته الكرام..

وشبه النبي ﷺ ذلك بما تفعله النار، أو الكير خبث الحديد والذهب والفضة لأن الإنسان مركوز في جبلته القوة الشهوية والغضبية، وهو محتاج لرياضة تزيلها والحج أو العمرة كل منهما جامع لأنواع الرياضيات: من إنفاق المال، والجوع والظمأ، واقتحام المهالك، ومفارقة الوطن والإخوان، وغير ذلك..

ثم عقب على ذلك بقوله: «**وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**» والحجة المبرورة هي المقبولة التي لا يشوبها إثم، أو رياء وسمعة..

---

(١) **حسن صحيح**: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح ورواه أحمد في مسنده والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠١) وصحيح الترغيب (١١٣٣) وصحيح سنن الترمذي (٨١٠).

وقد جاء في ثواب الحج، وأنه منفاة للذنوب، حديث ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال للثقفي الذي جاء يسأله ومعه آخر عن ثواب مناسك الحج: «**أما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام، فإن لك بكل وطأة تطؤها راحلتك يكتب الله لك بها حسنة، ويمحو عنك بها سيئة، وأما وقوفك بعرفة، فإن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا، فيباهي بهم الملائكة، فيقول: هؤلاء عبادي جاءوني شعثًا غبرًا من كل فج عميق، يرجون رحمتي ويخافون عذابي، ولم يروني، فكيف لو رأوني؟ فلو كان عليك مثل رمل عالج، أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذنوبًا، غسلها الله عنك، وأما رميك الجمار، فإنه مدخور لك، وأما حلقك رأسك، فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة، فإذا طفت بالبيت، خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك**»[١].

وقد بين رسول الله ﷺ أن دعوة الحاج والمعتمر مجابة عند الله عز وجل فقال فيما رواه عنه أبو هريرة ﷺ: «**الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه، أجابهم، وإن استغفروه، غفر لهم**»[٢].

والحاج في حفظ الله عز وجل، قال ﷺ: «**ثلاثة في ضمان الله عز وجل: رجل خرج إلى المسجد من مساجد الله، ورجل خرج غازيًا في سبيل الله، ورجل خرج حاجًا**»[٣] والحج أو العمرة جهاد لا نصب ولا شوكة فيه، فقد جاء رجل إلى الحبيب ﷺ فقال له: يا رسول الله، إني جبان، وإني ضعيف، فقال له النبي ﷺ: «**الحج**».

وجاء في حديث آخر عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**جهاد الكبير، والضعيف، والمرأة: الحج والعمرة**»[٤].

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني والحاكم والبزار وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٣٦٠) وصحيح الترغيب (١١١٢).

(٢) **صحيح**: رواه ابن حبان والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١١٠٩).

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني عن الحسن بن علي ورواته ثقات كما في الترغيب للألباني (١٠٩٨).

(٤) **حسن**: رواه النسائي وحسنه الألباني في الترغيب برقم (١١٠٠).

وفي سنن ابن ماجة من حديث أم سلمة ﵂ أنه ﷺ قال: «**الحج جهاد كل ضعيف**»(١).

وهذا الثواب العظيم الذي رأيتموه في الأحاديث السابقة، إنما هو لمن أخلص قلبه لله وأخلص في أعمال الحج أو العمرة.. فلا يقصد المسلم بحجه رياءً ولا سمعة، ولا مباهاة ولا فخرًا، ولا خيلاء، فلا يقصد به إلا وجه الله عز وجل ورضوانه، ويتواضع في حجه ويستكين ويخشع لربه، فعن أنس ﵁ أنَّ النبي ﷺ حج على رحل رث، وقطيفة خلقة، تساوى أربعة دراهم، أو لا تساوي ثم قال: «**اللهمَّ حجة لا رياء فيها ولا سمعة**»(٢).

قال رجل لابن عمر ﵄: ما أكثر الحاج! فقال ابن عمر: ما أقلهم!

ثم رأى رجلاً على بعير على رحل رث، خطامه حبل، فقال: لعلَّ هذا.

وقال شريح: الحاج قليل، والركبان كثير، ما أكثر من يعمل الخير، ولكن ما أقل الذين يريدون وجهه.

خليلي قطَّاع الفيافي إلى الحمى
كثير وأما الواصلون قليل
وجوه عليها للقبول علامة
وليس على كل الوجوه قبول

قال أحد التابعين: ربَّ محرم يقول: لبيك اللهم لبيك، فيقول الله له: لا لبيك ولا سعديك، هذا مردود عليك.. قيل له: لم؟

قال: لعله اشترى ناقة بخمسمائة درهم، ورحلاً بمائتي درهم، ومفرشًا بكذا وكذا، ثم ركب ناقته، ورجَّل شعره، ونظر في عطفيه- أي كبرًا- فذلك الذي يُرد عليه.

---

(١) **حسن**: حسنه الألباني.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي في الشمائل وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (١١٢٢) وابن ماجة (٢٨٩٠) وفي السلسلة الصحيحة (٢٦١٧).

ومن هنا استحب للحاج أن يكون شعثًا أغبر.. وفي حديث المباهاة يوم عرفة أن الله عز وجل يقول لملائكته: «**انظروا إلى عبادي، أتوني شعثًا غبرًا ضاحين اشهدوا أني قد غفرت لهم**»[(١)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: من الحاج؟ فقال له ﷺ: «**الشعث التفل**»[(٢)].

والشعث هو المغبر الرأس من عدم الغسل، مفرق الشعر، من عدم المشط، وحاصلة: تارك الزينة.

والتفل: أي تارك الطيب، من التفل وهو الريح الكريهة، والمقصود من ذلك بعد الحاج عن أسباب التفاخر والتكاثر، لئلا يكتب من المتكبرين المترفين، فيخرج من حزب الصالحين..

وينبغي على الحاج أن يكون ماله حلال طيب، من كسب حلال، متقيًا الحرام..

ذكر ابن رجب في لطائفة أن رجلاً مات وهو في طريقه إلى مكة المكرمة، فحفروا له ودفنوه، ونسوا الفأس في لحده، فكشفوا عنه التراب، ليأخذوا الفأس، فإذا رأسه وعنقه قد جُمعا في حلقة الفأس، فردوا عليه التراب، ورجعوا إلى أهله، فسألوهم عنه، فقالوا: صحب رجلاً، فأخذ ماله، فكان يحج منه ويغزو.

إذا حججت بمال أصله سحت
فما حججت ولكن حجت العير
لا يقبل الله إلا كل طيبة
ما كل من حج بيت الله مبرور

أحبتي في الله...

إنَّ الحج مدرسة تربوية، يتعلم فيها المسلم الإخلاص، ويتعلم فيها الطهارة، لقد

(١) **صحيح**: رواه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١١٣٢).
(٢) **حسن**: رواه ابن ماجة وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١١٣١).

قال الله لخليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَطَهِّر بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ..﴾ [الحج:٢٦] فما المقصود بالطهارة هنا؟ هل هي طهارة الظاهر فقط؟

أم طهارة الباطن؟ يقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره للآية: قال قتادة ومجاهد: من الشرك..

ويقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله -: الطهارة أنواع:

١- منها الطهارة من الكفر والفسوق، كما يراد بالنجاسة ضد ذلك، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ..﴾ [التوبة:٢٨].

٢- ومنها: الطهارة من الحدث، وضد هذه: نجاسة الحدث.

٣- ومنها: الطهارة من الأعيان الخبيثة، التي هي نجسة.

والحج طهارة حسية وطهارة معنوية، طهارة من الشرك وأدرانه.. طهارة من أرجاس الذنوب والمعاصي، والخطيئات، لذلك فإن رسول الله ﷺ يقول: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»[1] أي طاهرًا مطهرًا من الذنوب والخطايا..

وهو يطوف بالبيت يطوف طاهرًا من الشرك، لأنه يعلم يقينًا أن الطواف خاص بهذا البيت، فلا يجوز الطواف ببيت على وجه الأرض، ولا بالأضرحة، ولا بالأحجار، يعلم أن كل طواف بغير البيت العتيق باطل، وليس عبادة لله عز وجل، إنما هو عبادة لشياطين الإنس والجن..

وإن الحاج بعدما يفرغ من الطواف، يستحب له أن يصلي ركعتين، يقرأ في الأولى بعد فاتحة الكتاب ﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾ وفي الثانية يقرأ (سورة الإخلاص) لما تشتمل عليه هاتان السورتان من توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، ففي السورة الأولى براءة من دين المشركين، وإفراد الله عز وجل بالعبادة، وفي السورة الثانية، إفراد الله بصفات الكمال، وتنزيهه عن صفات النقص، وبذلك يعرف العبد ربه،

---

(١) رواه البخاري.

ويخلص له العبادة، ويتبرأ من عبادة ما سواه، فيطهر نفسه وروحه من دنس الشرك وليتذكر الحاج وهو يطوف بالبيت الحرام أستاذه الأعظم، ونبيه الأكرم ﷺ وقد رجع إلى مكة المكرمة بعد أن تركها مدة كبيرة من الزمان، فطاف بالبيت، وكان به ثلاثمائة وستون صنمًا للمشركين، أخذ يكسرها، وهو يقول ﴿**وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾ [الإسراء:٨١].

ومن مظاهر التوحيد في الحج أن أعظم الذكر، الذي يُقال في يوم عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كما قال البشير النذير ﷺ: «**خير الدعاء، دعاء عرفة، وخير ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**» فهذا إعلان للتوحيد الخالص لله عز وجل، وذكر عظيم من الأذكار التي ينبغي أن يواظب عليها الحاج وغيره، وخاصة في أيام الحج.. قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ [البقرة:٢٠٣].

وقال في الحج: ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ..**﴾ [الحج:٢٨].

بذكر الله ترتاح القلوب
ودنيانا بذكراه تطيب
إذا ذكر المحبوب عند حبيبه
ترنح نشوان وحنَّ طروب

فوالله ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا الآخرة إلا بعفوه، ولا الجنة إلا برؤيته وذكر الله عز وجل في هذه الأيام يتجلى في الأعمال العظيمة التي تؤدي في أيام منى من رمى الجمار، وذبح الهدى، وأداء الصلوات الخمس في هذه الأيام المباركة كل هذه الأعمال ذكر لله عز وجل..

فرمى الجمار ذكر لله، ولهذا يقول المسلم عند رمى كل حصاة: (الله أكبر) وذبح الهدى ذكر لله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٦، ٣٧].

ومن هنا يُعلم أن الذبح عبادة لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل، فلا نذبح على قبر فلان أو فلان، ولا لأجل الولي فلان، ولا سيدي علان، لأن الذبح عبادة، وصرف العبادة لغير الله تعالى شرك وكفر- والعياذ بالله- والله عز وجل يقول في كتابه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

والحج يعلم المسلم البذل والتضحية، لذلك كان الحج بابًا من أبواب الجهاد، أليس الحاج يترك وطنه وأهله وأحبابه؟ أليس الحاج يبذل ماله قربة لله تعالى؟ أليس الحاج يجاهد نفسه ويخلع ثيابه، ويتجرد من كل شيء طاعة لله، وامتثالاً لأمره؟ وهذا لون من ألوان الجهاد بالمال والجهد والوقت.

الحج فيه تأس بأبينا إبراهيم الخليل عليه السلام، الذي أمره الله تعالى أن يؤذن في الناس بالحج، وكتب الله لمن شاء من عباده أن يلبوا هذا النداء رجالاً أو ركبانا في الحج اقتداء بالصالحين، وتأسى بمن أمرنا الله تعالى أن نتأسى بهم، ونجعلهم قدوة حسنة لنا، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ..﴾ [الممتحنة: ٤] وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ..﴾ [الممتحنة: ٦].

الحج رحلة إلى الديار المقدسة، مهبط الوحي، ومتنزل التشريع..

بلاد بها الرحمن ألقى ضياءه

على لابتيها والعوالم غيب

إذا نسـب الناس البـــلاد رأيتـــهـــا

إلى جنة الفـــردوس تعـــزى وتنسب

وإن نصـــبت أنهـارها فـــبـــحـــبـهـــا

من الدين نهـــر للهـــدى ليس ينضب

تفـــجـــر من نبع النبـــوة مـــاؤها

له الحق ورد السـماحـــة مشـــرب

نســأل الله العظيم الحليم الكريم رب العـرش العظيم أن يرزقنا حج بيته الحـرام وزيارة حبيبه ومصطفاه ﷺ . .

اللهمَّ وجـهنا الوجهـة التي ترضاها، ويسـر أحوالنـا، واجبر كسرنا، وأحسن خاتمتنا، ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم. . بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين. .

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٩٣)

* تعجلوا الحج *

عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**تعجلوا الحج فإن أحد لا يدرى ما يعرض له**» (١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

الحج أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، ودعائمه الخمس، وفرض من فروضه دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، وهو فرض عين على المكلف المستطيع مرة واحدة في العمر، ومن أنكر ذلك، فقد كفر، إلا إذا كان حديث عهد بالإسلام، أو نشأ في بادية بعيدة عن العلم وأهله..

قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ [آل عمران:٩٧] وقال سبحانه: ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ..**﴾ [البقرة:١٩٦].

وآيات أخرى وكلها صريحة في إيجاب الحج حيث قال تعالى: ﴿**ولله على الناس**﴾ وكلمة (على) للإيجاب، وقال في آخر الآية: ﴿**وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران:٩٧].

قال ابن العربي ـ رحمه الله ـ: قال علماؤنا: هذا من آكد ألفاظ الوجوب عند العرب، فإذا قال العربي: عليَّ كذا، فقد وكده وأوجبه.. قال: وذكر الله الحج بأبلغ ألفاظ الوجوب تأكيداً لحقه، وتعظيمًا لحرمته، وتقوية لفرضه..

وهذه الوصية التي نعيش تحت ظلالها، تدل دلالة واضحة وقاطعة على وجوب الحج والإسراع قدر المستطاع في تحقيق هذا الفرض.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده (٢٨٦٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٥٧).

فحرى بالمسلم أن يبادر لإبراء ذمته، وأداء ما عليه من فرائض وواجبات نحو ربه ومولاه، قبل أن تقول نفس: يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله، وقبل أن يندم فلا ينفع ندمه..

وقد جاءت أحاديث في السنة المطهرة تؤكد على وجوب الحج، قام رسول الله ﷺ في أصحابه خطيبًا يومًا من الأيام، فقال: «**أيها الناس، إنَّ الله قد فرض عليكم الحج فحجوا**» فقام رجل وقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت رسول الله ولم يجبه فكرر السؤال ثلاثًا.. فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلت نعم، لوجبت، ولما استطعتم**» ثم قال: «**ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء، فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء، فدعوه**»[1].

فهي شعيرة عظيمة من شعائر ديننا العظيم، وفرض فرضه الله على المستطيع من عباده مرة واحدة في العمر.. ومنكره كافر..

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا من كان عنده جدة- أي قدرة واستطاعة- ولم يحج، فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين.

وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه: «استكثروا من الطواف بهذا البيت، قبل أن يحال بينكم وبينه».

أحبتي في الله...

إن بيت الله الحرام، هو منارة التوحيد، بناه إمام الموحدين خليل الرحمن عليه السلام وأمره مولاه أن يطهره من الرجس والأوثان ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾ [الحج:٢٦] وللبيت الحرام قصة عجيبة، لقد جاء الخليل إبراهيم بهاجر ولدها إسماعيل، وهو طفل

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه.

رضيع، ووضعهما عند بيت الله الحرام، عند دوحة عند زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، ليس بها ماء ولا زرع، ووضعهما هناك، ووضع عندهما ماء وتمرًا سرعان ما نفذ، وقبل أن يرحل من عندهما، تبعته أم إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب؟ أتذهب وتتركنا في هذا الوادي، الذي ليس فيه أنيس ولا جليس قالت ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا.. إنه درس عظيم من سيدة عظيمة في التوكل على الله عز وجل، وفي الثقة بمن خلق الكون كله.. ونبينا محمدٌ ﷺ يقول: «**لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»(١).

ثم انطلق الخليل عليه السلام، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات الطيبات المباركات: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾ [إبراهيم:٣٧] وجعلت أم إسماعيل تشرب من هذا الماء وتأكل من هذا التمر، حتى نفذ الماء الذي في السقاء، فعطشت عطشًا شديدًا، وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه، وهو يتلوى، فانطلقت كراهة أن تنظر إليه، فقامت على الصفا ثم استقبلت الوادي تنظر، هل ترى أحدًا؟ فلم تر أحدًا، ثم أتت المروة، فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحدًا، فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات، فلما أشرفت على المروة، سمعت صوتًا، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه، حتى ظهر الماء، فجعلت تحوطه بيدها، فشربت وأرضعت، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن هذا البيت يبنيه هذا الغلام وأبوه.

ويبنى الخليل إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام البيت الحرام، ولما تم البناء، أمر الله الخليل أن يؤذن في الناس بالحج، وهو واقف على جبل أبي قبيس ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾ [الحج:٢٧].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي وابن ماجة وقال الترمذي: حسن صحيح والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٢٥٤) والصحيحة برقم (٣١٠).

فقال إبراهيم: يا رب، وما يبلغ صوتي؟ صوتي ضعيف، كيف يصل إلى الناس؟ فقال له ربه: عليك الأذان، وعلينا البلاغ، فصعد على الجبل، وقال: يا أيها الناس، إن ربكم قد بنى بيتًا فحجوه، فيقال: إنَّ الجبال تواضعت حتى بلغ صوت إبراهيم أرجاء الأرض، حتى سمعه كل مخلوق، سمعه كل شيء من حجر وشجر ومدر ومن الله كتب له أنه يحج إلى يوم القيامة، لبت الأرواح في عالمها: لبيك اللهمَّ لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك..

أحبتي الكرام...

وقد حث النبي المصطفى ﷺ على حج بيت الله الحرام، ورغب فيه، وأنه يهدم ما قبله من الذنوب، والسيئات.. فعن عمرو بن العاص، قال: لما جعل الله الإسلام في قلبي، أتيت رسول الله ﷺ فقلت له: ابسط يدك أبايعك فبسط رسول الله ﷺ يده، فقبضت يدي، فقال: «**مالك يا عمرو؟**» قلت: أشترط، قال: «**تشترط ماذا؟**» قلت: أن يغفر لي، فقال لي رسول الله: «**أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما قبله؟ وأنَّ الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟**»[(١)].

فسبحان من جعل بيته الحرام مثابة للناس وأمنًا، يترددون إليه، ويرجعون منه، ولا يرون أنهم قضوا منه وطرًا..

لما أضاف الله عز وجل ذلك البيت إلى نفسه، ونسبه إليه بقوله عز وجل لخليله: ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ**..﴾ [الحج:٢٦] تعلقت قلوب المحبين ببيت محبوبهم، فكلما ذكر لهم ذلك البيت الحرام حنوا إليه، وكلما تذكروا بعدهم عنه أنُّوا..

الحاج يعود بعد حجته كيوم ولدته أمه، قال النبي المصطفى، والرسول المجتبى ﷺ: «**من حج فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه، كيوم ولدته أمه**»[(٢)].

الحج أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله، والجهاد في سبيله: فقد سئل النبي ﷺ أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله ورسوله**».

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

قيل: ثم ماذا؟ قال: «**ثم جهاد في سبيل الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**العمرة إلى العمرة، كفارة لما بينهما، والحج المبرور، ليس له جزاء إلا الجنة**»(٢).

والحج المبرور ما اجتمع فيه فعل أعمال البر مع اجتناب أعمال الإثم، وعن جابر ابن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل عن بر الحج، فقال: «**إطعام الطعام، وطيب الكلام**»(٣).

وقيل للحسن البصري ـ رحمه الله ـ: الحج المبرور جزاؤه الجنة؟ قال: آية ذلك أن يرجع زاهدًا في الدنيا، راغبًا في الآخرة..

وقيل له: جزاء الحج المبرور المغفرة، قال: آية ذلك: أن يدع سيِّئ ما كان عليه من العمل.

الحج المبرور مثل حج إبراهيم بن أدهم مع رفيقه الرجل الصالح، الذي صحبه من بلخ، فرجع من حج زاهدًا في الدنيا، راغبًا في الآخرة، وخرج عن ملكه وماله، وأهله وعشيرته، وبلاده، واختار بلاد الغربة، وقنع بالأكل من عمل يده، إما من الحصاد، أو من نظارة البساتين.

الحج هجرة إلى الله عز وجل، استجابة لدعوته. إنه موسم دوري يلتقي فيه المسلمون كل عام على أصفى العلاقات وأتقاها، ليشهدوا منافع لهم على أكرم بقعة شرفها الله عز وجل..

في الحج إعلان لمبدأ المساواة بين الناس، وتتجلى المساواة بأعظم صورها الواقعية عند وقوفهم جميعًا في صعيد عرفات، لا تفاضل بينهم في أي عرض من أعراض

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٨٣) وصححه ووافقه الذهبي.

الدنيا الزائلة، بل التفاضل والفوز والفلاح بالتقى، قال تعالى مقررًا هذا المبدأ السامي: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم..﴾ [الحجرات:١٣].

في الحج تذكرة بيوم لقاء الله عز وجل، يوم يخرج الناس من قبورهم، كذلك الحاج وهو لابس لملابس الإحرام، جميع الحجاج يلبسون ملابس الإحرام، كأكفان الموتى.. إنه تلخيص للحياة، فحين ينزل الإنسان من بطن أمه ينزل عاريًا، فيلف في قطعة من القماش، وعندما يفارق الحياة، يخرج منها، يلف في قطعة من القماش تسمى الكفن، والحاج بملابس الإحرام التي تشبه الكفن.. لكن الإنسان يخرج إلى الحياة الدنيوية وهو طفل صغير، ليس له ذنوب، قابض كفيه، كأنه يريد أن يجمع الدنيا بينهما، لكن حين يفارق الدنيا، يفارقها وكله ذنوب، وباسط يديه، كأنه يريد أن يقول لمن حوله: هذه يدي فارغة لم آخذ من الدنيا قليلاً ولا كثيرًا..

باسط يديه، ولسان حاله يقول: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ في أداء مناسك الحج تتجلى مظاهر التوحيد، فقد قال الله عز وجل: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ..﴾ [البقرة:١٩٦] فهذا يدل على أن كل حج وعمرة لا يتوفر فيهما التوحيد، فليسا مقبولين عند الله عز وجل..

في رفع الصوت بعد الإحرام بالتلبية، ونفي الشريك عنه، وإعلان انفراده بالحمد والنعمة والملك، مظهر عظيم من مظاهر التوحيد الخالص.. لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك..

إن المحرم يرددها بين كل فترة وأخرى، حتى يشرعوا في أداء المناسك..

كان سيدنا أنس بن مالك ﷺ يلبي ويقول: لبيك بحجة حقًا، لبيك تعبدًا ورقًا.. وكلها إعلان بتوحيد الله عز وجل، وإدامة للطاعة والعبودية له، والاعتراف بفضله سبحانه، وهي في نفس الوقت مجانبة للمشركين الذين كانوا يلبون تلبية

الشرك قائلين فيها: (لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك) لكن المسلم حين يلبى يستشعر قيمة العقيدة التي توحد قلوب العباد، ويعلم يقينًا أن الكون كله متجاوب معه، لأن رسول الله الذي صدقه، وعلم أن ما جاء به هو الحق، أخبره، فقال: «**ما من ملب يلبى، إلا لبى ما عن يمينه وشماله، من حجر أو مدر، حتى تنقطع الأرض من ههنا وههنا**»(١).

كما يشعر المسلم بأنه بتلك التلبية المشتملة على التوحيد، مستجيب لله وللرسول قال مولانا سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ [الأنفال: ٢٤].

وعن أبي سعيد بن المعلي ﷺ قال: كنت أصلي فمر بي النبي ﷺ فدعاني، فلم آته حتى صليت، ثم أتيته، فقال لي: «**ما منعك أن تأتي؟** ألم يقل الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ..**﴾» ثم قال: «**لأعلمنك أعظم سورة في القرآن..**» فعلمه سورة الفاتحة والتلبية يتجلى فيها الإخلاص بأسمى معانيه، فهي كلمات عظيمة لها دلالات كبيرة في تحقيق الإيمان والتوحيد لأنها تعنى الاستجابة لله تعالى، والإقرار به، كما أنها تشتمل على معاني المحبة والإجلال والتعظيم لله عز وجل، لأن عبارة (لبيك) لا تصدر إلا ممن يحب، ولا يستحق ذلك كمالاً وتقديسًا وتعظيمًا إلا ربنا عز وجل، فالتلبية من اللب، ولب الشيء خلاصته..

وفيها إثبات لصفات الكمال لله عز وجل، والإقرار به، مثل الكلام والسمع والقرب، وإعلان التلبية من المسلم هي تهيئة للنفس للاستجابة لدين الله وشرعه، والاستعداد لقبول أوامر الله وسنة رسوله ﷺ في أعمال الحج وغيرها، والكف عن المحظورات، وأنَّ العبد مستعد لإصلاح شأنه ظاهرًا وباطنًا.

أحبتي في الله...

وفريضة الحج تعتبر تحدٍّ لعُبَّاد العقل، ودعوة إلى الإيمان بالغيب، واتباع الأمر

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٩٢).

المجرد بعيدًا عن العادات والمألوفات، والحضارة المصطنعة والمجتمع القاسي فالبيت الحرام يزوره الناس من كل فج عميق، شعثًا غبرًا، متواضعين لرب ذلك البيت ومستكينين له خضوعًا لجلاله، ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم، وأتم في إذعانهم، وانقيادهم، ولذلك فرض عليهم في الحج أعمالاً لا تهتدي لمعانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار، وبمثل هذه الأعمال تظهر كمال عبودية العبد لله عز وجل.. ﴿**الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ..**﴾ [العنكبوت: ١-٣].

والحكمة ظاهرة في الصلاة والزكاة والصيام، أما أعمال الحج فلا اهتداء للعقل إلى معانيها، فلا يكون في الإقدام عليها إلا باعث الأمر المجرد، وقصد الامتثال لأوامر الله عز وجل.. وعباد الرحمن إذا عرض لهم الشيطان بخاطر أو وساوس، فقال لهم: سعت هاجر، فلماذا تسعون؟ ورمى إبراهيم الخليل، لما عرض له إبليس، فلماذا ترمى؟ فاعلموا أنها وسوسة، ولابد من إرغام أنف الشيطان..

ولا يملك المسلم في النهاية إلا أن يهتف قائلاً: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

أحبتي في الله...

لكن هل الحج يجب على الفور أم على التراخي؟

وهذه مسألة محل خلاف بين العلماء، وقد نقلت لكم هنا كلام الإمام النووي - رحمه الله- في كتابة (المجموع شرح المهذب) جـ٧ ص١٠٤-١٠٦.

في مذاهب العلماء في كون الحج على الفور أو التراخي قد ذكرنا أن مذهبنا أنه على التراخي وبه قال الأوزاعي والثوري ومحمد بن الحسن ونقله الماوردي عن ابن عباس وأنس وجابر وعطاء وطاوس - رضي الله تعالى عنهم - وقال مالك وأبو يوسف هو على الفور وهو قول المزني كما سبق وهو قول جمهور أصحاب أبي حنيفة

ولا نص لأبي حنيفة في ذلك واحتج لهم بقوله تعالى ﴿وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ﴾ وهذا أمر والأمر يقتضي الفور وبحديث ابن عباس السابق في هذا الفصل: «من أراد الحج فليعجل»، وبالحديث الآخر السابق: من لم يمنعه من الحج حاجة أو مرض حابس أو سلطان جائر فيمت إن شاء يهوديًّا أو نصرانيًّا، ولأنها عبادة تجب الكفارة بإفسادها فوجبت على الفور كالصوم ولأنها عبادة تتعلق بقطع مسافة بعيدة كالجهاد قالوا ولأنه إذا لزمه الحج وأخره إما أن تقولوا يموت عاصيًا وإما غير عاص (فإن قلتم) ليس بعاص خرج الحج عن كونه واجبًا وإن (قلتم) عاص فأما أن تقولوا عصى بالموت أو بالتأخير ولا يجوز أن يعصى بالموت إذ لا صنع له فيه فثبت أنه بالتأخير فدل على وجوبه على الفور واحتج الشافعي والأصحاب بأن فريضة الحج نزلت بعد الهجرة وفتح رسول الله ﷺ مكة في رمضان سنة ثمان وانصرف عنها في شوال من سنته واستخلف عتاب بن أسيد فأقام الناس الحج سنة ثمان بأمر رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ مقيما بالمدينة هو وأزواجه وعامة أصحابه ثم غزا غزوة تبوك في سنة تسع وانصرف عنها قبل الحج فبعث أبا بكر - رضي الله تعالى عنه - فأقام الناس الحج سنة تسع ورسول الله ﷺ هو وأزواجه وعامة أصحابه قادرين على الحج غير مشتغلين بقتال ولا غيره ثم حج النبي ﷺ بأزواجه وأصحابه كلهم سنة عشر فدل على جواز تأخيره هذا دليل الشافعي وجمهور الأصحاب قال البيهقي وهذا الذي ذكره الشافعي مأخوذ من الأخبار قال (فأما) نزول فرض الحج بعد الهجرة فكما قال واستدل أصحابنا له بحديث كعب بن عجرة قال: وقف على رسول الله ﷺ بالحديبية ورأسي يتهافت قملا، فقال: يؤذيك هوامك؟ قلت: نعم يا رسول الله، فقال: قد أذاك هوام رأسك؟ قال: نعم. قال: فاحلق رأسك.

قال: ففي نزلت هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ..﴾ رواه البخاري ومسلم. قال أصحابنا- أي الشافعية: فثبت بهذا الحديث أن قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ..﴾ نزلت سنة ست من الهجرة، وهذه الآية دالة على وجوب الحج، ونزل بعدها قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ وقد أجمع المسلمون على أن الحديبية كانت سنة ست من الهجرة في ذي القعدة، وثبت

بالأحاديث الصحيحة، واتفاق العلماء على أن النبي ﷺ غزا حنينًا بعد فتح مكة، وقسم غنائمها، واعتمر من سنته في ذي القعدة، وكان إحرامه بالعمرة من الجعرانة ولم يكن بقي بينه وبين الحج إلا أيامًا يسيرة، فلو كان على الفور، لم يرجع من مكة حتى يحج، مع أنه هو وأصحابه كانوا حينئذ موسرين، فقد غنموا الغنائم الكثيرة، ولا عذر لهم، ولا قتال، ولا شغل آخر، وإنما أخره النبي ﷺ عن سنة ثمان، بيانًا لجواز التأخير، وليتكامل الإسلام والمسلمون، فيحج بهم حجة الوداع، ويحضرها الخلق، فيبلغوا عنه المناسك، لهذا قال في حجة الوداع: «**ليبلغ الشاهد منكم الغائب، ولتأخذوا عني مناسككم**» ونزل فيها قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً**..﴾ [المائدة: ٣].

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبل منا صالح الأعمال، وأن يوفقنا إلى حج بيته الحرام.. اللهمَّ يا عظيم السلطان.. يا قديم الإحسان.. يا كثير الخير يا مقوي كل ضعيف..لا تخيب أمل المؤملين.. ارحم من ناداك وهو يؤمن أنك ربه، وقصدك وأنت حسبه يا ذا الطول والإنعام..

نسألك أن تعصمنا من شر الفتن، وأن تعافينا من البلايا والمحن، وأن تصلح أحوالنا، وتغفر لنا ذنوبنا يا أرحم الراحمين يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٩٤)

* أبغض الحلال عند الله الطلاق *

عن ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس، محرام عليها رائحة الجنة**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام الأفاضل...

لقد حث الإسلام على استمرار الحياة الزوجية، وجعل من أهدافها بناء الأسرة المترابطة المتماسكة، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ [الروم:٢١] فالمودة والألفة وحسن العشرة، والتواصي بالخير، وجميل الخلق، قوام الأسرة، قال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا، أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم**»(٢).

وقد أمر الله تبارك وتعالى الأزواج بمعاشرة الزوجات بالمعروف، والصبر عليهن، حتى ولو كرهوا بعض أخلاقهن.. قال تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً**﴾ [النساء:١٩].

وقال ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا، رضي منها خلقًا آخر**»(٣).

الزوج ميثاق غليظ، فلا يجوز التسرع في الطلاق، لأن فيه نفورًا عن مواطن الألفة والمودة والرحمة، وإنما يتأنى الرجل ويتريث قبل أن يبادر بغض هذه الأسرة، وهدم هذه المؤسسة، ونقض هذا الميثاق الغليظ، كما وصفه رب العزة والجلال سبحانه وتعالى.. ولابد أن يلجأ إلى حل آخر..

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٠٦).

(٢) **حسن صحيح**: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح وابن حبان في صحيحه الألباني في صحيح الترغيب (١٩٢٣).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم وغيره.

إذا كان النشوز من المرأة، فلابد من المراحل التي بينتها شريعة الإسلام:

المرحلة الأولى: التأديب والوعظ..

المرحلة الثانية: الهجر في المضجع..

المرحلة الثالثة: الضرب عند اللزوم، ويكون ضربًا غير مبرح.. في غير المقتل وفي غير الوجه.. لا يكسر عظمًا.. ولا يدمى لحمًا..

ثم اللجوء بعد ذلك إلى حكم من أهله، وحكم من أهلها، كما بين ربنا سبحانه: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا..** ﴾ [النساء: ٣٥].

والحكم هو الإنسان القادر على الحكم.. ولابد أن يكون صاحب رأى، ولابد أن يكون هذا الصلح خالي من الأغراض الدنيوية، ولابد أن يكون حريصًا على الإصلاح والتوفيق.. ولهذا حينما بعث عمر بن الخطاب ﷺ رجلين ليصلحا بين زوجين، ثم عادا، فسألهما: ماذا صنعتما؟ قالا: يا أمير المؤمنين، حاولنا أن نصلح بينهما فأخفقنا..

فقال لهما: أصلحا نيتكما وعودا.. عودا بنية جديدة.. فعاد الرجلان مرة ثانية للصلح، فوفقهما الله تعالى للإصلاح بين الزوجين، فرجعا إلى أمير المؤمنين، وقال لهما: ماذا صنعتما؟

قالا: يا أمير المؤمنين، أصلح الله بينهما.. قال: صدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ **إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا..** ﴾ [النساء: ٣٥].

ولذلك نرى رسول الله ﷺ يهدد النسوة اللائي يطلبن من أزواجهن الطلاق بغير سبب، ويحذرهن في هذه الوصية التي نحن بصدد الحديث عنها، وتحت ظلالها، فيقول: «**أيما امرأة سألت زوجها طلاقًا من غير بأس، فحرام عليها رائحة الجنة**» فلا يجوز للمرأة طلب الطلاق لأتفه الأسباب، ولا يجوز للرجل أن يطلق زوجته من غير ما سبب قاهر، يضطره إلى الطلاق، لأنه سيدمر هذه الأسرة، وهذا البنيان، إنه

سوف يشتت هؤلاء الأبناء، ويكون من وراء ذلك الخيبة والخسران.. وروى أبو داود وابن ماجة والحاكم وغيرهم بإسناد ضعيف من حديث ابن عمر أنه ﷺ قال: «**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**»[(١)].

وفي رواية عند أبي داود بإسناد ضعيف أيضًا من حديث محارب: «**ما أحل الله شيئًا أبغض إليه من الطلاق**»[(٢)] فهو حلال لكن بضوابطه وشروطه.. فإذا طلق الرجل المرأة والحال بينهما مستقيمة، فهذا طلاق محرم.. الله تعالى يقول: ﴿**فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً**﴾ إذا تركت المرأة النشوز، وعادت إلى رحاب الطاعة فلا تكن باغيًا، لا تكن ظالمًا فتطلقها من غير سبب..

ويكون أحسن وسيلة لإنهاء العلاقة الزوجية عند تعذر استمرارها، عندما تفشل كل مساعي الوفاق والصلح بين الزوجين..

والقرآن الكريم جعل التطليق بين المرء وزوجه من عمل السحرة الكفرة، يفرقون به بين المرء وزوجه، قال تعالى: ﴿**يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ**﴾ [البقرة:١٠٢] واعتبر إبليس من يقوم بالتفريق بين المرء وزوجه من أعظم جنوده ففي صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد من حديث جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة، أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلتُ كذا وكذا، فيقول له: ما صنعت شيئًا.. ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت**»[(٣)] قال الأعمش: أراه قال: فليتزمه..

وفي بعض الروايات أنه- أي إبليس يلبسه التاج على رأسه.. لماذا؟ لأنه استطاع أن يهدم الأسرة، ويفرق شملها..

---

(١) **ضعيف**: ضعفه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١٧٨) وضعيف سنن ابن ماجة (٢٠١٨).
(٢) ضعيف الجامع (٤٩٨٦) وضعيف أبي داود (٢١٧٧).
(٣) رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

أحبتي الكرام...

وقد نفى المعلم الأعظم، والرسول الأكرم ﷺ الإيمان عن من أفسد امرأة على زوجها.. قال ﷺ: «**ليس منا من خبب امرأة على زوجها..**»[1] أي خدعها وأفسدها عليه. كما عند الطبراني في الصغير والأوسط: «**من أفسد امرأة على زوجها فليس منا**»[2].

أحبتي الكرام...

ومن حكمة الشارع الحكيم أن جعل الطلاق بيد الزوج، وذلك مراعاة لأمور منها:

١- الحرص على بيت الزوجية من الانهيار، لأن جعل الطلاق بيد الزوجة بما عرف عنها من عاطفة قد تصل بها إلى حد التهور، فيتهدد أمن الأسرة، لكن الرجل أكثر تريثًا، وبعدًا عن الانفعال.

٢- الطلاق يستتبع أمورًا مالية مثل: دفع مؤخر الصداق، ونفقة العدة والمتعة وهي أمور تجبر الرجل على التروي في إيقاع الطلاق، إن لم يحمله على ذلك ما هو أكبر، ثم إنَّ المرأة تستطيع أن تشترط لنفسها الحق في الطلاق، كما أن لها أن تنهي الزواج، إذا تعذرت حياتها مع زوجها بطرق أخرى كالخلع وغيره ومع هذا كله نرى ظاهرة الطلاق قد انتشرت بصورة عجيبة في مجتمعاتنا، لماذا؟ ما هو السبب في انتشار الطلاق بهذه الصورة؟

أكد الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء المصري عن ارتفاع عدد المطلقات إلى مليون و٤٩٥ ألف مطلقة بنسبة ٣٤,٥٪ في السنة الأولى من الزواج و١٢,٥٪ السنة الثانية، وأكد أن مصر تشهد حاليًا حالة طلاق كل ست دقائق أي بمعدل ٢٤٠ حالة طلاق يوميًا.. في عام ٢٠٠٦م.

وأكد الدليل الإحصائي لوزارة العدل بالمملكة العربية السعودية أن مجموع عقود الزواج في نفس العام بلغت حوالي ٦٤,٣٣٩ عقدًا، يقابلها ١٥,٦٩٧حالة طلاق مما

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٣٧).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في الأوسط والصغير.

يعني أن نسبة الطلاق في المملكة تبلغ ٢٤٪ بمعنى أن كل ثلاث حالات زواج يقابلها حالة طلاق. .

ودولة الكويت مثلاً في نفس العام وصلت حالات الطلاق بنسبة ٣٥٪ أي يحدث طلاق كل ساعتين و٤٥ دقيقة. .

وكل هذه الحالات والنسب الكبيرة لأسباب تافهة، فهذا يقول:

زوجتي تعصيني وقد يئست من إصلاحها. .

وآخر يقول: زوجتي كانت عنيدة ومتكبرة وعصبية. .

وآخر يقول: زوجتي كانت كثيرة الجحود لما أقدمه لها. .

وهذا يقول: اخترتها على أساس جمالها ومالها، فخرَّ عليَّ السقف وهدمت البيت على رأسي ورأسها. .

وذاك يقول: أم زوجتي كانت متسلطة. . وبسبب تدخلها الأحمق في حياتي تم الطلاق بمباركة منها. . مع أنني كنت أعاملها أحسن مما يعاملها أولادها وذاك يقول: طلقتها لأنها كانت دائمًا متمارضة، ومهملة لبيتها. .

وآخر يقول: إنها قالت لأهلي وأخواتي: إنها صاحبة فضل عليّ. .

أحبتي الكرام...

إن هذه الأسباب كلها مرجعها في البعد عن الدين وتعاليم الإسلام، فلو تتبعنا تعاليم الإسلام، وإرشادات المعلم الأعظم، والرسول الأكرم ﷺ لسعدت الدنيا كلها. .

لو أحسن الزوج اختيار زوجته، فظفر بذات الدين ما حدث الطلاق. .

ولو زوجنا صاحب الخلق الكريم، والسلوك القويم ما وقع ما لا يحمد عقباه لو تفكرنا قبل الزواج وسألنا أنفسنا: لماذا نتزوج؟ لما وقعت المشاكل الزوجية بين الزوجين. .

أحبتي الكرام...

وإن من الأسباب التي تؤدي إلى الطلاق أن تنشغل المرأة عن زوجها، أو ينشغل الرجل عن زوجته.. المرأة تنشغل عن زوجها بأولادها.. تنشغل بصديقاتها تنشغل عنه بعملها.. تنشغل بنفسها.. أو بمالها وغير ذلك.. والرجل يحب أن تهتم به زوجته.. يحب أن تلقاه بكلمة طيبة.. يحب أن تقابله ببسمة حلوة حانية.. الزوج يحب من زوجته أن تظهر له عاطفتها.. لأنه مهما كان الرجل كبيراً فهو طفل صغير مع أهله.. فإذا انشغلت عنه المرأة سرعان ما يملها ويسأمها، وربما فكر في غيرها..

ومثل ذلك الزوجة لو انشغل عنها بعمله، أو بأصدقائه، أو بتجارته.. يسهر الليل ولا يأتي إليها إلا في منتصف الليل.. يأتي لا هم له إلا أن ينام ويستريح من عناء النهار.. أو من عناء سهرته الحمراء مع أصدقاء السوء، فتمله الزوجة وتسأمه، لأنه ما أعطاها ريقًا حلوًا، ومهما صبرت المرأة على هذا الحال.. مهما صبرت.. تصبر يومًا.. شهرًا.. عامًا.. ثم تطلق..

سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة، وقف أمام المرآة يومًا يرجل شعره، ويتطيب ويتعطر، فسأله نافع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلاً له: ما هذا يا ابن عم رسول الله، إليك يضرب الناس أكباد الإبل من شرق وغرب يستفتونك..

قال له: يا نافع، وماذا في هذا، إني أتجمل لامرأتي، كما تتجمل لي، وإني أجد هذا في كتاب الله عز وجل.

قال: هذا في كتاب الله عز وجل؟

قال: نعم، أما قرأت قوله تعالى: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ..** ﴾ [البقرة:٢٢٨] كما أن على المرأة أن تتزين لزوجها، فإن على الزوج أن يتزين لها.. هذا مطلوب في الحياة الزوجية..

سيدنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يقص علينا هذه القصة فيقول: دخلت امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه على نساء النبي ﷺ فرأينها سيئة الهيئة، فقلن لها: مالك.. ما في قريش رجل أغنى من زوجك..

فقالت: ما لنا منه شيء.. أما نهاره فصائم.. وأما ليله فقائم..

فدخل رسول الله ﷺ عليهن، فذكرن ذلك له، فلقيه النبي ﷺ فقال له: **«يا عثمان، أما لك في رسول الله ﷺ أسوة حسنة؟»**

فقال عثمان: وما ذاك يا رسول الله، فداك أبي وأمي؟

فقال له: **«أما أنت فتقوم الليل، وتصوم النهار، وإنَّ لأهلك عليك حقًّا، وإن لجسدك عليك حقًّا، فصلِّ ونم، وصم وأفطر»**[١].

فجاءت امرأة عثمان بعد ذلك متعطرة، وكأنها عروس، فقلن لها: مه- كلمة تعجب- أي ماذا حدث لك؟ فقالت: أصابنا ما أصاب الناس.

أيها الأحبة الكرام...

كذلك من أسباب الطلاق استعلاء الرجل على امرأته.. أو المرأة على زوجها.. يعيرها بأن أهلها فقراء، أو ضعفاء، أو أنهم ليسوا في منزلته من النسب أو الحالة الاجتماعية أو العلمية، أو نحو ذلك.. ألم يعلم هذا الزوج الجاهل أو المرأة الجاهلة أن الكفاءة في الزواج مطلوبة.. نعم الرجل المتدين، صاحب الأخلاق الكريمة، والاستقامة كفء لأي امرأة.. والمرأة المتدينة المستقيمة الكريمة أخلاقها، الطيب سلوكها كفء لأي رجل كان ما كان حسبًا أو نسبًا؟! ألم يقل النبي ﷺ: **«الناس كلهم بنو آدم، وآدم من تراب، لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان»**[٢].

وفي رواية في المسند من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إنَّ الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلين، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، وليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان، التي تدفع بأنفها الفتن»**[٣].

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده بنحوه من حديث عائشة وعبد الرزاق في مصنفه.
(٢) صحيح: رواه البزار عن حذيفة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٦٨).
(٣) حسن: رواه أحمد في مسنده وأبو داود وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨٧).

ألم يعلموا قول الله جل في علاه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ..﴾ فلا يصح أن يستعلي الرجل على امرأته، ولا المرأة على زوجها بحال من الأحوال بعض الناس يطلق زوجته لأنها لم تنجب، وربما كان العيب عنده، وربما كان السبب من القدر.. وبعضهم يطلق زوجته لأنها تنجب البنات، ولا تنجب البنين.. سبحان الله.. أيتدخل في إرادة الله وقدره.. وهو الذي يقول: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

فهذه هبات من رب الأرض والسموات جل في علاه، وقد أثبت العلم الحديث أن الرجل هو المسئول عن هذه القضية، وليس المرأة، وهذا ما أدركته المرأة الأعرابية من زمن قديم، كانت تغني لابنتها الصغيرة، وهي ترى زوجها يتركها ويذهب إلى ضرتها:

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا
تالله ما ذلك في أيدينا
ونحن كالزرع لزارعينا
ننبت ما قد غرسوه فينا

كذلك من أسباب الطلاق: وجود صفات سيئة عند أحد الزوجين:

فبالنسبة للزوج هي على نوعين:

١- زوج يمكن الصبر عليه، ومحاولة تغييره مثل البخل، أو الفقر، أو القسوة في الطباع والعصبية، أو كثرة الخروج من المنزل، وضرب الزوجة وإهانتها.

٢- وهناك أمور لا يمكن الصبر عليها مثل: شرب الخمر، وترك الصلاة، وارتكاب المعاصي والذنوب علانية.. أو وجود مرض نفسي أو عضوي فيه إيذاء لمن حوله.

ومن عجيب الأمر أن أسباب الطلاق في هذا الزمان تثير العجب العجاب، فمن زوجة تطلب الطلاق لاختلافها مع زوجها في اسم المولود. وأخرى تطلب الطلاق بسبب غيرتها من جلوسه على الكمبيوتر، وثالثة تصر على الطلاق بسبب رفضه العمل.. أو لأنها تريد شيئًا وهو لا يريده.. على أتفه الأسباب تصرخ في وجه زوجها، وتقول له: طلقني.. لو كنت رجلاً طلقني.. أمور عجيبة نسأل الله العلي العظيم، رب العرش الكريم أن يصلح أحوال المسلمين..

اللهمَّ اجعل يوم المسلمين خيرًا من أمسهم، واجعل غدهم خيرًا من يومهم، وأحسن عاقبتهم في الأمور كلها..

اللهمَّ أجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.. اللهمَّ اجمع كلمة أمة الإسلام على الهدى، وقلوب المسلمين على التقى، ونفوسهم على المحبة، ونياتهم على الجهاد في سبيلك..

اللهمَّ أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، اللهمَّ انصرنا على أعدائك أعداء الدين، وانصرنا على اليهود الغادرين، وانصرنا على الظالمين.. اللهمَّ رد عنا كيدهم، فإنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٩٥)

* السوق في ميزان الإسلام *

عن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان، وبها ينصب رايته**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

السوق هو المكان الذي يلتقي فيه جانب العرض بالنسبة لسلعة معينة، أو مجموعة من السلع، ويلتقي فيه جانب الطلب فرد أو مجموعة من الأفراد لديهم القدرة على شراء سلعة معينة، أو مجموعة من السلع..

وهذه الوصية تبين وتوضح أن السوق من شر المواضع في الأرض، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**»(٢).

وجعلت المساجد من أحب البلاد إلى الله عز وجل، لأنها بيوت الطاعات، وأساسها على التقوى، وجعلت الأسواق من شرارها، لأنها محل الغش والخداع والربا والأيمان الكاذبة، وإخلاف الوعد، والإعراض عن ذكر الله تعالى وغير ذلك والحب والبغض من الله عز وجل إرادته الخير والشر، أو فعله ذلك بمن أسعده أو أشقاه، والمساجد محل نزول الرحمة، والأسواق ضدها..

وفي هذه الوصية الكريمة المباركة يبين أنها معركة الشيطان..

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ:

قال أهل اللغة: المعركة بفتح الراء موضع القتال لمعاركة الأبطال بعضهم بعضًا

(١) رواه مسلم (٤٤٨٩) في الفضائل.

(٢) رواه مسلم وأحمد والحاكم والألباني في صحيح الجامع (١٦٧).

فيها، ومصارعتهم.. فشبه السوق، وفعل الشيطان بأهلها ونيله منهم بالمعركة، لكثرة ما يقع فيها من أنواع الباطل كالغش والخداع، والأيمان الخائنة، والعقود الفاسدة، والنجش، والبيع على بيع أخيه، والشراء على شرائه، والسوم على سومه، وبخس المكيال والميزان..

وقوله (**وبها تنصب رايته**) إشارة إلى ثبوته هناك، واجتماع أعوانه إليه للتحريش بين الناس، وحملهم على هذه المفاسد المذكورة ونحوها. فهي موضعه وموضع أعوانه.. اهـ.

إن الحديث عن السوق حديث طويل، لكثرة مسائله، وجهل الناس بمعظمها وحاجة الناس اليومية من دخولهم إلى الأسواق لبيع أو شراء أو نحوه، والسوق قديم قدم هذا الإنسان، فقد وجدت الأسواق منذ كثر الناس على سطح المعمورة، وازدحمت، وضاقت بهم البلدان..

وقد أرسل الله عز وجل رسوله شعيبًا عليه السلام إلى أهل مدين برسالة تدعوهم إلى عبادة الله، والالتزام بآداب، وضوابط السوق.

رسالة جمعت بين الأمر بتوحيد الله عز وجل وعبادته، وبين تقويم التاجر حتى لا يعبث باقتصاد المجتمع وسلامته.. قال تعالى: ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٩٣].

والقرآن يفسر بعضه بعضًا، فيقول سبحانه:

﴿**وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ [هود: ٨٤، ٨٥].

وقد كان للعرب في الجاهلية أسواقًا يتبايعون فيها، روى البخاري في صحيحه

عن ابن عباس ﷺ قال: كانت عكاظ ومجنة، وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية، فلما كان الإسلام، فكأنهم تأثموا فيه، فنزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٩٨]

أسواق تنشد فيها الأشعار ونحو ذلك..

وعندما جاء الإسلام أولى للسوق اهتمامًا خاصًّا، فقد دعى هذا الدين إلى العمل بالتجارة، واكتساب المال عن طريقها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ..﴾ [النساء:٢٩] وقال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:١٥].

ولقد كان رسول الله ﷺ يرتاد الأسواق كسبًا للرزق، وطلبًا للمعاش، حتى عاب المشركون عليه ذلك بقولهم: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ..﴾ [الفرقان:٧]

ولما سئل النبي ﷺ عن أطيب الكسب؟ قال: «**عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور**»(١).

قال ابن حجر: والحديث دليل على تقرير ما جبلت عليه الطبائع من طلب المكاسب وإنما سئل عن أطيبها- أي أحلها وأبركها.

ولقمان الحكيم يوصى ولده قائلاً: يا بني، استغن بالكسب الحلال عن الفقر، فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعة في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذا استخفاف الناس به ورحم الله أبا سليمان الداراني، فقد قال:

«وليست العبادة عندنا أن تصف قدميك، وغيرك يقوتك، ولكن ابدأ برغيفيك، فأحرزهما، ثم تعبد».

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٦٩٠) وصحيح الجامع (١٢٦).

وفاروق الإسلام عمر بن الخطاب ﷺ قال: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهمَّ ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا، ولا فضة».

أيها الأحبة الكرام...

وأصحاب النبي الأكرم ﷺ قد اقتدوا به، فكانوا يرتادون الأسواق ويتجرون فيها بأموالهم، ولا يرون في ذلك بأسًا..

فكان أبو بكر الصديق ﷺ بزازًا يتاجر بالبز- أي القماش- وكان يغدو إلى السوق فيبيع ويبتاع، إلى أن فرض له عطاء بعد أن تولى الخلافة بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ.

ثم تأملوا الصحابي المهاجر (عبد الرحمن بن عوف) ﷺ عندما عرض عليه أخوه في الإسلام سعد بن الربيع أن يشاطره ماله، ويختار إحدى زوجتيه فيطلقها له، فيلقى هذا الإيثار النبيل، بعفاف نبيل، ويقول عبد الرحمن لسعد: بارك الله لك في مالك وأهلك، لا حاجة لي في ذلك، وإنما دلني على السوق، لأتجر فيها، فدله سعد عليها، فغدا إليها، فأتى بأقط وسمن، وباع واشترى حتى فتح الله عز وجل عليه..

أيها الأحبة الكرام...

لقد حظي السوق في عهده ﷺ بالاهتمام والرعاية، حتى أنه تعهد بالإشراف والمراقبة عليه، ووضع له ضوابط، وسن له آدابًا، وطهره من كثير من بيوع الجاهلية الفاسدة، المشتملة على الغبن والغش والخداع والربا.. ومنع بيع المحرمات، ومنع إنشاد الشعر فيه، والتفاخر بالأحساب والأنساب، ومنع الاحتكار، وزيادة الأسعار ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ على صُبُره طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال: «**ما هذا يا صاحب الطعام؟**»

فقال: أصابته السماء يا رسول الله..

فقال: «**أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا**».

وفي رواية عند الطبراني: «**من غشنا فليس منا، والمكر والخديعة في النار**»[١].

العرض كان مغريًا، والعيب كان خفيًا، فاستنكر الرسول ﷺ هذا السلوك من التاجر، واعتبره غشًا.. الإسلام حرم الغش..

نظير ذلك في عصرنا المعاصر: سلعة رديئة الصنع تخرج من المصنع، وملصق عليها طابع (تكت) سلعة ممتازة.. فهذا كذب صامت على المشترى غش.. سرقة من مال المشترى من وراء ستار.. خديعة ومكر.. ولذلك اسمعوا إلى حديث النبي المصطفى ﷺ الذي يقول فيه: «**التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء**»[٢].

يا لها من منزلة عظيمة تلقى التاجر الصدوق الأمين يوم القيامة، لو أخلص في بيعه وشرائه ومعاملاته، وكان صادقًا مع نفسه، ومع الله ومع الناس إن صدق البائع والمشترى في بيعهما، بارك الله لهما فيه، وإن كتما العيب محق الله بركة بيعهما، فقد قال النبي ﷺ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «**البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا، بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما، فعسى أن يربحا ربحًا، ويمحق الله بركة بيعهما**»[٣].

ومن الغش إخفاء عيوب السلعة بالأيمان الكاذبة، ورفع قيمتها بالعهود المغلظة، ينبغي أن يعلم أن كثرة البيع، وتضخيم الخزائن بالأيمان الكاذبة، فإن البركة تغيب عن الساحة.. وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «**الحلف منفعة للسلعة ممحقة للبركة**»[٤].

فالبائع قد يحلف للمشترى أنه اشتراها بكذا وكذا، وقد يخرج له فواتير في ذلك فيصدق المشترى، ويأخذها بزيادة على قيمتها، والبائع كذاب، وإنما حلف طمعًا في الزيادة، فهذا يعاقب بمحق البركة.. ولذا جاء هذا التحذير من البشير النذير ﷺ:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي وحسنه وقال الألباني في صحيح الترغيب صحيح لغيره من حديث أبي سعيد الخدري برقم (١٧٨٢).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

«**إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق، ثم يمحق**»[١] وليعلم هذا المسكين أن الرب قد غضب عليه وسخط.. فلو حصل على أموال الدنيا، وأملاكها، وربه غاضب عليه فماذا يفيده؟ بماذا يستفيد من ذلك وربه ساخط؟ يقول النبي ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»[٢].

وليعلم هذا المسكين أن ما عند الله عز وجل لا يُنال إلا بطاعته، وإن تزخرفت الدنيا للعاصي، فإن عاقبتها إضمحلال، وذهاب وعقاب، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رجلاً أقام سلعته، وهو في السوق، فحلف بالله، لقد أعطى بها ما لم يعط، ليوقع فيها رجلاً من المسلمين، فنزل قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٧٧].

أحبتي في الله...

نعود إلى السوق، وهو شر بقعة في الأرض،، لما فيه من أيمان كاذبة وغش وخداع، وغير ذلك.. ينبغي لمن أراد أن يدخل السوق أن يراعى بعض الآداب الإسلامية في ذلك، ومنها:

١- يسن لمن دخل السوق أن يذكر الله تعالى، ويحمده، ويثنى عليه، وذلك لما ورد عنه ﷺ أنه قال: «**من قال حين يدخل السوق: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير كله، وهو على كل شيء قدير، كتب له ألف ألف حسنة، ومحي عنه ألف ألف سيئة، وبني له بيتًا في الجنة**»[٣].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم وأحمد عن أبي ذر وهو في صحيح الجامع برقم (٣٠٦٧).

(٣) **حسن**: حسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة برقم (٢٢٣٥) والتعليق الرغيب (٣/ ٤) وتخريج المختارة (١٧٦، ١٧٧).

فالذكر يحارب الشيطان، وخاصة أن الوصية التي بين أيدينا، أن في السوق معركة الشيطان، وبها ينصب رايته..

٢- يكره لمن دخل السوق أن يرفع صوته بالخصام واللجاج، ورفع الصوت فقد جاء في وصفه ﷺ: «**ولا سخاب في الأسواق**»[(١)].

ومعنى السخب: رفع الصوت بالخصام..

٣- وينبغي المحافظة على نظافة الأسواق، وصيانتها من الأقذار والأوساخ، مما قد يكون سببًا في تعطيل حركة السير، ومصدرًا للروائح الكريهة المؤذية ودليل ذلك ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا اللاعنين**» قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: «**الذي يتخلى في طريق الناس وظلهم**»[(٢)] فالمراد أنه يقضي حاجته في ظلهم وفي طرقاتهم.. فهذا أدب مهم وعزيز في زمننا هذا، إذ الناظر في كثير من أسواق المسلمين يرى فيها العجب العجاب من الأقذار والأوساخ والنتن والروائح الكريهة..

٤- وينبغي لمن دخل السوق أن يفشي السلام على من عرف ومن لم يعرف لينال فاعله الأجر العظيم، والثواب الكثير من الله عز وجل، وذلك لكثرة الناس البائعين والمشترين وغيرهم، قال ﷺ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[(٣)].

الطفيل بن أبي كعب كان يأتي عبد الله بن عمر، فيغدو معه إلى السوق يقول: الطفيل: فإذا غدونا إلى السوق، لم يمر عبد الله بن عمر ﷺ على أحد إلا يُسلم عليه..

قال الطفيل: فجئت عبد الله بن عمر ﷺ يومًا، فاستتبعني إلى السوق، فقلت: ما تصنع بالسوق؟ وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها،

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم وأبو داود.

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة.

ولا تجلس في مجالس السوق، فقال لي عبد الله: يا أبا بطن- وكان الطفيل ذا بطن- إنما نغدو ومن أجل السلام على من لقينا[(١)].

٥- ينبغي أن لا تخرج المرأة إلى السوق من غير ضرورة، أو حاجة، لقوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**﴾ [الأحزاب:٣٣].

فإذا اضطرت المرأة للخروج إلى السوق، لعدم وجود أحد يقوم بشراء مستلزماتها، فيجب عليها أن تخرج وهي ساترة لبدنها، غير كاسية عارية، ولا متزينة، ولا متعطرة.. يقول ﷺ: «**أيما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد، لم تقبل لها صلاة، حتى تغتسل**»[(٢)] هذا إذا كان خروجها إلى المسجد للصلاة، فما بالكم بالسوق؟ واسمع إلى قول الرسول المصطفى ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت ثم خرجت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها، فهي زانية، وكل عين زانية**»[(٣)].

فليتق الله عز وجل الآباء والأزواج، وليتابعوا نساءهم، وبناتهم، ولا يتساهلوا في خروج المرأة إلى السوق، وإن كانت هناك حاجة فلا تذهب المرأة إلا ومعها محرم، فإن الذئاب كثيرة، والتدين ضعيف والنساء ناقصات عقل ودين..

أحبتي في الله...

هذا وينبغي على المسلم إذا نزل السوق أن يحفظ بصره قدر المستطاع قال تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ..**﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

ولا تنسوا سوق الآخرة.. يقول الإمام الغزالي: ولا ينبغي للتاجر أن يشغله

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (١٠٢١) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣١١) ومالك في الموطأ (٢/ ٣٥٩).

(٢) **صحيح**: رواه البيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٧٠٣).

(٣) **حسن**: رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد وحسنه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٢٠١٩) وصحيح سنن النسائي (٥١٢٦).

معاشــه عن معاده، فيكون عــمره ضائعًا، وصفــقته خاسرة ومــا يفوته من الربح في الآخرة لا يفي به ما ينال في الدنيا، فيكون قد اشــترى الحياة الدنيا بالآخرة، والعاقل ينبغي أن يشــفق على نفسه، وشــفقته على نــفسه، بحفظ رأس مــاله، ورأس ماله: دينه . .

فاشتــر نفسك الآن فالسوق قائمــة، والثمن موجود، واستــيقظ من سنة الغفلة، ورقاد الهــوى، وكن خفيف النوم، فــحراس البلد يصبــحون: دنا الصبــاح . . اخرج بالعزم من هذا الــفناء الضيق المحشــو بالآفات . . إلى ذلك الفناء الرحب، الذي فــيه مالاعين رأت . . فهناك لا يتعذر مطلوب، ولا يفقد محبوب . .

اللهمَّ سامحنا عن كل قــبيح نطقت به الألسن، وأكنته ضمائرنا، فنحن لهــيبتك خائفون، ولعزك وعظمتك راجون لجميل رحمتك . .

أمرتنا ففرطنا، ولم تقطع عنا نعمك . . ونهيتنا فعصينا ولم تحرمنا كرمك . .

اللهمَّ ردنا إليك بفضلك ورحمتك، ووفقنا للإقبال عليك، والاشتغال بخدمتك، وتفضل علينا بكرمك وجودك يا أكرم الأكرمين . . يا رب العالمين . .

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٩٦)

* الاستقامة وجزاء المستقيمين *

عن سفيان بن عبد الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً، لا أسأل عنه أحدًا غيرك، فقال ﷺ: «**قل: آمنت بالله، ثم استقم**»[١] صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام...

إن رسولنا ومعلمنا وقائدنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد ﷺ لخص لهذا السائل خصال الإسلام موجزة في كلمتين اثنتين لا ثالث لهما، وهما:

١- الإيمان بالله تعالى وسلامة المعتقد..

٢- الاستقامة على شرع الله تعالى، وموافقة الظاهر للباطن..

وقد جاء في رواية عند الترمذي أنه قال له: حدثني بأمر أعتصم به، قال: **قل: ربي الله، ثم استقم**».

قال: قلت: يا رسول الله، وأخوف ما تخاف عليَّ، فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «**هذا**»[٢].

فالنجاة والفوز والفلاح لا يحصل للعبد إلا بمجموع الأمرين. فما هي الاستقامة؟ ما مدلولها؟ ما الذي يعين على تحقيقها؟ وما ثمارها ونتائجها؟

الاستقامة، وما أدراكم ما الاستقامة؟

إنها أس الديانة، وسبيل السلامة، إذ هي أكبر كرامة في الدنيا، لأنها تؤدي إلى الكرامة الأبدية وهي الجنة..

---

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وذكره الألباني في صحيح الجامع (٤٣٩٥).

(٢) **حسن صحيح**: رواه ابن حبان في صحيح وابن ماجة والحاكم: وقال صحيح الإسناد وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٨٦٢).

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «أعظم الكرامة: لزوم الاستقامة» فلو مشى المرء على الماء، أو طار في الهواء، ما دل ذلك على قبول الله عز وجل له حتى يستقيم على أوامر الله تعالى وطاعته، والبعد عما نهاه عنه.. فهذا هو الضابط الوحيد للكرامة حكي للإمام الشافعي رحمه الله ما قاله الليث بن سعد، فقيه مصر، ومفتيها في زمانه: لو رأيتم الرجل يمشي على الماء، فلا تعتدوا به، ولا تغتروا به، حتى تعرضوه على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

فقال: لقد قصر الليث، لو رأيتم الرجل يمشي على الماء، أو يطير في الهواء، فلا تعتدوا به، ولا تغتروا به حتى تعرضوه على كتاب الله وسنة رسوله، فإن الشيطان يطير من المشرق إلى المغرب.

وما دام الأمر بهذه الخطورة، وتلك الأهمية، حيث إن في الإيمان والاستقامة فلاح الدنيا والآخرة، فينبغي لكل مسلم عاقل أن يسعى لتحقيقه في نفسه ويحرص أن ينال منه حظه.. فما لا يدرك كله، لا يترك جله.. فالكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت.. والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.. كما أخبرنا أستاذ البشرية ﷺ والعاقل من حاسب نفسه قبل أن يحاسب، ووزن أعمالهُ بميزان الشرع قبل أن توزن عليه، وتزين ليوم العرض الأكبر، كما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه فما حقيقة الإيمان؟ وما حقيقة الاستقامة؟

الإيمان ليس كلمة تقال باللسان فحسب ولكن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان.. قال الحبيب ﷺ: **«إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»**(١) وكما قال الحسن البصري رحمه الله: ليس الإسلام بالتمني، ولكن الإيمان ما وقر في القلب، وصدقه العمل.

فمن قال خيرًا وعمل خيرًا، قُبل منه، ومن قال خيرًا، وعمل شرًا، لم يقبل منه لابد أن نعلم أنَّ للإيمان أركانًا، لابد أن يحولها المؤمن في حياته إلى واقع عملي، وإلى منهج حياة.. فمعظم آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن الإيمان جاءت مقترنة

---

(١) رواه مسلم.

بالعمل.. قال مولانا ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [الكهف: ١٠٧]

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ [مريم: ٩٦]

والآيات أكثر من أن تحصى..

بل وقدم مولانا جل في علاه- في آية فذة فريدة العمل الصالح على الإيمان، ليلفت الأنظار إلى أهمية العمل، فقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] فنحن نريد أن نحول الأقوال إلى أفعال..

إنَّ من الأمة الآن من يقول: ربي الله، ومع ذلك فهو يشك في أن الرزاق هو الله.. من الأمة الآن من أشرك في توحيد الربوبية.. لابد أن نحول الإيمان في حياتنا إلى منهج حياة.. وإلى واقع عملي.. وقد حفظنا قديمًا: لكل فعل، رد فعل مساوٍ له في المقدار، ومضاد له في الاتجاه.. فإذا استقرت حقيقة الإيمان في قلبك، فلا بد وحتمًا أن تنعكس على هذه الجوارح، فتسمع الأمر لله، والنهي لله، وتقف عند حدود الله، وشعارك السمع بلا تردد والطاعة بلا انحراف.. ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١، ٥٢]

ووالله لو علمت قريش أن الإيمان مجرد كلمة سترددها الألسن، دون أن تتحول في حياتها إلى واقع ضخم كبير لرددتها مرارًا وتكرارًا، وما دخلت هذا الصراع الرهيب مع ابنها البار، الذي خلعت عليه بالإجماع لقب الصادق الأمين قبل أن يبعث نبيًّا من رب العالمين..

فإذا ردد اللسان، وصدق القلب، وترجمت الجوارح والأعمال، فليستقم المسلم على هذا الدرب، وليستقم على هذا الخير، وعلى هذه الطاعة..

إذن فما هي الاستقامة؟

يقول ابن رجب الحنبلي رحمه الله: وأصل الاستقامة أن يستقيم القلب على التوحيد، فإن استقام القلب على التوحيد، استقامت الجوارح كلها على طاعة العزيز الحميد..

فالقلب هو الأصل.. هو الأداة للإيمان، والاستقامة.. فليحذر المسلم من غفلة قلبه.. أو قسوته أو مرضه.. فكم من الناس مرضت قلوبهم وهم لا يشعرون بل ومن الناس من ماتت قلوبهم وهم لا يشعرون..

قال ابن السماك رحمه الله: كم من مذكر بالله، وهو ناس له، وكم من مخوف من الله، وهو جرئ عليه، وكم من مقرب إلى الله، وهو بعيد عنه.. وكم من تالٍ لكتاب الله، وهو منسلخ عن آياته..

إن استقام قلبك على التوحيد، نجوت.. يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: التوحيد هو الأكسير الأعظم، الذي لو وضعت منه ذرة على جبال من الذنوب لأذابتها.. لكن بشرط تحقق التوحيد، وتجريده وتخليصه لله رب العالمين..

كما جاء في صحيح مسلم من حديث عثمان ﷺ أنه ﷺ قال: **«من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة»**(١).

أحبتي الكرام...

ولأئمة الدين في تعريف الاستقامة ألفاظ وأقوال مختلفة، منها:

١- سئل سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ عن الاستقامة، فقال: «أن لا تشرك بالله شيئًا».

٢- وقال فاروق الأمة عمر بن الخطاب ﷺ: الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب..

٣- وقال عثمان ﷺ: إخلاص العمل لله..

٤- وقال علي ﷺ: الاستقامة: أداء الفرائض..

---

(١) رواه مسلم.

٥- وقال الحسن البصري رحمه الله: استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته..

٦- وقال مجاهد ـ رحمه الله ـ: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله، حتى لحقوا بالله عز وجل..

٧- وقال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: الاستقامة: هي العمل على وفق القول..

٨- وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: الزهد في الفانية، والرغبة في الباقية..

٩- وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: الاستقامة على محبة الله وعبوديته، وعدم الالتفات عنه يمنة أو يسرة..

١٠- وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: الاستقامة كلمة جامعة، آخذ بمجامع الدين وهي القيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق والوفاء..

أحبتي الكرام...

ولقد حثنا ربنا تبارك وتعالى على الاستقامة، وأمر بها عباده في آيات متعددة، وكذلك خص عليها حبيبه ومصطفاه سيدنا محمد ﷺ من هذه الآيات: قوله تعالى في جميع صلواتك.. في كل ركعة تطلب من الله عز وجل، وتتضرع إليه أن يهديك صراطه المستقيم.. ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

أحبتي الكرام...

من أكرم الناس؟ ومن أعبد الناس؟

هل يشك أحدٌ أنه حبيبنا وأستاذنا محمد ﷺ الذي كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فيقال له: لم تفعل ذلك يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ: «**أفلا أكون عبداً شكوراً؟**»[١] وربنا عز وجل خاطبه بقوله:

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] فرسول الله ﷺ أكمل الخلق خشية لله، وأكمل الخلق معرفة بالله، وأكمل الخلق خوفًا من الله، وأعظم الخلق رجاء لله، ومع هذا كله يخاطبه ربه، ويقول له: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود:١١٢] وقال له في آية أخرى: ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ..﴾ [الشورى:١٥].

وقد ذكر العلماء أن للاستقامة أسبابًا، فما هي أسبابها؟

إن من أهم مقومات الاستقامة وركائزها كما ذكرت لكم: استقامة القلب مع قوة القصد والإرادة لما يحبه الله عز وجل ويرضاه، فإنه متى استقام القلب على معرفة الله وتوحيده، والإخلاص له، وحبه ورجائه، والخوف منه، استقامت الجوارح كلها طاعة له..

قال سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه: القلب هو الملك، والأعضاء جنوده ورعاياه، فإن طاب الملك، طابت الجنود والرعايا..

وأستاذ البشرية، الذي علم المتعلمين ﷺ يقول: «**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»(١).

وتتلخص أسباب الاستقامة في الآتي:

أولاً: العلم بالله، وأنه هو الإله المستحق للعبادة وحده دون سواه، وإفراده بالعبادة الظاهرة والباطنة، والعلم بأنه الرب الخالق المدبر، العظيم، الذي ينبغي أن يطاع ولا يعصى، وأنه هو العزيز الذي لا يغلب، ولا يمتنع عليه شيء.

تعصى الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقًا لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وليعلم المرء المسلم الذي يبغى الاستقامة أنه الحكيم الذي لا معقب لحكمه ولا راد لأمره، وأن يتيقن بأن الله مطلع على كل نفس، يعلم سرها، وعلانيتها، رقيب عليها.. ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوه﴾ [البقرة:٢٣٥] فعند ذلك يتولد الحذر من الزيغ والانحراف، لعلم العبد أن الله رقيب عليه، وأنه سيجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بإسأته.. لما مرَّ سيدنا عبد الله بن عمر ﷺ براعٍ للأغنام، وقال له: بعني شاة، فقال الراعي: إني أجير، ولا أملك أن أبيعك شاة.. قال له: إنك ستقبض الثمن وسنعطيك منها لحمًا.. قال: وماذا أقول لسيدي صاحب الغنم؟! قال ابن عمر ﷺ يريد أن يختبر إيمانه، واستقامته، ومراقبته لمولاه: قل له: إنَّ الذئب أكلها..

قال: فماذا أقول لربى حين أقف بين يديه؟!

ثانيًا: لابد أن يكون المسلم راغبًا في الاستقامة، محبًا لها حتى يحصلها، لأنه إذا لم تصاحبه الرغبة في الاستقامة، ضعف إقباله على الخير، وأصبح هدفًا سهلاً للتورط في المعاصي والذنوب، لهذا لما دعا ربنا سبحانه إلى الاستقامة دعا إليها بأسلوب مرغب مشوق، يستهوى الأنفس، ويؤثر في الأعماق من الوعد بالحياة الطيبة الهنية في الدنيا، والأجر العظيم، وحسن العاقبة السعيدة في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُون﴾ [الأحقاف:١٣].

وكان الحسن البصري رحمه الله إذا قرأت آيات الاستقامة يقول: اللهمَّ أنت ربنا، فارزقنا الاستقامة.

فإرادة الخير، وسؤاله الله تحصيله من أهم مقومات حصول الاستقامة..

كما قال مولانا سبحانه: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَها سَعْيَها وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾ [الإسراء:١٩]

ثالثًا: ومن أسباب الاستقامة: لزوم محاسبة النفس، والاستمرار على مجاهدتها قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ..﴾ [الحشر:١٨] وهكذا حال الصالحين، فقد كانوا دائمي المحاسبة لأنفسهم على تفريطها، ودائمًا

يلومونها على تقصيرها، حتى تستقيم وتتأدب عملا بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] فقد كان أبو بكر ﷺ يمسك بلسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد وأما مجاهدة النفس، فأمر مطلوب، لأن أعدى أعداء المسلم هو نفسه التي بين جنبيه، وهي بطبعها ميالة إلى الشر، فرارة من الخير، أمارة بالسوء..

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣] فالنفس تحب الدعة والراحة، وترغب في الكسل والبطالة، وتنجرف مع الهوى، وتستهويها الشهوات العاجلة، حتى ولو كان فيها شقاؤها وهلاكها..

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

والنفس كـالطفل

شب على حب الرضاع

وإن تفطمه ينفطم

وجهاد النفس له جزاؤه الحسن عند الله، كما قال مولانا: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

فعلى المسلم أن يجاهد نفسه في ذات الله، حتى تكون أهلاً لكرامته، ورضاه، وهذا هو دأب الصالحين، الذين جاهدوا في الله حق جهاده، ففازوا برضوانه ورحمته، يخبرنا عنهم سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ فيقول: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ ـ وما رأيت شيئًا يشبههم، كانوا يصبحون شعثًا غبرًا صفرًا، قد باتوا سجدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، وكانوا إذا ذكر الله مادوا، كما يميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم».

أحبتي الكرام..

بعد ما عرفنا أسباب الاستقامة، فما هو جزاء المستقيمين؟ وما هي ثمار الاستقامة؟

ما أكثر والله ثمارها، وما أجلّ نتائجها، وما أفضل عقباها. إن من ورائها السعادة في الدنيا والآخرة..

وليست السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد

كفى أن الملائكة تبشرهم بالنعيم في الدنيا والآخرة.. ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠] وفي وقت تنزل الملائكة على أهل الإيمان والاستقامة قولان:

الأول: قاله مجاهد والسدي وزيد بن أسلم وغيرهم قالوا: «تتنزل الملائكة على أهل الإيمان والاستقامة، وهم على فراش الموت..

إذا نزل بهم الخطب الأعظم.. والأمر الأشنع.. سكرات الموت، التي لا يستطيع أي بليغ أو فصيح مهما أوتي من بلاغة وبيان، أن يعبر عنها على الإطلاق لأن هذا مما لا يدرك إلا إذا واقعه وعاينه الإنسان بنفسه.. ولقد خشيت السيدة عائشة رضي الله عنها على رسول الله ﷺ حينما نزلت به سكرات الموت، كان المصطفى لما نزلت به السكرات يضع يده في ركوة بها ماء، ويمسح العرق عن الجبين الأزهر الأنور، وهو يقول: «**لا إله إلا الله، إنّ للموت لسكرات**»[1] والحديث في البخاري، وعند الإمام أحمد في مسنده: كان يقول: «**لا إله إلا الله، إنّ للموت لسكرات، اللهمَّ هون عليَّ سكرات الموت**»[2].

الموقف رهيب وعصيب- فنسأل الله أن يثبتنا وإياكم على طاعته- في هذه اللحظات لحظات السكرات والضيق والهم.. لحظة أن يعاين الإنسان الحقيقة، تتنزل عليه الملائكة، إن كان من أهل الإيمان والاستقامة، لتبشره بهذه البشارة ﴿..لا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] من أنتم؟ ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ..﴾.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٢٩) باب سكرات الموت.

(٢) **صحيح:** رواه أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها.

جاء في سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحًا، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك، حتى تخرج، ثم يخرج بها إلى السماء فيفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان، فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل**..»(١).

أحبتي الكرام...

والقول الثاني قاله ابن عباس وابن أبي حاتم وغيرهما، قالا: تتنزل الملائكة على أهل الإيمان والاستقامة عند الخروج من القبور، يوم البعث والنشور..

يوم الفضيحة- نسأل الله عز وجل أن يسترنا فوق الأرض، وتحت الأرض، ويوم العرض- تصور شدة الموقف وفظاعته، تصور الكرب الذي يكون الناس فيه.. تظهر الفضائح في هذا اليوم، لأن كل عبد سيبعث من قبره على ما مات عليه من طاعة أو معصية.. ولكم أيها الأحبة أن تتصوروا هذا المشهد الرهيب يقول النبي ﷺ فيما يرويه عنه جابر: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**»(٢) فإن عشت على الاستقامة والطاعة، مت على الطاعة، وبعثت عليها، وإن عشت على المعصية- عافاني الله وإياكم منها- مات صاحب المعصية عليها، وبعث عليها يقول ابن كثير رحمه الله:

لقد أجرى الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء، مات عليه، ومن مات على شيء، بعث عليه..

في هذا اليوم العصيب يخرج أهل الإيمان والاستقامة من القبور، فتستقبلهم ملائكة العزيز الغفور بالبشارات: ﴿**أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ**

---

(١) **صحيح**: صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٢٦٢) وصحيح الجامع (١٩٦٨).

(٢) رواه مسلم (٥١٢٦) باب الأمر بحسن الظن بالله عند الموت.

تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وصدق إمام السعداء، وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ الذي يقول فيه: «**قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل لسانه سليمًا، ولسانه صادقًا، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة، وجعل أذنه مستمعة، وعينه ناظرة**»(١).

وها أنا أذكر بما بدأنا به حين قال الأستاذ الأعظم، والنبي الأكرم لسفيان بن عبد الله جامعًا له كل الخيرات، وملخصًا له أعمال البر قائلاً له: «**قلت: آمنت بالله، ثم استقم**».

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يرزقنا وإياكم الاستقامة على الإيمان والطاعة، وأن يبعثنا ويحشرنا يوم القيامة في زمرة الموحدين، تحت لواء قدوة المحققين، وسيد النبيين، إنه ولي ذلك ومولاه.. وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

❐ ❐ ❐

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده (٢١٢٠٧) بإسناد صححه حمزة الزين في تخريج المسند (١٥/ ٤٨٦) ورواه البيهقي في شعب الإيمان رقم (١٠٣) وحسنه الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٣٢).

الوصية رقم (٩٧)

* اتقوا الله في النساء *

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب يوم عرفة في خطبة الوداع، وقال فيها: «**اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، وإن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك، فاضربوهن ضربًا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن، وكسوتهن بالمعروف**»[١] صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

ها هو رسولنا وحبيبنا ومصطفانا ﷺ يحثنا على أن نتقي الله في النساء بمراعاة حقوقهن، والوصية بهن، ومعاشرتهن بالمعروف.. وبهذا نستطيع أن نرد على من ظلموا الإسلام، وقالوا عنه بأنه قد ظلم المرأة.. فهناك بالفعل من يظلمها ويعتبرها مخلوقًا خلق لخدمة الرجل.. وهناك من يدلل المرأة، ويريد أن يطلق لها العنان لتعيث في الأرض فسادًا.. وتصبح آلة من آلات اللهو المحرم.. وبين هذين الفريقين يأتي المنهج الوسط، الذي جاء به إسلامنا وجهله للأسف كثير من الناس.. بعضهم شكك في المرأة وقال: هل المرأة لها روح كروح الرجل؟ وبعضهم قال: هل هي مسئولة كما أن الرجل مسئول؟ وبعضهم حرمها من أن تتدين، وقال: إن الدين للرجال وليس للنساء.. وبعضهم قال: إنها لا تدخل الجنة.. لكن الإسلام جاء ليرفع عنها كل هذه الجاهليات، وكل هذا الظلم.. جعل الإسلام مع الرجل سواء بسواء في العمل والجزاء من الله عز وجل فقال سبحانه: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٩٧].

وقال: ﴿**مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [غافر: ٤٠].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٢١٨) في كتاب الحج.

وقال: ﴿من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيراً ﴿١٢٣﴾ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

فالعمل الصالح مقبول عند الله عز وجل سواء صدر من الرجل أو من المرأة فكلاهما سواء والعمل السيئ يجازى به الله عز وجل الذكر والأنثى كلاهما سواء عند الله عز وجل وهذا من عدل الله عز وجل وفضله وكرمه.. فهو سبحانه رب الجميع، وخالق الجميع، وإله الجميع.. وهو سبحانه الذي قرر مسئولية كل من الرجل والمرأة، وقرر وحدة الجزاء، والمصير بالنسبة لهما..

أحبتي الكرام...

والإنسان لا يستطيع أن يعيش في هذا الكون وحده، ولذلك خلق الله عز وجل هذا الكون كله على سنة الازدواج على قاعدة الزوجية.. كل شيء يحتاج إلى ما يقابله.. قال مولانا سبحانه: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩] حتى أنه خلق في الحيوان (الذكر والأنثى) وفي الطيور كذلك، وفي النبات نجده كذلك ذكر وأنثى.. ونرى الموجب والسالب في الكهرباء وفي الذرة..

ولهذا لما خلق الله آدم وأسكنه الجنة لم يدعه وحده بل خلق له حواء ليسكن إليها، وهذا معناه أنه خلقها خلقًا مستقلاً لم يحدثنا عنه كما حدث عن خلق آدم إنما خلق حواء لتكون أنيسًا لآدم عليه السلام وشريكًا له فيما يريده الله عز وجل بعد ذلك من الاستخلاف في الأرض ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء..﴾ [النساء: ١] وأسكنها الله عز وجل الجنة، وصدرت الأوامر الربانية من الله عز وجل لآدم وحده؟ أم لآدم وحواء؟ ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ [البقرة: ٣٥] لقد صدر التكليف الإلهي لهما للرجل والمرأة معا.. لآدم وزوجه، وكان الامتحان الإلهي لآدم وزوجه..

لقد نجح آدم في امتحان العلم، ولكنه لم ينجح في امتحان الإرادة بل أغواه

الشيطان، فأكل هو وزوجته حواء من الشجرة المنهي عنها، ولكن سرعان ما نجح في الملحق.. نجح في التوبة وغسل ذنبه بالتوبة..

اليهود والنصارى يقولون: إن الذي أغرى آدم بالأكل من الشجرة هي حواء، التي ظلت توسوس له، وتغريه حتى أكل من الشجرة، ولهذا يعتبرونها أصل الشقاء البشري.. وهذا ظلم للمرأة.. الإسلام ليس فيه دليل على أن حواء هي التي أغرت آدم.. ليس هناك دلالة لا بالنص، ولا بالفحوى.. ولا بالعبارة.. ولا بالإشارة الذي وسوس لآدم وحواء هو إبليس، الذي دلاهما بغرور كما دل على ذلك القرآن الكريم قال الله عز وجل حكاية عنه: ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠] ويقول سبحانه: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة:٣٦] تضيف الأمر إليهم معًا.

كانت المرأة أول من استجاب لدعوة الرسول الأعظم ﷺ.. أول صوت استجاب لدعوة الرسول، كان صوت السيدة خديجة بنت خويلد ﵂ وأرضاها أم المؤمنين الأولى.. التي جاءها رسول الله بعد أن نزل عليه جبريل في غار حراء بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ..﴾ [العلق:١، ٢] رجع إليها وهو يرتجف، ويقول: «زملوني.. زملوني.. غطوني.. غطوني.. لكن هذه المرأة أخذت بيده، وثبتت فؤاده، وقالت له تلك الكلمات الناصعة الحكيمة: والله لا يخزيك الله أبدًا.. إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل.. وتكسب المعدوم.. وتقرى الضيف.. وتعين على نوائب الدهر.. ثم ذهبت معه إلى ابن عمها ورقة بن نوفل..

وأول دم أهريق في الإسلام.. أول شهيد في الإسلام، لم يكن رجلاً، وإنما كان امرأة، كانت السيدة الجليلة (سمية بنت خياط) أم سيدنا عمار بن ياسر ﵁. وزوجة ياسر رضى الله عنهم أجمعين.. تلك الأسرة الكريمة العظيمة التي عذبت في سبيل الله.. ومر عليهم النبي ﷺ وهم يعذبون، وقال لهم «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة».

أحبتي الكرام...

الإسلام كرم المرأة تكريمًا عظيمًا بعد ما كانت تؤد.. ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨)

بأيِّ ذنبٍ قُتلتْ﴾ [التكوير:٨، ٩] وجعل لها كرامة.. فبعد ما كانت في الجاهلية كما قال الله عز وجل: ﴿وإذا بُشِّرَ أحدُهُم بالأنثىٰ ظَلَّ وجهُهُ مسودًا وهُوَ كظيمٌ ﴿٥٨﴾ يتوارىٰ من القومِ من سوءِ ما بُشِّرَ به أيُمسكُهُ علىٰ هُونٍ أم يدسُّهُ في التُّرابِ ألا ساء..﴾ [النحل:٥٨، ٥٩] حماها الإسلام من الوأد، تلك الجريمة البشعة..

وجاءت الأحاديث عن رسولنا ﷺ تبشر من رزق البنات، وصبر عليهن، وأحسن إليهن، ولم يهنهن، إلا كان من أهل الجنة، وجاء في صحيح مسلم: «**من عال جاريتينِ حتى تبلغا، كان معي في الجنة**»(١) وضم أصابعه.. وعند الترمذي أشار بأصبعين السبابة والتي تليها، أي كان رفيق رسول الله ﷺ وقريب المنزلة منه يوم القيامة.. وقال ﷺ: «**من رزق ثلاث بنات كن له سترًا من النار**».

وفي السلسلة الصحيحة: «**من كن له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن، وجبت له الجنة البتة**» قيل: يا رسول الله، فإن كانت اثنتين؟ قال: «**وإن كانت اثنتين**» قال: فرأى بعض القوم أن لو قالوا له: واحدة، لقال: وواحدة(٢).

أبعد هذا التكريم للمرأة من تكريم؟!

ثم تأتي الوصية بالنساء عامة في الوصية التي نعيش تحت ظلالها فيقول سيد الخلق ﷺ: «**اتقوا الله في النساء**».

ومع هذا جعل للمرأة وهي زوجة حقوقًا متعددة للزوج، ومن هذه الحقوق:

١- المهر: وهو أول حق من حقوقها، قال مولانا سبحانه: ﴿وآتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً فإن طِبْنَ لكُمْ عن شيءٍ مِّنهُ نفسًا فكُلُوهُ هنيئًا مَّريئًا﴾ [النساء:٤] ويستحب تعجيل شيء منه، قال تعالى: ﴿ولا جُناحَ عليكُمْ أن تنكحوهُنَّ إذا آتيتمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الممتحنة:١٠] ولما أخرجه النسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنَّ عليًّا رضي الله عنه قال: تزوجت فاطمة رضي الله عنها فقلت: يا رسول الله، ابن بي، وفي رواية: فلما أراد أن يدخل بها، قال: «**أعطها شيئًا**» قلت: ما عندي من شيء.. قال: «**فأين درعك الحطمية**».

---

(١) رواه مسلم والترمذي.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط وصححه الألباني في الصحيحة (٢٦٧٩).

قلت: هي عندي، قال: «**فأعطها إياها**»(١).

وفي عصر النبي ﷺ تفاوتت المهور، فهناك من قال له النبي ﷺ: «**التمس ولو خاتمًا من حديد**» ولم يجد حتى هذا الخاتم من حديد، فزوجه على ما معه من القرآن.. قال له: «**زوجتكها بما معك من القرآن**»(٢) على أن تحفظها وتعلمها هذه السور.. فهو مهر منفعة.. أو معنوي، وليس مهرًا ماديًّا.. ولذلك قال الفقهاء: لا حد لأقل المهر ولا لأكثره.. وقد تزوج أبو طلحة أم سليم، وكان مهرها إسلامه، فعن أنس ﷺ قال: خطب أبو طلحة أم سليم، فقالت: والله، ما مثلك يا أبا طلحة يرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهري، وما أسألك غيره، فأسلم- فكان ذلك مهرها.. وجعل النبي ﷺ عتق صفية بنت حيي صداقها..

وهناك من تزوجت بـ٤٠٠ درهم أو ٥٠٠ درهم، وهناك من تزوجت بـ(٤٠٠٠) النبي ﷺ تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت مهاجرة إلى الحبشة، وارتد زوجها- والعياذ بالله- وبقيت وحدها، فأراد النبي ﷺ أن يكرمها في غربتها وهي بنت سيد قريش آنذاك، فبعث إلى النجاشي يخطبها ويوكله في أن يزوجها وكان النجاشي ملك الحبشة، فيليق به أن يعطيها مهرًا مناسبًا، فأعطاها ٤٠٠٠ درهم وجهزها، وقد رأينا من الصحابة من زوجه الرسول ﷺ دون أن يدفع للمرأة مهرًا.. قال له النبي ﷺ: «**هل تتزوج فلانة؟**» قال: نعم يا رسول الله.. وقال للمرأة: «**هل تتزوجين فلانًا؟**»

قالت: نعم يا رسول الله، فزوج الرجل من المرأة، ودخل بها، ولم يكن لها فرض- أي لم يفرض لها مهرًا- ثم بعد صلح الحديبية، كان لكل من شارك في الحديبية سهم في خيبر في غزوة خيبر، حينما غزا الرسول مع أصحابه خيبرًا، فكان لهذا الرجل سهم في خيبر، فحينما أدركته الوفاة، قال: إن النبي ﷺ زوجني من

---

(١) **صحيح**: صحيح سنن أبي داود للألباني (٢١٢٥) وصحيح سنن النسائي (٣٣٧٥).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

فلانة، ولم أدفع لها مهرًا، أشهدكم أن مهـرها، سهمي بخيبر- أي نصيبي في أرض خيبر- فباعت المرأة هذا السهم بمائة ألف درهم. .

أحبتي الكرام...

ومن تكريم الإسلام للمرأة أنه أوجب على زوجها النفقة، وهي تشمل: الطعام والشراب، والملبس، والمسكن، وسائر ما تحتاج إليه الزوجة. .

والرجال هم القوامون على النساء بإنفاقهم عليهن. . ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ [النساء: ٣٤] والدليل أن النفقة واجبة قوله تعالى: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً**﴾ [الطلاق: ٧] وغيرها من الآيات كثير. .

وقد دلت الوصية التي نحن بصدد الحديث في ظلالها على ذلك. .

[**ولهن عليكم رزقهن، وكسوتهن بالمعروف**]:

وعن معاوية بن حيدة ﵁ قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «**أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتست، ولا تقبح الوجه، ولا تضرب**» وفي رواية للإمام أحمد في مسنده بزيادة: «**ولا تهجر إلا في البيت، كيف وقد أفضى بعضكم إلى بعض، إلا بما حل عليهن**»(١).

قال الإمام البغوي: قال أبو سليمان الخطابي: في هذا إيجاب النفقة والكسوة لها وهو على قدر وسع الزوج. . ﴿**عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ**﴾ [البقرة: ٢٣٦] كل إنسان على قدر حاله، فمن كان قادرًا على أن يسكنها في قصر فليفعل، ومن كان قادرًا على أن يسكنها في فيلا فليفعل. . ولا يجوز أن يضيق على امرأته وهو قادر على السعة، ولا أن يعسر عليها وهو موسر. .

وإذا كان فقيرًا فعلى قدره. . ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا مَا آتَاهَا**﴾ [الطلاق: ٧] وليس

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح.

من المعاشـرة بالمعروف أن تطالب الزوجة زوجـها بما لا يستطـيع، تريد أن تكون مثل فلانة وفلانة امرأة فلان. .

وينبغي على الزوج أن يوفـر لها ما تحتـاجه من الطعام والشراب بحـسب مقدرته كذلك. . وما أقبح أن يتعاطى هـو أطايب الطعام، ويلتذ بأشهى الشراب في المطاعم والنوادي والرحلات ثم يبخل على زوجته وأولاده، كما يصدر ممن لا مروءة عنده. .

حدث القالي قـال: كان رجل من أهل الشام مع الحجاج يحضـر طعامه، فكتب إلى امرأته يعلمها بذلك، فكتبت إليه:

أيهـدى إليَّ القـرطاس والخبـز حـاجـتي
وأنـت علـى بـاب الأمـــيـــر بطـينُ
إذا غـبت لم تـذكـر صـديقًـا ولم تـقم
فـأنـت على بـاب مـا في يـديك ضـنينُ
فـأنـت ككلـب الســوء ضـيع أهـله
فـيـهـزل أهـل البـيت وهـو سـمين

والمعاشرة بالمعروف ليـست مقصورة على النفقة المادية فـحسب، فقد يوسع بعض الناس على امرأته من الناحية المادية، ولكنه لا يدخل البيت إلا عابسًا مكفهر الوجه، لا تسمع منه المرأة كلمـة طيبة، ولا ترى بسـمة في فمـه، ولا إشراقة في وجهـه، فتكون حياتها نكدًا. . كأنها في جحيم مستمر. . ما قيمة المال والنفقات؟ ما قيمة القصر الذي تعيش فيه وهي وحيدة؟ وزوجها في معزل عنها، إما في تجارته وإما في أعماله، أو مع أصدقائه وسهراته، وإما بشهواته وانطلاقاته في المتع الحرام. . وإما. . وإما. .

ووردت أحاديث كـثيـرة من كلام سـيد النبيين، وإمـام المرسلين ﷺ تحث على الإنفاق على المرأة والأهل. . ومنها حديث جابر بن سـمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أعطى الله أحدكم خيرًا، فليبدأ بنفسه وأهل بيته**»(١).

---

(١) رواه مسلم وأحمد.

وما رواه سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: «**إنك مهما أنفقت على أهلك من نفقة، فإنك تؤجر، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك**»[١].

وحديث سعد بن أبي وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: «**إنك إن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، ولست تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى اللقمة تجعلها في فيّ امرأتك**»[٢].

قال الإمام النووي رحمه الله معلقًا على قوله: «**حتى اللقمة تجعلها في فيّ امرأتك..**» قال: لأن الزوجة هي من أخص حظوظ الإنسان الدنيوية وشهواته، وملاذه المباحة وإذا وضع اللقمة في فيها، فإنما يكون ذلك في العادة عند الملاعبة والملاطفة والتلذذ المباح، فهذه الحالة أبعد الأشياء عن الطاعة، وأمور الآخرة، ومع هذا أخبرنا ﷺ أنه إذا قصد بهذه اللقمة وجه الله تعالى، حصل له الأجر بذلك[٣].

وعن المقدام بن معد يكرب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أطعمت نفسك، فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة**»[٤].

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: لا يقع موقع الكسب على العيال شيء، ولا الجهاد في سبيل الله[٥].

وقال وهو مع إخوانه في الغزو: تعلمون عملاً أفضل مما نحن فيه؟ قالوا: ما نعلم ذلك.. قال: أنا أعلم..

قالوا: فما هو؟ قال: رجل متعفف ذو عائلة، قام من الليل، فنظر إلى صبيانه نيامًا متكشفين فسترهم، وغطاهم بثوبه، فعمله أفضل مما نحن فيه..[٦].

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٠/٢٤٨).
(٤) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده والبيهقي وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥٢).
(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/٣٩٩).
(٦) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (٤/٧٠١).

أحبتي الكرام...

ومما ينبغي للزوجة كذلك (الكسوة) فهي واجبة للزوجة، إذا مكنته من نفسها، لقوله تعالى: ﴿ **وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ..** ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

والحديث جابر المتقدم.. «**ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف..**» فهي لازمة للزوج كالنفقة، عليه كسوة في الصيف، وكسوة للشتاء، كما ذكره أهل العلم.. وعلى الزوج أن يتقي الله فيها، والمرأة تتقي الله في زوجها، ولا تثقل عليه، وأن تراعي ظروف زوجها..

وآخر عنصر في الوصية (**وإن لكم أن لا يوطئن فرشكم ما تكرهون..**) فهذا من حق الزوج على زوجته، وسوف نتحدث عنه في وصية أخرى إن شاء الله تعالى..

اللهمَّ وفقنا إلى ما تحبه وترضاه.. اللهمَّ ارفع رايتنا.. ووحد كلمتنا.. وألف بين قلوب المسلمين.. اللهمَّ ارفع راية لا إله إلا الله عالية خفاقة.. نسألك وأنت أكرم الأكرمين.. وأرحم الراحمين أن تنزل علينا رحمتك، وأن تمنحنا ذوقًا سليمًا نستطيع أن نصل به إلى طعم الإيمان وحلاوته..

اللهمَّ اشف مرضانا وارحم موتانا.. وعليك بمن عادانا.. ولا تخيب رجاءنا..

اللهمَّ فك أسرنا.. وارحم ضعفنا.. وتول أمرنا.. وأحسن خلاصنا.. وبلغنا ما يرضيك آمالنا يا رب العالمين..

الوصية رقم (٩٨)

* ثلاث لا تدعهن ما عشت *

عن أبي الدرداء ﷺ قال: أوصاني حبيبي ﷺ بثلاث لا أدعهن ما عشت: «**بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وأن لا أنام إلا على وتر**»(١).

أحبتي الكرام...

هذا الصحابي الجليل أبو الدرداء ﷺ حكيم هذه الأمة، وسيد القراء بدمشق، ينقل لنا هذه الوصية الكريمة المباركة عن حبيبه رسول الله ﷺ ويقول عن بنود الوصية: لا أدعهن ما عشت..

ويبدو أن رسول الله ﷺ أوصى بها صاحبه أبا هريرة ﷺ حيث قال هو الآخر: أوصاني خليلي بثلاث [لا أدعهن حتى أموت] وذكرها(٢)..

وإن كانت الوصية لأبي الدرداء أم لأبي هريرة ﷺ فهي لسائر أمة الحبيب المصطفى ﷺ وأول هذه الوصايا:

١ـ صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

لكن ما هي الأيام الثلاثة التي كان يصومها النبي ﷺ من كل شهر؟ لقد وردت أحاديث تفيد بأن النبي ﷺ كان يصوم من غُرة كل شهر ثلاثة أيام، ومنها: حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يصوم من غرة- أي أول- كل شهر ثلاثة أيام، وقلما كان يفطر يوم الجمعة(٣). وقيل: أول اثنين من الشهر ثم الخميس، ثم الخميس الذي يليه(٤).

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

(٢) رواه البخاري ومسلم والنسائي.

(٣) **حسن**: صحيح سنن أبي داود للألباني (٢٤٥) وصحيح سنن الترمذي (٧٤٢) وصحيح الجامع (٤٩٧٢).

(٤) **صحيح**: صحيح سنن النسائي (٢٤١٥) للألباني.

ووردت أحاديث أخرى تدل على أنه لم يكن يحـدد صيام هذه الأيام الثلاثة، فكان يصومها في أي وقت شاء من الشهر.. فعن معاذة قالت: قلت لعائشة رضي الله عنها: أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت: نعم.. قلت: من أي شهر كان يصوم؟

قالت: ما كان يبالي من أي أيام الشهر كان يصوم[١].

لكن هل هذه الأيام هي نفسها الأيام البيض وهي (١٣، ١٤، ١٥)؟

يقول ابن حجر رحـمه الله وفي كلام غير واحد من العلماء أن استـحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، غير استحباب صيام البيض[٢]..

وذكر الإمـام النووي رحمه الله في شرح مـسلم، أنهم اختلفوا في تعـيين هذه الثلاثة المستـحبة من كل شهـر، فبعـضهم قال: ثلاثة من أوله، ومنهم من قـال: بأنهم البيض، ومنهم من قال: أول يوم من الشهر، والعاشر، والعشرين ومنهم من قال بخلاف ذلك..

وكل هذا خير، فليـفعل المسلم ما يكون في استطاعتـه، ولا يشق على نفسه ولا يحملهـا مالا تطيق.. قال سبـحانه: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]

وقد قال ﷺ لعبد الله بن عـمرو بن العاص: «**بلغني أنك تصوم النهـار وتقوم الليل، فلا تفـعل، فإن لجسدك عليك حقًـا، ولعينيك عليك حقًـا، وإن لزوجك عليك حقًـا، صم وأفطر، صم من كل شـهر ثـلاثة أيام فذلك صـوم الدهر**»[٣] نعم هي أي الثلاثة كصوم الدهر، كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من صام من كل شـهر ثلاثة، فذلـك صيام الدهر، فـأنزل الله تصديـق ذلك في كتابـه: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، اليوم بعشرة**»[٤].

---

(١) **صحيح**: صحيح سنن أبي داود للألباني برقم (٢٤٥٣).
(٢) فتح الباري (٤/ ٢٦٧) لابن حجر.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي واللفظ له وحسنه ورواه النسـائي وابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٠٣٥).

والأيام البيض هي أيام الليالـي المقمرة، التي يكون فيهـا القمر من أول الليل إلى آخره، وهي أيام الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر..

وقد ورد في فـضلها حـديث أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: «**إذا كنت صائمًا فعليك بالغرِّ البيض: ثلاث عشرة، وأربع عشرة وخمس عشرة**»(١).

قال أهل العلم: وتخصـيص هذه الأيام بالصيام، لأن الكسوف غالبًا يـقع فيها، وقد ورد الأمر بمزيد من التضرع إلى الله تعـالى في هذه الحالة، فإن صادف الكسوف صادف الذي يعتاد الصيام في هذه الأيام، فيتهيأ له أن يجمع بين أنواع العبادات، من الصيام والصلاة والصدقة، بخلاف من لم يصمها، فإنه يتأتى له استدراك صيامها..

وقد كشف لنا العلم الحديث ما في ذلك من الإعجاز العلمي في سر صيام الأيام البيض يقول ابن سينا في القانون:

ويأمر باستعـمال الحجامة لا في أول الشهـر، لأن الأخلاط لا تكون قد تحركت وهاجت، ولا في آخـره- لأنها تكون قـد نقـصت- بل في وسط الشهـر حين تكون الأخلاط هائجة بالغة في تزايدها، لتزايد النور في جرم القمر..

وقد ظهرت في الأعوام الأخيرة أبحاث علمية كثيرة مفادها أن القمر عندما يكون بدرًا، يزداد التهيج العصبي، والتوتر النفـسي إلى درجة بالغة، ويقول الدكتور [ليبر] عالم النفس بالولايات المتحدة:

إن هناك علاقة قـوية بين العدوان البشري، والدورة القمـرية، وخاصة بينه وبين مدمنـي الكحول، والميـالين إلى الحوادث، وذوى النزعـات الإجراميـة وأولئك الذين يعانون من عدم الاستقرار العقلي والعاطفي..

ويشرح (ليبر) نظريته قائلاً:

إن جسم الإنسـان مثل سطح الأرض يتكون من ٨٠٪ من الماء والباقي هو المواد الصلبة، ومن ثم فهو يعـتقد بأن قوة جاذبية القمر التي تسـبب المد والجزر في البحار

(١) رواه النسائي وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٤٣٥).

والمحيطات تسبب أيضًا هذا المد في أجسامنا عندما يبلغ القمر أوج اكتماله في الأيام البيض. .

ويقول الدكتور (ليبر) في كتابه (التأثير القمري): إنه نبه شرطة ميامى، كما طلب وضع أخصائي التحليل النفسي في مستشفى (جاكسون) التذكاري في حالة طوارئ تحسبًا للأحداث التي ستقع نتيجة الاضطرابات في السلوك الإنساني، والمتأثرة بزيادة جاذبية القمر. .

ويقول: إن ما حدث كان جحيمًا انفتح، فقد تضاعفت الجريمة في الأسابيع الثلاثة الأولى من يناير سنة ١٩٧٣م كما وردت أنباء عن جرائم أخرى غريبة، وجرائم ليس لها أي دافع. . وأصبح من المعروف أن للقمر في دورته تأثيرًا على السلوك الإنساني وعلى الحالة المزاجية، وهناك حالات تسمى الجنون القمري حيث يبلغ الاضطراب في السلوك الإنساني أقصى مداه في الأيام التي يكون فيها بدرًا (في الأيام البيض) فما أصدق رسول الله، وأحكمه وأعلمه بأسرار النفس، وأسرار تكوينها. . صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله. .

٢ـ وصلاة الضحى:

وهي سنة مؤكدة، جاء في فضلها الأحاديث والآثار، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**يصبح على كل سلامى[1] من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**»[2].

وعن بريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل، عليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة**».

قالوا: فمن الذي يطيق ذلك يا رسول الله؟

(١) السلامى في الأصل: عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استعمل في عظام البدن ومفاصله.
(٢) رواه مسلم وأبو داود وأحمد.

قال: «**النخامة في المسجد يدفنها، أو الشيء ينحيه عن الطريق، فإن لم يقدر فركعتا الضحى تجزئ عنه**»[(١)].

قال الشوكاني رحمه الله: والحديثان يدلان على عظم فضل صلاة الضحى، وكبر موقعها، وتأكد مشروعيتها، وأن ركعتان تجزيان عن ثلاثمائة وستين صدقة وما كان كذلك فهو حقيق بالمواظبة عليه والمداومة. .»[(٢)].

وعن زيد بن أرقم قال: خرج النبي ﷺ على أهل قباء، وهم يصلون الضحى، فقال: «**صلاة الأوابين حين ترمض الفصال**»[(٣)].

وعن جابر بن نفير عن أبي الدرداء ﷺ عن رسول الله ﷺ أن الله عز وجل، قال: «**ابن آدم، اركع لي ركعات من أول النهار، أكفك آخره**».

وعن عبد الله بن عمرو، قال: بعث رسول الله ﷺ سرية، فغنموا وأسرعوا بالرجعة، فتحدث الناس بقرب مغزاهم، وكثرة غنيمتهم وسرعة رجعتهم، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلكم على أقرب منهم مغزى وأكثر غنيمة، وأوشك رجعة؟ من توضأ ثم غدا إلى المسجد لسبحة الضحى، فهو أقرب منهم مغزى، وأكثر غنيمة، وأوشك رجعة**»[(٤)].

وعن عقبة بن عامر الجهني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله عز وجل يقول: يا ابن آدم، اكفني أول النهار بأربع ركعات، أكفك بهن آخر يومك**»[(٥)].

وعن أبي أمامه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة، فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيحة الضحى لا ينصبه إلا إياه، فأجره كأجر المعتمر**»[(٦)].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده وأبو داود.

(٢) نيل الأوطار للشوكاني (٣/ ٧٨).

(٣) رواه مسلم وأحمد.

(٤) رواه الترمذي عن عمر وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢١٦٤).

(٥) **صحيح**: رواه أحمد وأبو يعلى وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٦٧١).

(٦) **حسن**: رواه أحمد وأبو داود وحسنه الألباني في المشكاة (٧٢٨).

وقد سماها رسول الله ﷺ بصلاة الأوابين، فقال: «**لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب، وهي صلاة الأوابين**»[١].

لكن ما هو وقت صلاة الضحى؟

يبتدىء وقتها من ارتفاع الشمس، وانتهاء وقت الكراهة إلى قبيل زوالها ما لم يدخل وقت النهى عند الجمهور.

وفي حاشية البجيرمي على الخطيب جـ٣/ ٤٦٩:

عند مضي ربع النهار، ليصير في كل ربع منه صلاة، وللخبر الصحيح: «**صلاة الضحى حين ترمض الفصال**» وهي جمع فصيل، وهو ولد الناقة الصغير الذي لم يستكمل سنة أي تبرك من شدة الحر في خفافها..

هذا وقتها فما عدد ركعاتها؟

وأدنى صلاة الضحى ركعتان، وأكثرها ثمان ركعات، لما روت أم هانئ رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة، وصلى ثماني ركعات، فلم أر صلاة أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود[٢] وقيل: أكثرها ثنتى عشرة ركعة، وهو ضعيف..

٣- ونوم على وتر:

والوتر بفتح الواو أو بكسرها وهي صلاة مخصوصة بعد العشاء إلى صلاة الفجر، والصحيح أنه سنة مؤكدة لقول عليٍّ رضي الله عنه: الوتر ليس بحتم كالصلاة، ولكنه سنة سنها رسول الله ﷺ[٣].

ولحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ في رمضان ثمان ركعات والوتر، فلما كان من القابلة اجتمعنا في المسجد، ورجونا أن يخرج إلينا، فلم

---

(١) **حسن**: رواه الحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٢٨).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري ومسلم.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده والترمذي والنسائي وابن ماجة وصححه أحمد شاكر في المسند برقم (٦٥٢).

نزل بالمسجد حتى أصبحنا، فدخلنا على رسول الله ﷺ فقلنا له: يا رسول الله، رجونا أن تخرج إلينا، فتصل بنا، فقال: «**كرهت أن يكتب عليكم الوتر**»(١) أي يفرض..

وقد حثنا على صلاته رسول الله ﷺ في أحاديث متعددة، فقال:.

«**يا أهل القرآن، أوتروا، فإن الله عز وجل وتر يحب الوتر**»(٢) وفي رواية: «**إن الله وتر يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن**»

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: «**يا أهل القرآن**»: أي يا أيها المؤمنون به فإن الأهلية عامة لمن آمن به سواء قرأ أو لم يقرأ، وإن كان الأكمل منهم من قرأ وحفظ، وعلم وعمل شاملة ممن تولى قيام تلاوته ومراعاة حدوده وأحكامه(٣).

وعن عمرو بن العاص قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله زادكم صلاة فصلوها فيما بين العشاء إلى الصبح: الوتر الوتر**»(٤).

وفي رواية عن ابنه عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله زادكم صلاة فحافظوا عليها، وهي الوتر**».

وعن معاذ عن النبي ﷺ قال: «**زادني ربي صلاة وهي الوتر: وقتها ما بين العشاء إلى طلوع الفجر**»(٥).

أخي الحبيب...

اعلم أن المغبون في الدنيا الذي لا يقول: سأربح غدًا، ولا يهتدي من أمره

---

(١) **حسن**: رواه ابن خزيمة في صحيحه رقم (١٠٧٠).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد وابن ماجه وأبو داود وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٤١٦).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٢/ ٥٣٧).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد والطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٥٩٦) وصحيح الجامع (١٧٧٢).

(٥) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٦٦).

رشدًا، ولا يتجر لسلعته أبدا، وصلاة الليل من أنفق أسواق الآخرة سوقًا وأكثر بضائعها حقوقًا.. فيجب على العاقل المنتفع بعقله أن ينظر لنفسه ويأخذ منها بخطه، فيفرح بهذا الليل إذا أقبل وطال، ويحزن إذا تقلص وزال، إذ هو موطن تبتهج فيه الأرواح، وتبتهج وترتاح..

قال يحيى بن معاذ الرازي ـ رحمه الله ـ: الدنيا حانوت المؤمنين، والليل والنهار رءوس أموالهم، وصالح الأعمال بضائعهم، وجنة الخلد أرباحهم، ونار الأبد خسرانهم..

كان يزيد الرقاشي ـ رحمه الله ـ إذا قام لصلاة الليل يقول: اللهمَّ إن فراري من النار إلى رحمتك بطئ، فقرب رحمتك مني يا أرحم الراحمين.. وطلبي لجنتك ضعيف، فقوِّ ضعفي في طاعتك يا أكرم المسئولين..

وقام رجل من الصالحين يصلي من الليل، فمرّ بقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ..﴾ [آل عمران: ١٣٣] فجعل يرددها ويبكي حتى أصبح، فلما أصبح قيل له: لقد أبكتك آية ما مثلها يبكي! إنها جنة عريضة، فقال: يا ابن أخي، وما ينفعني عرضها، إن لم يكن لي فيها موضع قدم..

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: لو لم يبك الغافل باقي عمره، إلا على ما فاته من لذة الطاعة فيما مضى من عمره، لكان ينبغي أن يبكي على ذلك حتى يخرج من الدنيا..

وعد ثوبان العابد أخًا له في الله أن يفطر عنده، لكنه لم يفعل، فلقيه أخوه ذلك، فقال له: وعدتني أن تفطر عندي، فلم تفعل وأخلفتني؟ فقال له: لولا ميعادك الذي وعدتك ما أخبرتك بالذي منعني عن الوفاء لما صليت العتمة، أردت المسير إليك، فقلت: أوتر، فإني لا آمن الموت أن يطرقني، فإن جاءني وجدني قد أوترت، فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت لي روضة خضراء من الجنة، فيها أنواع من الزهر، فمازلت أنظر إليها حتى أصبحت، فأنساني ذلك وعدك الذي وعدتك.

فـي ظلـمـــة الليل لـلعـــبـــاد أنـوار
منهـــا شـمـوس ومنهـــا فـــيـــه أقـمـــار
تـســـــرى قـلوبـهم فـي ضــــوئـهن إلـى
ذاك المقـــــام ومــــولاهـم لهـم جـــار
يرتـقـــون في درجـــات كلهــــا قـــدس
طـورًا فـطـورا وذاك الـقـــــــدس أطـوار
فـــينـزلون ريـاضًـــا جــمّــة أنفـــا
فــيـــهـــا من العلم أشــجـــار وأنهـــار
ياطـيب مـــأكلهم وطيـب مــشـــربـهم
وطـيـب مـــا نزلـوا وطيـب مـــا ســـاروا

شكا بعض الطلاب لأستاذه سهر الليل، وأن طوله قد أضرَّ به، وأنه لا يقدر أن ينام، وسأله عن شيء يستجلب به النوم..

فقال له أستاذه: يا بني، إنَّ لله نفحات في الليل والنهار، تصيب القلوب المستيقظة، وتخطئ القلوب النائمة، فتعرض يا بني لتلك النفحات..

فقال له: يا أستاذ، تركتني حياتي لا أنام بالليل والنهار ما استطعت..

وأنشد بعضهم:

عـــجـــبت للمـــحب كـــيف ينام
جـــوف لـيل وقلبـــه مــســتــهـــام
إنّ قـلبـي وقـلب مـن كـــــان مــــثلـي
طـــائـــران إلـــى مـــلـــيـــك الأنـــام
فــــــــارض مـــــــولاك إن أردت
نجـــاة وتجـــافى عـن اتبــــاع الحــــرام

اللهمَّ يا من يسمع السر والنجوى، يـا سامع كل شكوى.. يا مجيب المضطر إذا دعاه المضطرون.. اغـفر ذنوبنا، وتول أمرنا، وقـوِّ ضعفنا، واجـبر كسـرنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.. يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (٩٩)

* اجعل الآخرة همك *

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من جعل الآخرة همَّه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همَّه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له**»(١).

أحبتي في الله...

خلق الله عز وجل البشرية، وجعل لكل منهم همة وإرادة، فلا يخلو إنسان عن هم، ولذلك كان أصدق اسم يوصف به العبد أنه هُمّام..

والهُمام الذي يهم مرة بعد أخرى.. ولكن همم الناس تختلف بين علو وسفول وبين كبر وصغر، وبين ضخامة ودناءة، وعلى قدر تفاوت الهمم تتفاوت مقامات الخلق في الدنيا والآخرة..

هناك إنسان همه الآخرة.. وهذا جعله الله قانعًا بما أعطاه.. راضيًا بما أولاه.. وجمع له ما تفرق من شمله.. وأتته الدنيا وهي راغمة.. والآخرة كل همته في الدنيا.. كل تفكيره في الدنيا وزينتها.. كل تفكيره في الفانية وما فيها.. والمسلم لابد أن يكون عالي الهمة..

فما معنى عالي الهمة؟ وكيف كانت الهمة عالية لدى الأنبياء والمرسلين والسلف الصالح؟ وكيف يكون المسلم عالي الهمة؟ وكيف نعلم شبابنا وأبناءنا أن تكون همتهم عالية؟

معنى الهمة:

الإرادة.. وتبدأ بالهم، وتنتهي بالهمة.. إنسان عالي الهمة أي وصل إلى نهاية

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٥١٠) والصحيحة رقم (٩٤٩).

ما يريد.. يقال: الملك الهُمام: أي الملك العظيم، الذي إذا أراد شيئًا، أمكنه فعله.. فالهمــة منتهى الإرادة.. والإنسان لا يصل إلى درجة عــالية من الإيمان، إلا إذا كان عالي الهمة.. والهمة هي الباعث على الفعل..

قال أحد الصالحين: همــتك فاحفظها، فإن الهمة مقدمــة الأشياء، فمن صلحت همته، وصدق فيها، صلح له ما وراء ذلك من الأعمال.

الهمة عمل قلبــي.. والقلب لا سلطان عليه لغير صاحبه، وكــما أن الطائر يطير بجناحيه، كذلك يطير المرء بهمته، فتحلق به إلى أعلى الآفاق، طليقة من القيود التي تكبل الأجساد.

نقل ابن قتيــبة عن بعض كتب الحكمة: ذو الهمــة إن حُطَّ فنفسه تأبى إلا علوًا، كالشعلة من النار، يصوبها صاحبها، وتأبى إلا ارتفاعًا..

أحبتي في الله...

ولقد تواردت نصوص القرآن الكريم، وسنة النبي العظيم ﷺ على حث المؤمنين على ارتياد معالي الأمور، والتسابق إلــى الخيرات، للارتقاء بها إلى أعالي الدرجات، وحذرتهم من سقوط همتهم.. وقد تنوعت أساليب القرآن في ذلك..

فمرة يذم ساقطي الهمة، ويصــورهم بأبشع صورة، كما قص علينا من قول موسى عليه السلام لقومه: ﴿**أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**﴾ وقال: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

وتارة يثنى على أصحاب الهــمم العالية، وفي طليعتهم الأنبــياء والمرسلون عليهم الصلاة والســلام، وفي مقدمــتهم أولو العزم من الرسل، وعلى رأســهم خاتمهم ﷺ فقد خــاطبه بقوله: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ..**﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقد تجلت همتــهم العاليــة في دعوتهم إلى الله عز وجل، وتحــملهم الشدائد، وصــبرهم ومثابرتهم، وجهادهم في سبيل الله..

ولقد ذكر مولانا سبحانه أحباءه وأولياءه، الذين كبرت همتهم، بوصف الرجال في مواطن البأس والجلد، والعزيمة والثبات على الطاعة والقوة في دين الله.. فقال عز من قائل: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ..﴾ [النور:٣٦،٣٧] وقال عنهم: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣].

وتارة يأمرهم بعلو الهمة، والتنافس في الخيرات، فيقول: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١] وقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣] وقال: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة:١٤٨].

فهذه دعوة من الكبير المتعال إلى ميدان السباق الحقيقي.. للغاية التي تستحق السباق.. إنه ليس سباقًا دنيويًّا إلى إحراز لهو أو لعب، وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد.. إنما هو سباق أخروي للرقي والوصول إلى أعظم الغايات، وهي رضا رب الأرض والسموات..

وقال سبحانه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠] ومن صح فراره إلى الله، صح قراره مع الله.. فروا من الشرك إلى التوحيد. فروا إليه بقلوبكم.. فروا من الأثقال والقيود، التي تشد النفس البشرية إلى هذه الأرض..

إنّ في القلب شعثًا: لا يلمه إلاقبال على الله..

وفيه وحشة: لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته..

وفيه حزن: لايذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته..

وفيه قلق: لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه..

وفيه نيران حسرات: لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه..

وفيه طلب شديد: لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه..

وفيه فاقة: لا يسدها إلا محبته، ودوام ذكره، والإخلاص له، ولو أعطى الدنيا وما فيها، لم تسد تلك الفاقة منه أبدًا..

وفيه مرض: لا يشفيه إلا لقاء مولاه في يوم المزيد..

ولقد كان النبي ﷺ دائمًا يحث أمته المباركة على علو الهمة في كل أمورها، فقال يومًا لأصحابه: «**إنَّ الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها**»(١) وقال فيما رواه عنه سهل بن سعد ﷺ: «**عند الله خزائن الخير والشر، مفاتيحها الرجال، فطوبي لمن جعله الله مفتاحًا للخير مغلاّقًا للشر، وويل لمن جعله الله مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير**»(٢).

وقال: «**بادروا بالأعمال الصالحة، فستكون فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا، ويمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»(٣).

وقال في حديث آخر يحث فيه أيضًا على علو الهمة: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز..**»(٤).

وقال: «**من أراد أن يعلم ماله عند الله، فلينظر ما لله عنده**»(٥).

وقال كما في الوصية التي نحن بصدد الحديث عنها: «**من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة..**»

لكن الصنف الآخر.. الذين يتنافسون على الدنيا.. التي لا تزن عند الله جناح

---

(١) **صحيح**: رواه الحاكم في المستدرك وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٨٨٩).

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في الكبير وابن ماجة والخرائطي وأبو يعلى وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤١٠٨).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم.

(٥) **حسن**: رواه الدارقطني وأبو نعيم في الحلية وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٠٦).

بعوضة يقول عنهم: «**ومن كانت الدنيا همّـه، جعل الله فقره بين عينيـه، وفرق شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له..**».

فالتنافس وعلو الهمـة في أمور الآخرة يرتفع بأرواح المتنافسين جمـيعًا، في حين أن التنافس في أمر الدنيا ينحط بهم جميعًا..

إن عمـر المرء في هذه العاجلة محدود، وعـمره في الآجلة لا نهاية له.. فـاجعل همتك عالية.. اجعل همتك فيما يبقى لا فيما يفنى.. اجعل همتك فيما لا يزول..

قال ﷺ: «**من جعل الهمّ همًّا واحدًا- هم المعـاد- كفاه الله سائر همـومه، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا، لم يبال الله في أي أوديتها هلك**»(١).

أحبتي في الله...

واعلموا أن همة المؤمن أبلغ من عـمله، قال أعلى الناس همة: «**من همّ بحسنة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة**»(٢).

وقال: «**من سـأل الشـهـادة بصـدق، بلغـه الله منازل الشـهـداء، وإن مـات على فراشه**»(٣).

وقال ﷺ: «**ما من امرئ تكون له صلاة بليل، فغلبـه عليها نوم، إلا كتب له أجر صلاته، وكان نومه صدقة عليه**»(٤).

وقد يتفوق المؤمن بهمته العـالية، كما بين ذلك الصادق المصدوق ﷺ في قوله: «**سبق درهم مائة ألف درهم**».

قالوا: يا رسول الله، كيف يسبق درهم مائة ألف؟

---

(١) **حسن**: رواه ابن ماجة والحاكم وأبو نعيم وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦١٨٩).
(٢) **صحيح**: رواه البخاري.
(٣) **صحيح**: رواه مسلم.
(٤) **صحيح**: رواه مالك وأبو داود والنسائي وصححه الألباني في صحيح (٥٦٩١) وصحيح سنن أبي داود برقم (١٣١٤).

قال: «رجل كان له درهمان، فأخذ أحدهما، فتصدق به، وآخر له مال كثير فأخذ من عرضها مائة ألف»[١].

أيها الأحبة في الله...

إنّ التحلي بعلو الهمة يسلب سفاسف الآمال والأعمال، ويجتث شجرة الذل والهوان، والتملق والمداهنة، قال بعضهم:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلي متحول
أديم مطال الجوع حتى أميته
واصرف عنه الذكر صفحًا فأذهل
وأستف ترب الأرض كي لا يرى له
عليَّ من الطول امرؤ متطول

وقيمة المرء على قدر همته.. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:

العامة تقول: قيمة كل امرئ ما يحسن، والخاصة تقول: قيمة كل امرئ ما يطلب.. وإنما كان الأمر كذلك، لأن الهمة طليعة الأعمال ومقدمتها..

قال أحد الصالحين: من علامة كمال العقل، علو الهمة، والراضي بالدون دنيء.. وعالي الهمة يجود بالنفس والنفيس في سبيل تحصيل غايته، وتحقيق بغيته، لأنه يعلم أن المكارم منوطة بالمكاره، وأن المصالح والخيرات، واللذات والكمالات كلها لا تنال إلا بحظ من المشقة، ولا يُعبر عليها إلا على جسر من التعب..

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها
تنال إلا على جسر من التعب

---

(١) صحيح رواه أحمد في مسنده ورواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي برقم (٢٥٢٧).

أحـــــــــــــزان قـلـبـي لا تـزول

حـــــتى أبشـــر بـالـقـــبـــول

وأري كـــــتـــــابي بالـيـــمين

وتـســـر عـــــيني بـالـرســـول

عالي الهمة يثرى منطلقًا بثقة وقوة وإقدام نحو غايته التي حددها على بصيرة وعلم فيقتحم الأهوال، ويستهين بالصعاب. .

ذريـني أنـل مـــالا ينال مـن العــــلا

فـصـعب الـعـلا في الصـعب والسـهل

تريـدين إدراك المـعـــالي رخـيـصـة

ولابـد دون الشـــهــد من إبر الـنحـل

ومن أراد الجنة. . سلعة الله الغالية. . لم يلتفت إلى لوم لائم، ولا عذل عاذل، ومضى يكدح في السعي لها. . قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً** ﴾ [الإسراء: ١٩].

وقال ﷺ: «**من خاف أدلج، ومن أدلج، بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»(١).

عالي الهمة لا يرضى بما دون الجنة. . إنه لا يعتد بما له فناء، ولا يرضى بحياة فانية بل بحياة مخلدة مؤبدة. . فهو لا يزال يحلق في سماء المعالي. . ولا ينتهي تحليقه دون عليين. . فهي غايته العظمى. .

عالي الهمة. . يعرف قدر نفسه في غير كبر ولا عجب، ولا غرور. . وإذا عرف المرء قدر نفسه، صانها عن الرذائل. . وحفظها من أن تهان، ونزهها عن دنايا الأمور. .

---

(١) **حسن**: رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٧٧) والحاكم (٤/ ٣٠٨) وقال: صحيح الإسناد ورواه الترمذي وقال الألباني في صحيح الترغيب: صحيح لغيره برقم (٣٣٧٧).

أحبتي في الله...

إن الهمم الكبار تستطيع أن تغير التاريخ، بل هي التي تسطره وتكتبه:

فلقد رأينا رسول الله ﷺ محمد بن عبد الله- رجلٌ واحد في وسط عالم كامل من الشرك، كيف عبّده بهمته لله رب العالمين؟

ولقد رأينا أصحابه الكرام كيف أسقطوا أعظم إمبراطوريتين، وأكبر دولتين في زمانهم (فارس والروم) وفتحوا بلاد السند والهند، والمغرب والأندلس في فترة وجيزة، هي كالحلم في عمر الزمان..

إذن فرسولنا وحبيبنا محمد ﷺ أعلى الناس همة في تاريخ البشرية ومن قبله كان الخليل إبراهيم عليه السلام.. لقد قدم نفسه للنيران.. وطعامه للضيفان.. وولده للقربان.. فمدحه الرحمن.. فقال: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم:٣٧] وهمته في رفع قواعد البيت كبيرة حيث لم يطلب من يعينه..

وإذا كـــانـت النفـــوس كـــبـــاراً
تعـــبـت في مـــرادها الأجـــســـام

ابدأ بما عندك من أسباب، ورب الأسباب سوف يسبب الأسباب.. هذه هي همة اليقين..

سيدنا إبراهيم عليه السلام منع عنه النمرود اللئيم الشراب والطعام، ومنع الناس من أن يتعاملوا معه ببيع ولا شراء، فخرج لإحضار طعام لزوجته سارة، فلم يبيعوه، فوضع رملاً في كيس حتى لا يفجعها بدخوله عليها بدون شيء.. وعاد إلى البيت، ووضع الكيس (أو الجراب) ونام، فأيقظته زوجته، قم إلى الطعام، فتعجب وقال: من أين الطعام؟ فقالت: من الدقيق الذي في الكيس سبحان الله.. ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢].

كليم الله موسى عليه السلام لما قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء:٦١] ماذا كان جوابه؟ وماذا كان رده؟ لقد كان رده بكل ثقة ويقين، وعلو همة.. ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢].

أحبتي في الله...

كونوا دائمًا عالي الهمة في عبادتكم واستقامتكم نحو ربكم عز وجل قال الحسن رحمه الله تعالى: من نافسك في دينك، فنافسه، ومن نافسك في دنياه، فألقها في نحره..

وقال وهيب بن الورد رحمه الله: إن استطعت أن لا يسبقك أحد إلى الله عز وجل، فافعل..

كونوا عالى الهمة في الإخلاص لله عز وجل.. كونوا عالي الهمة في الخوف والخشية منه سبحانه.. كونوا عالي الهمة في العلم.. كونوا عالي الهمة في الصبر والرضا.. ولك في رسولك وصحبه الكرام وسلف الأمة خير قدوة حسنة..

إذا أعجبتك خصال امرئ

فكنه يكن منه ما يعجبك

ها هي أسباب الارتقاء بالهمة؟

وللارتقاء بالهمة أسباب كثيرة منها:

١- العلم والبصيرة: فالعلم يصعد بالهمة، ويرجع طالبه عن حضيض التقليد.. ويصفى النية..

سئل الشعبي رحمه الله يومًا: من أين لك هذا العلم كله؟

فقال: بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمار، وبكور كبكور الغراب..

٢- كثرة ذكر الموت: فعن عطاء ـ رحمه الله ـ قال: كان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء، فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ويبكون.

٣- صحبة أولى الهمم العالية..

قال زين العابدين علي بن الحسين ﷺ: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه..

أنــت فــي الــنــاس تــقــــــــــــــاس

بـالـذي اخـــــتـــــــرت خـليـــــــلاً

فـــــاصــــــحب الأخـــــيـــــار تـعلـو

وتـنل ذكـــــــراً جـــــمـــــيـــــــلاً

كان الإمام أحمد رحمه الله إذا بلغـه عن شخص صلاح، أو زهد، أو قيام بحق، أو اتباع للأمر، سأل عنه، وأحب أن يجرى بينه وبينه معرفة وأحب أن يعرف أحواله..

والطيور على أشكالهـا تقع، وكل قرين بالمقارن يقتـدي، وإن العبد ليسـتمد من لحظ الصالحين قبل لفظهم، لأن رؤيتهم تذكره بالله عـز وجل فعن جعفر قال: كنت إذا وجدت من قلبي قسوة، نظرت إلى وجه محمد بن واسع نظرة.. وكنت إذا رأيت وجهه حسبت أن وجهه وجه ثكلى..

٤- الدعاء: لأنه سنة الأنبياء، فهو جالب الخيرات، والمنافع..

قال ﷺ: «**أعجز الناس من عجز عن الدعاء**»(١).

ولما رأى رسول الله ﷺ من عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو صغير ما دل على ذكائه وعبقريتـه، دعا له الحبيب ﷺ ليقوي همته وليـثبت عزيمته، فقال: «**اللهمَّ فقهه في الدين، وعلمه التأويل**»(٢).

٥- التحول عن البيئة المثبطة: إذا أسقطت الجوهرة في مكان نجس، احتاجت إلى كثير من الماء حتى تُنظَّف، إذا صبـبناه عليها وهي في مكانها، لكن إذا أخرجناها من مكانها، سهل تنظيفها بالماء القليل.

فالبـيئة المحيـطة بالإنسان أثر كبيـر في علو الهمة، أو عـدمـه، فإن كانت بيـئة مثبطـة، داعية إلى الكسل والخمـول، فينبغي على المسلم أن يهجـرها إلى مكان آخر

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان وصـححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٠٥٥).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري.

تعلو فيه همته.. ولو تأملنا حديث التائب الذي قتل تسعة وتسعين رجلاً، وأكملهم المائة سنجد فيه عبرة وعظة.. فقد سأل العالم عن توبته، فقال له: ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء[١].

أخي الحبيب...

إنَّ أمتك المسلمة تترقب منك جذبة عمرية، توقد في قلبها مصباح الهمة، في ديجور هذه الغفلة المدلهمة، وتنتظر منك صيحة أيوبية تغرس بذرة الأمل في بيداء اليأس، وعلى قدر المؤنة، تأتي من الله المعونة، فاستعن بالله ولا تعجز..

والله أسأله أن ينظمنا في سلك حزبه المفلحين، وأن يجعلنا من عباده المخلصين، وأن يؤمننا يوم الفزع يوم الدين، وأن يحشرنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والشهداء والصالحين، وأن يغفر لنا ولجميع المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين، وصل اللهمَّ وسلم وبارك على نبينا وعلى آله وصحبه أجمعين..

❑ ❑ ❑

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

الوصية رقم (١٠٠)

* افعلوا الحسنات واتركوا السيئات *

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن رب العزة سبحانه وتعالى قال: «**إنَّ الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها، فعملها، كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همَّ بسيئة، فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها، فعملها، كتبها الله له سيئة واحدة**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

أفعال الله عز وجل دائرة بين الفضل والعدل، فما من تقدير في هذه الحياة، بل ولا شيء في الدنيا والآخرة، إلا داخل ضمن فضل الله عز وجل وعدله.. فرحمته سبحانه وتعالى بالمؤمنين فضل، وتعذيبه للعاصين عدل، ومع ذلك فإنه قد أخبرنا أن رحمته سبقت غضبه، وأن رحمته وسعت كل شيء، وأمرنا أن نسأله من فضله وعطائه الجزيل.

إنَّ هذا حديث عظيم، ووصية كريمة تتضمن أمرًا من الله ورسوله أن تفعل الحسنات ونترك السيئات.. بل إنه يبين مقدار تفضل الله عز وجل على عباده، فقد جعل هموم العبد بالحسنة، وإن لم يعملها حسنة، وجعل همومه بالسيئة إن لم يعملها حسنة، وإن عملها، كتبت سيئة واحدة، وإن عمل الحسنة، كتبت له عشرًا، ولولا هذا التفضل، ولولا هذه الرحمة من الله عز وجل، لم يدخل أحدٌ الجنة، لأن السيئات من العباد أكثر من الحسنات، فلطف الله عز وجل بهم، فضاعف لهم الحسنات، ولم يضاعف لهم السيئات، وإنما جعل الهموم بالحسنة حسنة، لأن الهموم بالخير من أفعال القلوب..

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

أحبتي في الله...

وقد جاء في القرآن الكريم تصوير هذه الحقيقة في مثل رائع، يجسد فيه معنى المضاعفة، ويقرب صورتها إلى أذهان السامعين..

إنه مشهد من يبذر بذرة في أرض خصبة، فتنمو هذه البذرة وتكبر، حتى تخرج منها سبع سنابل، العود منها يحمل مائة حبة، ثم تتضاعف هذه السنابل على نحو يصعب على البشر عده وإحصاؤه، كذلك حال المؤمن المخلص لربه، المحسن في عمله، قال مولانا سبحانه: ﴿**مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال تعالى: ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [الأنعام: ١٦٠].

ولا يقتصر فضل الله عز وجل عند هذا الحد، بل يتسع حتى يشمل مجرد الهم والعزم على فعل العمل الصالح، فإن العبد إذا همَّ بالحسنة ولم يفعلها، كتب الله له حسنة كاملة، لأن الله سبحانه جعل مجرد إرادة الخير عملاً صالحًا يستحق صاحبه أن ينال عليه أجرًا..

ذلك حال من هم بالحسنة، وهي الطاعة، أما من همَّ بالسيئة، فقد قال ﷺ: «**وإن همَّ بسيئة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة**» ولعل السر في ذلك: أنَّ العبد إذا كان الدافع له على ترك المعصية هو خوف الله عز وجل، والمهابة منه، فعندها تكتب له هذه الحسنة، وقد أتى بيان ذلك في الرواية الأخرى لهذا الحديث: «**وإن تركها**- أي السيئة- **فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرائي**» أي طلبًا لرضائي.

وهذا بخلاف من هم بالسيئة، وسعى لفعلها، ثم عرض له عارض منعه من التمكن منها، فهذا وإن لم يعمل السيئة، إلا أنه آثم بها، مؤاخذ عليها، لأنه سعى إلى المعصية، ولم يردعه عن الفعل للمعصية خوف من الله عز وجل أو وازع من الضمير، ويشهد لهذا قول النبي ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» فقيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصًا**

على قتل صاحبه»[1] وإذا ضعف وازع الخير في نفس المؤمن، وارتكب ما حرمه الله عليه، كتبت عليه سيئة واحدة فحسب، كما قال مولانا سبحانه: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [القصص:٨٤] وهذا من تمام عدله سبحانه وتعالى.

أحبتي الكرام...

وقد ذكر أهل العلم أن الحسنات قسمان:

أحدهما: حسنة سببها الإيمان، والعمل الصالح، وتحصل بطاعة الله ورسوله.

الثاني: حسنة سببها الإنعام الإلهي على العبد بما يؤتيه الله عز وجل من مال وولد، وسلامة بدن..

والسيئة كذلك قسمان:

أحدهما: سيئة سببها الشرك والمعاصي، اللذان يورثان العبد ظلمة وخبثًا في النفس، وتحصل بمعصية الله ورسوله.

الثاني: سيئة سببها الانتقام أو الابتلاء الإلهي، كالمرض وضياع المال، والجوع والقحط، ونحو ذلك..

فالسيئة الأولى تنسب إلى العبد فعلها، لأن الله لا يرضى لعباده الكفر، بل حذرهم منه، كما قال سبحانه: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١-٣٢].

أما الحسنة بمعنى النعمة والسيئة بمعنى النقمة، فكلاهما من عند الله، لأن الله عز وجل يبلو عباده بما شاء ابتلاء وانتقامًا ورفعة، تربية لعباده، كما قال مولانا سبحانه: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء:٧٨].

(١) رواه البخاري وغيره.

والحسنة بمعنى الطاعة لله ورسوله، لا تنسب إلى الله تعالى، فهو الذي شرعها وعلمه إياها، وأمره بفعلها، وأعانه عليها، وحببها إليه..

لكن السيئة بمعنى المعصية لله ورسوله، إذا فعلها العبد بإرادته واختياره مؤثراً المعصية على الطاعة، فهذه السيئة تنسب إلى العبد، ولا تنسب إلى الله عز وجل، لأن الله عز وجل لم يشرعها، ولم يأمر بها، بل حرمها وتوعد عليها، وقد كشف الله ذلك، وبينه بقوله سبحانه: ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ..**﴾ [النساء: ٧٩].

وفي فعل الحسنات عدة فوائد، منها:

١- الفوز والفلاح، كما قال مولانا في كتابه: ﴿**يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾ [الأحزاب: ٧١].

٢- محبة الله ورسوله والمؤمنين له.. قال تعالى: ﴿**وَأَحْسِنُواْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٥].

٣- كثر الحسنات تدخل صاحبها الجنة، قال سبحانه: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [يونس: ٢٦].

٤- معية الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٥- القرب من رحمة الله عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٦].

٦- مضاعفة الأجر والثواب، كما قال الله عز وجل في كتابه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً**﴾ [النساء: ٤٠].

٧- تكفير السيئات، قال سبحانه: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾ [هود: ١١٤].

٨- جلب المحبة، وإزالة العداوة، كما قال سبحانه: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

أحبتي الكرام...

والحسنات تأتي من الطاعات.. والسيئات تأتي من المعاصي والمخالفات والناس متفاوتون في أفكارهم وأعمالهم، ومختلفون في مقاصدهم ونياتهم، والقلوب جوالة، منها ما يطوف حول العرش، ومنها ما يطوف حول الحُش فمن استنار بنور الوحي الرباني، أضاء الله له في الدنيا والآخرة، فأبصر الطريق إلى الله، وعرف هداه، وسار إلى ربه على هدى رسوله، فهذا على صراط مستقيم.. والله مولاه، والجنة مثواه يوم يلقاه، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ..﴾ [فصلت: ٣٠].

أما من استكبر عن الحق، أو ضل عنه، فهو في الظلمات في دنياه وأخراه، وأنى له أن يبصر الطريق بغير هدى مولاه، فهو يتخبط في الظلمات، ويجمع من المعاصي والسيئات ما يعذب به في جهنم ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٢].

فهذا سائر إلى النار- والعياذ بالله- وقادم على ما عمل.. ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

وكل إنسان متحرك بطاعة التي تكون منها الحسنات، أو بمعصية، وهي التي يكون منها السيئات، أو بهما معًا، ولابد..

والطاعات كلها محبوبة لله مرضية له، وإن لم يشأها فمن لم يعطه، ومن وجدت منه، فقد تعلقت بها مشيئة الله ومحبته..

والمعاصي كلها مبغوضة لله، مكروهة له، وإن وقعت بمشيئة الله سبحانه وطاعات العباد كلها لا نسبة لها إلى نعمة من نعم الله عليه.. ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا..﴾ [النحل: ١٨] ولا حتى نعمة واحدة كنعمة البصر وأنتم تعلمون قصة الرجل الذي عبد الله عز وجل في جزيرة طيلة أربعمائة عام، وقد أنبع الله له في

مكانه عين ماء عذبه، وأنبت له شجرة من الرمان، تعطيه رمانة في النهار، وأخرى في الليل، ودعا الله فقبضه وهو ساجد، وعندما يحاسبه الله تعالى ويأمر ملائكته أن يدخلوه الجنة بفضله وكرمه، فيقول: لا يا رب، أدخل بعملي، فيحاسبه الله على نعمة من نعمه، وهي نعمة البصر، فترجح على عبادة أربعمائة عام، فيقول: بل أدخلني بفضلك وكرمك يا رب، فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه..

لذلك قال الحبيب المصطفى ﷺ: «**لن يُدخل أحدًا منكم عمله الجنة**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟

قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة**»(١)

فما نجا من العباد أحد إلا بعفوه ومغفرته، ولا فاز بالجنة إلا بفضله ورحمته وما أطاع الله من أطاعه إلا بإذنه وعونه وفضله، وما عصاه من عصاه إلا بعلمه..

أحبتي الكرام...

واعلموا أنَّ الناس متفاوتون أعظم تفاوت في إرادتهم وشهواتهم، وفي أعمالهم ومقاصدهم، وفي ثوابهم وعقابهم، وذلك بحسب علمهم وجهلهم وبحسب إيمانهم وكفرهم.

ولو شاء الله لجعل الناس كلهم أمة واحدة على الحق والهدى، فإن مشيئته مطلقة ولا يعجزه سبحانه شيء في الأرض ولا في السماء، ولكن حكمته سبحانه اقتضت أن عباده يكونون مختلفين، هذا يفعل الحسنة، وهذا يفعل السيئة وذلك تائب، وذاك عاصي، وهذا متبع للحق والهدى، وذاك متبع للباطل والضلال.. ولذلك خلقهم..

خلقهم ليكون منهم السعداء والأشقياء، وفريق حق عليهم الهداية، وفريق حق عليهم الضلالة.. ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ**..﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

والمسلم إذا أطاع الله، وامتثل أوامره، حصل الحسنات، وهذا يكون شاقًا في

---

(١) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

بداية الأمر، ولكنه يهون ويصغر بالنسبة للسعادة التي سوف يحصلها في الآخرة.. فالسعادة التي تعقب المشقة كالبحر بالنسبة إلى القطرة والعاقل لا يترك البحر من أجل قطرة..

وقد قال النبي ﷺ: «**حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**»[1].

والنفس تجد اللذة في فعل المعاصي، الذي يجلب لصاحبه السيئات، ولكن هذه اللذة كالقطرة بالنسبة لعذاب الله يوم القيامة، والعاقل لا يتلذذ بلذة صغيرة عاجلة، ويترك بحر السعادة في الآخرة..

والله عز وجل قد خلق الإنسان واستخلفه في هذه الأرض، ثم في نهاية المطاف يرجع إليه، ليحاسبه..

لكنه هنا في الدنيا إما أن يسمع ويطيع لما يتلقاه من الله، فيسعد في دنياه ويسعد في أخراه..

وإما أن يسمع ويطيع لما يمليه عليه الشيطان، فيشقى في الدنيا والآخرة.. وليس هناك طريق ثالث..

إما أن يطيع الشيطان.. وإما أن يطيع الرحمن.. وإما أن يتبع الحق.. وإما أن يتبع الباطل.. وإما أن يسير إلى الجنة.. وإما أن يسير إلى النار.. لا ثالث لها.. وبناء على ذلك إما أن يكون من المفلحين.. أو من الخاسرين ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى..**﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

من أطاع الله عز وجل سخر له المخلوقات، فتطيعه وتنفعه وتحفظه، وبحسب الطاعات تصلح وتحسن الأحوال، وتزيد الخيرات، وتكثر البركات..

إذا عمل المسلم الحسنات، وأطاع رب الأرض والسموات.. نزل الغيث.. وصلح الأولاد، وكثرت الأرباح.. ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ**

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم.

السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وقال صلوات ربي وسلامه عليه: «**من لزم الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**»(١).

وهذا من عظيم رحمة الرحمن الرحيم على عباده، ومن عميم فضله وجوده عليهم أن بسط لهم يده بالليل، ليتوب مسيء النهار، وبسط يده بالنهار، ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها.. «**يا عبادي، إنكم تذنبون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم**»(٢)

فسبحان من بسط ميزان العدل للعادلين.. ونشر القبول للمقبولين، وفتح باب التوبة للتائبين..

والطاعات شعبة من شعب الإيمان، والمعاصي شعبة من شعب الكفر، وبالدعوة يأتي الإيمان، وثمرة الإيمان عبادة الله وحده، وطاعة الله ورسوله، وثمرة العبادة والطاعة، رضا الله عز وجل ودخول الجنة ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ [الفتح: ١٧].

أحبتي في الله...

وبالحسنات والسيئات يكون التعامل يوم القيامة، لا يكون بالدرهم ولا الدينار في دار القرار، وإنما تكون العملة السائدة آنذاك الحسنات والسيئات قال ﷺ: «**من مات وعليه دين، فليس ثم دينار ولا درهم، ولكنها الحسنات والسيئات**»(٣).

وقال ﷺ: «**من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه، أو شيء منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح، أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له**

---

(١) **ضعيف**: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة وضعفه الألباني.

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) **صحيح**: السلسلة الصحيحة (٤٣٧).

حسنات، أخذ من سيئات صاحبه، فحمل عليه»(١).

ويقول ﷺ: «**اتقوا الظلم ما استطعتم، فإن العبد يجيء بالحسنات يوم القيامة، يرى أنها مستنجية، فمازال عبد يقول: يا رب، ظلمني عبدك مظلمة، فيقول: امحوا من حسناته، وما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنة من الذنوب»**(٢).

وتأملوا رحمكم الله هذا المثال الذي ضربه المصطفى ﷺ لعامل الحسنات وعامل السيئات، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات، كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خنقته، ثم عمل حسنة، فانفكت حلقة، ثم عمل أخرى، فانفكت الأخرى، حتى تخرج إلى الأرض»**(٣).

قال المناوي في فيض القدير: يعني عمل السيئات يضيق صدر العامل ورزقه، ويحيره في أمره، فلا يتيسر له في أموره، ويبغضه عند الناس، فإذا عمل الحسنات تزيل حسناته سيئاته، فإذا زالت انشرح صدره، وتوسع رزقه، وسهل أمره، وأحبه الخلق(٤).

والحسنات تمحو السيئات كما ذكرت الآية المباركة وسيدنا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أوصني، قال: «**إذا عملت سيئة، فأتبعها حسنة تمحها**» قال: قلت: يا رسول الله، أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: «**هي أفضل الحسنات**»(٥).

العبد إذا عمل الحسنة، إذا عمل الطاعة ابتدره الملك، وابتعد عنه الشيطان فلا يدله الملك إلا على طاعة وخير وتزكية وبر، ولذلك قالوا: الطاعة ولود، وثواب الطاعة الطاعة..

---

(١) رواه البخاري وأحمد.

(٢) **حسن**: رواه أحمد والطبراني وأبو يعلى وحسنه الألباني في الترغيب (٢٢٢١).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد والطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣١٥٧).

(٤) فيض القدير للمناوي (٢/ ٦٥٩).

(٥) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣١٦٢).

فإذا رأينا الرجل يعمل الطاعة، فاعلموا أن لهذه الطاعة عنده أخوات. .

وقد انتبه خليد العصري إلى هذا المعنى، فكان يذكر الله عز وجل حتى تطلع الشمس ثم يغلق بابه، وقد اطمأن على أن الملائكة المقربين ابتدرته، والشياطين اجتنبته فينادى على الملائكة، ويقول: مرحبًا بملائكة ربي، والله لأشهدنكم اليوم من نفسي خيرًا. . خذوا بسم الله. . سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر ولا يزال كذلك حتى تغلبه عيناه، أو يخرج للصلاة. .

وإذا عمل العبد السيئة. . إذا عمل المعصية، ابتدره الشيطان، وابتعد عنه الملك، فلا يدله الشيطان إلا على شر ومعصية، وإثم ومهلكة، لذلك صدق سهل بن عاصم حين قال: عقوبة الذنب الذنب. .

تمامًا كحلقات السلسلة يشد بعضها بعضًا، أو كحبات العقد الواحد، إذا سقطت منه حبة، انفرط العقد، وسقطت باقي الحبات.

وقد كان ابن القيم ـ رحمه الله ـ موفقًا حين أقسم لك، فقال: تالله ما عدا عليك العدو (الشيطان) إلا بعد أن تولى عنك الولي (الملك) فلا تظن الشيطان غلب، ولكن الحافظ أعرض. .

أحبتي الكرام...

فعل الحسنات والطاعات يورث صاحبه نورًا في قلبه، لكن فعل السيئات والخطيئات يورث صاحبه ظلمة.

لما جلس الشافعي رحمه الله إلى الإمام مالك يومًا، أعجب به، وقال له: إنَّ الله قد قذف في قلبك نورًا فلا تطفئه بظلمة المعصية، لكن الشافعي خالف وصية مالك يومًا، فنظر إلى كعب امرأة في طريق ذهابه إلى شيخه وكيع بن الجراح فنسى وتعثر حفظه- كان الشافعي متوقد الحفظ والذكاء، فكان يضع يده على الصفحة المقابلة حتى لا يختلط حفظه، فأكد وكيع نصيحة مالك بترك الذنوب ودواء ناجعًا للحفظ. .

شكـوت إلى وكـــيـع ســـوء حـــفـظي
فـــأرشــــدني إلـى ترك المعــــاصـي
وقــــــــــال لـــي: إن الـعــلـم نــور
ونـور الله لا يـهــــــدى لـعـــــــاصـي

أحبتي الكرام...

ولا يسعنا في هذا المقام بعد هذه الرحلة الطيبة مع الحسنات والسيئات.. مع الطاعات والمعاصي إلا أن نتوجه لله مخلصين، رافعين أكف الضراعة أن يلهمنا ربنا رشدنا، وأن ييسر لنا الحسنات، وييسر لنا الطاعات والخيرات، وأن يرزقنا فعل الخيرات، وترك المنكرات، وأن يقبضنا إليه ونحن على دينه، وعلى ملة حبيبه محمد ﷺ.

اللهمَّ اغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار.. ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد..

الوصية رقم (١٠١)

* لا تغفل عن ذكر مولاك فالحجر يذكره *

عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يلبي إلا لبي ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر، حتى تنقطع الأرض من ها هنا وها هنا**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

كل ما في هذا الكون مسبح لله عز وجل، فما من حجر، ولا شجر، ولا مدر إلا يسبح الله عز وجل ويحمده ويقدسه ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾ [النور: ٤١] الماء يسبح والنبات يسبح بحمد ربه.. ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ..**﴾ [الإسراء: ٤٤].

فكل الكائنات توحده.. وكل الكائنات تسبح بحمده، ولكننا لا نعرف ذلك

الطير سبحه والوحش مجده
والموج كبره والحوت ناجاه
والنمل تحت الصخور الصم قدسه
والنحل يهتف حمداً في خلاياه
والناس يعصونه جهراً فيسترهم
والعبد ينسى وربي ليس ينساه

وهذا القبس النبوي الذي نعيش في ظلاله يبين أن المسلم الذي يحج بيت الله الحرام أو يعتمر إذا لبى قائلاً: لبيك اللهمّ لبيك، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك لا

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٧٧٠) وفي تخريج المشكاة رقم (٢٥٥٠).

شريك لك» إلا ويسمعه من على يمينه وشماله من أحجار وأشجار أو تراب إلا وتلبى معه، وتسبح وتكبر معه، وتشاركه هذا الخير العظيم.. الحجر ذلك الجماد يسبح؟! نعم يسبح ويلبى، ويشهد لصاحبه عند الله عز وجل يوم القيامة.. فقد قال ﷺ لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «**إنى أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك، أو باديتك، فأذنت للصلاة، فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جنٌّ ولا إنس، ولا شيء، إلا شهد له يوم القيامة**»(١) وزاد ابن ماجه في سننه «**ولا حجر ولا شجر**» لذلك أوصى رسول الله ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه أن يذكر ربه عند كل حجر وشجر، فقال له: «**عليك بتقوى الله ما استطعت، واذكر الله عند كل حجر وشجر**»(٢) فدل ذلك على أن الجمادات تعرف ربها.

الكون كله مسخر لله جل وعلا، بل الكون كله جند من جنود الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ..**﴾ [المدثر: ٣١] والله تعالى يسخر الكون كيف شاء، فالريح مثلاً جند من جنود الله، يهلك بها من الأقوام والمجتمعات التي طغت عن أمر ربها، وكذبت رسله، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ**﴾ [الحاقة: ٥-٨].

والماء كذلك جند من جند الله، أهلك الله عز وجل بهذا الماء الذى نراه سهلاً ميسوراً عذبًا زلالاً، أغرق الله به قومًا تمردوا على شرع الله، وفسقوا وظلموا، فكان عاقبتهم أن سلط الله عليهم هذا الجندي من جنود الله، فأغرق الله القوم، قوم نوح عليه السلام.. ﴿**وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي**

---

(١) **صحيح**: رواه مالك والبخاري والنسائي.

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١١٤).

مَاءكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤١-٤٤].

هذا الماء كان وبالاً على الظالمين الكافرين.. وكان أيضًا جندًا من جنود الله وقف في صف الجيوش المسلمة في غزوة بدر الكبرى ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

أحبتي في الله...

ومن جنود الله عز وجل (الحجر) يسخره الله عز وجل في نصرة عباده المؤمنين، ويكون نقمة على الكافرين المشركين..

وللحجر قصة طويلة عبر التاريخ مع المسلمين والمؤمنين، ورسل الله عليهم السلام فهذا خليل الرحمن عليه السلام حين يريد إبليس أن يخدعه ليتمرد على أمر ربه حين أمره أن يذبح ولده إسماعيل عليه السلام- محركًا في نفسه عاطفة الأبوة ماذا فعل الخليل؟ لقد التقط حجرًا أخذها من بطحاء مكة، وقذف بالحجر في وجه الشيطان، فعاود المحاولة مرة ثانية وثالثة في أماكن مختلفة طمعًا في النجاح في أن يقنع الخليل، لكن الخليل عليه السلام في كل مرة يرجمه بالحجر، حتى يأس الشيطان ثم أصبحت هذه سنة خالدة واجبة يؤديها الحاج في ذلك المكان إلى يوم القيامة، اقتداء بسنة نبي الله وخليله إبراهيم عليه السلام، وتعبيرًا عن العداء الأبدي الذى بين المسلم وبين الشيطان.. ألم يقل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا..﴾ [فاطر: ٦] وهذا كليم الله موسى عليه السلام طلب من ربه السقيا لقومه، وهم في صحراء سيناء القاحلة، فماذا يفعل من يقع في شدة مثل هذه؟! ما عليه إلا أن يتوجه إلى الكبير المتعال، الذي يغيث الملهوف.. الذي إذا دعي أجاب، وإذا سئل أعطى.. الذي يجيب المضطر إذا دعاه.. رفع موسى يديه إلى ربه ومولاه وطلب منه السقيا لقومه، فاستجاب له، وأمره أن يضرب الحجر بعصاه، فانفلق الحجر عن اثنتى عشرة عينًا، بعدد أسباط بني إسرائيل.. فالحجر الذي لا يتوقع عاقل أن يخرج منه

الماء، استجاب لأمر خالقه، وتفجر منه الماء العذب الزلال كما قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠].

هل استطاعت عصا موسى اختراق الحجر؟ وهل استطاعت أن ينفذ إلى أعماق الأرض، لتفجر الماء؟ كلا، فليس ذلك من خواص العصا، أم أن الحجر تأثر بضربة عصا موسى عليه السلام؟ كلا فليس من صفات الحجر أن يتأثر بضربة عصا، ولكنها قدرة الله ومعجزته سبحانه وتعالى، يجريها الله تعالى على يد هذا النبي، وهو موسى عليه السلام.. تفجر الماء الزلال من الحجر في تلك الصحراء الجرداء القاحلة، بقدرة الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ.. ﴾ [النحل: ٤٠].

ومع كل هذه الآيات العظيمات.. والدلائل الواضحات على قدرة رب الأرض والسموات إلا أن قلوب بني إسرائيل تحجرت وصارت أقسى من الحجارة، بل إننا نظلم الحجارة إذا شبهنا قلوب بني إسرائيل بها..

وهذا نبي الله لوط عليه السلام، لما ارتكب قومه الفاحشة، التي تتنافى مع الفطرة بل وتتنافى مع الأخلاق الإنسانية، والشرائع السماوية، وتتنافى مع الكرامة والمروءة فقومه هم أول من أحدثوا هذه الجريمة البشعة، وتلك الفعلة الخسيسة وهي إتيان الذكر للذكر مثله.. دعاهم لوط عليه السلام أن ينكحوا بناته عن طريق الزواج الشرعي، فرفضوا وأبوا إلا ما يفعلونه ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦] وقال لهم: ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [هود: ٧٨] لما رفضوا وأبوا، أرسل الله ملائكته بقيادة جبريل عليه السلام أن يمطروهم الحجارة، فكانت الحجارة جند من جنود الله عز وجل.. كانت الحجارة سلاحًا إلهيًا فتاكًا ومدمرًا في يد الملائكة ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣].

ويدور الزمان دورته، ويقـوم ملك الحبشـة (أبرهة) بغزو جيش جـرار تتقدمـه الفيلة يريدون هدم بيت الله الحرام، فيعجز العرب عن التصدي لأبرهة وجنوده، لأنهم كانوا متفرقين متناحـرين، لا يجمعهم دين، فوقفوا موقف العـاجز الحيران، لا يدرون ماذا يفعلون، كـانوا ساعـتها كـالريشة في مـهب الريح يقلبهـا الريح كيف يشـاء، حتى زعيـمهم في هذا الوقت جد الرسـول الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ (عبد المطلب) لم يجد حيلة إلا أن يتعلق بأستار الكعبة، وهو يردد أرجوزته الشهيرة:

لا هـم إن العـــــــبــــــد يمـنع

رحلـه فـــــامنـع حـــــلالـك

لا يـغـلـبن صـلـيـــــبــــهـم

ومـــحـــالهـم غـــدوا مـــحـــالك

إن كـنـت تـــاركـــــهـم

وقـــبلـتنـا فـــأمـــر مـــا بـدا لك[(١)]

وانطلق عبـد المطلب هو ومن معـه من قريش إلى شغف الجـبال، متـحرزين فيـها، ينتظرون ما يفعله أبرهة بمكة إذا دخلها.. فهل ترك الله عز وجل الظالمين يهدموا بيته؟

لقد أرسل ربنا عز وجل إليهم جندًا من جنوده، طيورًا مـن السماء تحمل حجارة من طين في أفواهها، وبين أرجلهـا، فترسل هذه الطيور تلك الحجارة الصـغيرة، فتنزل على الجندي مثل الصاروخ، أو القنبلة، فتـحرقه وتدعه كأوراق الشجرة الجافـة المحترقة وحفظ الله بيته، وسجل القرآن الكريم تلك الواقعة، وهذا الحدث في سورة الفيل.. قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾**﴾ [الفيل:١-٥] فتأملوا رحمكم الله كيف كان الحجر الصغير جنديًا من جنود الله عز وجل، أباد الله به أعداءه الذين أرادوا أن يعتدوا على بيته، وينتهكوا حرمته..

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٨٤).

أحبتي الكرام...

ولعلكم تذكرون قبل سنوات، وفي أرض فلسطين التي بيعت بثمن بخس دراهم معدودة لا شك أنكم سمعتم بأطفال الحجارة.. أطفال لم يبلغوا سن الرشد، يقذفون اليهود بالحجارة.. لقد انتظروا نجدة الأهل والعشيرة، ونخوة العروبة، فلم يصل منهم سوى عبارات الاستنكار والتنديد، والوعود الجوفاء، وانتظروا المنظمات الدولية، وهيئات حقوق الإنسان، فلم يصلهم منهم أيضًا سوى القرارات الورقية، والوعود الكاذبة، فإذا بهم يلتقطون حجارة من الأرض يرمون بها اليهود ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ..**﴾ [الأنفال:١٧] فكانت لهذه الحجارة وقع ودوى تحدث عنه الإعلام العالمي في وقته، وخافه اليهود أشد الخوف، وهم يملكون القنابل المحرقة، والأسلحة الفتاكة..

لأنهم يعلمون بأن القضية ليست أحجارًا في أيدي أطفال.. إنها أيدٍ متوضئة مؤمنة، لو تحركت لفعلت الأفاعيل..

وليس على الله بعزيز أن يهلك هذه العصابة الظالمة المتعدية من يهود بحجارة، كما أهلك أبرهة وجنوده بحجارة الطير الأبابيل..

إنَّ الحجر الذي كان في يوم من الأيام سلاحًا مع اليهود عندما فجر لهم الماء مع نبيهم موسى عليه السلام، وذلك حين كان فيهم بقية من خير، هذا الحجر من الممكن أن يصير ويصبح لعنة تطاردهم، وشبحًا يخيفهم، وأخطبوطًا يرعبهم.

لكن أحبتي الكرام...

هل ينتهي دور الحجر في مطاردة اليهود عند هذا الحد.. كلا.. لكن له جولات وجولات قادمة.. إننا في انتظار حار، لأن يأتي الوعد، الذي أخبرنا به الصادق المصدوق ﷺ الذي سيحققه الله عز وجل على أرض فلسطين، ليدل الحجر المسلم على مكان اليهودي، ليأتي المسلم إليه فيقتله..

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة، حتى تقاتلوا**

اليهـود، حتى يقـول الحـجـر وراءه اليـهـودي: يا مـسلم، هذا يـهـودي ورائي فاقتله»[(١)].

إنَّ الحجارة تعـرف أن هؤلاء أعداء المسلمين، بل وأعداء الواحد الأحد، فـترشد المسلم وتدله على اليهودي ليقتله.. الله أكبر.. الحجر كما ذكرت لكم جند من جنود الملك جندي من جنود الكبـير المتعال.. صـدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً**﴾ [الإسراء:٧] ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ ينقَلِبُونَ**﴾ [الشعراء:٢٢٧] ﴿**وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف:٢١].

أحبتي الكرام...

وإن أشرف حـجر عرفـه التاريخ، أشرف حـجر على وجه الأرض، هو الحـجر الأسود وهو حجر من أحجار الجنة، وأول ما نزل كان أشد بياضًا من الثلج، فسودته خطايا بني آدم وذنوبهم، كما ذكره بعض العلماء..

قال ﷺ: «**الحجـر الأسود من حـجارة الجنة**»[(٢)] وقال ﷺ: «**والله ليبـعثنه يوم القيامة**- يعني الحجر الأسود- **له عينان يبصر بهمـا، ولسان ينطق به، يشهد على من استلمه بحق**»[(٣)].

وقد جعل أستاذنا ومعلمنا ﷺ إماطـة حجر من طريق المسلمين صدقة لمن يفعله، قال ﷺ: «**تبسمك في وجه أخيك صدقـة، وأمرك بالمعروف صدقة، ونهيك عن المنكر صـدقة، وإرشـادك الرجل في أرض الضلال لك صـدقة، وإمـاطتك الحجـر والشوكـة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك منْ دلوك في دلو أخيك لك صدقة**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤١٤).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح وصححه الألباني في المشكاة (٢٥٧٧).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي وابن مـاجة والدارمي وصـححه الألباني في صحيح الترغيب (١١٤٤).

(٤) **حسن**: رواه الترمذي وابن حبان وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٩٥٦).

والحجارة ستكون نقمة ووبالاً على الكافرين في النار يوم القيامة، قال تعالى مخاطبًا إياهم: ﴿ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤] ونصح أهل الإيمان بأن يقوا أنفسهم النار التي وقودها الناس والحجارة، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦] وتأملوا آكل الربا وهو يعذب يوم القيامة بنوع خاص من العذاب قال ﷺ: «**وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر، فإنه آكل الربا**»(١).

وفي ليلة الإسراء والمعراج يرى النبي ﷺ أناس ترضخ رءوسهم بالحجارة وكلما رضخت، عادت كما كانت، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء..

قال: «**يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تثاقلت رءوسهم عن الصلاة**»(٢).

أحبتي الكرام...

وكما ذكرت لكم في أول هذه الوصية أن الحجر يذكر الله ويلبي، ويشهد لصاحبه عند الله عز وجل.. أذكركم بما رواه جابر بن سمرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إني لأعرف حجراً بمكة، كان يُسلم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن**»(٣).

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤].

اللهمَّ رب العرش العظيم أسألك أن تجمعنا دائمًا على الإيمان والذكر والقرآن، وأن تجعل آخر كلامنا من الدنيا (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

كما نسألك أن تظلنا تحت ظلك يوم لا ظل إلا ظلك، اللهمَّ لا تعذب جمعًا

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البزار ورجاله موثقون إلا أن في سنده الربيع بن أنس، قال عن أبي العالية أو غيره فتابعيه مجهول قاله الهيثمي في محمع الزوائد (١/ ٧٢).

(٣) رواه مسلم وأحمد وابن جرير في تفسيره.

التقى فيك ولك، اللهمَّ لا تعذب ألسنة أخبرت عنك.. اللهمَّ لا تعذب قلوبًا تشتاق إلى لقائك.. اللهمَّ لا تعذب أعينًا ترجو النظر إلى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين..

اللهمَّ كلنا ذو خطأ، ومالنا إلا عفوك، وحسن الظن بك، وحب من تحب، فأقل عثرتنا، وتجاوز عن خطئنا، وأنت أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين يا رب العالمين..

الوصية رقم (١٠٢)

* قيلوا فإن الشياطين لا تقيل *

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**قيلوا فإن الشياطين لا تقيل**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام...

هذه وصية من وصايا أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ ترشد أتباع الرسول وأمته إلى كل خير، فما من خير وبر إلا وأمرنا به، وما من شر إلا ونهانا عنه، وحذرنا منه..

ورسولنا المصطفى ﷺ يوصينا هنا بنومة القيلولة، وهي النوم في الظهيرة، أو في نصف النهار، وهي مستحبة شرعًا لما فيها من الأثر الإيجابي في حياة الإنسان المادية والمعنوية على حد سواء..

وقد جاء ذكر القيلولة في القرآن الكريم في موضعين لا ثالث لهما: في قوله تعالى: ﴿**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا**﴾ [الفرقان: ٢٤] أي موضع القائلة قال الأزهري: القيلولة عند العرب، الاستراحة نصف النهار، إذا اشتد الحر، وإن لم يكن مع ذلك نوم، والدليل على ذلك أن الجنة لا نوم فيها.

وقال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما لا ينتصف النهار يوم القيامة، حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

وقد سأل رجل رسول الله ﷺ أينام أهل الجنة يا رسول الله؟

قال: «**النوم أخو الموت، ولا يموت أهل الجنة**»(٢).

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني وأبو نعيم في الطب والديلمي والبزار وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٣١) والسلسلة الصحيحة (١٦٧٤).

(٢) **صحيح**: رواه ابن حبان والبيهقي في شعب الإيمان وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٨٠٨) والصحيحة (١٠٨٧)

وذكرت في قوله عز وجل: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤] قال الليث: هي نومة نصف النهار، وقد خص الله عز وجل إنزال العذاب عليهم في هذين الوقتين [المساء، والقيلولة] لأن نزول المكروه عند الغفلة والدعة أفظع، وحكايته للسامعين أزجر وأروع عن الاغترار بأسباب الأمن والراحة(١).

وقد وردت في السنة المطهرة كما في حديث الوصية التي بين أيدينا، وأخرج ابن ماجه بسنده عن سهل بن سعد ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**ما كنّا نقيل، ولا نتغدى إلا بعد الجمعة**»(٢).

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنَّا نبكر بالجمعة، ونقيل بعد الجمعة..

ويلاحظ أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يحرصون على وقت القيلولة حرصا شديدًا، حتى إنَّ أحدهم إن لم يستطع القيلولة بالبيت، قال في المسجد، وهذا يتضح من حكاية خصام على بن أبي طالب رضى الله عنه مع فاطمة الزهراء ﷺ ففي صحيح البخاري عن سهل بن سعد ﷺ قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة ﷺ فلم يجد عليًا في البيت، فقال لها: «**أين ابن عمك؟**» قالت: كان بيني وبينه شيء، فغاضبني، فخرج فلم يقل (أي لم ينم القيلولة) عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «**انظر أين هو؟**» فجاء، فقال يا رسول الله، هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه، ويقول: «**قم أبا تراب، قم أبا تراب**»(٣).

بل والثابت عن النبي ﷺ أنه كان يحافظ على نومة القيلولة، ففي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ راوي الوصية التي نحن بصدد الحديث عنها قال: دخل علينا رسول الله ﷺ فقال عندنا- أي نام للقيلولة- فعرق، فجاءت أمي

(١) روح المعاني (٦/١٠٧).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجة وغيرهم.

(٣) رواه البخاري وأحمد.

بقارورة، فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «**يا أم سليم، ما هذا الذي تصنعين؟**»

قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو من أطيب الطيب[1]..

أحبتي الكرام..

والنبي ﷺ كان يفعل ذلك عند أم سليم رضي الله عنها لأنها كانت محرمًا له قال ابن عبد البر: كانت إحدى خالاته من الرضاعة، وقيل: خالة لأبيه أو لجدته..

وقيل: هذه خصيصة للنبي ﷺ. وكذلك أختها (أم حرام بنت ملحان) رضي الله عنها وقد أخرج البخاري عن أم حرام أن رسول الله ﷺ قال عندهم- أي نام عندها نومة القيلولة- يومًا، فأطعمته، ثم جلست تُفلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قال: «**رأيت قومًا ممن يركب ظهر هذا البحر كالملوك على الأسرة**» قالت: يا رسول الله، ادعوا الله أن يجعلني منهم.

قال: «**فإنك منهم**» قالت: ثم نام، فاستيقظ وهو يضحك..

فقالت: يا رسول الله، ما أضحكك؟ فقال مثل مقالته، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم.. قال: «**إنك من الأولين**».

فتزوجها عبادة بن الصامت، فغزا في البحر، فحملها معه، فلما رجع قربت لها بغلة، لتركبها، فصرعتها فماتت[2].

الشاهد في هذه القصة أن رسول الله ﷺ كان يحب أن ينام في وقت القيلولة، ويداوم عليه ويحرص. وكانت من شيم الصالحين الموحدين.

ولذلك حرص عليها السلف الصالح رضوان الله عليهم أشد الحرص، وذلك لما لها من أثر كبير في حياة الإنسان، حتى إن الواحد منهم كان يتابع عماله وأهل بيته في المحافظة عليها، فعن مجاهد قال: بلغ عمران أن عاملاً له لا يقيل، فكتب إليه، أما بعد: فقل، فإنَّ الشيطان لا يقيل.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الطبراني ورجاله إلى قائله رجال الصحيح.

وعن أبي فروة أنه قال: القائلة من عمل أهل الخير، وهي مجمة للفؤاد، مقواة على قيام الليل.

وهذه الأخيرة [قيام الليل] أعظم فائدة، وهي التي من أجلها سن نوم القيلولة فقيام الليل دأب الصالحين، وتجارة المؤمنين، وعمل الفائزين، ففي الليل يخلو المؤمنون بربهم، ويتوجهون إلى خالقهم وبارئهم، فيشكون إليه أحوالهم، ويسألونه من فضله، فنفوسهم قائمة بين يدي خالقهم، عاكفة على مناجاة بارئها، تتنسم من تلك النفحات، وتقتبس من أنوار تلك القربات، وترغب وتتضرع إلى عظيم العطايا والهبات..

وقيام الليل من دأب الصالحين، وشعار العابدين، فيه خشوع قلوبهم، وتزكية نفوسهم، وذكر ألسنتهم، وسهر عيونهم، وسجود جباههم، ومجافاة جنوبهم الليل مساء العابدين، وفيه تظهر همة المتهجدين، ولذة المتضرعين، وحب المخلصين.. أين هذا الليل من نوم طويل، وركون ثقيل، وغفلة تامة؟! شتان بين النور والظلمة، وبين السمو والدنو، وبين الثرى والثريا..

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩] هل يستوي من هذه صفته، مع من نام ليله، وضيع نفسه، غير عالم بوعد ربه.

أحبتي في الله...

أين رجال الليل؟ أين ابن أدهم والفضيل؟ ذهب الأبطال وبقى كل بطّال؟ أين الذين **﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** [الذاريات: ١٧، ١٨] قال الحسن: كابدوا الليل، ومدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا في الدعاء والاستكانة والاستغفار..

وقد حثنا قدوتنا وأستاذنا ﷺ ورغبنا فيه، فقال: «**عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسد**»(١).

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٧٩) وصحيح =

وقال ﷺ: «**إنَّ في الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها**» فقيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائمًا والناس نيام**»(١).

وها هو أمين الوحي سيدنا جبريل عليه السلام ينزل على الحبيب المصطفى ﷺ يومًا، ويقول له: «**يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت، فإنك مجزيٌّ بهم، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس**»(٢).

لذلك كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فيقال له: لم تفعل ذلك يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم لذنبك وما تأخر؟ فيقول: «**أفلا أكون عبداً شكوراً؟**»(٣).

لقد جاء رجل إلى السيدة عائشة ﵂ فقال: يا أم المؤمنين، أخبريني عن أعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ فقالت: وأي أمره لم يكن عجبًا؟ أتاني مرة، فدخل معي في فراشي، ثم قال لي: «**دعيني أتعبد لربي الليلة**».

فقلت له: أحب قربك، وأوثر هواك، فقام يصلي، فبكى، فكثرت دموعه حتى رأيت دموعه تبل صدره، ثم رجع، فبكى، ثم سجد فبكى، فما زال كذلك حتى طلع الفجر، فأتاه بلال يؤذنه بالصلاة، فرآه يبكي، فقال له ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: «**وكيف لا أبكي يا بلال، وقد نزلت عليَّ الليلة هذه الآية**»(٤).

﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾**

= الترغيب (٦٢٤).

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في الكبير وغيره وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٦١٧).

(٢) **حسن**: رواه الحاكم وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (١٨/٢٩٦) وحسنه الألباني في الصحيحة (٨٣١).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٤) **حسن**: رواه ابن حبان في صحيحه وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١٤٦٨).

الَّذينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ في خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

ويقول صفوان بن المعطل السلمي: كنت مع رسول الله ﷺ في سفر فرمقت صلاته ليلة، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام، فلما كان نصف الليل، استيقظ فتلا أواخر سورة آل عمران، ثم تسوك، ثم توضأ، ثم قام فصلى ركعتين، لا أدري أقيامه أم ركوعه أم سجوده أطول؟ ثم انصرف فنام، ثم استيقظ ففعل ذلك ثم لم يزل يفعل كما فعله في أول مرة حتى صلى.

وفينا رسول يتلو كتابه
إذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه
إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

أحبتي الكرام...

إذا كانت نفوسنا تهفوا إلى السعادة وتحاول أن تستشعرها كل وقت وحين، فهل توجد سعادة أكبر وأسمى من سعادة الوقوف بين يدي الله تعالى، واستشعار قربه؟ إنها لذة لا تساويها لذة، ومتعة لا تدانيها متعة، ومع هذا تحصل أيضًا على الثواب الجزيل، وهذه السعادة لا يشعر بها إلا من جربها، ففي هذا الوقت من الليل يكون الهواء أكثر نقاء، والجو أكثر صفاء، والنسيم العليل يملأ الدنيا بعبيره، والسكون والهدوء يغمر الكون، فتشعر كأنك في عالم آخر غير عالمنا الذي نعيش فيه، وكأن الدنيا كلها تستعد وتتزين لنزول رب العزة والجلال إلى سمائنا الدنيا في الثلث الأخير من الليل، ليقول لنا: «**من يدعوني، فأستجيب له، من يستغفرني، فأغفر له، من يسألني، فأعطيه، هل من تائب فأتوب عليه؟! حتى يطلع الفجر..**»[1].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

فلا تضيع على نفسك هذه اللذة، ولا تلك المتعة.. هيا إلى مناجاة العزيز الغفور.. الرحيم الشكور..

إنَّ هذه اللذة- التي يستشعرها المؤمن هي ما جعلت بعض العلماء يقولون: ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة.

وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول: إذا غربت الشمس، فرحت بالظلام، كي ينام الناس، فأخلو بالله عز وجل. قال شريك: من كثرت صلاته بالليل، حسن وجهه بالنهار(١).

وعندما سئل الحسن البصري ـ رحمه الله ـ لماذا المتهجدون بالليل من أجمل الناس وجوهًا؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن، فألبسهم من نوره(٢).

أعظم ما يجتنيه المسلم من نومة القيلولة، هو قيام الليل، هو السعادة واللذة التي لا تدانيها لذة، إنها لذة تجعلهم يهجرون مضاجعهم، لما هو أحب عندهم وأعظم.. **﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾** [السجدة: ١٥، ١٦].

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحبون قيام الليل، ويفضلون الموت على تركه، فقد طلب النبي ﷺ من عبَّاد بن بشر ؓ أن يتولى حراسة المسلمين في إحدى المعارك، فأخذ يقوم الليل، وأثناء حراسته جاء أحد الأعداء، فضربه بسهم، وقع في كتفه، فأخرج السهم، وأكمل الصلاة فضربه الرجل بسهم آخر، فوقع في كتفه، فأخرجه، وأكمل صلاته، فضربه بسهم ثالث، فأخرجه، وركع وسجد وسلم، ثم أيقظ أحد الصحابة، فقال له: لمَ لم توقظني؟ قال: كنت أصلي ركعتين، وكنت أقرأ في سورة ما أحببت أن أقطعها.

أحبتي الكرام...

إذا علمنا كل ذلك، فنعلم أن قيام الليل صعب إلا على من يسره الله عز وجل لذلك يقول أحدهم: كابدت قيام الليل عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة..

---

(١) الكامل لابن عدى (٢/ ٥٢٦).

(٢) مختصر قيام الليل للمروزى (ص٥٨).

وقال محمد بن المنكدر: كابدت نفسي أربعين سنة، حتى استقامت.

وهناك بعض الوصايا التي تعين المسلم على قيام الليل، منها:

١- نوم القيلولة الذي نحن بصدد الحديث عنه- فقد روى أن الحسن ـ رحمه الله ـ كان إذا دخل السوق فسمع لغطتهم ولغوهم، قال: أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء، فإنهم لا يقيلون.

وقد ذكر العلماء والأطباء أن للقيلولة فوائد علمية..

فيشير الدكتور حسان شمس باشا، إلى أن الباحثين أكدوا في دراسة نشرت في مجلة «العلوم النفسية» عام ٢٠٠٢م أن القيلولة لمدة ١٠-٤٠ دقيقة- تكسب الجسم راحة كافية، وتخفف من مستوى هرمونات التوتر المرتفعة في الدم، نتيجة النشاط البدني والذهني، الذي بذله الإنسان في بداية اليوم.

ويرى العلماء أن النوم لفترة قصيرة في النهار يريح ذهن الإنسان وعضلاته، ويعيد شحن قدراته على التفكير والتركيز، ويزيد إنتاجيته، وحماسه للعمل.

وتقول الدراسة التي تمت تحت إشراف الباحث الأسباني «د. إيسكا لانتى» أن القيلولة تعزز الذاكرة والتركيز، وتفسح المجال أمام دورات جديدة من النشاط الدماغي في نمط النوم العادي.

وأشار الدكتور «إيسكا لانتى» أن الدول العربية بدأت تدرج القيلولة في أنظمتها اليومية، وتوصى بقيلولة تتراوح بين ١٠-٤٠ دقيقة.

٢- هجر الذنوب والمعاصي: يقول سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: حرمت قيام الليل خمسة أشهر، لذنب أذنبته، قيل له: وما هذا الذنب؟ قال: رأيت رجلاً يبكي فقلت: هذا مراء[1].

وقال الحسن بن على: إذا لم تقدر على قيام الليل، وعلى صيام النهار، فاعلم أنك محروم، وقد كثرت ذنوبك.

---

(١) الحلية لأبي نعيم (٣/ ١٥٤).

٣- ومن الأسباب المعينة على قيام الليل: عدم الإكثار من الطعام: قال بعض الصالحين: كم من أكلة منعت قيام ليلة؟! وكم من نظرة منعت قراءة سورة، وإنَّ العبد ليأكل أكلة، أو يفعل فعلة، فيحرم بها قيام سنة. ولقد بين رسول الله ﷺ حدود الشبع وآدابه فقال: «**ما ملأ آدمي وعاءً شرًّا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فاعلاً، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»(١).

وقال عبد الواحد بن زيد: من قوى على بطنه، قوى على دينه، ومن قوى على بطنه، قوى على الأخلاق الصالحة، ومن لم يعرف مضرته في دينه من قبل بطنه، فذاك رجل من العابدين أعمى.

وقال وهب بن منبه ـ رحمه الله ـ: ليس من بني آدم أحب إلى الشيطان من الأكول النَّوام وقال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: عليكم بقلة الأكل تملكوا قيام الليل.

ورحم الله من قال:

وجدت الجوع يطرده رغيف
وملء الكف من ماء الفرات
وقلّ الطعم عون للمصلى
وكثر الطعم عون للسَّبات

٤- التفكر في أهوال القيامة: قال طاوس: إن ذكر جهنم طيّر نوم العابدين.

وعن مالك بن دينار رحمه الله قال: قالت المرأة التي نزل عليها عامر بن عبد الله: مالي أرى الناس ينامون، ولا أراك تنام؟

---

(١) **صحيح**: روه أحمد والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٥٠).

قال: إنَّ ذكر جهنم، لا يدعني أن أنام[١].

٥- الاقتصاد في الكد نهاراً: والمقصود به: عدم إرهاق النفس بما لا ضرورة منه، ولا مصلحة راجحة كفضول الأعمال والأقوال ونحوها، أما ما يستوجبه الكسب والحياة من الضروريات، ولا غنى للمرء عن الكد لأجله، فيقتصر فيه، بحسب ما تتحقق المصلحة.

٦- سلامة القلب من الأحقاد على المسلمين، ومن البدع، وفضول هموم الدنيا فإن ذلك يشغل القلب، ويضغط عليه، فلا يكاد يهتم بشيء سواه.

٧- الوقوف على فضائل القيام وثمراته: فإنها تهيج الشوق، وتعلي الهمة، وتحيي في النفس الطمع في رضوان الله وثوابه.

٨- وهو من أشرف البواعث: حب الله، وقوة الإيمان وحده، لأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج به ربه، ومطلع عليه، مع مشاهدة ما يخطر بقلبه، وأن تلك الخطرات من الله عز وجل خطاب معه. وهناك أسباب أخرى نكتفي بهذا.

أحبتي الكرام...

إلى متى هذه الغفلة وأنتم مطالبون بغير مهلة؟ فبالله عليكم، تعاهدوا أيامكم بتحصيل العُدد، وأصلحوا من أعمالكم ما فسد، وكونوا من آجالكم على رصد، فقد آذنتكم الدنيا بالذهاب، وأنتم تلعبون بالأجل، وبين أيديكم يوم الحساب..

آه من ثقل الحمل.. آه من قلة الزاد وبعد الطريق.

يا بطال.. إلى كم تؤخر التوبة، وما أنت في التأخير بمعذور؟ إلى متى يقال عنك: مفتون ومغرور؟ يا مسكين أترى نفسك مقبول أم مطرود؟ أترى أنك تركب النُجب غداً أم أنت على وجهك مجرور؟ أترى أنك من أرباب النعيم والقصور أم من أهل الجحيم والسعير؟ فاز والله المخفون، وخسر هنالك المبطلون، ألا إلى الله تصير الأمور..

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٤٣) لابن الجوزي.

اللهمَّ يا من تصير كل الأمور إليك اشرح صدورنا، واغفر ذنوبنا، واهد شبابنا..

اللهمَّ اهد شبابنا وشبـاب المسلمين.. اللهمَّ حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا من الراشدين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (١٠٣)

* علامات حسن الخاتمة *

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله**» قيل: كيف يستعمله يا رسول الله؟

قال: «**يوفقه لعمل صالح قبل الموت**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

إن نصيب المرء من دنياه عـمره وأجله، فإن أحسن اسـتغلاله فيمـا ينفعه في دار القرار، ربحت تجارته، وعلى العكس من ذلك إن أساء استغلاله في الشرور والآثام، وارتكاب المعاصي والسيئات، حـتى انتهى أجله، ولقي الله عز وجل على تلك الخاتمة السيئة فـهو من الخاسرين.. وكم من حسرة تحت التراب، والعـاقل من حاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله عز وجل، وخاف من ذنوبه..

وهذا القبس الـنبوي الشريف يوجـه أتباع الحـبيب ﷺ إلى الاجتهـاد في عمل الخيرات، والمبادرة بالحسنات ليختم للعبـد بها فيكون ذلك رضًا من الله وتوفيقًا لحسن خاتمتـه.. وقد جـاء هذا الحديث الشريـف برواية أخرى.. «**إذا أراد الله بعـبد خـيرًا عسله**» قيل: وما عسله؟ قال: «**يفتح له عملاً صالحًا بين يدى موته، حتى يرضى عنه من حوله**»(٢) ومعنى (عسله) أي طيب ثناءه بين الناس..

قال الحكيم الترمذي: فهذا عبدٌ أدركته دولة السعادة، فأصاب حظه ومراده بعدما قطع عمـره في رفض العبودية، وتعطيـلها، وعطل الحدود، وأهمل الفـرائض، فلما

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد وابن حبان والحاكم والترمذي وقال: حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد والطبراني عن أبي عنبة وصححه الألباني في الصحيحة (١١١٤) وصحيح الجامع (٣٠٧).

قرب أوان شخوصه إلى الحق، أدركته السعادة بذلك الحظ، الذي كان سبق له، فاستنار الصدر بالنور، وانكشف الغطاء، فأدركته الخشية، وعظمت مساويه عنده، فاستقام أمره، فعمل صالحًا، فأعطى جزيلاً[(١)].

وكما قال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالخواتيم**»[(٢)] وقال ﷺ: «**لا تعجبوا بعمل أحد، حتى تنظروا بما يختم له، فإن العامل يعمل زمانًا من دهره، أو برهة بعمل صالح، لو مات عليه، دخل الجنة ثم يتحول، فيعمل عملاً سيئًا، وإن العبد ليعمل زمانًا من دهره بعمل سيئ، لو مات عليه، دخل النار، ثم يتحول فيعمل عملاً صالحًا، وإذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله قبل موته، فوفقه لعمل صالح، ثم يقبضه**»[(٣)].

وعند الطبراني من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا طهره قبل موته**» قالوا: وما طهور العبد؟

قال: «**عمل صالح يلهمه إياه، حتى يقبضه إليه**»[(٤)].

فحسن الخاتمة هو أن يوفق العبد قبل موته بالإقبال على الطاعات، وأعمال البر والخيرات، والبعد عما يغضب ربه ومولاه، ثم يكون موته على هذه الحال الحسنة.

والعبد المؤمن يبشر عند موته برضوان الله ورحمته وجنته، واستحقاق كرامته تفضلاً منه تعالى- كما قال جل في علاه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾[فصلت: ٣٠].

وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند احتضارهم، وذلك لن يكون إلا لمن وفقه الله عز وجل للعمل الصالح، أما من عمل غير ذلك، فإنه يبشر بعذاب الله وسخطه، ومما يدل على هذا، ما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه**» فقلت: يا نبي

---

(١) فيض القدير (١/ ٣٣٠).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٣) **صحيح**: السلسلة الصحيحة للألباني (١٣٣٤).

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٦).

الله، أكراهية الموت، فكلنا يكره الموت؟ فقال: «**ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته، أحب لقاء الله، وإنّ الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه، كره لقاء الله، وكره الله لقاءه**»(١).

قال الإمام النووي رحمه الله في معنى الحديث: أن المحبة والكراهة، التي تعتبر شرعًا، هي التي تقع عند النزع في الحالة التي لا تقبل فيها التوبة، حيث ينكشف الحال للمحتضر، ويظهر له ما هو صائر إليه..

أحبتي في الله...

وربنا عز وجل قد حثنا على نيل الخاتمة الحسنة، والحرص على ذلك، فقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٢].

والسعي لحسن الخاتمة غاية الصالحين، وهمة العُبَّاد المتقين، ورجاء الأبرار الخائفين قال رب العالمين: ﴿**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [البقرة: ١٣٢] وقال في وصف أولي الألباب: ﴿**رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ**﴾ [آل عمران: ١٩٣] وقال عن التائبين: ﴿**رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**﴾ [الأعراف: ١٢٦] وعن عبد الله بن عمرو ﵄ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**» ثم قال: «**اللهمَّ مصرف القلوب، صرِّف قلوبنا على طاعتك**»(٢).

فمن وفقه الله لحسن الخاتمة، فقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، ولا كرب عليه بعد ذلك التوفيق، لكن- والعياذ بالله- من ختم له بسوء، فقد خسر في دنياه وأخراه..

والصالحون تعظم عنايتهم بالأعمال الصالحة، السوابق للخاتمة، كما أنهم

---

(١) متفق عليه رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد وابن ماجه.

(٢) رواه مسلم وأحمد في مسنده.

يجتهدون في طلب التوفيق للخاتمة الحسنة، فيحسنون الأعمال، ويحسنون الظن بالله عز وجل، والرجاء فيه، ويسيئون الظن بأنفسهم.. كما وصفهم مولانا عز وجل، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦٠].

فسألت السيدة عائشة ـ رضوان الله عليها ـ عن الآية الأخيرة، وأصحابها، فقالت: يا رسول الله، أهو الذي يسرق ويزني، ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عز وجل، فقال لها: «**لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم**»[(١)] ﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [المؤمنون: ٦١] وقال عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

ومن صدق الله في نيته، وعمل بسنة رسوله ﷺ واتبع هدى أصحابه البررة فقد جرت سنة الله تعالى أن يختم له بخير، وأن يجعل عواقب أموره إلى خير، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠] وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً﴾ [طه: ١١٢].

والخواتيم ميراث السوابق، وكل ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق..

وقد قيل: إنَّ قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، يقولون: بماذا يختم لنا؟! وقلوب المقربين، معلقة بالسوابق، يقولون: ماذا سبق لنا؟

قال سهل بن عبد الله التستري ـ رحمه الله ـ: المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر!

ومن هنا كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ومن بعدهم من السلف الصالح

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي وابن ماجة وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣١٧٥) وصحيح سنن ابن ماجة (٤١٩٨).

يخافون على أنفسهم النفاق، ويشتد قلقهم وجزعهم منه، لئلا يختم لهم بشيء من ذلك. . فإن الخاتمة السيئة هي المصيبة العظمى، والداهية الكبرى- والعياذ بالله.

أحبتي في الله...

إنَّ الشارع الحكيم قد جعل علامات يستدل بها على حسن الخاتمة، فأيما امرئ مات بإحداها، كانت بشارة له، ويا لها من بشارة، ومن هذه العلامات:

١- النطق بالشهادة عند الموت: فعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، دخل الجنة**»(١).

٢- الموت برشح الجبين: فعن بريدة أنه كان بخراسان، فعاد أخًا له وهو مريض، فوجده قد مات، وإذا هو يعرق جبينه، فقال: الله أكبر، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**موت المؤمن بعرق الجبين**»(٢).

٣- الموت ليلة الجمعة أو يومها: لقول رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر**»(٣).

٤- ومنها: الاستشهاد في ساحة القتال: قال الله عز وجل: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٩- ١٧٠].

وعن المقداد بن معديكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «**للشهيد عند الله ست خصال، يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوته منها خير من الدنيا**

(١) **صحيح**: رواه أبو داود وأحمد وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (٢٦٧٣).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٦٦٥).

(٣) **حسن**: رواه أحمد والترمذي وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٣٥٦٢) وصحيح الجامع (٥٧٧٣).

وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه»[١].

٥- ومن يموت غازيًا في سبيل الله: فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما تعدون الشهيد فيكم؟**» قالوا: يا رسول الله، من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: «**إنَّ شهداء أمتي إذًا لقليل**» قالوا: فمن هم يا رسول الله؟

قال: «**من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله، فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد**»[٢].

فقوله: من مات في البطن، أي بسبب داء البطن، كالاستسقاء، ونحوه من الأمراض فهو عند الله شهيد..

٦- والموت بالطاعون: فعن حفصة بنت سيرين، قالت: قال لي أنس بن مالك: بم مات يحيى بن أبي عمرة؟ قالت: قلت: بالطاعون، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**الطاعون شهادة لكل مسلم**»[٣].

٧- والموت بسبب الغرق والهدم: لقوله ﷺ: «**الشهداء خمسة: المطعون والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله**»[٤].

٨- موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها: لحديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: عاد رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة، فما تجوز له عن فراشه، فقال ﷺ: «**من شهداء أمتي؟**» وذكر منهم.. **والمرأة يقتلها ولدها جمعا شهادة يجرها ولدها بسرره إلى الجنة**»[٥] يعني بحبل المشيمة الذي يقطع عنه.

٩- ومنها: الموت بالحرق، وذات الجنب: وهي ورم حار يعرض في الغشاء

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي وصححه ورواه أحمد وابن ماجة وصححه الألباني.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وأبو داود.
(٥) **صحيح**: رواه أحمد والدرامي والطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٣٩٤).

المستبطن للأضلاع- وفي ذلك أحاديث، ومنها: ما رواه جابر بن عتيك مرفوعًا: «**المطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد**»(١).

١٠- والموت بداء السل: لقوله ﷺ: «**القتل في سبيل الله شهادة، والنفساء شهادة، والحرق شهادة، والغرق شهادة، والسل شهادة، والبطن شهادة**»(٢).

١١- والموت في سبيل الدفاع عن ماله: لقوله ﷺ: «**من قتل دون ماله فهو شهيد**»(٣) وفي رواية للإمام أحمد: «**من أريد ماله بغير حق، فقاتل فقتل فهو شهيد**».

١٢- الموت في سبيل الدفاع عن الدين والنفس لقوله ﷺ: «**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد**»(٤).

١٣- الموت على عمل صالح لقوله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا الله، ابتغاء وجه الله، وختم له بها، دخل الجنة، ومن صام يومًا ابتغاء وجه الله، ختم له بها، دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله، ختم له بها، دخل الجنة**»(٥).

إنَّ هذه العلامات هي البشائر الحسنة، التي تدل على حسن الخاتمة، ولكننا مع ذلك لا نجزم لشخص ما بعينه أنه من أهل الجنة إلا من شهد له النبي ﷺ بالجنة كالخلفاء الأربعة، أو العشرة المبشرون بالجنة ونحو ذلك..

أحبتي الكرام الأفاضل...

إنَّ آخر ساعة في حياة الإنسان هي الملخص لما كانت عليه حياته كلها، فمن كان مقيمًا على طاعة الله عز وجل، بدا ذلك عليه في آخر حياته ذكرًا وتسبيحًا، وتهليلاً وعبادة، وشهادة..

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود والنسائي ومالك وأحمد وصححه الألباني في أحكام الجنائز.
(٢) **حسن**: رواه أحمد عن راشد بن حبيش وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٣٩).
(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد.
(٤) **صحيح**: رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وصححه الألباني في المشكاة (٣٥٢٩).
(٥) **صحيح**: رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٩٨٥).

ومن وقف على أخبار المحتضرين عند الموت، وشاهد بعضًا منهم، اشتدت رغبة المسلم في تحصيل أسباب حسن الخاتمة، ليكون مع هؤلاء الموفقين لحسن الخاتمة، فقد شوهد أحدهم، وهو يقول: مرحبًا بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إنس ولا جان وشوهد من المحتضرين من يلهج بذكر الله، وبـ (لا إله إلا الله) وبعضهم يتلو آيات القرآن الكريم، وشوهد بعضهم، وهو يقسم مسائل الفرائض، ويتكلم في مسائل العلم.. وقال بعضهم: لا تخافوا عليَّ فقد بُشرت بالجنة الساعة..

وهذا عبد الله بن جحش ﷺ عندما خرج لمعركة أحد، دعا الله عز وجل قائلاً: يا رب، إذا لقيت العدو، فلقني رجلاً شديدًا بأسه، شديدًا حرده، فأقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني ويجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غدًا، فقلت لي: يا عبد الله، من جدع أنفك وأذنك، فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت.. وبعد المعركة رآه بعض الصحابة مجدوع الأنف والأذن كما دعا..

وهذا عمير بن الحمام عندما حث رسول الله ﷺ أصحابه الكرام على الاستشهاد في سبيل الله في معركة بدر قائلاً: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**» فسمع عمير بن الحمام هذا، فقام وقال: بخٍ بخٍ فقال رسول الله ﷺ: «**ما يحملك على قول بخٍ بخٍ؟**» قال لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها، فقال له رسول الله ﷺ: «**فإنك من أهلها**» فأخرج عميرٌ تمرات من جعبته ليأكلها، ويتقوى بها، فما كادت تصل إلى فمه، حتى رماها، وقال: إنها لحياة طويلة، إن أنا حييت حتى آكل تمراتي فقاتل المشركين حتى قتل[1]..

ولما احتضر عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال لمن حوله: أخرجوا عني فلا يبق أحد، فخرجوا فقعدوا على الباب، فسمعوه يقول: مرحبًا بهذه الوجوه، التي ليست بوجوه إنس ولا جان، ثم قال: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [القصص:٨٣] ثم قبض رحمه الله.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده ورواه مسلم.

أحبتي في الله...

هذه بعض صور لحسن الخاتمة لسلفنا الصالح رضوان الله عليهم، فاعملوا واجتهدوا في الأعمال الصالحات قبل أن تأتيكم المنيات.. فإنها لابد آت.. فالكل وإن طالت الأعمار راحل، وبريق الدنيا مهما لمع، زائل، وعمودها مهما استقام مائل:

ألا أيها الناس ليوم رحيله
أراك عن الموت المفرق لا هيا
ولا ترعوى بالظاعنين إلى البلى
وقد تركوا الدنيا جميعًا كما هيا
ولم يخرجوا إلا بقطن وخرقة
وما عمروا من منزل ظل خاويًا
وهم في بطون الأرض صرعى جفاهم
صديق وخل كان قبل موافيا
وأنت غدا أو بعده في جوارهم
وحيدًا فريدًا في المقابر ثاويًا
جفاك الذي قد كنت ترجو وداده
ولم تر إنسانًا بعهدك وافيًا
فكن مستعدًا للحمام فإنه
قريب ودع عنك المنى والأمانيا

لا تغفل فإنك لم تخلق سدى، وإذا رأيت الناس قد سخروا فطنتهم للدنيا، فاستعمل فطنتك في الآخرة. تفكر في رحيلك.. واجعل همك كل همك في معادك، تذكر أن الموت يأتي على غرة، وأعد لفجأته حسابًا.

تفكر في لحظة احتضارك.. بم يختم لك، وكيف يكون وقتها حالك؟

فيا أخي...

عـــــد إلـى الله بقـلـب خـــــاشع

وادعـــــه لـيــــــلاً بــطـرف دامـع

يتـــــولاك بعـــــفــــو واسـع

ويبدل كل السيئات حسنات أجرها لن ينفذ.. وقل:

يا واهـب الخـــيـــرات، هـب لي هـدايه

فـــمـــا عنـد فــقـــدان الهـــدايه نـافع

أقل عـــثـــرتي عــفــواً ولطـفًـا ورحـــمـة

فـــمـــا لجـمـيل الصـفح غـيـرك صـانع

اللهمَّ أحسن خاتمتنا في الأمور كلها.. اللهمَّ هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا بفضلك وجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (١٠٤)

* إذا أخطأت فعد إليه فبابه مفتوح *

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أخطأتم حتى تبلغ السماء، ثم تبتم، لتاب الله عليكم**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام...

هيا بنا لنعيش مع هذه الوصية العظيمة، التي تحمل في طياتها، وبين جنباتها رحمة الله الرحمن الرحيم، فهو القائل في محكم كتابه: ﴿وَرَحْمَتِي وسِعتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

وفي الحديث القدسي: «**رحمتي سبقت غضبي**»(٢).

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي تسعى قد تحلب ثديها، إذا وجدت صبيًا في السبي، أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته، فقال رسول الله ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟**» قلنا: لا والله يا رسول الله، قال: «**فالله أرحم بعباده من هذه بولدها**»(٣).

والوصية التي نعيش في ظلالها، ونقطف من ثمارها، فيها دعوة إلى الرجوع إلى الله عز وجل، والعودة إلى بابه، فبابه مفتوح للتائبين. فلو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء من كثرتها، ثم عدتم وندمتم، لرحمكم الله وتاب عليكم، وعفا عنكم، وغفر لكم، لأن نار الندم تحرق جميع الخطايا، ونور الخشية يمحق عن القلب ظلمة السيئة، ولا طاقة لظلام الخطايا بنور السيئات، كما لا طاقة لكدر الوسخ ببياض الصابون(٤)..

---

(١) **حسن صحيح**: رواه ابن ماجة وصححه الألباني برقم (٤٢٤٨) وفي الصحيحة (٩٠٣) وصحيح الترغيب (٣١٣٨) وصحيح الجامع (٥٢٣٥).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) فيض القدير (٥/ ٣٩٧) للمناوى.

وكلنا ذوو خطأ، والمعصوم من عصمه الله، والمسلم يجب أن يتذكر ولا ينسى أن الله عز وجل لم يخلقه ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلاً، ولكنه بشر.. إنسان تتنازعه قوى الخير والشر، فهو تارة يغلب خيره شره، فيكون حينئذ خير من الملائكة المعصومين، وتارة يغلب شره خيره، فيكون حينئذ شرٌ من البهائم، والنبي ﷺ يقول: «**كل ابن آدم خطّاء، وخير الخطائين التوابون**»(١).

كل ابن آدم يطرأ عليه الخطأ، ولو لم يخطئ لما كان بشرًا، لأن الخطأ من طبيعة البشر.. قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم**»(٢) فلابد من الخطأ.. ولابد من التقصير

من ذا الذي ما ساء قط
ومن له الحسنى فقط
تريد مبرأً لا عيب فيه
وهل نارٌ تفوح بلا دخان

وما دام الإنسان ذا خطأ، فلا ينبغي أن يكون على الخطأ مصرًا، إياك أن تدوم على المعصية، فإنَّ المعصية شؤم.. إنَّ المعصية عذاب.. وإنَّ المعصية وحشة وإنَّ المعصية غضب من الله الواحد الديان.. المعصية قبيحة ومؤلمة، ومآلها خطير وقد يحبس خير كثير عن أمة بسبب المعصية من شخص واحد، مع أنهم لم يأمروه بهذه المعصية، ولم ينهوه.. ذكر ابن قدامة المقدسي في كتاب (التوابين) أن الأرض قد أجدبت على عهد كليم الله موسى عليه السلام، وأصابهم القحط، فذهبوا إلى نبي الله موسى عليه السلام يطلبون منه أن يدعو الله عز وجل لهم، ليسقيهم الغيث، فقام معهم وخرجوا إلى الصحراء ليستسقوا- وليصلوا صلاة الاستسقاء، وكانوا سبعين ألفًا أو يزيدون، فقال موسى عليه السلام: يا رب اسقنا غيثك، وانشر علينا رحمتك

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٣١٣٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم وأحمد.

وارحمنا بالأطفال الرضع، والبهائم الرتع، والشيوخ الركع، فما ازدادت السماء إلا اكفهرارًا، وذهبت السحب، فقال موسى: يا رب، استسقيناك فلم تسقنا فقال: يا موسى، إنَّ فيكم عبدًا يبارزني بالمعصية منذ أربعين عامًا، فمره أن يخرج من بين أظهركم، فبشؤم ذنبه، منعتكم القطر من السماء..

فقال موسى: يا رب، أنا عبدٌ ضعيف، وصوتي ضعيف، فأين يبلغ صوتي وهم سبعون ألفًا أو يزيدون؟ فأوحى الله إليه: منك النداء، وعلينا البلاغ، فقام موسى فنادى في قومه: أيها العبد العاصي، الذي بارز الله بالمعصية أربعين عامًا، اخرج من بين أظهرنا، فبشؤم ذنبك منعنا المطر من السماء.. لكن العبد تلفت يمينًا وشمالاً، لعل غيره يخرج، فعلم أنه المقصود، فماذا يفعل؟ إنه لو خرج لافتضح أمره على رءوس بني إسرائيل، وإن بقي هلك مع الهالكين بالقحط والجدب، فماذا فعل؟ ما كان منه إلا أن أدخل رأسه في ثيابه، وقال: يا رب، عصيتك أربعين وأمهلتني، واليوم قد أقبلت إليك طائعًا تائبًا نادمًا، فاقبلني، واسترني بين عبادك يا أكرم الأكرمين.. فلم يستتم كلامه، حتى أمطرت السماء كأفواه القرب.. فقال موسى عليه السلام لمولاه: يا رب، سقيتنا، ولم يخرج العاصي من بيننا.. فقال: يا موسى، أسقيتكم بالذي منعتكم به.. بنفس العبد الذي منعتكم المطر بسببه، الآن سقيتكم بسببه.. أي بسبب توبته، ورجوعه إليَّ، ومعرفته بحقي.. وندمه على ذنبه فقال موسى: يا رب، أرني هذا العبد التائب النادم..

فقال له: يا موسى، سترته وهو عاصي، فكيف أفضحه بعدما تاب إليَّ؟![1]

يا من ألوذ به فيما أؤمله
وأستعيذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره
ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

---

(١) التائبون لابن قدامة المقدسي.

يا كثير العفو عن من كثر الذنب لديه، جاءك المذنب يرجو الصفح عن جرم لديه أنا ضيف، وجزاء الضيف إحسان إليه..

لا إله إلا الله.. ما أرحم الله عز وجل، وما أكرمه.. وهو القائل: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران:١٣٥] ما جزاؤهم؟ ﴿**أُولَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٦] كلنا نخطئ.. فإذا أخطأت فعد إلى ربك.. تب من معصيتك.. كلنا نخطىء والله يمهل ولا يهمل.. «**لو لم تكونوا تذنبون، خشيت عليكم أكثر من ذلك.. العجب**»[١] لأن العاصي يعترف بنقصه، فترجى له التوبة، والمعجب مغرور بعمله، فتوبته بعيدة.. وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.. ولأن دوام الطاعة يوقع فيه، ولهذا قيل: أنين المذنبين إلى الله، أحب إليه من زجل المسبحين.. لأن زجل المسبحين يشوبه الافتخار، وأنين المذنبين يشوبه الانكسار والافتقار.. والمؤمن حبيب الله، يصونه ويصرفه عما يفسده إلى ما يصلحه..

فيا من زلت قدمه في المعصية.. وكلنا ذاك الرجل.. صح أخطاءك، وعالج أمراضك واغسل ذنوبك، واستأنف الحياة بثوب التوبة النقي النظيف، واسمع لدعوة أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، وهو يقول لك: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور:٣١].

لقد فتح لنا مولانا باب التوبة، فتح لنا باب التوبة، حتى تطلع الشمس من مغربها، لنعود ولنتوب ولنؤوب إلى رشدنا، فيغفر لنا ما اقترفناه من آثام وخطايا وموبقات سبحانه يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.. ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**﴾ [التحريم:٨].

---

(١) **حسن**: حسنه الألباني في الصحيحة (٦٥٨).

وها هو يقول لك: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم**»(١).

وها هو الرجل الذي أسرف على نفسه من المعاصي، وهو من الموحدين، لم يشرك بالله، فعل كل الموبقات، سرق وزنا، وقتل، وغش وكذب، واحتال، وشهد الزور، وفعل كل الخطيئات والسيئات.. وانتهك الحرمات.. وتكبر وتجبر.. وحلت به سكرات الموت، التي لم يُعف منها أحد، حتى سيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ جمع أبناءه في تلك الساعة.. ساعة لا ينفع فيها مال ولا بنون.. لا ينفع فيها منصب ولا جاه.. فجاءه أبناؤه، وقال لهم: أي أبٍ كنت لكم؟ قالوا خير أب.. قال: فو الذي نفسي بيده، ما عملت خيرًا قط، غير أني أشهد أن لا إله إلا الله، فإذا أنا مت، فأوقدوا فيَّ نارًا، ثم ألقوني في النار، حتى أصير فحمًا ثم اسحقوني، ثم ذروني مع الريح، فلما مات، نفذوا وصيته.. أضرموا له النار، ووضعوه فيها حتى تحول إلى فحم، ثم سحقوه وفي الريح ذروه، فتفرق على الجبال، وعلى رءوس الأشجار، وعلى السهول والوديان، لكن الذي بدأه أول مرة قادر على أن يعيده.. قال الله عز وجل له: كن، فكان.. قال: يا عبدي، ما حملك على هذا؟

أما علمت أني أستر العيب؟ وأغفر الذنب؟

قال: يا رب، خفتك، وخشيت ذنوبي.. قال: أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت له وأدخلته الجنة..

ما أحلم الله عز وجل على عباده! وما أرحمه وما أكرمه سبحانه! ﴿**وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً**﴾ [النساء: ١١٠].

وها هي امرأة بغي، بارعة الجمال، تمر على عابد من العباد، ما عصى الله عز وجل طرفة عين، يتعبد لله في صومعته، فيفتتن بها، وصدق الرسول الأعظم ﷺ حين قال: «**فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء**» ولما افتتن بها، راودها عن نفسها، فأبت أن تمكنه من نفسها إلا بمائة دينار، وهو لا يملك دينارًا ولا درهمًا، فماذا يفعل هذا

---

(١) رواه مسلم.

العابد؟ لقد ترك صومعته ونزل ليكد ويجتهد، ويتعب، حتى جمع المائة دينار، ثم ذهب إلى هذه البغي في بيتها، فلما طرق عليها الباب، خرجت إليه، فقال لها: ها أنا ذا، قد جمعت المائة دينار وجئتك..

فقالت له: ادخل، فدخل، فدخلت إلى سرير من ذهب وتزينت وتجملت، وتعطرت، ثم قالت له: هلم إليّ، فسقط جالسًا..

فقالت له: قد كنت تزعم أنك ستجمع وتأتي، فلما مكنتك من نفسي، تجلس؟!

قال: ذكرت وقوفي بين يدي الله عز وجل- فلم تحملني أعضائي لأقف، فما كان منها هي الأخرى، إلا أن ارتعدت، وارتعشت وخافت ووجلت، وقالت: لا تخرج من هذا البيت حتى تتزوجني..

قال: لكني والله لا أتزوجك، وإنما خذي هذه الدنانير، ودعيني أخرج..

قالت: لا تخرج حتى توافق على الزواج مني، فماذا يفعل؟ قال لها: بلدي في المكان الفلاني، ولعلك إن جئت تائبة، لعلى أن أتزوجك- وهو يريد الخلاص منها- أما هو فذهب وخرج نادمًا على تفكيره في عمل المعصية، نادمًا على تركه العبادة..

أما هي فقد آلمها قبح الفاحشة وبشاعتها، ولسعتها مرارة المعصية، فرجعت إلى الله عز وجل وتابت إليه، ثم ذهبت تبحث عمن كان سببًا في توبتها إلى الله عز وجل، ذهبت إليه في قريته، وسألت عنه، حتى وصلت إليه، فطرقت الباب، فخرج، فتذكر يوم كادت تزل قدمه، فشهق شهقة عظيمة، فمات، فحزنت حزنًا شديدًا، وقالت: لأتزوجن قريبًا من أقربائه حبًا فيه..

فقالوا: له أخ فقير تقي.. فقالت: أتزوجه حبًا في أخيه، فتزوجت هذا العبد الفقير التقي، فجعل الله من نسلهما سبعة من الصالحين العابدين الزاهدين..

فما أعظم شأن التوبة! فهل من توبة؟ هل من أوبة؟ أما آن لنا أن نتوب ونئوب؟ هل من عودة إلى الله عز وجل؟

أحبتي الكرام...

النفس البشرية كالطفل.. إن أهملتها ضاعت وضلت، وخسرت، وتاهت.. وإن هذبتها وأدبتها، صلحت واستقامت.. بل هي كالبعير إن علفته وغذيته سكن وثبت، وإن تركته صدَّ وندَّ وهرب..

والنفس بطبيعتها تميل إلى الشهوات، وإلى الملذات، فإذا أردت لها الفلاح والفوز، فعد وتب إلى مولاك.. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس:٩، ١٠]

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم
وخالف النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محّضاك النصح فاتهم

أيها الأحبة الكرام...

إنَّ الأبصار تذنب، والقلوب تذنب والآذان تذنب، والأيدي تذنب، والأرجل تذنب، ولكن تغفر هذه الذنوب، إلا بالتوبة والرجوع إلى الله عز وجل..

يا نفسى توبي فإن الموت قد حانا
واعص الهوى فالهوى ما زال فتانًا
لكل يوم لنا ميت نشيعه
نحيى بمصرعه آثار موتانا
مالي وللأموال أتركها خلفي
وأخرج من دنياي عريانًا

اغتنموا الأوقات في الرجوع إلى خالق الكائنات، وطاعة خالق الأرض والسموات استغلوا إقبال النفس، فإن النفس كالحديدة، لا تلين بيد الحداد إلا إذا كانت حامية.. ساخنة.. فإذا تركها فبردت، جمدت وصارت أشد من الحجارة..

«يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك، يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة»(١).

لكن مع هذه الرحمة، ومع هذه المنة من العزيز الغفار، فاحرص على أن لا تحقر ذنبًا، ولا تستصغر معصية، ولا تستصغر كبيرة، ولا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمت من عصيت.

لا تستصغرن من الذنوب صغيراً
إن الصغير غداً يصير كبيراً
إنّ الصغير وإن تقادم عهده
عند الإله مسطر تسطيرا
فازجر هواك عن بطالة
ولا تكن صعب القيام وشمرن تشميراً
إن المحب إذا أحب إلهه
طار الفؤاد وألهم التفكيرا

إنّ المؤمن ليرى ذنوبه كأنه قاعد تحت أصل جبل، يخاف أن يقع عليه، وإن المنافق ليرى ذنوبه، كذباب مر على أنفه، فأطاره بيده..

فيا أيها المخطئون، إياكم ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالبًا.. إياكم ومحقرات الذنوب، فإنها تجتمع على الرجل فتهلكه..

قال بلال بن سعد ـ رحمه الله ـ: لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى من عصيت(٢)

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.
(٢) حلية الأولياء (٥/ ٢٢٣).

خـل الذنـوب صـــــغـــــيـــــرهـا
وكــــبــــيــــرها ذاك الـتــــقـى
واصـنع كـــمـــــاش فــــوق أرض
الـشـــــوك يحـــــذر مــــا يـرى
لا تحـــقـــرن صـــغـــيـــرة
إنَّ الجـــبـــال مـن الحـــصـــا

إنّ صاحب الشمال- الملك الموكل بالسيئات- ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتبت عليه واحدة فضلاً من الله ومنة. . والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. . التوبة على عجل قبل دنو الأجل، اندم على ما فعلت وأقلع عن المعاصي، ورد المظالم، وخالط الصالحين، فبخلطة الصالحين تتذكر الله رب العالمين- كان عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يخطب فيقول:

«أيها الناس، من ألم بذنب، فليستغفر الله وليتب، فإن عاد، فليستغفر الله وليتب فإن عاد فليستغفر الله، وليتب، فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال، وإن الهلاك كل الهلاك: الإصرار عليها.

اللهمَّ إنا نسألك مسألة المسكين، ونبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وندعوك دعاء الخائف الضرير، ونسألك سؤال من خضعت لك رقبته، ورغم له أنفه، وفاضت لك عيناه، وذل لك قلبه إلا رحمتنا. . فمن يغفر الذنوب إلا أنت؟ ومن يستر العيوب إلا أنت. . اللهمَّ آمن روعاتنا. . واستر عوراتنا. . واحفظنا من بين أيدينا. . ومن خلفنا وعن أيماننا، وعن شمائلنا. . تجاوز عن سيئاتنا واغفر ذلاتنا بفضلك وكرمك يا رب العالمين. .

الوصية رقم (١٠٥)

* ما أمركم به الرسول فافعلوه وما نهاكم عنه فانتهوا *

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم بشيء، فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام...

هذه الوصية الكريمة من أبلغ وأعظم الوصايا النبوية من أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية، محمد ﷺ فهو الذي علم المتعلمين، وهو الذي قاد سفينة العالم الحائرة في خضم المحيط، ومعترك الأمواج إلى شاطىء الله رب العالمين..

هذه الوصية وردت في صحيح مسلم، وجاءت في صحيح البخاري بلفظ: «**دعوني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء، فأتوا منه ما استطعتم**»(٢) وفي رواية عند مسلم: «**زروني**» بدلاً من «**دعوني**» وقد عظم العلماء أمر هذا الحديث فعدوه رابع أربعة تدور عليها الأحكام وقد اشتملت هذه الوصية العظيمة برواياتها على خمس قواعد هي أهم قواعد الدين وأصوله الهامة، فما هي هذه القواعد؟

القاعدة الأولى:

الوصية باجتناب ما نهى الشارع الحكيم عنه بالكلية، ومن المعلوم أن اجتناب ما نهى عنه الشارع الحكيم، هو أحد شقي الطاعة لله والرسول ﷺ والأمر باجتناب ما نهى الله ورسوله عنه بالكلية أي الابتعاد عما حرم الله عز وجل والاجتناب عبر به من باب الأخذ بالأحوط، والارتقاء من مرتبة التقوى إلى مرتبة البر أو الإحسان، وقد

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

خص الله عز وجل في كتابه بعض ما نهى عنه من محرمات، فأمر باجتنابها، والابتعاد عن مواقعها، حتى يكون بينها وبين المسلم حَرَمٌ فاصل، وهي كبائر الإثم والفواحش..

فأمر باجتناب الطاغوت، لأن اجتناب الطاغوت من أكبر كبائر الإثم والذنوب..

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ وأمر باجتناب الرجس من الأوثان، لأن عبادتها شرك وكفر، قال سبحانه: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠] وأمر باجتناب قول الزور لأنه من كبائر الذنوب والآثام..

وأمر باجتناب الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]

وأمرنا باجتناب كثير من الظن، لأن هذا الكثير من الظن، يؤدي إلى اتهام الناس بالباطل، وهو من كبائر الإثم، أو أنه يؤدي إلى إفساد مفاهيم الدين، وهو من الافتراء على الله عز وجل، وهو من كبائر الذنوب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

ووعد الله الذين آمنوا واجتنبوا كبائر ما ينهون عنه بأن يكفر عنهم سيئاتهم ويدخلهم مدخلاً كريمًا، فقال عز وجل: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾ [النساء: ٣١].

ووعد الله بأنَّ ما عنده يوم الدين هو خير للذين اتصفوا بعدة صفات منها: أنهم يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، فقال سبحانه: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٦-٣٩] وأبان الله عز وجل أن الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش يدخلون في ضمن الذين أحسنوا، فيجزيهم الله بالحسنى، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا

عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى(٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣١-٣٢].

أحبتي الكرام...

وبعد هذا نلاحظ أن في تخصيص القرآن الكريم كبائر الإثم والفواحش بالأمر باجتنابها معنى التأكيد على تركها بالخصوص من خلال التحذير من الاقتراب من مواقعها.

أما المنهيات التي تدخل في عموم اللمم، فيغفرها الله عز وجل ويمحوها بنوافل الطاعات، وفضائل الحسنات.

والله عز وجل وصف أحكام شريعته لعباده بأنها حدود، فمرة ينهى عن اقترابها فيقول: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧].

ومرة ينهى عن تعديها، فيقول: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩] وتوعد من يعصى الله ورسوله، ويتعدى حدود الله بالنار، وعذاب مهين، فقال: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ووصف المتعدين على حدود الله تعديًا مسرفًا بأنهم هم الظالمون فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

ووصفه بأنه ظالم لنفسه، فقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١] كما وصف مولانا سبحانه النخبة المؤمنة التقية النقية، بأنهم حافظون لحدود الله فقال: ﴿..وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾.

قال ابن رجب في قوله ﷺ في الوصية: «**إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**»: قال بعض العلماء: هذا يؤخذ منه أن النهي أشد من الأمر، لأن النهي لم يرخص في ارتكاب شيء منه، والأمر قيد بحسب الاستطاعة [**وإذا أمرتكم بشيء، فأتوا منه ما استطعتم**] ويشبه هذا القول بعضهم: أعمال البر يعملها البر والفاجر، وأما المعاصي فلا يتركها إلا صديّق، وقد روى الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**اتق المحارم، تكن أعبد الناس**»

وقالت السيدة عائشة ﷺ: من سره أن يسبق الدائب المجتهد، فليكف عن

الذنوب. . وقال الحسن: ما عبد العابدون بشيء أفضل من ترك ما نهاهم الله عنه. ورحم الله ميمون بن مهران حين قال: ذكر الله باللسان حسن، وأفضل منه أن يذكر الله العبد عند المعصية، فيمسك عنها.

وقال ابن المبارك رحمه الله: لأن أرد درهما من شبهة، أحبُّ إليّ من أن أتصدق بمائة ألف، ومائة ألف، حتى بلغ ستمائة ألف. .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ليست التقوى، قيام الليل، وصيام النهار، والتخليط بين ذلك، ولكن التقوى: أداء ما افترض الله، وترك ما حرم الله، فإن كان مع ذلك عمل فهو خير إلى خير.

يقول ابن رجب: وحاصل كلامهم يدل على أن اجتناب المحرمات، وإن قلت فهي أفضل من الإكثار من نوافل الطاعات، فإن ذلك فرض، وهذا نفل.

وقالت طائفة أخرى من المتأخرين: إنما قال ﷺ: «**إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم..**» لأن امتثال الأمر لا يحصل إلا بعمل، والعمل يتوقف وجوده على شروط وأسباب، وبعضها قد لا يستطاع فلذلك قيده بالاستطاعة، كما قيد الله الأمر بالتقوى بالاستطاعة في قوله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن:١٦] وأما النهي فالمطلوب عدمه، وذلك هو الأصل، والمقصود استمرار العدم الأصلي، وذلك ممكن. . »

أحبتي الكرام...

لكن ما هي القاعدة الثانية؟

القاعدة الثانية:

وهي المطالبة بفعل ما أمر الله به الشارع ضمن حدود الاستطاعة، ومعلوم أن فعل ما أمر به الشارع هو الشق الثاني لطاعة الله ورسوله، وأن الطاعة العملية بعد الإيمان، وإعلان الإسلام هي مظهر العبادة لله عز وجل. .

والأمر الذي ورد في الشرع، إما أن يكون على سبيل الإلزام الجازم للفعل،

فيكون المأمور بفعله واجبًا، وقد يكون للترغيب في فعله، فيكون المأمور بفعله مندوبًا إليه، أو سنة، أو مستحبًا، أو تطوعًا، أو نحو هذه العبارات..

وما أمرنا الله عز وجل به، ورسوله الكريم، داخل في عموم التكاليف، وهي شموله بقاعدة: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا﴾ فالاستطاعة شرط عام للزوم التكاليف.

قال الإمام النووي: هذا من جوامع الكلم، وقواعد الإسلام، ويدخل فيه كثير من الأحكام: كالصلاة لمن عجز عن ركن منها، أو شرط، فيأتي بالمقدور..

وكذا الوضوء، وستر العورة، وحفظ بعض الفاتحة، وإخراج بعض زكاة الفطر لمن لم يقدر على الكل، والإمساك في رمضان لمن أفطر بالعذر، ثم قدر في أثناء النهار، إلى غير ذلك من المسائل التي يطول شرحها.

وقال غيره: فيه أن من عجز عن بعض الأمور، لا يسقط عنه المقدور، وعبر عنه بعض الفقهاء بـ (أن الميسور لا يسقط بالمعسور)[1].

فمن عجز عن الصلاة قائمًا مثلاً، أو عجز عن أداء كل أركانها وشروطها، أدى ما استطاع فعله، فصلى قاعدًا، أو مضطجعًا، أو أومأ برأسه أو بعينه، وتطهر وستر العورة على مقدار ما استطاع من ذلك (فالميسور لا يسقط المعسور) ومن عجز عن الخروج إلى قتال العدو مع الخارجين في سبيل الله، لكنه يستطيع أن يجهز غازيًا في سبيل الله، من ماله، كان ينبغي عليه أن يجهزه وجوبًا، إذا كان الخروج في الأصل واجبًا، وندبًا، إذا كان الخروج مندوبًا.. لأن الميسور، لا يسقط بالمعسور.

لكن ما هي القضية الثالثة؟

القاعدة الثالثة:

متابعة ما يأتي به الشرع دون استعجال الأحكام بالمسائل، وطرح الاحتمالات، والإشكالات قبل تبيين من الشارع، وظاهرٌ أن هذا خاص بعصر الرسول الذي تتنزل

(١) فتح الباري (٢٠/ ٣٣٩) لابن حجر.

عليه فيه شرائع الله تباعًا بحسب حكمة الله . .

والسبب في ذلك: أن الله عـز وجل عليم حكيم، فهـو ينزل على رسوله ونبـيه ﷺ من الأحكام بحكمته ما يشاء، وفق المصالح التربوية والتعليمية.

وما كان ربك نسـيًا حتى يحتـاج إلى من يذكره من عباده بالمسـائل، يضاف إلى ذلك أن حكمة الله عز وجل قـد تقتضي أن يعفو عن أمـور تيسيرًا على عبـاده، غير نسيـان لها ثم إن كثرة المسـائل حول بعض الأمور، قد تسـبب إنزال أحكام تحريم أو إيجاب، مع أن حكمة الله كـانت تقتضي بأن يتركها، ويدعهـا لاستنباط من هم أهل للاستنباط والإجتهاد، ولا ينزل فيها أحكامًا ذات حدود واضحة، إيثارًا للتخفيف من المحرجات.

وهذا كله قد شرحه الرسول ﷺ في قوله: «**وسكت عن أشياء رحـمة بكم غير نسيان منه، فلا تبحثوا عنها**» وقد خاطب الله عز وجل عباده المؤمنين بقوله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ**﴾ [المائدة: ١٠١-١٠٢].

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية عدة روايات في الصحـيحين وغيرهما، وكلها متقاربة وأكثرها تفـصيلاً ما رواه ابن جرير بسنده عن أنس أن رسول الله ﷺ سألوه، حتى أحفوه بالمسألـة- أي أكثروا عليه المسألة- فيخرج عليهـم ذات يوم فصعد المنبر، فقال: «**لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم**» فأشفق أصحاب رسول الله ﷺ أن يكون بين يدي أمرٍ قد حضر، فجعلـتُ لا ألتفت يمينًا ولا شمالاً إلا وجدت كلاً لافًا رأسه في ثوبه يبكى، فأنشأ رجل، كان يسب في نسبه، فـيدعى إلى غير أبيه، فقال: يا نبي الله، من أبي؟ قال: «**أبوك حذافة**» وعند البخاري. . ثم قـال آخر، فقال: يا رسول الله، من أبي؟ فـقال: «**أبوك سالم مـولى شيـبة**» قال: ثم قـام عمر، فـقال: رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً، عائذًا بالله من شر الفتن.

وفي رواية الزهري عن أنس: فقـالت أم عبد الله بن حذافـة: ما رأيت ولدًا أعق

منك قط، أكنت تأمن أن تكون أمك قد قارفت ما قارف أهل الجاهلية، فتفضحها على رءوس الناس، فقال عبد الله: والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته.

وفي رواية عند ابن جرير عن أبي هريرة، أن رجلاً قام، فقال: أين أنا؟ فقال له الرسول ﷺ: «**في النار**».

فدلت هذه الأسئلة على نوع من المسائل التي قال الله بشأنها: ﴿**لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾.

ومن المسائل التي قد يسوء المسلمين الإجابة عنها، ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا**» فقام رجل، وقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت الرسول حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلت: نعم، لوجبت ولما استطعتم**» **ثم قال**: «**ذروني ما تركتكم..**».

فدل هذا السؤال من المسائل التي قد تجر إلى إنزال أحكام قد تقتضي حكمة الله السكوت عنها رحمة بالناس، لكن السؤال **والاستفتاء عنها يقتضي بيان الوجه** الأحسن فيها، فيكون ذلك مما هو حرج عليهم في حياتهم، وقد بين الرسول ﷺ ذلك فقال ﷺ: «**إنَّ أعظم المجرمين جرمًا، من سأل عن شيء لم يحرم، فحُرِّم من أجل مسألته**».

أحبتي الكرام...

وهكذا يتبين من خلال ذلك تحذير الرسول ﷺ من كثرة السؤال والتعنت لأنه كان سببًا في هلاك الأمم السابقة «**فإنما هلك من هلك بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم**».

فقوم موسى عليه السلام لما قتل فيهم قتيل، ولم يعرفوا قاتله، وتدافعوه بينهم، طلبوا من موسى عليه السلام أن يبينه لهم، فقال لهم: ﴿**إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**﴾.

﴿قالوا: أتتخذنا هزوًا﴾؟

﴿قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾.

﴿قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾؟

﴿قال: إنه يقول: إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك، فافعلوا ما تؤمرون﴾.

﴿قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا، وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾.

﴿قال: إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث، مسلمة لا شية فيها﴾- أي ليس في جلدها لون غير سائر لونه.

﴿قالوا: الآن جئت بالحق، فذبحوها وما كادوا يفعلون).

هم شددوا، فشدد الله عليهم.. ألحوا في السؤال وتعنتوا، فشد الله عليهم وعنتهم وقد حصل من بني إسرائيل أمورًا أخرى، كسؤالهم موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلها وثنيًا يعبدونه، أسوة بُعبّاد الأوثان، الذين مروا عليهم بعد نجاتهم من فرعون، وما زالت أقدامهم مبتلة من ماء البحر، ماذا قالوا، وماذا فعلوا؟ القرآن يحدثنا عنهم فيقول: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨،١٣٩] وقد حصل للمسلمين من بعضهم عند خروجهم إلى حنين سؤال يشبه سؤال بني إسرائيل موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة..

فعن الحارث بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حديثو عهد بالجاهلية.. قال: فسرنا معه إلى حنين، وكانت كفار قريش، ومن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء، يقال لها: ذات أنواط، يأتونها كل سنة، فيعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يومًا.

قال: فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرة خضراء عظيمة، فتنادينا من جانب الطريق: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط.

فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، قلتم- والذي نفس محمد بيده- كما قال قوم موسى لموسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ إنها السنن، لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم».

ولقد ضرب الله في القرآن الكريم أمثلة كثيرة لاختلاف أتباع الأنبياء من قبلنا على أنبيائهم، وما نزل بهم بسبب ذلك من عذاب وهلاك، فلنتخذ من قصصهم عبرة نتعظ بها، ولا نخالف ما جاء به رسولنا ﷺ من الهدى، حتى ندخل جنة ربنا.. يقول ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: ومن يأبى أن يدخل الجنة يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».

اللهمَّ إنا نسألك صلاح النيات، وجمع الشتات، وجزيل الهبات والتحلي بأخلاق الثقات، والبركة فيما مضى، وما هو آت، وحسن الثبات في الحياة والممات.

اللهمَّ إنا نعوذ بك من نزغات الشياطين، وظلم الظالمين، ومعاداة المعادين، وتمرد الماردين، ومكر الماكرين وفجور الفاجرين، وخيانة الخائنين، ومن شر الإنس والجن أجمعين، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم..

اللهمَّ أعذنا من أحوال أهل الشقاء، ووفقنا لأعمال أهل التقى، وارزقنا الاستعداد ليوم اللقاء.. اللهمَّ كن لنا مؤيدًا، ولا تجعل لفاجر علينا يدًا، ولا تشمت بنا أحدًا.

اللهمَّ إنا نسألك مغفرة تصلح بها شأننا في الدارين، وارحمنا رحمة نسعد بها في دنيانا وأخرنا، وارفعنا إلى مرتبة الصديقين والصالحين، يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

رابعًا: من الطب النبوي

الوصية رقم (١٠٦)

* عليكم بالحبة السوداء ففيها شفاء من كل داء *

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**عليكم بهذه الحبة السوداء، فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام**»(١) وهو الموت.. صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام...

لقد بعث الله عز وجل إلينا رسولنا وحبيبنا محمد ﷺ هاديًا إلى سعادة الدنيا والآخرة، وجاءت تعاليمه العظيمة، لتتدخل في كل أمر من أمور حياتنا، وكثير منها يتعلق بصحة الفرد، وبناء المجتمع القوي..

وجاءت أحاديث النبي المعلم ﷺ لأمته عن ربه ومولاه.. أحاديثه في الطب.. في المرض والصحة لتمثيل نموذجًا رائعًا في الطب الوقائي، بل كانت سبقًا في هذا المجال، لأحدث ما قرره هذا الطب، فكأن هذا السبق النبوي إعجازًا علميًا طبيًا لا مراء فيه..

وإن هذه التعاليم التي جاءت بها الرسالة المحمدية عن صحة الإنسان والبيئة لو طبقها المسلمون كما أمرهم صاحب الرسالة، لنتج عن ذلك جيل مسلم صحيح البدن، والعقل والدين..

وهذه الوصية العظيمة المباركة التي بين أيدينا الآن فيه حث على استعمال الحبة السوداء، وعلل عن ذلك، بأن فيها شفاء من كل داء، إلا السام وهو الموت، والمراد كما قال الإمام ابن القيم: قوله: «**شفاء من كل داء**» مثل قوله تعالى: ﴿**تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا**﴾ [الأحقاف: ٢٥].

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه.

وقال: وهي كثيرة المنافع جداً، وهي نافعة من جميع الأمراض الباردة، وتدخل في الأمراض الحارة اليابسة بالعرض..

وهذا من عظيم صنع الخالق عز ثناؤه، أن أودع فيما تنبت الأرض بقدرته سبحانه من خشاشها قبسًا من فيض سره المكنون، وألهم ما فيها من الحكمة قلب رسوله المأمون محمد ﷺ..

أحبتي في الله...

إنَّ من يقرأ حديث النبي ﷺ بشفافية وتبصر، يلاحظ ما تحمله في طياتها من عمق، وبعد في المعنى بما حباها الله عز وجل من حكمة وأسرار جعلتها صالحة لكل زمان ومكان.. وها هي تتكشف على مر الدهور والأعوام، وكلما كشف العلم عن حقيقة وتقدم في الطب وغيره، في شتى فروع مجالات الحياة وفروعها، تكشف سر من فطانة النبي محمد ﷺ وما نطق به في طيب أحاديثه، بما يتناسب مع قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم:٣،٤] وها هو الطب والعلم الحديث، يكتشف كل يوم ويقر حقيقة ما قاله رسول الإنسانية جمعاء، وطبيب الأنام محمد عليه الصلاة والسلام يوم أن قال: «**عليكم بالحبة السوداء، فإنها شفاء من كل داء، إلا السام**» وقوله ﷺ: «**ما من داء إلا في الحبة السوداء منه دواء إلا السام**» فنجد طبيبًا بارعًا يخطى بشهرة عالمية يعلن عن معالجته لحساسية الصدر بزيت حبة البركة، وآخر يعالج بها ضغط الدم، وآخر يعالج قرحة المعدة، وهكذا تنكشف كل يوم فيوضات من حكمة النبوة، التي معينها حكمة الربوبية للخالق العظيم، جل ثناؤه..

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله: ليس أن الحبة السوداء شفاء من كل داء أنها تستعمل صرفًا، بل ربما تستعمل مفردة أو مركبة، مسحوقة أو غير مسحوقة، أكلا أو شربًا أو سعوطًا أو غير ذلك.

وقوله (كل داء) تعبير عن الجزء بالكل أي تعبير عن العام الذي يراد به الخاص كقوله تعالى: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا**﴾ والمعنى: أسأل أهل القرية التي كنا فيها.

أحبتي الكرام...

لما تم اكتشاف مقبرة الملك الفرعوني (توت عنخ أمون) لم يكن يعلم ماهية الزيت الأسود، الذي وجد ضمن مقتنيات هذا الملك الشاب، والذي عرف فيما بعد (بزيت حبة البركة) أو (الحبة السوداء).

إن اكتشاف زيت هذا النبات ضمن مقنيات هذا الملك يدل بصورة قاطعة على مدى أهمية هذا النبات في هذه الفترة..

وكتب (ديسكور يدس) وهو طبيب يوناني أن بذور حبة البركة كانت تستخدم في علاج الصداع، واحتقان الأنف، وآلام الأسنان بالإضافة إلى استخدامها كطارد للديان، وغير ذلك من الأمراض المتعددة..

وحبة البركة لها أسماء متعددة، فتسمى (الكراوية السوداء) أو (الكمون الأسود) والاسم العلمي للنبات هي **Nigeria Sativa** .

وقد تم اكتشاف الجانب المهم للحبة السوداء في تنشيط وتقوية جهاز المناعة على أسس من التجارب العلمية المنضبطة في عام ١٩٨٦م قام بها الدكتور أحمد القاضي وزملاؤه في (فلوريدا) بالولايات المتحدة الأمريكية، وعرض بحثه في المؤتمر العالمي الرابع للطب الإسلامي، الذي عقد في (كراتشى) في باكستان في نوفمبر عام ١٩٨٦م وقد أثبت في بحثه أن تناول الحبة السوداء بجرعة قدرها جرام واحد مرتين يوميًا يقوي جهاز المناعة..

وقد ثبت أن زيادة التأثير الإيجابي يتحقق بزيادة جرعة الحبة السوداء إلى جرامين مرتين يوميًا، وقد أثبتت الدراسات العلمية أن للثوم والعسل تأثيرًا مقويًا للجهاز المناعي في الإنسان، فإذا استعملت معه الحبة السوداء مع العسل والثوم كان التأثير الإيجابي مضاعفًا.. خاصة وأنه قد توصل العلم الحديث على أن معظم الأمراض تنشأ عن خلل في جهاز المناعة بالجسم..

كما تبين أن زيت الحبة السوداء غنيٌ بالأحماض الأمينية غير المشبعة مثل حامض

(اللينوليك) الذي يعمل على خفض مستوى الكوليسترول في الدم، وبالتالي يكون أفضل وقاية من أمراض شرايين الجسم عمومًا، وشرايين القلب خصوصًا. .

وجاء في الطب الشعبي العربي: أن الحبة السوداء علاج فعال لأمراض الحساسية وإدرار الصفراء إذا ما تناول الإنسان ١٥ نقطة من زيت الحبة السوداء ثلاث مرات في اليوم.

وقد ورد في تذكرة داود: أن حبة البركة تقطع شأفة البلغم، وأوجاع الصدر والسعال وضيق النفس والغثيان، وأنها مدرة للبول، وطاردة للديدان ومانعة لفساد الأطعمة. . إلخ.

وقد أكد كثير من الأوربيون هذه الاستعمالات. .

وقد استخلص العلماء والباحثون من الأطباء العنصر الفعال من زيت حبة البركة، ووجدوا أنه مركب ثنائي من الثيوكينون، ووجدوا أن هذه المادة تزيد من إفراز حامض البوليك (**Uricacid**) وهذا هو سر الحبة السوداء في علاج مرض النقرس، وتزيد من إفراز مادة الصفراء من الكبد، وتقاوم آثار الهستامين في الجسم، وهذا أيضًا سر فائدة استعمال الحبة السوداء في علاج الربو الشعبي وغيره من أمراض الحساسية.

والجهاز المناعي بالجسم هو خط الدفاع الرئيسي في جسم الإنسان ضد الميكروبات والفيروسات، والمركبات الغريبة عن الجسم التي قد تسبب الأورام السرطانية بالجسم. .

وقد ظهرت حقيقة جديدة في العصر الحالي: أن في الحبة السوداء مواد تقتل الميكروبات. . ومما هو جديد بالذكر:

١- أن تسخين الحبة السوداء يقلل كثيرًا من فوائدها، لأنه يتسبب في فقدان جزء كبير من زيتها الطيار.

٢- أن تناول الحبة السوداء دون طحن يقلل من فائدتها، لأن غلاف الحبة لا يهضم في الجهاز الهضمي، فلابد من طحنها، وعدم تسخينها. .

وقد جاء في بعض المجلات الأجنبية عام ١٩٩٣م ما يثبت قدرة زيت الحبة السوداء على خفض مستوى السكر في الدم، كما ثبت أن لها أثرًا في القضاء على الميكروبات المسببة للإسهال مثل الكوليرا وغيرها..

فسبحان اللطيف الخبير.. وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «**عليكم بالحبة السوداء، فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام**».

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفى أمراضنا وأمراض المسلمين.

اللهمَّ اشفنا من الأمراض ما ظهر منها وما بطن..

اللهمَّ رضنا وارض عنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا..

اللهمَّ اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا.. اللهمَّ بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا، واجعل الجنة هي دارنا يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (١٠٧)

* جعل الله لكل داء دواء فتداووا *

عن أم الدرداء ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا، ولا تتداووا بحرام**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

لقد أمرنا ديننا الحنيف بالعناية بالصحة، والمحافظة عليها من كل خطر أو ضرر، وجعل ذلك من الحقوق والواجبات، وحث المسلمين على أن يلتزموا بها ظاهرًا وباطنًا، لأن الصحة أساس البناء والعطاء، وهي اللبنة التي تقوم عليها الحضارات، وبها يكون الإبداع والفكر الهادف وقد قال ﷺ: «**إنَّ لجسدك عليك حقًا**»(٢).

والإنسان هو مخلوق الله المكرم، وخليفته في أرضه، فأحاطه بعنايته وأنعم عليه بنعمه الظاهرة والباطنة.. ولعل من أعظم نعم الله عز وجل التي أنعم بها على الإنسان، نعمة الصحة، ونعمة تعريفنا بكيفية المحافظة عليها، وماذا نفعل حال تعرض صحتنا للمرض أو الخطر..

قال ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»(٣) فالحديث يؤخذ منه: أن الصحة نعمة متجددة من الله، والعبد محاسب على هذه النعمة من حيث شكرها واستعمالها في طاعة الله، وعدم استعمالها في معصية الله عز وجل.

وشكر نعمة الصحة يكون بالقلب واللسان والجوارح، فشكر القلب باعتقاد أن الله تعالى هو وحده مانح الصحة، وشكر اللسان يكون بالإقرار بذلك، والتلفظ به، وشكر الجوارح يكون بتسخير الصحة في الطاعة، وصرفها عن المعصية..

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في الكبير (٢٠١١٦) ورجاله ثقات وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٦٣٣) وصحيح الجامع برقم (١٧٦٢).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري والترمذي والطبراني في الأوسط والبزار.

وفي هذه الوصية الكريمة التي نعيش في ظلالها، ونقطف من ثمارها، حث على التداوي من الأمراض، أيًا كانت، لأن الله عز وجل لم ينزل داء، إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله.. قال ﷺ: «**وجعل لكل داء دواء**» في هذه العبارة دلالتين جميلتين:

الأولى: أن فيها طمأنينة للمريض بأن مرضه يمكن أن يشفى منه، فلا ييأس، ولا يقنط، ولتهدأ نفسه، وليطمئن قلبه، وهذا فيه من العلاج النفسي والتخفيف عن المريض ما فيه..

الثانية: أن فيه حث للعلماء والأطباء للاجتهاد والتجريب، والبحث عن العلاج والدواء، الذي قد ينفع المريض، ذلك أنه لابد أن يكون له دواء وفي ذلك ما فيه من تشجيع المعلم والعلماء على استمرار البحث والدراسة، وعدم اليأس والتسليم لما يقال أنه مستحيل.

وقد جاءت أحاديث أخرى في السنة المطهرة تحث على التداوي منها:

١- ما رواه أبو داود وغيره من حديث أسامة بن شريك، قال: أتيت النبي ﷺ وأصحابه، كأنما على رءوسهم الطير، فسلمت ثم قعدت، فجاء الأعراب من ها هنا، وها هنا، فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟

فقال ﷺ: «**تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد، الهرم**»[١].

قال الخطابي - رحمه الله -:

في هذا الحديث إثبات الطب والعلاج، وأن التداوى مباح غير مكروه، كما ذهب إليه بعض الناس، وفيه أنه جعل الهرم داء، وإنما هو ضعف الكبر وليس من الأدواء

(١) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح ورواه ابن حبان والحاكم وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي وصحح سنن أبي داود وصحيح الجامع برقم (٢٩٣٠).

التي هي أسقام عارضة للأبدان من قبل اختلاف الطبائع وتغير الأمزجة، وإنما شبهه بالداء، لأنه جالب التلف كالأدواء التي قد يتعقبها الموت والهلاك(١).. انتهى.

وقال العيني: فيه إباحة التداوي، وجواز الطب، وهو رد على الصوفية أن الولاية لا تتم إلا إذا رضي بجميع ما نزل به من البلاء، ولا يجوز له مداواته وهو خلاف ما أباحهُ الشارع..

أحبتي الكرام...

ومن مظاهر عناية الإسلام بالصحة، والاهتمام بها، الحرص على العلاج الوقائي تحسبًا، لعدم إصابة الإنسان بالأمراض والأوجاع قبل وقوعها، فأمرنا أن نتجنب الإسراف في الطعام والشراب، وغيرهما، فقال تعالى: ﴿**وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف:٣١] وأساليب الوقاية من المرض، تتعلق بالأصحاء وبالمرضى على حد سواء.

أما الأصحاء، فبأخذهم الاحتياطات اللازمة، والوسائل المفيدة التي تمنع في العادة من الوقوع في هذا المرض، أو تجعلهم فريسة سهلة له.

أما المرضى، فكي تساعدهم هذه الوسيلة على المسارعة في الشفاء، وإلا فما قيمة كل الأدوية، إذا لم تتخذ معها الوسائل الوقائية..

والسنة المطهرة نبهت على هذا النوع من الطب الوقائي، الذي قال فيه الرسول الأعظم ﷺ: «**ما ملأ آدمي وعاء قط شر من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فاعلاً، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»(٢).

وهنا تنبيه منه ﷺ وتحذير من التخمة والزيادة في الأكل والشرب، حيث إن هناك كثيراً من الأمراض التي تنتج عن الإفراط في الطعام والشراب، وسببها: إدخال الطعام على المعدة قبل هضم الطعام السابق، والزيادة على القدر الذي يحتاجه البدن..

---

(١) عون المعبود (٨/ ٣٧٣).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي وحسنه ورواه ابن ماجه وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٧٤).

ورحم الله الشافعي حين قال:

ثلاث مهلكة الأنام
وداعية الصحيح إلى السقام
دوام مدامة ودوام وطء
وإدخال الطعام على الطعام(١)

كما أن فيه تنبيه إلى ضرورة التوسط في الغذاء، وتناوله بقدر الحاجة، أو الكفاية على الأكثر، حيث يبين النبي ﷺ أن مرتبتين لا يقبل الخروج عنها بحال:

الأولى: مرتبة الحاجة، المعبر عنها بقوله: «**بحسب ابن آدم لقيمات..**».

الثانية: مرتبة الكفاية، المعبر عنها بقوله: «**فإن كان لابد.. فثلث.. وثلث..**».

كما أنه يتضح لنا مدى عناية الإسلام بالعلاج الوقائي لنبي البشر وقد أمر الإسلام بالأخذ بالأسباب لتجنب الأمراض المعدية، حفاظًا على الصحة وحماية لها في فوجه إلى الابتعاد عن المصابين بالأمراض التي قد تعدى، فقال ﷺ: «**فر من المجذوم كما تفر من الأسد**» وضرورة الأخذ بالأسباب للمحافظة على صحة البدن وسلامته.

كما تظهر عناية الإسلام في هذا المجال فيما يرويه عبد الرحمن بن عوف مرفوعًا: **إذا سمعتم به**- أي الطاعون- **بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا فرارًا منه**(٢).

وفي قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تأكيد لفهم هذا المعنى، وذلك أنه عندما خرج إلى الشام حتى وصل إلى أطرافها، لقيه أحد الأجناد- أمين هذه الأمة- أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، وأخبروه أن الوباء- الطاعون- قد انتشر بالشام، فدعا المهاجرين والأنصار، فاختلفوا في الأمر، فدعا جماعة من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح،

(١) ديوان الشافعي (ص١٤).
(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد والنسائي وغيرهم.

فاستشارهم، فلم يختلف اثنان في ضرورة الرجوع بالناس، وعدم الدخول بهم على هذا الوباء، فأمر بذلك عمر بن الخطاب، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارًا من قدر الله يا عمر؟

فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! ثم قال: نعم نفر من قدر الله! إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل، فهبطت واديًا له عدوتان، أحدهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله، وعندها جاء عبد الرحمن بن عوف- وكان متغيبًا لحاجة- ليؤكد لهم صحة الرأي بما سمع عن رسول الله ﷺ: «**إذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا منها**»(١).

وكذلك أمر رسول الله ﷺ بتغطية آنيه الطعام والشراب، خشية أن يقع فيها ما يسبب الأمراض، قال ﷺ: «**غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء**».

أحبتي الكرام...

هذه عناية الإسلام بالصحة، والوقاية من الأمراض، فإذا وقع المرض، فوجب العلاج، والتداوي..

وقد كان من هدى الحبيب المصطفى ﷺ التداوى، فقد تداوى بعد أن خرج يوم أحد..

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

كان من هديه ﷺ فعل التداوى في نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه..

---

(١) رواه مسلم وأحمد.

ولكن لم يكن من هديه، ولا هدى أصحابه استعمال هذه الأدوية المركبة التي تسمى: (أقر باذين) بل كان غالب أدويتهم بالمفردات، وربما أضافوا المفرد إلى ما يعاونه، أو يكسر سورته.

وهذا غالب طب الأمم على اختلاف أجناسها من العرب والترك، وأهل البوادي قاطبة، وإنما عنى بالمركبات الروم واليونان، وأكثر طب الهند بالمفردات.. وقد أتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء، لا يُعدل عنه إلى الدواء، ومتى أمكن بالبسيط، لا يعدل عنه إلى المركب(١)..

وقد ذهب بعض العلماء إلى القول بوجوب التداوي، إذا كان السبب المزيل للمرض مقطوعًا، كمن وجب عليه الشرب دفعًا للعطش، أو الأكل دفعًا للجوع إن كان في كل منهما ما قد يؤدى إلى هلاكه، وهذا يعني حرمة ترك التداوي والمعالجة من المرض، الذي يعرف دواؤه، ويكون في متناول اليد، وهو ما صرح به فقهاء الحنفية، حيث جاء في الفتاوى الهندية:

اعلم بأن الأسباب المزيلة للضرر تنقسم إلى مقطوع كالماء المزيل لضرر العطش، والخبز المزيل لضرر الجوع.. أما المقطوع به، فليس من التوكل بل تركه حرام عند خوف الموت..

وأما السؤال الذي يطرحه الكثير، هل التداوي يتنافى مع التوكل على الله والتسليم له بما يحدث أو يصيب الإنسان؟

فنقول: إنَّ هذا من الفهم الخاطئ لمعنى التوكل على الله عز وجل، فالنبي ﷺ وهو سيد المتوكلين على الله، وأكثرهم يقينًا بالله، وهو الذي أمر بالتداوي، من باب الأخذ بالأسباب، وعدم تعرض النفس للهلكة، وهو ما أمرت به النصوص الشريفة من القرآن الكريم، والسنة المطهرة (وأعدوا.. وامشوا..واسعوا).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: في الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنه لا

---

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم (٤/٨).

ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش، والحر والبرد بأضدادها بل لا تتم حقيقة التوحيد، إلا بمباشرة الأسباب، التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا.

وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعف من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجزًا ينافي التوكل، الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه.

ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع(١).

أحبتي الكرام...

بقي عنصر واحد في هذه الوصية وهو قوله ﷺ: «**ولا تتداووا بحرام**» وقد بين لنا النبي ﷺ في غير ما هذا الحديث، أو هذه الوصية أن الله عز وجل لم يجعل شفاء الأمة فيما حرم عليها، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله تعالى لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها**».

وعن وائل بن حجر رضي الله عنه أن طارق بن سويد، سأل النبي ﷺ عن الخمر، فنهاه أن يصنعها.. فقال له: إنما أصنعها للدواء؟

فقال: «**إنه ليس بدواء، ولكنه داء**»(٢).

وفي رواية: قال رجل للنبي ﷺ: عندنا أنبذة، أنتداوى بها؟

قال: «**أهي مسكرة؟**» قال: نعم.. قال: «**إنها داء، وليست بدواء**»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن كل دواء خبيث، كالسم ونحوه.. وفي رواية (نهى رسول الله عن الدواء الخبيث»

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٣) لابن القيم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم والبيهقي.

قال ابن الأثير ـ رحمه الله ـ:

والدواء الخبيث يكون من جهتين: إحداهما: النجاسة، وهو الحرام كالخمر ونحوها ولحوم الحيوان المحرمة وأرواثها وأبوالها، وكلها نجاسة، وتناولها إلا ما خصصته السنة من أبوال الإبل، والجهة الأخرى من جهة الطعم والمذاق، ولا ينكر أن يكون مكره ذلك لما فيه من المشقة على الطباع، وكراهية النفوس لها.

وقال ابن القيم رحمه الله:

وإنما حرم على هذه الأمة ما حرم لخبثه، وتحريمه حمية له، وصيانة عن تناوله فلا يناسب أن يطلب به الشفاء من الأسقام والعلل، فإنه وإن أثر في إزالتها، لكنه يُعقب سقمًا أعظم منه في القلب بقوة الخبث، الذي فيه، فيكون المداوى به قد سعى في إزالة سقم البدن بسقم القلب. .

ثم قال: والتداوي به ذريعة إلى تعاطيه:

وأيضًا فإن في إباحة التداوي به، ولاسيما إذا كانت النفوس تميل إليه ذريعة إلى تناوله للشهوة واللذة، لاسيما إذا عرفت النفوس أنه نافع لها مزيل لأسقامها، جالب لشفائها، فهذا أحب شيء إليها، والشارع سد الذريعة إلى تناوله بكل ممكن، ولا ريب أن بين سد الذريعة إلى تناوله، وفتح الذريعة إلى تناوله تناقضًا وتعارضًا[١].

أحبتي الكرام...

والأحاديث التي أوردناها تدل على تحريم التداوي بالمحرمات، وهذا باتفاق العلماء، بل وإجماع الأئمة المجتهدين على ذلك، إلا أن هناك حالات قد لا يجد الطبيب أمامه إلا دواء محرمًا يمكن أن ينقذ به المريض من محنته فما هو حكم الشرع في ذلك؟

اسمعوا إلى هذه الآيات المباركات، والتي يقول الله عز وجل فيها:

---

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد (٤/ ١٤١) لابن القيم.

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ.. ﴾ إلى أن قال: ﴿ ..فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٣] وقال: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:١١٥].

فهذه الآيات الكريمة تدل على أن المشرع الحكيم قد استثنى حالات الضرورة من التحريم وأطلقها من غير قيد ولا شرط، ولا صفة، فاقتضى وجود الإباحة للضرورة، سواء كان ذلك للتغذي في حالة المخمصة، أو للتداوي في حالة المرض.. لكن ما هي حالة الضرورة؟

يعرف علماؤنا الضرورة بأنها: الحالة المحدقة بالإنسان في ظروف سيئة تحمله على ارتكاب المحرم من أجل المحافظة على نفسه من الهلاك، أو لدفع أذى لا يتحمله، إما يقينًا أو ظنًا.

وعلى هذا فإن المريض إذا خاف على نفسه، أو خاف الطبيب المسلم على مريضه من الهلاك، أو تلف عضو، أو بلغ به من الألم حدًّا لا يحتمل، ولم يجد دواء مباحًا ينقذه من علته، جاز له أن يستعمل، أو يصف الدواء المحرم، إذا غلب على ظن الطبيب الحاذق أن له فائدة تنفعه.

وقد اتفق فقهاء الأحناف والشافعية على إباحة التداوي بالمحرمات عند الضرورة، عدا المسكرات، ولهم أدلة على ذلك منها:

١- أن الله عز وجل أجاز للمحرم بالحج أن يحلق رأسه، إذا اضطر إلى ذلك، لأذى في رأسه، مع أن الحلق من محرمات الإحرام، قال تعالى: ﴿ ..فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة:١٩٦].

٢-رخص النبي ﷺ لصحابيين جليلين في لبس الحرير، مع أنه محرم على الرجال، لحكة كانت بهما..

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «رخص رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام في لبس الحرير، لحكة كانت بهما»[١].

٣- رخص النبي ﷺ في استعمال الذهب في التداوي حالة لضرورة كستر عيب، أو إزالة تشوه.. فعن عرفجة بن أسعد قال: أصيب أنفي يوم الكُلاب في الجاهلية، فاتخذت أنفًا من ورق- أي فضة- فأنتن، فأمرني رسول الله ﷺ أن أتخذ أنفًا من ذهب[٢].

ويوم الكُلاب: اسم حرب معروفة من حروبهم.

٤- رخص النبي ﷺ لرهط عرينة التداوي بأبوال الإبل.

أحبتي الكرام...

أما المالكية والحنابلة، فقد ذهبوا إلى منع التداوي بالمحرمات لعموم الحديث: «**وإنَّ الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها**»[٣].

وقد أشار الإمام النووي رحمه الله إلى أن المعتمد عند الشافعية تحريم التداوي بالخمر (أي تجرعه وشربه) أما تطبيقه على الجلد كعلاج خارجي عند الضرورة فقد أجازه النووي في فتاويه المسماه بالمسائل المنثورة.

وقيد بعض الشافعية حرمة التداوي بالخمر، إذا كانت صرفة- أي خالصة وغير ممزوجة بشيء آخر تستهلك فيه، فإذا استهلكت فيه، جاز التداوي بشرط: إخبار طبيب مسلم عدل، وبشرط أن يكون المستعمل قليلاً لا يسكر، أو بحيث لم يبق فيه طعم ولا لون، ولا ريح.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) **حسن**: حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (١٧٧٠).

(٣) سبق تخريجه وقد ذكره المناوى في فيض القدير (٢/ ٢٧٣).

ومن أمثلة الضرورة للتداوي بالمحرمات، استعمال المخدرات في العمليات الجراحية، أو لتسكين الآلام غير المحتملة، واستعمال الذهب في طب الأسنان، وغيرها للعلاج دون التجميل.. والله تعالى أعلم.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهمَّ أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه..

اللهمَّ عافنا واعف عنا، وأكرمنا ولا تهنا، وكن لنا ولا تكن علينا.. واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا، ورضنا وارض عنا..

اللهمَّ استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واجبر كسرنا، واشف أمراضنا..

اللهمَّ اشف أمراضنا وأمراض المسلمين، اللهمَّ انصر الإسلام في كل مكان..

اللهمَّ انصرنا على أعدائك أعداء الدين يا رب العالمين..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (١٠٨)

* ماء زمزم لما شرب له *

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تستشفى، شفاك الله، وإن شربته لشبعك، أشبعك الله، وإن شربته لقطع ظمئك، قطعه الله وهي هزمة جبرائيل عليه السلام، وسقيا الله لإسماعيل عليه السلام**»[1] صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله...

وما زال رسولنا وحبيبنا، وطبيب قلوبنا سيدنا محمد ﷺ يدلنا على طريق آخر من طرق الاستشفاء.. إنه الاستشفاء بماء زمزم، هذا الماء المبارك.. إنه خير ماء على وجه الأرض، كما قال الأستاذ الأعظم ﷺ: «**خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام من الطعم، وشفاء من السقم**»[2].

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ماء زمزم لما شرب له**» وهذا الماء المبارك نابع من أشرف بقعة من بقاع الأرض وأقدسها وأعظمها، من تحت الكعبة المشرفة، ومن جهة الصفا والمروة، وقد شرب منه الأنبياء جميعًا من أول الخليل إبراهيم عليه السلام إلى رسولنا محمد ﷺ وكان ابن عباس رضي الله عنهما يدعو قبل أن يشرب من ماء زمزم، فيقول: «اللهمَّ إني أسألك علمًا نافعًا ورزقًا واسعًا، وشفاء من كل داء».

وقد أوحى الله عز وجل إلى خليله إبراهيم عليه السلام أن يصحب زوجته هاجر وابنها الرضيع إسماعيل إلى مكان بيت الله الحرام في مكة المكرمة، وكان في ذلك الوقت واديًا غير ذي ماء، وغير ذي زرع، لذلك لم تكن أسباب الأرزاق في ذلك

---

(١) **حسن**: رواه الدراقطني والحاكم وقال: صحيح الإسناد وحسنه الألباني في الترغيب (١١٦٤).

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في الكبير وابن حبان في صحيحه وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٥٦).

الوادي موجودة، فرفع خليل الرحمن يديه ودعا ربه ومولاه عز وجل قائلاً: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]

وقام الخليل إبراهيم عليه السلام ليعود حيث جاء، فقالت له زوجته هاجر: يا إبراهيم إلى من تكلنا؟ آلله أمرك بهذا؟ حتى كررت عليه ثلاثًا..

فأجابها: نعم.. قالت: إذن لا يضيعنا..

ولم يكن مع السيدة هاجر إلا قليل من الزاد والماء، ما لبث أن انتهى بعد فترة قليلة، وعطشت هاجر، وعطش وليدها، فصارت تسعى بين الصفا والمروة، بحثًا عن الماء، إلى أن انتهت إلى الموضع الذي فيه زمزم الآن، فضرب ابنها إسماعيل بقدمه في الأرض، فانفجرت من تحتها عين من الماء.. وجاء في بعض الآثار أنَّ السيدة هاجر، لما رأته يزداد شيئًا فشيئًا..

قالت للبئر: زمي.. زمي.. فقل تدفق الماء من البئر..

قال عبد الله بن عباس: قال النبي ﷺ: «**يرحم الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم**» أو قال: «**لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينًا معينًا**»(١) أي ماء جاريًا لأجل هذا سمى البئر- بئر زمزم، ومعناه لغويًا: بئر الماء الغزير- وماء زمزم أي ماء وفير..

ولما كان ماء زمزم خير ماء على وجه الأرض، وسيد المياه وأشرفها، وأجلها قدرًا، وأحبها للمؤمنين وأنفسها، وكان شرابًا طيبًا ذا خصائص وفضائل جمة، فقد خص بأسماء كثيرة، حتى ذكروا تزيد عن الستين اسمًا..

ففي تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، نقل عن ابن برى أن لها اثنى عشر اسمًا.. قال الزبيدي ـ رحمه الله ـ: وقد جمعت أسماءها في نبذة لطيفة فجاءت على ما يزيد على ستين اسمًا مما استخرجتها من كتب الحديث واللغة وهذه الأسماء الكثيرة ترجع إلى الخصائص والفضائل المتعلقة بماء زمزم ومنها ما هو راجع لوصف البئر، ومن هذه الأسماء:

---

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ١٧٩).

بركة- برة- بشرى- حفيرة عبد المطلب- ركضة جبريل عليه السلام - الرواء- زمزم- زمازم- سالمة- سقيا الله إسماعيل عليه السلام -سقايا الحاج- شباعة العيال- شبعة- شراب الأبرار- شفاء سقيم- طاهرة- طعام طعم- صافية- طعام الأبرار- طيبة- كافية- نقرة الغراب الأعصم- هزمة جبريل- همزة جبريل- وطأة جبريل- ميمونة ـ مأثرة العباس.. وغيرها من الأسماء..

أحبتي الكرام...

ولهذا الماء العظيم المبارك فضائل وخصائص وبركات، وهو ظاهر الخيرات كثير البركات، ومن خصائصه:

١- أنه من أولى الثمرات التي أعطاها الله لخليله إبراهيم عليه السلام عندما رفع يديه وقال: ﴿..**وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ**﴾.

٢- ماء زمزم من الآيات البينات في حرم الله تعالى.. قال ابن الربيع في حدائق الأنوار: ومن الآيات البينات في حرم الله: الحجر الأسود، والحطيم، وانفجار ماء زمزم بعقب جبريل عليه السلام، وأن شربه شفاء للسقام، وغذاء للأجسام بحيث يغني عن الماء والطعام.

٣- ماء زمزم من أعظم النعم والمنافع المشهودة التي قال الله عنها: ﴿**لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**﴾ [الحج:٢٨] ومن أعظم المنافع التي يشهدها الحجاج والعمار في حرم الله حيث يشربون ويتضلعون منه، وينالون من خيراته وبركاته، ويكسبون الدعاء المستجاب عند شربه.

٤- ومن أجل فضائله التي تبين عظيم هذه النعمة، وكبير هذه المنفعة لماء زمزم، خاصية الاستشفاء به: يقول الثعالبي في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: فكم من مبتلى عوفي بالمقام عليه، والشرب منه، والاغتسال به، بعد أن لم يدع في الأرض مكانًا إلا أتاه واستنفع منه..

بل هناك من المرضى من لا يحصى أكرمهم الله بشفائهم ببركة ماء زمزم من أمراض معضلة، عجز عنها جميع الأطباء، وحكمة الحكماء..

فماء زمزم باب خير عظيم، فتحه الله تعالى لعباده المؤمنين، وأكرمهم به فجزي الله عنا نبينا محمد ﷺ خير الجزاء حيث دل أمته على هذا الخير العميم، وبين لهم فضائله وخيراته. .

٥- أنها ماء زمزم ظهر بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، وذلك بأمر الله عز وجل له، ولو شاء الله تعالى لأمر الماء أن ينبع ويخرج بنفسه، ولكن لما أراد الله إظهار شرف هذا الماء، أمر سيد الملائكة جبريل عليه السلام، فضرب الأرض بجناحه، فخرج هذا الماء المبارك «في مقر مبارك، لسيد مبارك، فكان ذلك زيادة له في التشريف والتعظيم، والله عز وجل يفضل ما شاء من مخلوقاته.

٦- ماء زمزم غسل به قلب المصطفى ﷺ أكثر من مرة، شق عندما كان رضيعًا عند السيدة حليمة السعدية، وشق عند مجيء جبريل إليه ليدعوه إلى زيارة السماء ليلة الإسراء والمعراج. . وفي ذلك حكم عظيمة فقد استخرج من قلبه حظ الشيطان منه، وفي هذا إكرام له وإعظام لقدره، وإعداده لما يوحى إليه، وليتأهب للوقوف بين يديه سبحانه ومناجاته. . وهكذا كان قلبه الشريف، هو خير القلوب وأزكاها، وأوسعها وأقواها، وأتقاها وأنقاها. .

٧- أن ماء زمزم بارك فيه الرسول الأعظم ﷺ بريقه الشريف: فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء النبي ﷺ إلى زمزم فنزعنا له دلوًا، فشرب، ثم مجَّ فيها، ثم أفرغناها في زمزم- أي في البئر ثم قال: «**لولا أن تغلبوا عليها، لنزعت بيدي**».

وفي رواية أخرى: شرب، فمضمض، ثم مج في الدلو، وأمر فأهريق في زمزم. وفي أسرار الفتح الرباني للساعاتي: فتمضمض، فمجَّ فيه أطيب من المسك أو قال: مسك. .

والمج: هو إرسال الماء من الفم مع النفخ.

وبهذا يُعلم أن بركة ريقه الشريف المبارك ﷺ قد حلت على بركة زمزم، فازداد ماء زمزم بركة على بركة، ولذة على لذة، وشفاء على شفاء، ونورًا على نور، وطهورًا على طهور بمجه ﷺ في دلو قد أهريق في بئر زمزم.

فكم داوى ﷺ بريقه الشريف من مريض فبرأ من ساعته بإذن الله كما في قصة علي بن أبي طالب- رضي الله عنه يوم غزوة خيبر، حين كان يشتكي من عينيه.

٨- ماء زمزم طعام طعم ويبقى كذلك ما بقيت الدنيا:

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: شاهدت من يتغذى به- أي ماء زمزم- الأيام ذوات العدد، قريبًا من نصف الشهر أو أكثر، ولا يجد جوعًا ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يومًا(١).

٩- ماء زمزم فيه شفاء من كل داء: وهذه رحمة من الله تعالى بعباده، وقد قال النبي ﷺ كما ذكرنا: «**فيه طعام الطعم، وشفاء السقم**» فقوله: (شفاء سقم) يشمل بعمومه الأسقام الحسية والمعنوية(٢).

قال ابن العربي في أحكام القرآن:

وهذا الاستشفاء بزمزم- موجود فيه إلى يوم القيامة، لمن صلحت نيته، وسلمت طويته، ولم يكن به مكذبًا، ولا يشربه مجربًا، فإن الله مع المتوكلين وهو يفضح المجربين(٣).

وقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يحمل ماء زمزم في الأداوى والقرب، وكان يصب على المرضى ويسقيهم(٤).

أحبتي الكرام...

وهذه بعض أخبار من استشفى من العلماء والصالحين في عصور مضت فهذا هو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يحدث عنه ابنه عبد الله يقول: رأيته يشرب من ماء زمزم، يستشفى به، يمسح به يديه ووجهه.

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٨٤) لابن القيم.

(٢) تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي (٤/ ١٣٤).

(٣) أحكام القرآن (٣/ ١١٢٤) والقرطبي (٩/ ٣٧٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٢) للذهبي.

وهذا هو الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ يقول: وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أمورًا عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض، فبرأت بإذن الله[1].

وهذا هو الإمام زين الدين العراقي رحمه الله ذكر أنه شرب ماء زمزم لأمور، منها الشفاء من داء معين بباطنه، فشفي منه بغير دواء.

والإمام ابن قتيبة رحمه الله يذكر أنه حج مع جماعة ومعهم رجل مفلوج فوجده يطوف بالبيت سالمًا من هذا المرض، فقال: كيف ذهب ما بك؟ فقال: جئت إلى بئر زمزم، فأخذت من مائها، فحللت به داوة كانت معي وكتبت في إناء **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ [الحشر:٢٢] إلى آخر السورة وكتبت: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الإسراء:٨٢] وقال: اللهمَّ إن نبيك محمدًا ﷺ قال: «**ماء زمزم لما شرب له**»[2] والقرآن كلامك فاشفني بعافيتك.. وحله بماء زمزم وشربه، فعوفي وتخلص من هذا المرض (الفالج) بإذن الله.

وحكايات المستشفين بماء زمزم كثيرة جدًا يطول علينا سردها لكن يذكر أحد إخواننا الفضلاء بعد أن عاد من أداء فريضة الحج يقول: حدثني سيدة فاضلة اسمها (يسرية عبد الرحمن حراز) كانت تؤدى معنا فريضة الحج عن المعجزة التي حدثت لها ببركات ماء زمزم، فقال: إنها أصيبت منذ سنوات بقرحة قرمزية في عينها اليسرى، نتج عنها صداع نصفي، لا يفارقها ليل نهار، ولا تهدئه المسكنات.. كما أنها كادت أن تفقد الرؤيا تمامًا بالعين المصابة لوجود غشاوة بيضاء عليها، وذهبت إلى إحدى كبار أطباء العيون، فأكد أنه لا سبيل إلى وقف الصداع إلا بإعطائها حقنة تقضى عليه، وهي في نفس الوقت ستقضي على العين المصابة، فلا ترى إلى الأبد..

وفزعت السيدة يسرية لهذا النبأ القاسي، ولكنها كانت واثقة من رحمة الله، ومطمئنة إلى أنه سبحانه وتعالى سوف يهيىء لها أسباب الشفاء، رغم جزم الأطباء

---

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٨٤).

(٢) شفاء الغرام (١/ ٢٥٥).

بصعف الأمل فـي ذلك. . ففكرت في أداء عمـرة، كي تتمكن من التـماس الشـفاء مـباشـرة من الله عز وجل عند بيـته المحـرم. . وحـضرت إلى مكة المكرمـة وطافت بالكعـبة، ولم يكن عدد الطائـفين كثيـر في هذا الوقت، مما أتاح لها الفـرصة كـما تقول- أن تقبل الحجر الأسود، وتمس عـينها المريضة به. . ثم اتجهت إلى ماء زمزم، لتملأ كـوبًا منه، وتغسل به عينها. . وبعد ذلك أتمـت السعي، وعادت إلى الفندق، الذي تنزل به، فوجـئت بعد عودتهـا إلى الفندق أن عينها المريضـة أصبحت سليـمة تمامًا، وأن أعراض القرحة القرمزية توارت، ولم يعد لها أثر يذكر سبحان الله الشافي المعافى! كيف تم استئـصال قرحة بدون جراحة؟ كيف تعود عين ميـئوس من شفائها إلى حالتها الطبيعية بدون علاج؟

ومثل هذا كثـير، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على صدق مـا قاله الرسول المصطفى ﷺ عن هذه البئر المباركة. .

وهذا آخـر يقول: لقـد أصـبت منذ سنوات بحصـاة في الحـالب وقرر الأطبـاء استحالة إخراجها إلا بعملية جراحية، ولكنني أجلت إجراء العملية مرتين، ثم بدا لي أن أؤدي عمـرة، وأسأل الله أن يمن عليَّ بنعمـة الشفاء، وإخراج هذه الحـصاة بدون جراحة. .

وبالفعل سافرت إلى مكة، وأديت العمرة، وشربت من ماء زمزم، وقبلت الحجر الأسود، وصليـت ركعتين قـبل أن أخرج من الحـرم، وأحسست بشيء يـخزني في الحالب، فـأسرعت إلى دورة المياه، فـإذا بالمعجزة تحدث، وتـخرج الحصاة الكبـيرة، وأشفى بإذن الله ببركة شربي لماء زمزم دون أن أدخل غـرفة عمليات ولقد كان خروج هذه الحصاة مفاجأة له وللأطباء، الذين كانوا يقومون على علاجه، ويتابعون حالته. .

أحبتي الكرام...

ومن هنا يعلم حديث النبي ﷺ: **«ماء زمـزم لما شرب له»** فقد شربهـا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لظمأ يوم القيامة، فدعا الله قائلاً: «اللهمَّ إني أشربه لظمأ يوم القيامة»

وكذلك عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ فقـد روى أنه أتى ماء زمزم، فاستسقى

منه شربة، ثم استقبل القبلة، ثم قال: حدثني محمد بن المنكدر عن النبي ﷺ أنه قال: «**ماء زمزم لما شرب له**» وأنا أشربه ليزيل الله عطشى يوم القيامة، فشربه.

وشربه الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ ليكون من أعلم العلماء، فكان كذلك وكذلك الشافعي رحمه الله قال ابن حجر: واشتهر عن الشافعي أنه شرب ماء زمزم للرمي، فكان يصيب من كل عشرة تسعة(١).

وفي رواية أخرى أن الشافعي قال: شربت ماء زمزم لثلاث: للرمي، فكنت أصيب العشرة من العشرة، والتسعة من العشرة، وللعلم، فها أنا كما ترون، ولدخول الجنة، فأرجو حصول ذلك(٢).

ولما سئل الإمام ابن خزيمة ـ رحمه الله تعالى ـ: من أين أوتيت هذا العلم كله؟ قال: قرأت حديث رسول الله ﷺ: «**ماء زمزم لما شرب له**» وإني لما شربت، سألت الله علمًا نافعًا(٣).

وكذلك الإمام الحاكم- صاحب كتاب المستدرك- شرب ماء زمزم، لحسن التصنيف ولغير ذلك، فصار أحسن أهل عصره(٤).

وكذلك الإمام الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ محدث أهل الشام والعراق وصاحب السفر العظيم تاريخ بغداد، روى أنه لما شرب من ماء زمزم ثلاث شربات، وسأل الله عز وجل ثلاث حاجات: الأولى: أن يحدث بتاريخ بغداد بها.

الثانية: أن يملي الحديث بجامع المنصور.

الثالثة: أن يدفن عند قبر بشر الحافي.. فقضى الله له ذلك(٥).

والإمام ابن العربي المالكي رحمه الله صاحب كتاب أحكام القرآن يقول: ولقد

---

(١) الأذكياء لابن الجوزي ص١٠٥.

(٢) الجوهر المنظم (٤٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٠) وتذكرة الحفاظ (٢/ ٧٢١).

(٤) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٤٤).

(٥) تاريخ دمشق (٧/ ٢٤) وتذكرة الحفاظ (٣/ ١١٩٣).

كنت بمكة مقيمًا في ذي الحجة سنة ٤٨٩هـ وكنت أشرب ماء زمزم كثيرًا، وكلما شربته، نويت به العلم والإيمان، حتى فتح الله لي ببركته في المقدار الذي يسره الله لي من العلم، ونسيت أن أشربه للعمل..

وهذا هو الإمام ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله ـ صاحب كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري يقول: وأنا لما شربته مرة، وسألت الله، وأنا حينئذ في بداية طلب الحديث أن يرزقني حالة الذهبي- صاحب كتاب سير أعلام النبلاء- في حفظ الحديث ثم حججت بعد مدة تقرب من عشرين سنة، وأنا أجد من نفسي المزيد على تلك المرتبة، فسألته رتبة أعلى منها، فأرجو الله أن أنال ذلك.. وكذلك الإمام السيوطي وغيره من العلماء ـ رحمهم الله تعالى.

أحبتي الكرام...

وأفضل ما يقدمه الحاج والمعتمر لأحبائه وأضيافه هو ماء زمزم، فأعظم بماء زمزم من هدية، فعن مجاهد قال: ما رأيت ابن عباس ﵄ أطعم ناسًا قط إلا سقاهم ماء زمزم..

بعض الناس لا يستسيغ ماء زمزم، لكن جعل الله عز وجل لماء زمزم طعم خاص يُعرف به، ويميزه عن سائر المياه، فمن ألف شربه وعرف طعمه، يميزه عن بقية المياه سريعًا، حتى ولو مرت عليه أعوام عديدة لم يذقه.. والمؤمن يجد طعمه حلوًا عذبًا سائغًا شرابه، وكلما ازداد شربًا منه، ازداد حبًا له.. وهذا الطعم الخاص لماء زمزم فيه سر إلهي دقيق، يجعل الباعث على حبه هو الإيمان، أما من لم يكن الإيمان كاملاً في قلبه، ويجهل فضل ماء زمزم وخيراته وبركاته، وحكَّم عقله ونفسه، فيجد طعمه غير معتاد فلا يستسيغه، ولهذا جعل رسول الله ﷺ الإكثار من شربه، والتضلع منه علامة من علامات الإيمان، وبراءة من النفاق.

وقد قرأت مقالاً حديثًا جاء فيه:

أن ماء زمزم قلوى غني بالمعادن المفيدة في الجسم من نواحي متعددة:

يمده بقدر كبير من الطاقة، يزيل الفضلات الحمضية من الجسم، مضاد قوي

للأكسدة، ومزيل قوي للسموم، يساعد على امتصاص العناصر الغذائية بكفاءة أفضل إلى داخل الجسم، ويساعد في تنظيم الهضم وتحسينه، يدمر خلايا السرطان.

وختامًا نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لصالح الأعمال وأن يغفر ذنوبنا وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد..

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (١٠٩)

* كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة *

عن أبي أسيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام...

عدنا مرة أخرى إلى الطب النبوي، وها هو رسولكم الحبيب ﷺ **يصف لنا** الدواء مرة أخرى، وهو في هذه المرة (زيت الزيتون) فيوصينا به، لنأكله، وندهن بزيته، فإنه من شجرة باركها الله عز وجل..

وقد جاء في سنن ابن ماجة من حديث عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ائتدموا بالزيت، وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة**»(٢).

والزيت المذكور في هذه الوصية هو زيت الزيتون، وقد جاء في لسان العرب لابن منظور أن الزيت: عصارة الزيتون، والزيتون شجرة معروفة، والزيت دهنه..

ويستخلص من ثمار شجرة الزيتون، التي قال عنها رب العزة والجلال سبحانه: ﴿**وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ**﴾ [المؤمنون: ٢٠] وشجرة الزيتون شجرة مباركة، كما قال الله عز وجل عنها: ﴿**مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**﴾ [النور: ٣٥]

وشجرة الزيتون شجرة معمرة نبتت على سطح الأرض منذ العصور القديمة، ولقد ذكرت قصة طوفان نبي الله نوح عليه السلام في الكتب السماوية، وروى أن

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي والحاكم وقال: صحيح الإسناد وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٤٩٨).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجة وصححه الألباني في الصحيحة (٣٧٩) وفي صحيح سنن ابن ماجة (٣٣١٩).

حمامة أحضرت غصنًا من الزيتون في فمها إلى سفينة النبي نوح عليه السلام كدليل على انحسار مياه الطوفان، وتواترت الأجيال هذا الحدث، حتى أن الناس لا يزالون يعتبرون الحمامة تحمل في فمها غصن الزيتون رمزًا للسلام.

وقد ورد ذكر الزيتون في القرآن الكريم سبع مرات، وورد في أحاديث النبي وتحدث عنه الحكماء والعلماء..

فمن الآيات المباركة التي ورد ذكر الزيتون فيها قوله سبحانه: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ**﴾ [الأنعام: ١٤١]

وقد أقسم الله عز وجل به في صدر سورة التين، فقال سبحانه: ﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ**﴾ [التين: ١، ٢] وقال سبحانه: ﴿**يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ**﴾ وقال سبحانه: ﴿**ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً**﴾ [عبس: ٢٦-٢٩]

وفي السنة المطهرة غير حديث الوصية التي نعيش في ظلالها، ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يحرم، غسل رأسه بخطمى وأشنان، ودهنه بزيت غير كثير.

وقد قال حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: في الزيتون منافع: يسرج الزيت، وهو إدام ودهان، ودباغ ووقود، يوقد بحطبه وتفله، وليس في شيء إلا فيه منفعة، حتى الرماد يغسل به، وهو أول شجرة نبتت بعد الطوفان، ونبتت في منازل الأنبياء والأرض المقدسة، ودعا لها سبعون نبيًا بالبركة، منهم: إبراهيم، ومنهم: محمد ﷺ فإنه قد قال: «**اللهمَّ بارك في الزيت والزيتون**»

قال عنها داود الأنطاكي: الزيتون من الأشجار الجليلة القدر، العظيمة النفع تغرس من تشرين (أكتوبر) إلى كانون (ديسمبر) فتبقى أربع سنين ثم يثمر، فيدوم ألف عام..

وقال ابن سينا في كتابه (القانون والطب): الزيتون شجرة عظيمة لا توجد في بعض البلاد، وقد يعتصر من الزيتون الفج الزيت، وقد يعتصر من الزيتون المدرك، وزيت الإنفاق، هو الزيت المعتصر من الفج، والزيت قد يكون من الزيتون البستاني، وقد يكون من الزيتون البرى.

وقال الدكتور صبري القباني في كتابه (الغذاء لا الدواء): لقد عرف الإنسان شجرة الزيتون منذ أقدم العصور، فاستعلها خير استغلال، إذ ائتدم بثمرها، واستضاء بزيتها، واستوقد وجزل حطبها.

وقال الدكتور حسان شمس باشا في كتابه (زيت الزيتون بين الطب والقرآن): قال الدوس هكسلى في كتابه (شجرة الزيتون): لو كنت أستطيع الرسم وكان لدي الوقت الكافي، لقضيت عدة سنوات، وأنا أرسم لوحات تصور شجرة الزيتون، فكم هناك من أشكال مختلفة لشجرة واحدة؟ هي شجرة الزيتون. وقال آخر.

انظر إلى زيتوننا ... فيه شفاء المهج

بدا لنا كأعين ... شهل وذات دعج

مخضرة زبرجد ... مسودة من سبج

وقال الدكتور أحمد شوقي إبراهيم في كتابه: موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي. (٥/ ٧١):

وإذا تحدثنا عما أشارت إليه الأحاديث النبوية المشرفة عن فوائد زيت الزيتون، فلن ينتهي بنا الحديث.. ويكفى أن نعلم الآتي:

١- أن زيت الزيتون فيه مواد مضادة للأكسدة، فهو طعام وشفاء، طعام مفيد

للجسم، وشفاء من السموم التي تنتج داخل الجسم من نواتج عمليات الأيض. .

٢- تحتوي ثمرة الزيتون على ١٥-٢٠٪ زيتًا، و٤٪ بروتينًا، و١٪ أملاحًا معدنية «فوسفور، وحديد، وكالسيوم، كما يحتوي على فيتامينات أ، ب بكميات كبيرة.

٣- يستخدم زيت الزيتون في علاج بعض أمراض الكبد، وعسر الهضم والإمساك كما أن زيت الزيتون مفيد في علاج فقر الدم، والكساح عند الأطفال.

٤- يفيد في كثير من الأمراض الجلدية، ويستعمل زيت الزيتون لدهان الجسم، لوقاية الجلد من أشعة الشمس الحارقة، كما أنه يستعمل لوقف تساقط الشعر. .

٥- يقلل نسبة الإصابة بسرطان الثدي، فقد أعلن المعهد القومي الأمريكي للسرطان عن دراسة تمت على ٨٢٠ سيدة من المصابات بمرض سرطان الثدي و١٥٨٤ سيدة من غير المصابات. . وأثبتت الدراسة أن معدل الإصابة بسرطان الثدي كان أقل بنسبة ٢٥٪ في النساء اللاتي يستهلكن زيت الزيتون في طعامهن.

٦- يُقلل من تجعدات جلد الوجه والرقبة كدهان موضعي.

٧- ذكرت الأبحاث الحديثة في مختلف المراكز العلمية، أن استعمال زيت الزيتون النقي كدهان للجلد باستمرار، ولعدد من الشهور، يساعد على إبطاء ظهور سرطان الجلد ويقلل من حجم الأورام السرطانية، إذا ظهرت على الجلد. .

٨- يستخدم ورق الزيتون في علاج مرض السكر.

٩- زيت الزيتون علاج مفيد لكبد الدهني Fatty Liver والكبد الدهني هو وجود خلايا دهنية كثيرة بالكبد، مما يسبب تضخمًا بالكبد. . وفي بعض الحالات تؤدي إلى أعراض مرضية، وقد تؤدي إلى تليف بالكبد. .

ومن أهم أسباب الكبد الدهني: مرض السكر، والسمنة، وتناول الكحوليات، وأسباب أخرى كثيرة، ولا يوجد لها علاج فعَّال في الطب الإكلينكي، إلا أنه اكتشف أن زيت الزيتون يعالج الكبد الدهني.

١٠- زيت الزيتون يعالج سرطان الأمعاء: حيث اكتشف أطباء في بريطانيا أدلة

جديدة تثبت فائدة زيت الزيتون في الوقاية والعلاج من سرطان الأمعاء، وهو مرض يتسبب في وفاة عشرين ألف شخص سنويًّا في بريطانيا. .

وأظهرت الأبحاث في جامعة (أكسفورد) في إنجلترا أن زيت الزيتون يتفاعل مع حامض الهيدروكلوريك الموجود طبيعيًّا في المعدة، ويمنع الإصابة بسرطان القولون، وسرطان المستقيم إذا اكتشف المرض في طوره المبكر.

١١- زيت الزيتون يقي من الإصابة بأمراض شرايين القلب.

١٢- تناول زيت الزيتون في الطعام يقلل من ظهور الشيب المبكر للشعر، وذلك لأنه يحتوي على الأحماض الدهنية والأمينية. .

أحبتي الكرام...

وقد ذكر العلماء أيضًا أن زيت الزيتون يؤدي تناوله إلى هدوء الأعصاب، وانخفاض ضغط الدم المرتفع. .

وجاء في كتاب (آيات معجزات من القرآن وعالم النبات) للدكتور نظمي خليل: أن لشجرة الزيتون أهمية اقتصادية كبرى عند العرب والمسلمين منها:

١- أن خشبها يستخدم في صناعة أفخر أنواع الأثاث الخشبي. .

٢- يستخدم تفل النوى (أي الذي تبقى بعد عصر الزيت) في علف الدواب، وتسميد الأرض، ووقود في تطيين الجدران..

٣- تستعمل أوراق شجرة الزيتون في معالجة أمراض الأسنان واللثة عند مضغها خضراء.

٤- تعطى شجرة الزيتون حوالي ٦٠ كيلو جرام من الزيتون المستخدم في التخليل والتغذية، وينتج منه زيت الزيتون.

فسبحان من وصفها بأنها شجرة مباركة. . وصل اللهم وسلم وبارك على من أوصانا أن نأكله، أو نتخذه إدامًا، وندهن به، لأنه من شجرة مباركة نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يبارك في أرزاقنا، وفي أولادنا وبناتنا وزوجاتنا، وأن يقينا من

الأمراض ما ظهر منها وما بطن. .

اللهمَّ اشف أمراضنا وأمراض المسلمين بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين. .

اللهمَّ آت نفوسنا تقواها، وزكها يا رب أنت خير من زكاها. . أنت وليها ومولاها. . اللهمَّ آتنا من لدنك رحمة، وهيئ لنا من أمرنا رشداً. .

اللهمَّ اغفر لنا ذنوبنا. . وكفر عنا سيئاتنا. . وتوفنا مع الأبرار. .

اللهمَّ لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرجته، ولا معسراً إلا يسرته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا ضالاً إلا هديته، ولا ميتًّا إلا رحمته. . بفضلك يا أكرم الأكرمين. . يا رب العالمين. .

❏ ❏ ❏

الوصية رقم (١١٠)

* اسقه عسلاً *

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال له رسول الله: «**اسقه عسلاً**» ثم أتى الثانية، فقال: «**اسقه عسلاً**» ثمّ أتاه في الثالثة، فقال: «**اسقه عسلاً**» ثم أتاه، فقال: فعلت. فقال: «**صدق الله، وكذب بطن أخيك، اسقه عسلاً فسقاه فبرأ**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام...

ذكر الله عز وجل النحل في القرآن الكريم حيث سمى الله عز وجل سورة بأكملها سماها بسورة النحل، وذلك ليلفت النظر إلى هذه الحشرة الصغيرة وفوائدها وإن من أهم فوائدها ذلك العسل، الذي تنتجه بقدرة الله عز وجل لها، قال تعالى: ﴿ **وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [النحل: ٦٨-٦٩].

النحل علماء في الاقتصاد، وهندسة المباني. هؤلاء العلماء ليسوا إنسًا ولا جنًّا، ولا ملائكة، أوحى الله إليهم، وخاطبهم بما خاطب به الأنبياء، فقال: ﴿ **وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ** ﴾ لم يقل وأمر ربك النحل، ولم يقل: وأرشد ربك.. وإنما عبر بالوحي وهو الإلهام، وهو نوع من أنواع الوحي.. ألهمها أن تتخذ من الجبال بيوتًا تأوي إليها.. ومن الشجر ومما يعرشون.. وبيوت النحل محكمة غاية في الإحكام والإتقان في شكلها السداسي ورصها بحيث لا يكون بينها خلل، ثم سخر الله النحل أن تأكل من كل الثمرات وأن تسلك الطرق التي سهلها عليها حيث شاءت في الجو والبراري والأودية والجبال، ثم تعود إلى بيتها لا تحيد عنه يمنة ولا يسرة، فتبني الشمع من

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

أجنحتها، وتضع العسل من فيها، وتبيض الفراخ من دبرها، ثم تصبح إلى مراعيها فمن علمها؟ ومن أرشدها؟ ومن ألهمها؟

إنه صاحب القدرة والعظمة والكبرياء..

الله ربـي لا أريـد سـواه **هل فـي الوجـود حـقـيـقـة إلاه**

الطـيـر سـبـحـه والوحش مـجـده **والموج كـبـره والحـوت ناجـاه**

والنـمل تحت الصـخـور الـصم قـدسـه **والنـحل يهـتـف حـمـداً في خـلاياه**

والناس يـعـصـونه جـهـراً فـيـسـترهم **والعـبـد ينسى وربي لـيس ينسـاه**

أحبتي الكرام...

وقد ضرب رسول الله ﷺ المثل بالنحلة، فقال: «**مثل المؤمن مثل النحلة، لا تأكل إلا طيبًا، ولا تضع إلا طيبًا**»[١].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، إنَّ مثل المؤمن كمثل النحلة، أكلت طيبًا، ووضعت طيبًا، ووقعت فلم تكسر، ولم تفسد**»[٢].

قال المناوي ـ رحمه الله ـ في فيض القدير:

المراد به المؤمن الذي تكاملت به خصال الخير باطنًا، وأخلاق الإسلام ظاهرًا فشبه

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٤٧).

(٢) **صحيح**: السلسلة الصحيحة (٢٢٨٨).

المؤمن بذبابة العسل (النحلة) لقلة مؤنتها، وكثرة نفعها.. كما قيل: إن قعدت على عش لم تكسره، وإن وردت على ماء لم تكدره.

وقال سيدنا عليٌّ رضي الله عنه: كونوا في الدنيا كالنحلة، كل الطير يستضعفها، وما علموا ما ببطنها من النفع والشفاء.

والمؤمن بإجماع العلماء أكرم الخلق عند الله عز وجل، وتشبيه المؤمن بالنحلة رفع لمكانة هذه الحشرة النافعة، وتقدير من نبي الرحمة ﷺ لجليل ما تقوم به من أعمال، وما تضعه وما تصنعه من أدوية ومواد هي في غاية النفع لهذا الإنسان.

أحبتي الكرام...

وفي هذه الوصية الكريمة التي نعيش في ظلالها يوصى الرسول ﷺ الرجل الذي جاء يشتكي بطن أخيه أن يسقيه عسلاً، فقال له: «**اسقه عسلاً**» ويتردد الرجل، ورسول الله ﷺ يوجهه بالعسل.. حتى قال له: «**صدق الله، وكذب بطن أخيك**» فسقاه عسلاً فبرأ يقول العلامة الزرقاني ـ رحمه الله ـ في شرحه على المواهب اللدنية:

معناه: أخطأ بطن أخيك حيث لم يصلح لقبول الشفاء بسرعة، لكثرة المادة الفاسدة فيه، ولذا أمره الرسول ﷺ بمعاودة شرب العسل لاستفراغها، فلما كرر ذلك بريء.

وقال الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ: لعله ﷺ علم بنور الوحي أن ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك، فلما لم يظهر نفعه في الحال، كان هذا جاريًا مجرى الكذب، فلهذا أطلق عليه هذا اللفظ.

وقال الطبيب الكحال في كتابه الأحكام النبوية في الصناعة الطبية على الحديث فقال: إنَّ إسهال ذلك الرجل كان من تخمة أصابته، وقد جاء في بعض طرق الحديث، إنّ أخي عرب بطنه- ومعناه: فسد هضمه، واعتلت معدته، فأمره النبي ﷺ بشرب العسل، لدفع الفضول المجتمعة.. وهذا العلاج من أحسن ما عولج به

هذا المرض، لاسيما إذا مزج العسل بالماء الحار، لأن الأطباء مجمعون في مثل هذا على أن علاجه بأن تترك الطبيعة وفعلها، وإن احتاجت إلى معين على الإسهال، أعينت ما دامت القوة باقية.

وقد ثبت أن العسل علاج كثير من الأمراض..

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ملاعب الأسنة بعث إلى النبي ﷺ يسأله الدواء من وجع بطن أخ له، فبعث إليه النبي ﷺ عكة عسل، فسقاه، فبريء[1].

وعن عامر بن مالك قال: بعثت إلى النبي ﷺ من وعك ألمَّ بي ألتمس منه دواء أو شفاءً، فبعث إليَّ بعكة من عسل[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يعجبه الحلواء والعسل[3].

وقد جاء في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن كان في شيء من أدويتكم من خير ففي شرطة محجم، أو شربة عسل، أو لذعة بنار توافق الداء، وما أحب أن أكتوي**»[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**الشفاء في ثلاثة: شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنهى أمتي عن الكي**»[5].

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: ولم يرد النبي ﷺ الحصر في ثلاثة، فإن الشفاء قد يكون في غيرها.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**عليكم بالشفاءين: العسل، والقرآن**».

ففي هذه الأحاديث الثلاثة وغيرها بين الرسول ﷺ أن في العسل شفاء للناس..

وما ذلك إلا لأن العسل مخزن كامل لمواد غذائية قيمة، ولعقاقير في غاية النفع

---

(١) رواه البغوي بإسناد صحيح.
(٢) رواه البيهقي.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه البخاري ومسلم.
(٥) رواه البخاري.

وهي مواد معقدة التركيب، فقطرة من العسل تحتوي على أكثر من مائة مادة مختلفة، وذات أهمية كبرى. .

ويختلف تركيب العسل اختلافًا يتناسب مع اختلاف الزهور والمناطق والأرض. . والسبب الرئيسي هو اختلاف تركيب الأرض التي يتغذى منها النبات والسكريات هي أكبر نسبة لمكونات العسل فهي تبلغ حوالي ٧٠٪ والسكريات فيها أنواع كثيرة من عسل النحل: منها سكر العنب ٣٠٪ وسكر الفواكه ٤٠٪ وسكر القصب ٢-٤٪ ثم مقادير من سكر الشعير والميلستيوز والدكسترين القليل جدًا، وأكثر هذه السكريات لم تكن موجودة في الرحيق، لكنها تواجدت في معدة النحل عند عملية الإنضاج والتخمير. .

وفي العسل مجموعة من الخمائر التي تلعب دورًا هامًا في حياة الكائن الحي، وخمائر العسل يأتي بعضها من الرحيق، وبعضها من النحلة. .

كما يحتوي العسل على العديد من الأحماض العضوية كحمض الليمون والتفاح، والطرطير، وغيرها من الأحماض، وللحموضة العضوية أثر في حفظ العسل وفي قوته الحافظة والمضادة للعفونة. .

والعسل يحتوي على مجموعة كبيرة من الفيتامينات ومن أهمها: ب١ التيامين ب٢ أو الريبو فلافين، وب٣، وب٥، وب٦ وفيتامين ج **vitc** والفيتامين ك، والفيتامين و = **E**.

ويحتوي العسل على الأملاح المعدنية، التي توجد ضمن مكونات العسل، وأهمها الكالسيوم والصوديوم، والبوتاسيوم، والفوسفور، والحديد، والكبريت واليود، ويعادل وزنها ٠٢,٪ من وزن العسل.

وأثبت الباحثون في جامعة موسكو، وجود عناصر معدنية مجهرية من الماغنسيوم والسيلسيوم، والألمنيوم، والكروم والنحاس، والنيكل والزنك وغيرها. .

وهي موجودة بكميات ضئيلة جدًا، ولكنها تقوم بدور هام في العضوية فهي تؤثر

على قابلية الإثارة في الجهاز العصبي، كما تلعب دوراً هاماً في تنفس الأنسجة، وفي أعمال الدورة الدموية، وتكوين الدم.

أحبتي الكرام...

وللعسل خواص حافظة، ومضادة للحيوية..

يقول العلماء: إن الوثائق التاريخية تدل على أن الشعوب القديمة عرفت الخواص الحافظة للعسل.. فلقد استعمل المصريون اليونان القدامى العسل لحفظ موتاهم، ومن المشهور أن جثمان الإسكندر المقدوني، الذي توفي أثناء فتوحاته في المشرق، قد نقل إلى عاصمته مكدونيا بعد غمره بالعسل..

وفي بورما درجت العائلات الفقيرة على حفظ جثث موتاهم بالعسل ريثما يُدبرون أمر دفنها.. ومما يجلب الدهشة أنهم يأكلون العسل بعد أن ينتشلوا الجثث منه، لاعتقادهم ببقائه صالحًا للأكل.

ومنذ أكثر من قرن كتب (سوماركوف) يقول:

يملك العسل خواص مدهشة، فهو يحفظ الفواكه والخضر، واللحم من الفساد لذا فإن سكان جزيرة سيلان، يقومون بتقطيع اللحم إلى قطع صغيرة، ثم يطلونها بالعسل، ثم يضعونها في جوف جذع شجرة مرتفعًا عن الأرض ويتناولونها على مدى سنة، حيث أن اللحم يبقى وكأنه طازج بل إن مذاقه يصبح أفضل.

ولقد قام طبيب الجراثيم (ساكيت) بزرع جراثيم مختلفة الأمراض في مزارع من العسل الصافي، فأذهلته النتيجة المدهشة، فقد ماتت جميع الجراثيم، وقضي عليها خلال أيام.. لقد ماتت جراثيم التيفود بعد ٤٨ ساعة وجراثيم الحمى التيفودية بعد ٢٤ ساعة، والمكورات الرئوية بعد ٤ أيام وكذا المكورات العقدية والعنقودية، أما جراثيم الزحار، فقد ماتت خلال ١٠ ساعات..

فسبحان من خلق فسوى وقدر فهدى..

يا من يرى مد البعوض جناحها

في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى نيـاط عـروقـهـا في نـحـرها
والمـخ فـي تـلـك الـعـظـام النُـحَّـل
امنن على بتـوبـة تمحـو بـهـا
مـا كـان منى في الـزمـان الأوَّلِ

ويكفي فيه قول من خلقه وأبدعه: ﴿فيه شفَاء للنَّاس﴾

وقول رسول أحكم الحاكمين، رب العالمين للرجل الذي استطلق بطنه: «**اسقه عسلاً**» فهو بالفعل شفاء، وأعظم دواء.

وقد جاء في تذكرة داود الإنطاكي عن عسل النحل أنه يقطع البلغم وأنواع الرطوبات، ويزيل الاسترخاء واللزوجات والسدد، وصعف الشهية شربًا ويقطع البياض والدمعة، والحكة والجرب وبرد العين.

وذكره ابن البيطار في كتابه، وذكر له فوائد جمة أسأل الله العلي العظيم أن يشفي أمراضنا وأمراض المسلمين.

❑ ❑ ❑

الوصية رقم (١١١)

* اللبن طعام وشراب *

عن ابن عباس ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «**من سقاه الله لبنًا، فليقل: اللهمَّ بارك لنا فيه، وزدنا منه، فإني لا أعلم ما يجزى من الطعام والشراب إلا اللبن**»(١) صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي الكرام...

رسولنا الكريم، وأستاذنا العظيم ﷺ هنا في هذه الوصية المباركة يوصينا أننا إذا شربنا لبنًا، وكان هذا اللبن رزقًا ساقه الله عز وجل إلى أحدنا، فبعد أن يشرب، يستحب له أن يقول داعيًا ربه ومولاه، الذي أطعمه وسقاه: «**اللهمَّ بارك لنا فيه، وزدنا منه**» وهكذا كان هديه ﷺ إذا شرب اللبن، لكن إذا كان الطعام أو الشراب غير اللبن كان يقول داعيًا مولاه: «**اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، وزدنا خيراً منه**» لكن ما هو السر في قول الرسول ﷺ هذا عند شربه للبن؟

يعلل عن ذلك ﷺ بقوله: «**فإني لا أعلم ما يجزى من الطعام والشراب إلا اللبن**» أي ما يكفي الإنسان طعامًا وشرابًا، ويستغنى عما سواه إلا اللبن أهذا هو السر فقط أم هناك أسرار وراء هذا السائل المبارك؟

هيا بنا لنقف مع قدرة اللطيف الخبير القدير في خلقه هذا السائل..

ونحن مطالبون من الله الواحد الأحد أن نتأمل قدرة الله فيما نأكل ونشرب قال تعالى: ﴿**فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ**﴾ [عبس:٢٤] كيف كان مبدؤه؟ ﴿**أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً**﴾ [عبس:٢٥] من المزن، وهي السحاب، ثم اختزناه في باطنها على هيئة مستودعات، يستخرج منه بقدر الحاجة، أو جرى على ظهرها على هيئة أنهار وعيون..

---

(١) **حسن**: رواه أحمد وأبو داود وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٤٥).

ويقول: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨-٧٠]

وهذا من فضل الله وكرمه للإنسان..

ورب العزة والجلال يقول عن اللبن: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]

يقول صاحب الظلال:

فهذا اللبن الذي تدره ضروع الأنعام مم هو؟

إنه مستخلص من بين فرث ودم.. والفرث ما يتبقى في الكرش للحيوان بعد هضمه، وبعد امتصاص الأمعاء للعصارة، التي تتحول إلى دم.. هذا الدم الذي يذهب كل خلية في الجسم.. فإذا صار إلى غدد اللبن في الضرع، تحول إلى لبن ببديع صنع الله العجيب.. الذي لا يرى أحد كيف يكون؟!

وعملية تحول الخلاصات الغذائية في الجسم إلى دم، وتغذية، كل خلية بالمواد التي تحتاج إليها من مواد هذا الدم.. عملية عجيبة فائقة العجب.. وهي تتم في الجسم في كل ثانية، كما تتم عملية الاحتراق..

بل سائل اللبن المصفى

كان بين دم وفرث من الذي صفاكا؟

يقول الإمام ابن القيم عن اللبن في كتابه: زاد المعاد:

اللبن وإن كان بسيطًا في الحس، إلا أنه مركب في أصل الخلقة تركيبًا طبيعيًا من جواهر ثلاثة: الجبنية، والسمنية، والمائية، فالجبنية: باردة رطبة، مغذية للبدن، والسمنية معتدلة الحرارة والرطوبة، ملائمة للبدن الإنساني الصحيح، كثيرة المنافع. والمائية: حارة رطبة، ومطلقة للطبيعة، مرطبة للبدن..

وأجود ما يكون اللبن حين يُحلب، ثم لا يزال تنقص جودته على مر الساعات فيكون حين يحلب أقل برودة، وأكثر رطوبة، والحامض بالعكس.

ويختار اللبن بعد الولادة بأربعين يومًا، وأجوده: ما اشتد بياضه، وطاب ريحه، ولذّ طعمه، وكان فيه حلاوة يسيرة، ودسومة معتدلة، واعتدل قوامه في الرقة والغلظ، وحُلب من حيوان فتى صحيح، معتدل اللحم محمود المرعى والمشرب.

ثم يقول عن فوائده: وهو محمود، يولد دمًا جيدًا، ويرطب البدن اليابس، ويغذو غذاء حسنًا، وينفع من الوسواس والغم والأمراض السوداوية، وإذا شرب مع العسل نقي القروح الباطنة من الأخلاط العفنة، وشربه مع السكر، يحسن اللون جيدًا.. والحليب يتدارك ضرر الجماع، ويوافق الصدر والرئة.. جيد لأصحاب السل، رديء للرأس والمعدة، والكبد والطحال.. والإكثار منه مضرٌّ بالأسنان واللثة، ولذلك ينبغي أن يتمضمض بعده بالماء[١] وفي الصحيحين أن النبي ﷺ شرب لبنًا، ثم دعا بماء، فتمضمض وقال: «**إنّ له دسمًا**»[٢].

أحبتي الكرام...

في ليلة الإسراء والمعراج قدم جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ ثلاثة أقداح: قدح فيه لبن، وقدح فيه عسل، وقدح فيه خمر يقول النبي ﷺ: «**فأخذت الذي فيه اللبن، فشربت، فقيل لي: أجبت الفطرة أنت وأمتك**».

وفي رواية: «**ثم أتيت بإناءين: في أحدهما لبن، وفي الآخر خمر، فقيل لي: اشرب أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل لي: أصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر، غوت أمتك**».

ولقد شاء المولى عز وجل أن يتغذى الأطفال الرضع باللبن قبل إعطائهم أي غذاء آخر، وهذا يدل على قيمته الغذائية الكبيرة، حيث أنه يفي بالاحتياجات الغذائية في شكل ملائم، ونسب متزنة، وأقرب إلى الكمال من أي غذاء آخر اللبن أفضل غذاء، وأكمله، فلا توجد أي مادة غذائية أخرى يمكن أن تقارن مع اللبن من حيث قيمته الغذائية المرتفعة، وذلك لاحتوائه على المواد الغذائية الأساسية الضرورية، التي لا

(١) زاد المعاد لابن القيم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وصحيح الجامع (٦٢٨).

يستغنى عنها جسم الإنسان في جميع مراحل نموه، وتطوره.. فاللبن يعتبر من أحسن الأغذية للأطفال والناشئين والبالغين، والمسنين على السواء.. وتلك هي المواد التي يحتوي عليها هذا السائل العظيم، الذي أخرجه الله عز وجل من بين دم وفرث:

١- البروتينات، وهي هامة جدًا في تكوين العضلات والأنسجة الجديدة.

٢- الكربوهيدرات، مثل النشويات والسكريات، وهي تمد الجسم بالحرارة والنشاط.

٣- المعادن: وهي عناصر مهمة لتكوين العظام، والأسنان، ولأداء وظائف الجسم الحيوية بانتظام..

٤- الماء: الذي يعمل كمذيب وحامل للمواد الغذائية بالجسم.

واللبن يعتبر مصدرًا مهمًا لكثير من الفيتامينات: وهي مواد تساعد على الاستفادة من الغذاء، والوقاية من الأمراض.. مثل فيتامين (أ) الذي يكسب الجسم المناعة من الإصابة بعدوى بعض الأمراض، كما أن له تأثيرًا مهمًا في عمليات تكوين العظام والغضاريف.. ونقص هذا الفيتامين يؤثر على الخصوبة والتكاثر والتوالد. كما أن فيتامين (أ) مهم جدًا في عملية الإبصار، ونقصه يسبب العشى الليلي..

ويحتوي اللبن على نسبة لا بأس بها من فيتامين (د) الذي يساعد على ترسب الكالسيوم والفوسفور في الجسم، فهو مانع للكساح..

ويحتوي اللبن أيضًا على نسبة كبيرة من (ب١٢) أو الريبو فلافين، الذي يؤدي نقصه في الجسم إلى الإصابة بمرض البلاجرا.

ويعد اللبن أحد المصادر الطبيعية الأساسية الغنية بالكالسيوم والفوسفور وهما من الأملاح المعدنية الضرورية لجسم الإنسان.

ويحتوي على نسبة لا بأس بها من الماغنسيوم والصوديوم والبوتاسيوم والكلور والكبريت.. ولكنه يعتبر فقيرًا في عنصر الحديد، ويمكن تعويض ذلك بتعاطي أغذية غنية بهذا المعدن مثل البيض، والخضروات، والفاكهة.

كما أن اللبن يحتوي على كثير من الأنزيمات التي تساعد على هضم الطعام

وامتصاصه.. فسبحان من هذا صنعه ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١].

هذا هو اللبن الذي أخرجه ربنا جلت قدرته.. وجلت عظمته.. من بين فرث ودم لبنًا خالصًا، سائغًا للشاربين.. يجزئ الأصحاء ويكفيهم، ويقوي المرضى ويشفيهم.. لهذا قال النبي ﷺ في الوصية التي نعيش في ظلالها: «**فإني لا أعلم ما يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن**» فمن أخبر رسولنا ﷺ بهذه الحقائق، في الوقت الذي كان يستحيل فيه على الإنسان أن يتوصل إلى ما توصل إليه اليوم؟ حيث أنه بعد رحلة طويلة وشاقة من البحث والدراسة وصل من خلالها إلى نتائج تتوافق مع ما أخبر به النبي ﷺ مما يدل دلالة قاطعة على أن محمدًا رسولٌ من عند الله وأن ما أخبر به وذكره، إنما هو بتعليم الله له.. ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣، ٤].

أحبتي الكرام...

تمسكوا بسنته ﷺ واعملوا بها، واجتهدوا في تطبيقها، تفوزوا برضوان الله عز وجل وجناته.. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧١] وقال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: ومن يأبى أن يدخل الجنة؟ فقال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**» ومن أطاعه شرب من حوضه يوم القيامة، يسأل يزيد بن الأخنس رسول الله ﷺ عن صفة ماء هذا الحوض، فيقول له: «**ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى مذاقه من العسل، وأطيب رائحة من المسك، من شرب منه لم يظمأ أبدًا، ولم يسود وجهه أبدًا**»[1].

من أطاع الرسول، وعمل بسنته، شرب يوم القيامة من أنهار الجنة..

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ

---

(١) **صحيح**: صححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٣٦١٤) وقال: رواه ابن حبان وأحمد ورواه أحمد محتج بهم في الصحيح.

الثَمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد:١٥] وقال النبي ﷺ: «**إنَّ في الجنة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد**».

وسنة النبي ﷺ في شرب اللبن أن يشربه غبًّا، فقد كان يمص الماء مصًا، ويغب اللبن غبًا..

وسنته في اللبن وهديه أن لا يرد اللبن، قال ﷺ: «**ثلاث لا ترد: الوسائد، والدهن، واللبن**».

وهديه التي أشارت هذه الوصية إليه: أنه إذا انتهى من شرب الله يقول: «اللهمَّ بارك لنا فيما رزقتنا، وزدنا منه..

ثم يقوم فيغسل ويتمضمض ويقول: «**مضمضوا من اللبن فإن له دسمًا**».

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: شرب رسول الله لبنًا ثم دعا بماء فتمضمض، وقال: «**إنَّ له دسمًا**».

والدسم ما يظهر على اللبن من الدهن، أو الزبد.

قال النووي ـ رحمه الله ـ في شرح مسلم: فيه استحباب المضمضة من شرب اللبن قال العلماء: وكذلك غيره من المأكول والمشروب، تستحب له المضمضة، ولئلا تبقى منه بقايا يبتلعها في حال الصلاة، ولينقطع لزوجته ودسمه، ويتطهر فمه.

وفي فيض القدير قال: وذكر بعض الأطباء أن بقايا اللبن يضر باللثة والأسنان، وللمضمضة بعد الأكل، وشرب الماء فوائد دينية منها: سلامة الأسنان من الحفر ونحوه، إذ بقايا المأكول يورثه، وسلامة الفم من البخر وغير ذلك.

فسيروا على هديه، والتزموا سننه تفوزوا فوزًا عظيمًا، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يغفر لنا ذنوبنا..

اللهمَّ اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين..

فهرس المجلد الثانى
من كتاب (الوصايا المنبرية) المجموعة الثانية

الصفحة

أولاً: مفاتيح القلوب

ثانيا: المحظورات

ثالثًا: الزهد والرقائق

رابعاً: من الطب النبوي